دراسة في علم اللغة الاجتماعي

دراسة في علم اللغة الاجتماعي

بحث صوتي لغوي اجتماعي
في اللهجات العربية الشامية السورية
مقارنة مع الانكليزية وغيرها

الدكتـور زيـدان علـي جاسـم

مراجعة وتدقيق

زيد علي جاسم
رئيس قسم التدقيق
بالوكالة العربية السورية
للأنباء بدمشق

و

جاسم علي جاسم
مجاز في اللغة العربية
من جامعة دمشق



بوستاك أنتارا
ماليزيا

Published by:
PUSTAKA ANTARA
399 A, Jalan Tuanku Abdul Rahman
50100 Kuala Lumpur
Malaysia

First Published 1993
ISBN 967-937-322-3

printed in Malaysia by:

Syarikat Alat Tulis Soorama
No. 9, Jalan Bachang, 2 1/2 Mile,
Off Jalan Ipoh,
51200 Kuala Lumpur.
Malaysia.

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى:

والدي علي رحمه الله

وأمي حسنة حفظها الله

وإخواني غازي وزيد وجاسم وعبد الله ومحمد

ليلى وأخواتي حمدة وثنية وصبحة وغزة وغازية

وزوجتي

المحتوى

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر العميق أولاً إلى جامعة تشرين باللاذقية في سوريا التي قامت بتمويل دراستي للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة من بريطانيا. وكذلك لجنة منح البحوث للطلاب الأجانب في بريطانيا حيث قدمت إليّ منحتين دراستين للعامين ١٩٨٥ و ١٩٨٦ وكانت هاتان المنحتان تغطية لفرق الرسوم الدراسية بين أبناء البلد والأجانب.

وأتقدم بالشكر الجزيل لمشرفي الأستاذ تشارلز جونز لنصحه إياي وتشجيعه لي وأخذه بيدي ولعلمه وإطلاعه أيضاً. فلقد استفدت من تفكيره اللغوي شيئاً كثيراً. كما أني مدين إلى الأستاذ جيمز ملروي ، رئيس قسم علم اللغة بجامعة شفلد سابقاً ، اذ قرأ لي بواكير كتاباتي وأبدى اهتماماً كبيراً بها وقام بتشجيعي وإسداء النصح لي وتقديم التعليقات والملحوظات القيمة التي أفادتني كثيراً وأدخلت أغلبها في كتاباتي اللاحقة.

وإلى رواتي الذين أغفلت أسماءهم واحتفظت بهوياتهم مجهولة فأنا عاجز عن شكرهم كما يليق بهم. فلقد غمروني بحسن تعاونهم معي في هذا العمل وحسن ضيافتهم لي وكرمهم ولطفهم وودهم. فلا أكاد أجد الكلمات الملائمة لوصف هذا الجود والطيب. إذ أفدت كثيراً من الحديث إليهم ومناقشة أشياء شتى معهم في جو ودي دافئ على فنجال من الشاي لذيذ أو القهوة اليعربية الأصيلة. وكلي أمل أن يكون عملي هذا إعترافاً بما بذلوه من مجهود جاء في صيغة مادة كلامية خام وصافية لم يعرفوا كيف ستتأتى الإفادة منها. فلا يمكن للكلمات وحدها أن تعبر عن مديونيتي إليهم جميعاً.

وإلى والدي - أبي علي رحمه الله وأمي حسنة حفظها الله ورعاها - واخواني غازي وزيد وجاسم وعبد الله ومحمد وأخواتي حمدة وصبحة وثنية وغرْة وغازية الشكر الكثير. فهؤلاء أول من ينبغي علي أن أشكر لما قدموا لي من السكن والغذاء والحب والعطف والدفء والحنان ودعائهم إلى الله الذي كنت اتكل عليه في إقامتي بعيداً عنهم. ولإخواني غازي وزيد وجاسم وعبد الله وغازية فضل علمي عليّ في هذا الكتاب حيث أعانوني في تجنيد وتسمية بعض الرواة فيه. ولولا غازي لما تمكنت من تسجيل بعض الرواة في عملي هذا حيث قام بحنكته وأسلوبه وصداقته معهم بإقناعهم بالمشاركة فيه. وممن ساعدني في هذا الباب أيضا أبناء عمي محمد حمد حسين وجاسم محمد محمد حيث ذهبا معي إلى كثير من الناس وتعريفي بهم. وكذلك صاحبنا خالد عباس.

وفي الختام لابد من شكر زوجتي الغالية ليلى جاسم فهي التي ارتأت أن أقوم بترجمة عملي هذا. فلها أفضل الشكر وأجزله.

لائحة الرموز الصوتية الواردة في الكتاب

تحتفظ الأحرف العربية الفصحى بقيمها الصوتية في هذا الكتاب. أما بالنسبة للأصوات الواردة في اللهجات العامية والتي لانظير لها في اللغة العربية الفصحى ، ففيما يلي نقدم لائحة لها.

الرمز الصوتي بالعربية	المقابل باللغة الانكليزية	الرمز الصوتي بالعربية	المقابل باللغة الانكليزية
أ	?	ع	3
ا	a	غ	gh أو 8
ب	b	ف	f
ت	t	ق	q
ث	th	ك	k
ج	j	ل	l
ح	h أو 2	م	m
خ	kh أو x	ن	n
د	d	هـ	h
ذ	dh	و	w أو: u
ر	r	ي	y أو: i
ز	z	چ (في لهجة دمشق)	zh
س	s	ڭ (في لهجة عرب البدو)	g
ش	sh	تش (« « «)	ch
ص	S	ـِ	i
ض	D	ـُ	u
ظ	Dh	ـَ	a
ط	T		

كلمة أولى

هذا الكتاب ترجمة صادقة وفية لأطروحتي التي تقدمت بها لنيل درجة دكتوراة فلسفة من قسم اللغة الانكليزية بجامعة درم بريطانيا عام ١٩٨٧ . وعنوان الرسالة الأصلي هو:

Phonological Variation and Change in Immigrant Speech: A Sociolinguistic Study of a 1967 Arab-Israeli War Immigrant Speech Community in Damascus, Syria.

(الإختلاف الصوتي وتغييره في لهجات المهاجرين: دراسة لغوية مجتمعية لإحدى الجماعات المهاجرة في دمشق بسوريا عقب الحرب العربية الاسرائيلية سنة ١٩٦٧).

وكان الأستاذ تشارلز جونز، رئيس قسم اللغة الانكليزية آنئذ ، مشرفًا لي. وهذا الرجل أحد أبرز علماء الأصوات اللغوية في المملكة المتحدة. وتم الدفاع عن الرسالة ومناقشتها في ٨ / ٩ / ١٩٨٧ وكان الأستاذ جيمز ملروي ، رئيس قسم علم اللغة بجامعة شفلد ممتحناً خارجياً لي ، وهو من أكابر علماء اللغة الإجتماعيين في بريطانيا. وأما الممتحن الداخلي فكان السيد آرثر

بروكس ، وهو محاضر في قسم اللغة الإنكليزية بجامعة درم.

وستظهر الأطروحة تحت عنوان آخر باللغة الإنكليزية على هيئة كتاب تقوم بنشرة مؤسسة Kegan Paul International بلندن. وهذا العنوان هو:

Sociolinguistic Patterns in Syrian Arabic: A Comparative Study

(موازين علم اللغة الإجتماعي: دراسة مقارنه في اللهجات العربية الشامية).

فكما ترى تختلف العناوين والإسم واحد. والسبب في ذلك هو السوق والجمهور الذي ستطرح فيه ويقرأها ويتفاعل معها ويحكم عليها. وهكذا فليست هنالك فروقات كبيرة بين هذه النسخ. وحاولت هذه الترجمة بشكل خاص الإبقاء على روح النص الأصلي دون تعديلات أو إضافات تخرجه عن أصله. ولكن هذا لايعني بالطبع عدم قيامنا بإجراء بعض التعديلات والتجريحات والتعليقات والزيادات هنا وهناك رغم قلتها. فمن هذه الزيادات مثلاً إعطاء مصورات جديدة أوضح عن المنطقة المدروسة والإستغناء عن المصورات الغامضة التي حلت الألى محلها. ومنها أيضا إضافة آخر المنشورات وأحدثها في ميدان هذا الموضوع منذ إتمام هذه الدراسة مع العلم أنه لم تحصل تطورات جذرية في منهاج علم اللغة الإجتماعي ومادته بعدها. فلا يزال إذن موضوع هذا الكتاب في الصدارة من الأبحاث التي في بابه.

وأحدث مانشر في هذا الموضوع هو اصدار مجلة متخصصة بمسألة الإختلاف والتغيير في اللغة عام ١٩٩٠ واسمها Variation and Change وتصدر عن مطابع جامعة كمبردج بانكلترا ويرأس تحريرها وليم لابوف ، مؤسس علم اللغة الإجتماعي ، ودافيد سانكوف.

إن المـوضـوع العـام لهذا الكتاب هو من أطرف الموضوعات وأمتعهـا في علم اللغـة الحـديث. فهـو يقـع فيها يسمى بعلم اللغة الإجتماعي الذي يبحث في الصلات والعلائق التي تربط بين اللغة والمجتمع. وبعبارة أوضح يقوم هذا العلم بدراسة الأسباب والعوامل الإجتماعية التي يؤثر فيها المجتمع على شكل اللغة ووظيفتها. ومن أبرز موضوعات هذا العلم هو اختلاف اللهجات في اللغة الواحدة ومسألة تغيرها وتماسها واختلاطها وموتها وفنائها واندثارها أو تشعبها وتفرعها. فلماذا يختلف كلام الناس فيما بينهم؟ لماذا يتحدث الكبار على نحـو يختلف عن الصغـار؟ ولمـاذا يختلف حديث النسـاء عن الرجال؟ ولماذا يتغير كلام الناس في لندن عن كلامهم في واشنطن؟ أو في الشام عن بيروت؟ أو في القاهرة عن بغداد؟ أو لماذا يختلف كلام الأطفال عن المراهقين وهؤلاء عن الراشدين أو البالغين؟ فما هو دور العمـر والجنس والـطبقـة والقبيلة والـطائفة والمنطقة أو الإقليم في اختلاف اللهجات أو اللغات وتغيرها وتحولها؟ فكل هذه قوانين عامة تنـطبـق على كافـة لغـات أهـل الأرض وألسنتهم من عرب وعجم ، وأبيض وأسود وأصفر ، الخ. أي سواء كانت اللغة انكليزية أم عربية أم ملاوية أم يابانيه ، الخ.

ومما لاشك فيه أن هذه اللغات تتفاوت فيما بينها في استجابتها وتأثرها بهذه العوامل والأسباب. ولكن هذا التفاوت لاينفي حقيقة الإختلاف والتغيير فهي ثابتة وواضحة في كل لغة مهما كانت. ويقوم هذا الكتاب بدراسة ظاهرة الإختلاف في اللغة وتغيرها والعوامل التي تتحكم فيهـا وذلك من خلال دراسة حالة بعض اللهجات العربية الشـامية في دمشق الشام والمناطق المحيطة بها ومقارنتها مع أحوال اللغات الإنكليزية ولهجاتها في بريطانيا وأمريكا وأستراليا واللغات

العالمية الأخرى واللهجات العربية أيضاً.

وعلى الرغم من أن لعلم اللغة الإجتماعي اتجاهات ومدارس متعددة لسنا بصدد الحديث عنها ههنا، فإن المدرسة التي التزمنا بها أصلاً هي نظرية الإختلاف التي جاء بها العالم اللغوي الأمريكي وليم لابوف في أوائل الستينات ولا تزال هذه النظرية أكثر النظريات اللغوية الإجتماعية رواجاً ودرساً وتطويراً لدى الدارسين والباحثين في مختلف أنحاء العالم.

وبحثنا هذا ليس مجرد تقليد واتباع أعمى لتلك النظرية بل إن فيه تجديداً وإبداعاً من جوانب عدة. ومن أهم الجوانب التي نرى أن هذا الكتاب أضاف فيها إلى نظرية الإختلاف أربع مسائل على الأقل ، وهي:

أولاً ، من الناحية المنهجية. وجدنا أن الطرق التي استعملها لابوف في تجميع مادته اللغوية في مدينة نيويورك وغيرها واتبعه آخرون كثيرون فيها لاتتناسب والمجتمعات العربية السورية التي درسناها. فلذلك استبدلناها بوسائل وأساليب تلائم المجتمعات المهاجرة والمتنقلة والتي يكثر فيها الإختلاف اللغوي.

ثانياً ، من ناحية تبيان كيف يتم التغيير اللغوي حيث وجدنا أن نظرية الإنتظام الصوتي لايمكن لمادتنا اللغوية أن تساندها بل رفضتها رفضاً كاملا بينما كانت نظرية الإنتشار الكلمي موافقة لنتائج تحليلنا وأيدتها دراستنا.

ثالثاً ، من ناحية اتجاه التغيير اللغوي. فيرى لابوف أن ذلك الإتجاه نحو الفصحى. ونحن نرى أن ذلك ليس ضروريا دوماً. فقد يحدث التغيير اللغوي في اللهجات التي تتأثر ببعضها بعضا في اتجاهات مختلفة وليس بالضرورة نحو الفصحى.

وأخـــيرًا ، من ناحـية دور المــرأة في عملية التغيير اللغــوي والإرتصاف الطبقي. ففي الدراسات اللغوية الإجتماعية في أمريكا وبـريطانيا تنقسم النسـاء إلى طبقـات إجتماعية مختلفة من خلال كلامهن ومثلهن في ذلك مثل الرجال بل أشد. كما أنهن الرائدات في عملية الفصـاحة اللغوية. ووجدنا أن المرأة العربية السورية تتفق معهن في النقطة الأخيرة ويختلفن عنهن في الأولى. كما أن المرأة العـربية السـورية تختلف عن سائـر النساء العربيات في سبقهن الرجال في الفصاحة والتغيير.

فهذا الكتاب إذن ذو أهمية كبيرة جداً ويسد فجوة وسيعة في علم اللغة الحديث فيما يتعلق باللغة العربية خصوصاً. فالعربية عطشى وظمأى لمثل هذا النوع من البحث اللغوى. وكذا طلاب العربية ممن لا يجيدون الـلغــة الإنـكـليزية ويريدون أن يطلعــوا على آخــر الـنـظريات وكنت قد ركزت على هذه النقطة الأخيرة لما دعيت لإلقاء محاضرتين في ندوتين عن التعريف بنشأة علم اللغة الإجتماعي: تطوره وموضوعه، وذلك لطلبة الماجستير بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. فوجدتهم ممن تحمس لهذه المسألة وكانوا متعطشين للمزيد، جزاهم الله عني كل خير وألهمهم سبيل الـرشـاد وكذلك أستاذهم الدكتور هارون الرشيد الذي وجه لي الدعوة في ذلك.

فهـذا الكتـاب لا يمكنك الإستغناء عنه لأنه أول كتاب مفصل في بابـه عن نظرية الإختلاف اللغوي وتغييره التي قامت أول ما قامت في أمريكا وبريطانيا، الخ وطبقت على اللغة الإنكليزية أولاً واللغات العالمية الأخرى بعدها. فهو يعالج علم اللغة الاجتماعي من هذه الزاوية. وعلى نحو أدقِ يحلل اللهجات العربية الشامية ويقارنها مع اللغة الإنكليزية

بكافة لهجاتها في أمريكا وبريطانيا وأستراليا واللغات العالمية الأخرى واللهجات العربية القديمة التي حكى عنها سيبويه وابن فارس، الخ والمعاصرة سواء كانت في مصر أو شبه جزيرة العرب، الخ.

فقراءة هذا الكتاب أمر لازم عليك إذا كنت: -

١. طالبا للغة العربية ومتعلما لها وتريد أن تتعلم كيف يحكيها أهلها في ديارهم، ديار النور والرسالات والأنبياء؛
٢. طالبا للدراسات اللغوية الحديثة وتحب أن تتعلم شيئاً جديداً عن العربية من منظور آخر نظريات اللغة في الغرب؛
٣. عالم لغة وتريد أن ترى وحدة اللغة البشرية بقوانينها ونظمها فكلها سواء عربية كانت أم انكليزية؛
٤. مؤرخًا ممن يحب أن يعرف آثار الحرب العربية الإسرائيلية لعام ١٩٦٧ وما بعده؛
٥. عالم إجتماع ممن يهمه معرفة نشوء الطبقات الإجتماعية وظهور الفئات الجديدة ومشكلة الهجرة والتغيير الإجتماعي واللغوي في بلاد الشام؛
٦. عالما إنسانيا ممن يريد النظر في مشكلة تغيير العادات والتقاليد والكلام أو المحافظة عليها، ودور المرأة في ذلك؛
٧. ممن يحب العربية وأهلها أو يتعلم عنهم، أو من أبناء القنيطرة ودمشق والشام والوطن العربي الكبير. فهذه الرسالة كتبت لهم وعنهم.

فهذه مجمل القضايا التي أحببت أن أذكرها في اول كلامي هذا. وسيجد القارىء الكريم تفصيلاً وافياً وواضحاً لهذه القضايا وكثير غيرها في ثنايا هذا الكتاب. فإني أرجوله قراءة ممتعة وهنيئة وزكية وخيرة، بإذن الله.

والله وحده هو الموفق والصلاة والسلام على رسول الهدى والسلام محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه، أهل العلم والفضل والخير والجود.

زيدان على جاسم
كوالا لمبور
١٢ / ١ / ١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم
''ومن آيـاتـه
خلق السموات والأرض
واختلاف ألسنتكم وألوانكم ،
إن في ذلك لا آيات للعالمين ''
(الروم: ٢٢)

الفصل الأول
تمهيد

١. استهلال

يعرض هذا الفصل الأفكار والقضايا الرئيسية للكتاب بإيجاز. ففيه نستعرض النظرية التي يقوم عليها ومراحل تطورها على نحو عاجل وسريع. كما نتطرق أيضاً إلى إعطاء موجزًا عاماً عن هذه الدراسة فيما يتعلق بغرضها والمشاكل التي تبحث فيها.

٢. الإطار النظري للدراسة

تقع هذه الدراسة في حقل النظرية الكمية أو الإختلافية التي أوجدها وليم لابوف واتبعه كثيرون آخرون ومنهم تردكل في بريطانيا. قامت هذه النظرية في أول نشأتها ردًا على مدرسة تشومسكي في اللغة. وعند هؤلاء:

تعنى النظرية اللغوية أساساً بالمتكلم – المستمع المثالي ، في مجتمع متجانس تماماً ، يعرف لغته بكاملها ، ولا يتأثر بالأحوال التي ليست بذات قيمة نحوية مثل قيود

الـذاكرة ، والشرود ، وتقلبات الانتباه والإهتمام ، والأخطاء (العفويه أو المميزة) وذلك عند تطبيق معرفتهاللغوية، واستخدامها الحقيقي. (Chomsoky 1965: 3-4)

وأودى دفـاع تشومسكي عن تجانس المجتمع اللغوي ومثاليته الـذي ينبغي على نظرية اللغـة العنـاية بها إلى رفضه للإختلافات اللغوية التي وصفها بأنها لاقيمة لها وأنها تنشأ عن عوامل عدة منها اختلاط الذاكرة والإنتباه وما سواهما. ولذلك فالحقيقة اللغوية إنما تكون في أذهان المتكلمين (الكفاءة اللغوية) وليست كما يستخدمونها (الأداء اللغوي). فما هنالك من وظيفة إذن للتطبيق اللغوي عنده. وأضاف تشومسكي (1965:4) بأن مؤسسي علم اللغة الحديث إنما عنوا بطبيعـة تجانس الـتركيب النحـوي. وليس هنالك من داع معقول لتعديل هذا الاتجاه.

وأما نظرية الإختلاف فجاءت رفضاً لموقف تشومسكي هذا ورأت بضرورة جعل الإختلاف المحور الذي تدور عليه نظرية اللغة وليس طرفها. فجاء تركيزها على مختلف الطرق التي يستعملها الناس في تداول لغتهم عنـد الحـديث بها لتلبية أغراض معينة. فإتقان عدة أسـاليب في الحـديث أمـر أسـاسي جداً في كل مجتمـع لغـوي حي ، وفقدانها مرض. أو كما يقول (101 : 1968) Weinreich, Labov & Herzog:

ليس إتقـان مختلف الأسـاليب التعبـيرية عبارة عن تعدد اللهجات أو '' مجرد '' استخدامها. بل هو جزء من الكفاءة اللغـوية الشاملة. فهو من مستلزمات منهجنا في اللغة التي

تفي بحاجات المجتمع المعقد (أو الحقيقي). وانعدام التفاوت التركيبي خلل.

وعليه فالتفاوت اللغوي ليس حقا وواقعاً وبمقدور كل امرىء فحسب بل أن له قواعده ونظمه ووظائفه. أي أن الناس يتحدثون بألسنتهم بطرق مختلفة فيما بينهم لتلبية احتياجاتهم والوفاء بها. وهذه الفروقات اللغوية لها نظمها أيضا بمعنى أنها لها قواعدها وقوانينها الخاصة بها.

ويعد اللغوي الأمريكي وليم لابوف أول من أسس نظرية الإختلاف ودافع عنها وتبنى دراستها وطور أدوات البحث فيها ومناهجها وحدد أهدافها وأغراضها. وكانت دراسته الأولى عن جزيرة Martha's Vineyard عام ١٩٦٣ التي بحث فيها عن الأصول الإجتماعية (مثل العمر، المنطقة، المهنه، والزمرة العرقية) للظاهرة الصوتية التي تسمى بالتوسط أو التمركز في العلتين المزدوجتين (آي ay) و (أو au). وفيها حدد لابوف أساليب إنتقاء الرواة، وجمع المادة الكلامية، وعزل المتغيرات اللغوية وقياسها. واستطاع تهذيب هذه الأساليب وتطويرها في دراسته عن مدينة نيويورك (١٩٦٦). وفيها استخدم أساليب علم الإجتماع في قياس البنى الإجتماعية كما استقصى البحث في مفهوم الأسلوب اللغوي. ثم حاول لابوف عام ١٩٦٩ أن يحل مشكلة دمج نظرية الاختلاف اللغوي في علم النحو التوليدي وصياغتها قواعديًا. وبعدها قام بجمع أبحاثه السابقة في كتابيه (1972 a,b) وقدمها في صيغة نظرية متميزة في علم اللغة الإجتماعي.

ولاقت نظرية لابوف حماساً كبيرًا لها إذ اندفع لها الباحثون من مختلف أرجاء الأرض. ففي أمريكا كانت دراسة (Wolfram 1969)

أولى الـدراسات التي تشبعت بها. وأما في خارج الولايات المتحدة فكانت دراسة (Trudgill 1974) عن لهجة نورج في بريطانيا ، وهذه أكثـر الأعـمال رواجـاً في تطبيقها واختبارها للنظرية. ومن بواكير الأعمال الأخرى في المملكة المتحدة التي اقتفت بآثار لابوف وتردكُل ماجمعه الآخر منهما في كتابه (1978). وهنالك دراسات غيرها كثيرة ومنها دراسة (Macaulay 1977) عن لهجة غلاسكو باسكتلندا ، و (Petyt 1985) عن لهـجـة غرب يوركشر بانكلترا. وهنالك كتاب (Romaine 1892 a) الذي جمعت فيه عدة دراسات حول أماكن مختلفة من العـالم مثـل طهران والسويد ، الخ. وفي العالم العربي أجريت بعض الدراسات ومنها (Schmidt 1974) حول اللهجة المصرية ، و (Al-Amadihi 1985) عن لهجة قطر ، الخ.

مرت نظرية الإختـلاف في تطورها بمراحل عدة. ففي بدايتها اقتصرت على دراسة المتغيرات الصوتية (1963 , 1966 , 1972a Labov ; Trudgill 1974 , 1978 ; Macaulay 1977 ; Petyt 1985 الخ) ثم تعدتها إلى المتغيرات النحوية (Labov 1969 , 1972 b ; Cheshire 1982 ; Harris 1984 ; Hassan 1978 ; الـخ). وبعدها تناولت نظرية الإختـلاف دراسـة المسـائـل التـاريخية اللغـوية مثل دراسة (Romaine 1982 b) عن ضمـيـر الـوصـل أو دراسـة (Houston 1985) عن الـلاحقـة الصـرفيه (ing -) وتـطورها بين الماضي والحاضر أو المتغيرات الصوتية كدراسة (Harris 1985). كما طبقت النظرية على اكتساب لغة الطفل (Wells 1986) وعلى تعلم وتعليم اللغات الثانية والأجنبية (Wolfram 1985) وعلى مبنى الخطاب (انظر Dittmar 1987).

ومن أهم التطورات الأساسية التي أثرت في نظرية الإختلاف استخدام الحاسوب وتصميم برامج خاصة لحساب احتمال استخدام

القواعد اللغوية أو عدمها. ومنها برنا مجان معقدان يطلق على الأول منهما القواعد المتغيرة (Varbrul 2) والثاني القواعد المتغيرة(Varbrul3) Rousseau and Sankoff 1978 ، Cedergren and Sankoff 1974) ; Horvath 1985 ; Houston 1985 ; Poplack 1979). ولكن لم يقم كل اللغـويين باستخدام هذين البـرنامجين؛ وفي الحقيقة ليس هنالك إتفاق بين النحاة على استخدام أية طريقة إحصائية معينة دون غيرها. فمثلاً استعملت (Cheshire 1982) طريقة لابوف الأساسية بينما استعملت (L. Milroy 1980) تحليل التغاير والإختلاف ، الخ. ولقـد واظبت معظم الدراسات على استخدام الأسلوب اللابوفياني التقليدي مع إدخـال بعض التعـديلات عليه (انـظر Bortoni-Ricardo 1985).

ويعـتمـد تمثيل البنى الإجتـماعية في أبحـاث (Labov 1966 ;Trudgill 1974 ;Macaulay 1977 ; Petyt 1985) على الأصل الطبقي. ويتم تعيين الـطبقـات بحسب منـاهج علم الإجتماع. ولكن الدراسات المتعاقبة (Labov 1969 ; 1972b ; Habick 1980 ; Cheshire 1982) صرفت اهتمامها إلى دراسة الجماعات الطبيعية الصغرى مثل جماعة الـرفقـان ، وذلـك لما لها من أثـر كبير على تكوين لهجة المراهقين والحفاظ عليها وتقويتها أو تفكيكها. وهنالك أيضًا دراسة الشبكات الإجتماعية ودورها في المحافظة على لهجات البالغين وتغييرها وأحسن من عبر عنها (L. Milroy 1980 و Milroy & Milroy 1985). وطبقت هذه الشبكات على المجتمع البرازيلي (Bortoni-Ricardo 1985).

كما حظيت دراسة الأسلوب اللغوي باهتمام الباحثين اللغويين على الـدوام. ولئـن لم يزل الـدارسـون (مـثـلاً Shorrab 1982 ; Al-Amadihi 1981) يستعملون الإطار الأسلوبي اللابوفياني التقليدي كما

استخـدمه لابوف نفسه (Labov 1966 , 1972 a ; Trudgill 1974 ؛ Petyt 1985) ، فهنالك عدة محاولات لإصلاح عيوبه ، ومنها ما قام بها لابوف ذاته (1969 , 1972 b) وأتباعه من مثل (L. Milroy 1980 ؛ Cheshire 1980; ولغويون آخرون من مذاهب شتى مثل Bickerton 1980). (راجع الفصل الثالث للإستفاضة في هذا الشان).

كان وصف الإختـلاف اللغوي في أولى ومعظم الدراسات اللغوية اللغوية الإجتماعية المتأخرة منها (Wolfram 1969 ; Labov 1966 ,1972 a ; Trudgill 1974 ; Macaulay 1977 ; Petyt 1985 ; L. Milroy 1980 ; Cheshire 1982 ; Al-Amadihi 1985) وصفًا لهجويًا ثنائيًا. أي أن الإختلاف يحصل بين اللهجة الفصحى واللهجة العامية الواحدة. ففي الأحـاديث العادية يقوم المتكلمون باستخدام الفصحى أو اللهجة الرفيعة بالتناوب مع العامية أو اللهجة المطعونة. فمثلاً للمتغير (ng) كما في (ring, sing) صيغتـان لفظيتان في اللهجات الانكليزية ، إحداهما أنفية طبقية فصحى والأخرى أنفية لثوية عامية (مثلاً Trudgill 1974 , Petyt 1985) ومع أن الألفاظ المختلفة لـ (ng) لاقيمة لها من ناحية المعنى غير أنها تخضع لعوامل إجتماعية وأسلوبية مثل وضع المتكلم الإجتماعي ورسمية أو عفوية الموقف اللغوي. فيرد اللفظ الفصيح من صاحب الطبقة الوسطى أكثر مما يرد من صاحب الطبقة العاملة وفي الأساليب الرسمية أكثر منه في الأساليب العفوية.

ورغم انكباب الباحثين المتواصل على تصوير الإختلاف اللغوي تصـويرًا مثنـويًا فقـد برزت دراسـات عنت نفسها بدراسة طبيعة الإختلاف اللغوي المتعدد مثل دراسة التأثير المتبادل بين الفصحى واللهجات العامية وينشأ هذا الوضع في اللهجات المتجاورة جغرافيًا. ومن أمثلة ذلـك دراسة (Trudgill 1986) التي تجمع نتائج دراسات

متفرقة في بريطانيا والبلدان الاسكندنافيه ، وبخاصة النرويج ، وغيرها. (واعتمد في تفسيره للأسباب التي تحدو بالمتكلمين إلى تغيير لهجاتهم على النظرية الإجتماعية النفسية في التكيف (1973 Giles & Smith 1979 ; Giles ؛ الخ). ففي بريطانيا مثلاً بين (Trudgill 1986 :42 – 53) كيف أثّرت لهجة لندن Cockney على لهجات منطقة إيست أنكليا وما يجاورها. إذ تبتعد معظم هذه التأثيرات عن الفصحى ومثال ذلك اسقاط الهاء. وفي هو ينغر بالنرويج اورد (Trudgill 1986 :95 – 99) أمثلة على بروز لهجة جديدة تمامًا نتيجة التماس بين عدة لهجات.

وأخيراً نأتي إلى لهجات المهاجرين التي لم تعتن بها إلا بعض الدراسات بينما أغلبية البحوث السابقة تناولت اللهجات المستوطنة. وتكمن أهمية اللهجات المهاجرة في أنها تبين كيف يغير المهاجرون لهجاتهم ويكتسبون لهجة المجتمع المستضيف ، وهي لا تكون فصيحة بالضرورة. فبحثت (Payne 1976 , 1980) في اكتساب الأطفال المهاجرين من عمر ٤ - ١٤ سنة للهجة ولاية فلا دلفيا بالولايات المتحدة ، وتناولت في بحثها ثمانية متغيرات لغوية في ثماني لهجات محايدة بين الفصحى والعامية. وعالجت دراسة(Kerswill 1985) مسألة اكتساب المهاجرين الريفيين من مقاطعة ستريل بالنرويج للهجة مدينة برغن. والموقف اللغوي في النروج معقد ، فهنالك أربع لهجات وهي لهجة المهاجرين الريفية الأصلية ولهجة مدينة برغن ، ولهجتان فصيحتان هما بوكمال ونينروسك. فالأولى منهما لغة التدريس وهي اللغة الرسمية في معظم المدن النرويجية بما فيها برغن والثانية مقصورة على المناطق الغربية والوسطى '' الريفية غالبًا '' بما فيها منطقة المهاجرين الأصلية ، ستر يلاندت (انظر Kerswill 1985 :36). ففي

صرفها ومعتلاتها تشبه لهجة المهاجرين الأصلية لهجة نينروسك وأما بوكمال فتشبه لهجة برغن العامية ذات المنزلة الرفيعة. ولم يركز كرزويل تحليله إلا على اللهجتين العاميتين فقط. وتتكون عينته البشرية من ٣٩ مهاجراً بالغًا واحتوت مادته الكلامية على ثلاثة متغيرات لغوية. ولم يقم بالإشارة إلى اللهجات الفصحى فيها. وفي البرازيل قامت (Bortoni - Ricardo 1985) بدراسة مشكلة مماثلة وهي اكتساب ٣٣ مهاجراً ريفياً للهجة الفصحى لمدينة برازيلانديا التي يقيمون بها. فدرست أربعة متغيرات لغوية وتأثير العوامل الإجتماعية فيها كالعمر والجنس والمهنة والشبكات الإجتماعية. (وسنذكر نتائج هذه الأبحاث التي تعنينا (فيما بعد في هذا الكتاب).

١. ٣. موجز الدراسة

١. ٣. ١. غرضها ومرماها

تسعى هذه الدراسة إلى تطبيق مناهج البحث والتحليل لنظرية الإختلاف اللغوي على المجتمع العربي ونقلها إليه وإختبارها فيه. ويمكن تعريف الغرض من هذه الدراسة بأنه تقديم وصف لغوي إجتماعي لإحدى اللهجات العربية السورية المهاجرة في منطقة دمشق ومدينتها. وتدعى هذه اللهجة بلهجة الفضل الذين نزحوا من الجولان عقب الإحتلال الإسرائيلي لها عام ١٩٦٧ . ومنذ ذلك الحين عاش النازحون في مدينة دمشق والمناطق المحيطة بها. وليست هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في معالجة الإختلاف اللغوي في لهجة الفضل فحسب بل في اللهجات العربية السورية بأكملها. وزيادة على ذلك فهذه الدراسة هي احدى بعض الدراسات في اللهجات العربية الحديثة التي أجريت في الآونة الأخيرة من منظور علم اللغة

الإجتماعي الحديث.

وعلى هذا تسعى هذه الدراسة لأن تكون إحدى المساهمات اللغوية الإجتماعية في اللهجات العربية السورية بخاصة واللهجات العربية بعامة ونظرية الإختلاف اللغوي وتغييره وعلم اللغة العام. ولن ندخر جهدًا في طيات هذا الكتاب في الإشارة إلى أوجه اللقاء والخلاف بين نتائج بحثنا والأبحاث الأمريكية والأوربية والعربية المشابهة له.

ولكن هذه الدراسة لن تحاول القيام بصياغة نتائجها اللغوية الإجتماعية صياغة قواعدية ، سواء أكانت توليدية أم غيرها كما فعل لابوف (1969 , 1972 a) و (Trudgill 1975) وغيرهم. والسبب في ذلك هو النقد الكثير الذي تعرضت له هاته المحاولات في صياغة القواعد (انظر J. Milroy 1982 ; Kay and MacDaniel 1979) ولا أريد أن أكررها هنا. ولقد أشار (Trudgill 1986 :68) نفسه إلى خطأ صياغته وتحليله التوليدي للهجة نورج بوساطة القواعد الصوتية. وفي الحقيقة لم تتطرق الغالبية العظمي من الأبحاث اللغوية الإجتماعية إلى هذا الموضوع أبدًا (مثلاً Macaulay 1977; Petyt 1985; Milroy L. 1980; Cheshire 1982; Al-Amadihi 1985; Bortoni- Ricardo 1985; الخ).

١. ٣. ٢. مشكلة البحث

في دراستنا هذه يشتمل الإختلاف اللغوي على ثلاث لهجات : وهي العربية الفصحى ، ولهجة دمشق ، ولهجة الفضل النازحين من الجولان المحتل. فالفصحى هي اللهجة الرسمية وتستحذمها وسائل الإعلام وهي لغة الكتابة الأدبية والقرآن الكريم.

وليس هنالك مجتمعاً عربياً واحداً يتحدث بها بانتظام دائم في حياتهم اليومية علماً أن عناصرها تتداخل في أحاديثهم العامية. ولهجة دمشق هي التي يحكيها أهالي مدينة دمشق أصلاً وما يجاورها من المناطق رغم وجود الإختلافات فيما بين هذه المناطق سيما في حيز المفردات. وأما لهجة الفضل فكانت لغة عدد من القرى في مرتفعات الجولان التي كان أهلها يعيشون بها قبل طرد إسرائيل لهم منها عام ١٩٦٧ . وأضحت بعدئذ لهجة مهجرية في المناطق التي رحل النازحون لها في مدينة دمشق وجوارها. وفي هذه الحال نرى أن لهجة الفضل اتصلت اتصالاً يوميًا مع اللهجتين الشامية والفصحى. ولذلك فهي تعطينا أحسن المواقع لبحث التكيف اللغوي واختلافه بين اللهجات المتفرقة.

ويتركز اهتمامنا في هذا الدرس خصوصًا على التغيرات اللغوية التي طرأت على كلام المهاجرين تحت تأثير اللهجة الفصحى والدمشقية المحلية. ونريد أن نرى فيما إذا كان المهاجرون يغيرون كلامهم عندما يفعلون ذلك باتجاه الفصحى أم المحلية أم ماذا؟ إذ يعتمد اتجاه التغيير اللغوي اعتمادًا كبيرًا على طبيعة العلاقة بين الفصحى من جهة واللهجتين العاميتين من الجهة الأخرى. ولهذه العلاقة ثلاثة جوانب. أولا ، هنالك حالات يكون فيها اختلاف الصيغ اللغوية اختلافا كليا بين هذه اللهجات. فخذ متغير القاف مثلاً ، وهذا صوت ساكن انفجاري لهوي صامت. فيرد قافًا [ق] في الفصحى ، وهمزة [ء] في لهجة دمشق ، وكافًا أو جيمًا [ك ، ج] في لهجة الفضل الأصلية. وثانيا هنالك حالات يتوافق نطقها بين الفصحى والدمشقية وتشذ عنها الفضلية كما في متغير الضاد ، وهو صوت ساكن انفجاري لثوي – حلقي مجهور. فلفظه ضاد في الدمشقية وينقلب

ظاء في الفضلية. والظاء صوت ساكن لثوي - حلقي احتكاكي مجهور. وأخيراً هنالك حالات ذات لفظ واحد في الفصحى والفضلية وتحيد عنها الدمشقية ومثال ذلك متغير الجيم (ج)، وهو صوت اصطكاكي حنكي مجهور. ويلفظ [چ] في الدمشقية، ووصفه الصوتي هو أنه صوت احتكاكي لثوي مجهور.

ففي أحاديثهم اليومية يقوم المهاجرون باستغلال هذا الطيف اللغوي بكامله، رغم اختلافهم فيه. أي أنه بإمكان المهاجر استخدام اللهجات الثلاث كلها في الحديث الواحد ولكن غلبة إحداها على غيرها في أي موقف لغوي معين محكومة بعوامل اجتماعية وأسلوبية.

وكي يتسنى لنا التقاط الوضع اللغوي الإجتماعي الدقيق بالكامل من حيث التنقل بين اللهجات فلا بد من التيقظ والإنتباه الشديد في إجراء عملية جمع المادة الكلامية وإلا فقد يضيع أو يتشوه جزء كبير من المعلومات. ولئن استعملت القلة القليلة من الدراسات اللغوية الإجتماعية التي عالجت كلام المهاجرين الأسلوب اللابوفياني التقليدي في جمع مادتها (Kerswill 1985, Payne 1976, 1980, Bortoni-Ricardo 1985)، فإنه لايمكن تطبيقها بحذافيرها في دراستنا حتى لا تعطينا نتائج منقوصة وغير مرضية ولاسيما إذا ما أخذنا بعين الإعتبار أنه لم تمض إلا ١٨ سنة وذلك فيما بين بداية النزوح عام ١٩٦٧ وإجراء العمل الميداني في ايار-آب ١٩٨٥ . وهذه فترة قصيرة جدًا من حيث فقدان اللغة أو اكتسابها. فقد لوحظ أن المهاجرين يغيرون كلامهم تبعاً لما إذا كانوا يتحدثون مع أمثالهم من المهاجرين أو مع المواطنين المحليين. هذا ورغم حدوث التنقل بين اللهجات في كل موقف كلامي فإن كلام المهاجرين فيما

بينهم يتميز بدرجة عالية من الحفاظ على لهجتهم الأصلية الأولى ، وأما مع المستوطنين فمتميز بدرجة عالية من التحول اللغوي (نحو اللهجة المحلية). وسنقدم وصفًا كاملاً لمناهج البحث اللغوي التي اعتمدناها في تصدينا لهذه المشكلة في الفصل الرابع فى هذا الكتاب.

وكثيرًا ما يتأثر الإختلاف بين اللهجات الفصحى والدمشقية والفضيلة والانتقال من الفضلية إلى الفصحى مثلاً بعوامل إجتماعية مثل الجنس والعمر والمنزلة الإجتماعية إضافة إلى العوامل الأسلوبية. وكانت هذه العوامل الإجتماعية ذات أثر كبير في تقييد الإختلاف اللغوي وتكييفه من الناحية الخارجية في مدينة ينويورك (1972 a Labov 1966,) ونورج (Trudgill 1974) وغلاسكو (Macaulay 1977) وبلفاست (L. Milroy 1980)، الخ. ولذلك قمنا باستقصاء دور هذه العوامل وقيمتها في لغة مهاجرينا.

وبالإضافة إلى العوامل الخارجية التي تحكم الإختلاف اللغوي فالعوامل الداخلية مهمة أيضاً. فبينت بعض الأبحاث (مثلاً 1972 b Labov 1969; Cheshire 1982) كيف أن للبيئة اللغوية، سواء كانت صوتية أم نحوية أم كلمية، دورًا مفضلاً أو مانعا لحدوث أو إختيار صيغة معينة لمتغير معين. ولذلك أضفنا دراسة السياق اللغوي في عملنا هذا كي نرى كيف تتبدل الصيغ اللهجاتية الثلاثية على المستوى اللغوي الصرف.

وأخيرا سندرس الإختلاف اللغوي في اللهجة المهجرية من خلال المتغيرات الصوتية وعددها سبعة كما أن هنالك متغيراً صرفيًا واحدًا ذو علاقة وثيقة بها. ولا يعني تجاهلنا للمتغيرات النحوية والكلمية أنها ليست بذات قيمة. بل على العكس فهنالك متغيرات

كثيرة ممتعة من كافة المستويات اللغوية. وهذه تركناها للأبحاث المستقبلية إذ ليس بإمكان كتاب وحيد كهذا دراسة أكثر من ثمانية متغيرات من مستويات لغوية متعددة. فمعظم الدراسات إنما بحثت في خمسة متغيرات (Labov 1966 , 1972 a) أو متغيرين (Al-Amadihi 1985) أو متغير واحد (Houston 1985 ; Romaine 1982 a).

١. ٤. مخطط الكتاب

إن مخطط مابقي من هذا الكتاب هو الآتي. يعرض الفصل الثاني الخلفية العامة للمنطقة والنزوح تاريخياً وجغرافياً وإجتماعيا. وفيه نصف عن عرض لمناهج علم اللغة الإجتماعي وأساليبه. وفيه نلخص طرق وصف البنى الإجتماعية وتمثيلها، وجمع المادة اللغوية، وإنتقاء الرواة، الخ. وفي الفصل الرابع نقدم مناهج بحثنا وأدوات تحليلنا في دراستنا هذه. والفصل الخامس عرض وجيز ومقارن للأصوات في اللهجات الثلاث المدروسة وهي الفصحى والدمشقية والجولانية. وسنركز فيه على المتغيرات التي انتقيناها مادة لبحثنا وأغفلنا ما عداها. وأما تحليل نتائجنا ففي الفصول ٦ - ٩ . فالسادس تحليل لغوي للعوامل الداخلية التي تحكم تبدل الصيغ اللغوية. والنتائج اللغوية الإجتماعية مشروحة في الفصول ٧ - ٩ . فالسابع تحليل مطول لمتغير واحد. أما الثامن والتاسع فيعالجان ثلاثة وأربعة متغيرات لكل على حدة. وتم تجميع المتغيرات على هذا النحو على أساس التقائها مع الفصحى وافتراقها عنها. فمتغير الفصل السابع مثال على الإفتراق الكامل بين اللهجات الثلاث إذ يختلف لفظه في كل منها. ومتغيرات الفصل الثامن الثلاثة ذات لفظ واحد في الفصحى والدمشقية وتحيد عنها الفضلية. وأخيراً متغيرات الفصل التاسع الأربعة. فلفظها واحد في الفصحى والفضيلة وتفترق عنها

الدمشقية. وفي الفصل العاشر نقدم ملخص الكتاب ونتائجه بالإضافة إلى توجيهات للأبحاث القادمة.

الفصل الثاني

البيئة المهجرية جغرافيا واجتماعيا وتاريخياً

0.2 استهلال

يقدم هذا الفصل لمحة أساسية عن المجتمع المهجري في دراستنا هذه. ولما كانت أوضاع المهاجرين الإجتماعية متداخلة في شبكة المجتمع السوري ككل، فإنه يجدر بنا أن نخصص جزءاً من هذا الفصل لإلقاء نظرة فاحصة موجزة على الوضع السوري العام حتى يستبين لنا وضع المهاجرين بوضوح من خلالها.

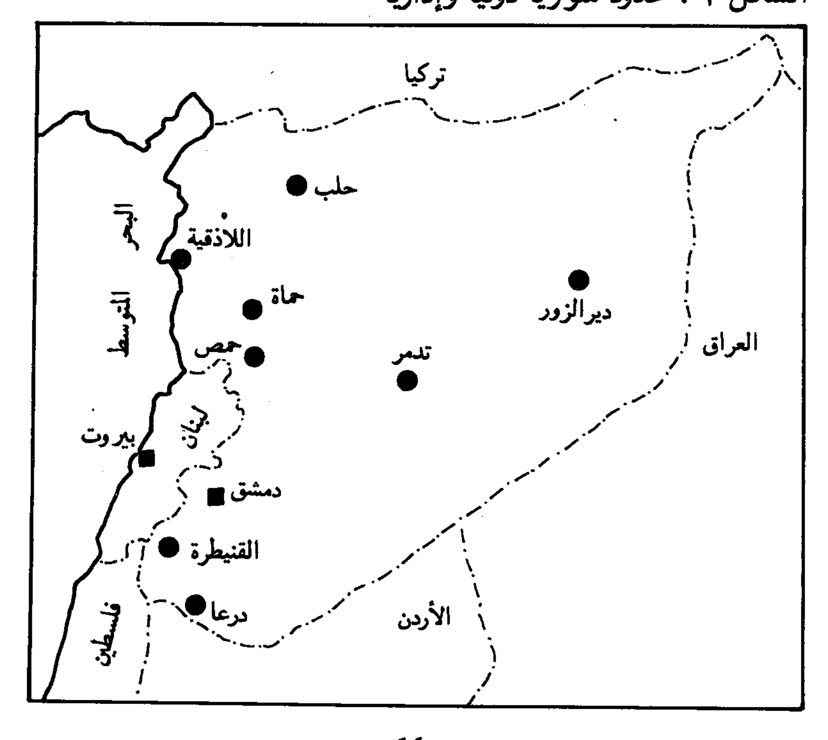
1.2 البيئة السورية العامة

1.1.2 جغرافياً

كانت سوريا اليوم جزءاً مما يسمى بسوريا الكبرى حتى سنة ١٩١٩ (Hitti 1959). وهذا يمثل جغرافيا منطقة محددة تتكون من فلسطين ولبنان وشرق الأردن وسوريا اليوم، ومساحتها الإجمالية ٣٠٠,٠٠٠ كم. وبموجب إتفاقية سايكس - بيكو الإنكليزية - الفرنسية (Shaaban 1976) تم تقسيم هذه المنطقة المترامية الأطراف إلى جزئين: فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب

الفرنسي وفلسطين والأردن تحت الانتداب البريطاني. وبعد الحرب العالمية الثانية نالت سوريا استقلالها عن فرنسا وتبلغ مساحتها ١٨٥,٠٠٠ كم. ويحدها من الشمال تركيا، ومن الشرق العراق، ومن الجنوب الأردن، ومن الغرب البحر المتوسط ولبنان وفلسطين. ويبلغ تعداد سكان سوريا ١٠ مليون نسمة وذلك حسب نشرة المكتب المركزي للأحصاء ١٩٨١. (والآن قد يقارب ١٣ مليونًا). وتنقسم اداريا إلى ١٤ محافظة تتخذ من المدن الرئيسية مقراً لها. وأكبر المدن السورية اثنتان هما دمشق العاصمة وعدد سكانها حوالي ١,٢٥١,٢٨ نسمة وحلب في الشمال. ويبين الشكل ١ حدود سوريا الدولية وتقاسيمها الإدارية.

الشكل ١ . حدود سوريا دولياً وإداريًا



2.1.2 تاريخياً

شاهدت سوريا في تاريخها الطويل ظهور وزوال شعوب وحضارات عدة غزتها واستعمرتها واستوطنتها نظراً لموقعها الجغرافي على مفترق الطرق بين القارات سيما آسيا وأفريقيا. ففي عام ١٦٠٠ ق م كان فراعنة مصر أول من غزاها ، ثم بعدهم بقرن جاء العموريون ، ثم الآراميون عام ٩٤٠ ق م ، فالآشوريون عام ٧٣٢ ق م والإغريق عام ٣٣٣ ق م ، والرومان عام ٦٣ ق م. وأخذت سوريا طابعها العربي بعد الفتح الإسلامي لها عام ٦٣٦ م لما سقطت دمشق على أيدي العرب وصارت عاصمة لهم ٦٦١ - ٧٥٠ م. واحتل الأتراك سوريا مع بقية العالم العربي من ١٥١٧ - ١٩١٨ ؛ وفي نهاية الحرب العالمية الأولى فرض الفرنسيون حمايتهم عليها وطردوا منها سنة ١٩٤٦ وبعدها لم تصبح سوريا دولة مستقلة فحسب بل أخذت شكلها السياسي المقسم لأول مرة في تاريخها. (ولمزيد من التفصيلات انظر Guine 1976; Hitti 1959; Petran 1972; Torrey 1961; Al-Akhras 1969; Carter 1979).

3.1.2 إجتماعياً

مثل المجتمع السوري مثل كافة المجتمعات العربية ، فأغلبيته من العرب. وهذا لاينفي وجود بعض الأقليات العرقية التي اندمجت في حضارتهم عمومًا (انظر Nyrop 1979 الفصل الثاني). فكلمة عربي ليست عرقًا بل لغة وحضارة.

وهنالك طريقتان معروفتان في تحليل البنية الإجتماعية السورية. فالأولى أفقية وتقسم السكان إلى (١) قبائل و (٢) قرويين و (٣) مدنيين (Al-Yassin 1984:2; Bagh 1961:398-418; Nyrop 1979;63).

(انظر Patai لتحليل مشابه لمجتمعات الشرق الأوسط). وتعتمد هذه الفئات الثلاث على بعضها بعضا إقتصاديا وتتبادل الخدمات فيما بينها. فالأعــراب أهـل تربية المـاشية أولاً والـزراعـة ثانيًا ، وعكسهم الفـلاحو ن فيهتمون بالزرع أولاً والحيوانات بعدها. وأما المدنيون فمنهم التجار ورجال الخدمات وموظفو الدولة في الإدارة والسياسة والقضاء والتعليم. وتشكل العائلة الوحدة المركزية في كل جماعة من هذه الجماعات (Schilcher 1985 ; Nyrop 1979:70)، فهي التي تحمي أفرادها وترعى مصالحهم.

ولقد طرأت تغيرات هائلة على هذه الصورة التقليدية للمجتمع السـوري منـذ الإستقلال. فلم تعد التقسيمات بين القرية والمدينة محددة المعالم. فهنالك قرى كثيرة تمدنت برمتها (وانظر مثلاً على هذا Khalaf 1981).

وأما الطريقة الثانية فرأسية وتقسم السكان إلى طبقات اجتماعية على أسـاس مهنهم وثقـافتهم وثروتهم ودخلهم وما شابه ذلك. وأقوى الحجج على التراصف الإجتماعي في الشرق الأوسط عموماً مقال (Bill 1972:417-34). فهو يعرف الطبقة الإجتماعية بأنها (ص ٤٢٤):

> جماعـة كبيرة من الأفراد يرتبطون فيما بينهم بأنماط شغل متماثلة ويمتلكون مواقع قوى متشابهة لحفظ هذه العلاقات بين هاتيك الجماعات أو تعديلها وتغييرها.

ويميز بل بين الطبقات على أساس المهنة والسلطة وسمى ثلاث طبقـات اجتماعية اقتصادية ، وهي الطبقة العليا والوسطى والعاملة (ص ٤٣٠). وتتشكـل الطبقة العليا من الحكام وعائلاتهم وصفوة المجتمع ، الخ. وأما الوسطى فمن المهنيين والكتبة والموظفين ورجال الأعـمال. وأمـا العامله فهم الفلاحون والعمال ، الخ. غير أن هذا

البحث نظري ولا يستند على أية معلومات ميدانية من أي بلد من بلدان الشرق الأوسط.

وأكد علماء الإجتماع السوريون ظهور الطبقات أو الفئات الإجتماعية في البلد ولا سيما مدنه. فيقول (Al-akhras 1,69:212-13). مثلاً:

ظهرت فئات اجتماعية واقتصادية جديدة بانحلال البنية الطبقية التقليدية وبروز سوريا الحديثة. ففي المدن أخذت هذه الفئات مثل الطلبة والمثقفين والعمال والاتحادات العمالية والمهنّيين والفنيين والمدراء بتأكيد هويتها من خلال تنظيماتها كقوى اجتماعية هامة في سوريا. ويشكل المدراء والفنيون والمهنيون قلب الطبقة الوسطى التي برزت في المدن. ويشكل العمال والفلاحون أصل الطبقة الكادحة في الريف والمدن.

كما عبر (Nyrop 1976:61-65) عن الفكرة ذاتها وقام بتحديد طبقتين أو ثلاث طبقات اجتماعية للمجتمع السوري بناء على الثقافة والمهنة والدخل. ومن هذه الطبقات العاملة والوسطى.

ولخص (Zakarya 1977) المشاكل التي تعترض البحث في الطبقات الإجتماعية في سوريا ومنها نقص المعلومات الإحصائية الدقيقة وحداثة البحث في البلد وميوعة الحدود الإجتماعية. أو كما يقول (1977:248-9):

تبقى دراسة التركيبة الإجتماعية في سوريا ملأى بالمشاكل. وسبب ذلك نقصان الإحصاءات الدقيقة وعدم صحة المواد المتوفرة. وأسباب ذلك كثيرة. فأولها جدة البحث الإجتماعي في سوريا. فهنالك عدد قليل من الباحثين الإجتماعيين.

وبالتالي فالكثير من الطبقات الإجتماعيه لم يطالها البحث بعد.

وثانيها صعوبات عملية تتعلق بتعقيد عناصر المجتمع السوري وتداخله. فلم يصــل الإتجاه العام للتطور الإجتماعي بعد إلى مرحلة ذات فروق طبقية إجتماعية محددة واضحة. فلا زالت الحدود بين الطبقات والفئات الإجتماعية مائعة متمازجة متـداخلة. فهنــالـك قطاعـات كبيرة من السكان لازالت معلقة - أي لم تتخذ طبقتهم شكلاً محدداً بعد.

ثم حاول زكريا تصنيف المجتمع السوري إلى طبقات أو فئات اجتماعية ، وبنى تصنيفه على أساس البيانات الرسمية التي استقاها من الحـوليات الإحصائية. ففي القاع تأتي الطبقة العاملة بما فيهم العـمال والفلاحون. وكان وضع الفلاحين مزريا قبل صدور قانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٨ وأخذ يتحسن بعده بصورة ملموسة. والحقيقة أنه كان لقانون الإصلاح الزراعي أثر بارز على التركيبة الإجتماعية للبلد بكامله (Zakarya 1977:262). وأما الوسطى فتتألف من عدة فئات تشترك كلها بشيئين اثنين فيما بينها: فهي لاتنتمي إلى طبقة مخصوصة مباشرة كما أنها ليس لها مصالح طبقية ولكنها تقدم الدعم إلى الـفئـــات الأخـــرى مثـــل المـثـقفــين والعسكـــر (1977 : 264 Zakarya). وهي تتألف من (١) البرجوازية الصغيرة وصغار المنتجين و (٢) الـطبقـة الـوسـطى المتمـدنة للقطاع التجاري والاداري والخدماتي ، و (٣) الطبقة الدنيا المتمدنة التي تعيش في ظروف قاسية وتـتـنـقـــل من عمـــل إلى آخـــر. وأخـــيراً هنـــاك المـثقفـــون وهؤلاء هم ''المشتغلون ... في مهن التعليم، من الكتاب إضافة إلى أولئك الأشخاص الذين وصلوا... إلى مستوى ثقافي معين بما فيهم

موظفـوا الدولة " (Zakarya 1977:264). وأما حجم الطبقة المثقفة فقليل نسبياً إلا أن عددها ازداد منذ الاستقلال.

ويعود غموض صورة التراصف الإجتماعي في سوريا وميوعتها كما وصفنـاها أعلاه إلى جملة عواملٍ أهمها الإثنين التاليين: فأولها انعدام التعليم قبل ثلاثين سنة. فمثلاً لما جلت فرنسا عن سوريا لم يصل التعليم إلا إلى ٥ % من السكان وارتفع إلى ٢ ,١٧ % عام ١٩٦٧ (Petran 1972: 220). وأضافت أيضا أن الأمية بين من تزيد أعمارهم عن عشر سنين في الفترة ١٩٦٠ - ١٩٦٨ كانت بمعدل ٦٠ - ٥٩ % ، وهـذه كانت أدنى عنـد الرجال ٤٣ - ٤١ % من النساء ٧٧ % . وكانت نسبة الأمية في نساء الأرياف في ذات الفترة ٩٤ - ٩٣ % (Petran 1972:224). وبعد ١٩٥٠ تحسن التعليم في سوريا. فأشار (Nyrop 1979:89) إلى أن نسبة الأطفال المسجلين في المدارس الإبتدائية عام ١٩٧٥ / ١٩٧٦ بلغت ٩٤ % . كما كتبت وحدة الإستخبارات الإقتصادية (Economic Intelligence Unit) عن الوضع التعليمي السوري مايلي:

لدى سوريا شعب مثقف جيداً وقـوة عمل تدريبها حسن مقارنة مع الأقطار العربية الأخرى. ففي عام ١٩٨٠ بلغت نسبة التعليم لدى الكبار ٥٨ % ولكن طرأ توسع كبير في المؤسسات التربوية على كافة المستويات من المدارس إلى برامج محو الأمية في السنوات الأخيرة. وفي عام ١٩٨٢ بلغ عدد الأطفال المسجلين في المدارس الإبتدائية ١٠٠ % من مجموع الأطفال العام بالمقارنة مع ٧٨ % عام ١٩٦٥ . وكان هنالك ارتفاع ملحوظ في نسبة الفتيات من ٥٢ % إلى ٩٠ % في الفـترة ذاتها. كما ارتفع العدد الإجمالي لطلاب المدارس

الثانوية من ٢٨ إلى ٥١ % من إجمالي مجموع الفئة العمرية المناسبة. وارتفع عدد طلاب التعليم العالي من ٨ إلى ١٦ % من فئة الأعمار ٢٠ - ٢٤ سنة.

وأمـا العامل الثاني الذي ساهم في ميوعة التركيبة الإجتماعية السورية فهو نمط الفعالية الإقتصادية ذات الطابع الزراعي. فيعمل ٦٠ % من مجمـل القوى العاملة بالزراعة (Zakarya 1977:261). وعن هذا الحجم الهائل لقوة العمل الزراعية نشأ انتماء أكبر قطاعات المجتمع إلى الطبقة العاملة عموماً.

2.2 البيئة المهجرية

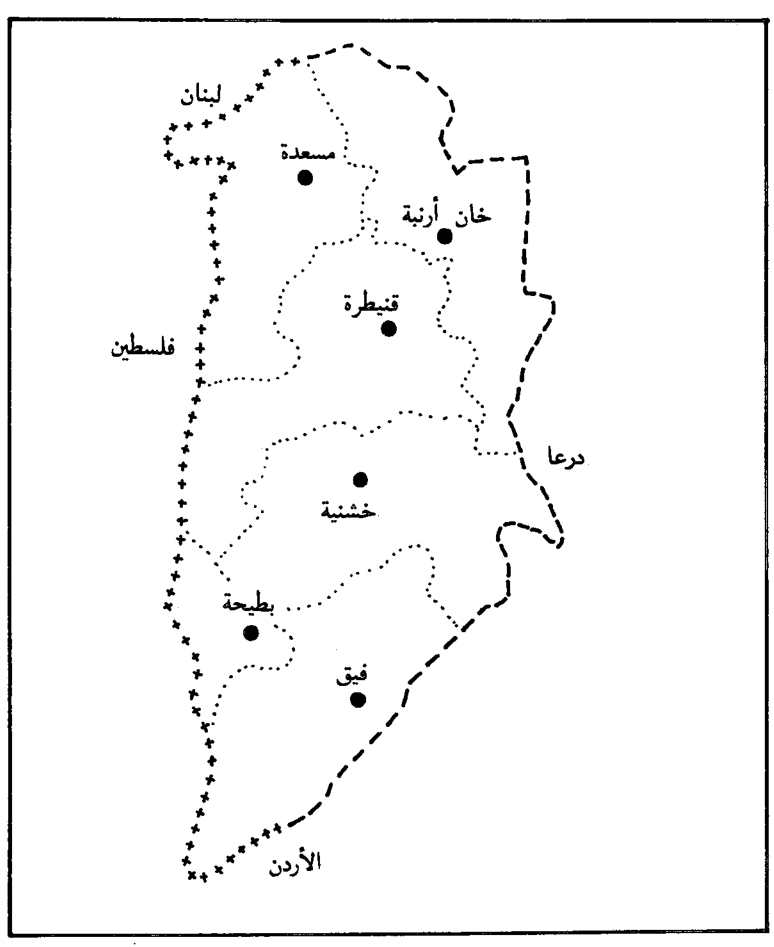
1.2.2 وصف عام للبيئة المهجرية

1.1.2.2 بيئة ما قبل ١٩٦٧

كان المهاجرون يعيشون في مرتفعات الجولان (محافظة القنيطرة حالياً) حتى عام ١٩٦٧ . وتقع هذه في الزاوية الجنوبية الغربية من سوريا ويحدها الأردن من الجنوب الغربي ، وفلسطين غربًا ، ولبنان من الشمال الغربي، وجبل الحرمون من الشمال ، ومنطقة وادي العجم من الشمال الغربي وحوران من الشرق (Bagh 1961: 7). (انظر الشكل 1 أعلاه). وظلت مرتفعات الجولان تتبع حوران في كل تاريخها ولكنهـا ضمت إلى دمشق عام ١٩٠٤ لأسبـاب اقتصادية وادارية (زكريا ١٩٥٧ : ٤٧٩). وبالتالي تم تقسيم مرتفعات الجولان إلى قسمين اداريين: منطقة القنيطرة ومنطقة فيق تحت ادارتي دمشق ودرعا لكـل على حدة. وفي ٣١ آب ١٩٦٤ تم تشكيل محافظة القنيطرة بدمج المنطقتين المفصولتين سابقاً وهما القنيطرة وفيق (الخير ١٩٧٦ : ٧٤). وعينت مدينـة القنيطرة العـاصمـة الإقليمية للجـولان

ومساحتها ١٨٦٠ كم. وبلغ عدد سكان القنيطرة ١٠٨،٤٦ حسب احصاء السكان لعام ١٩٦٠ (الخير ١٩٧٦ : ١٠٤). ويتوزع هؤلاء في ١٦٣ قرية و ١٠٨ مزرعة ومدينتين. ويبين الشكل ٢ التقسيمات الإدارية لمحافظة القنيطرة مع مدنها الرئيسية.

الشكل ٢ . محافظة القنيطرة وتقاسيمها ومدنها



المصدر: المكتب المركزي للإحصاء ١٩٧٠

وفـي عام ١٩٦٧ سقط الجـزء الأعـظم من محافـظة القنيطرة تحت الإحتلال الإسرائيلي إبان الحرب العربيه الإسرائيلية ٥ - ١٠ حزيران. وكـان تعـداد سكـان الجـولان عشية احتـلا لها أكثـر من ١٥٣,٠٠٠ نسمـة (الخـير ١٩٧٦ : ٧٣، Davis 1983 :8). وبنتيجة الإختلال الإسرائيلي طرد أكثر من ٩٣ % من سكانها (Harris: 1980: 16 ; Nissan 1978: 137). وكما يقول (Harris 1980 : 15):

شهـدت كل المنـاطق التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ خروجا فوريًا وكبيرًا للمواطنين العرب ... وفي الجولان ... كاد يكون هجر المنطقة كاملاً.

ففي مرتفعـات الجولان المحتلة لم يبق إلا خمس قرى سورية يتراوح عدد سكـانها بين ..., ١٣ نسـمـة (Lesch 1978 : 19) أو ١٦,٥٠٠ (الخير ١٩٧٦ : ١٠٠) أو ٧,٠٠٠ (Davis 1983 : 2-3).

وفي تشرين الأول ١٩٧٣ نشبت حرب أخرى بين سوريا ومصر من جهة واسرائيل من جهة أخرى وذلك لإستعادة المناطق المسلوبة سنـة ١٩٦٧ . وبعد إتفاقية فك الإرتباط السورية الاسرائيلية في حزيران ١٩٧٤ (Harris 1980 : 11 ; Rudolph 1979:200) لم يعاد إلى السلطات المدنيه السورية سوى حجار مدينة القنيطرة المدمرة (انظر Hildrew 1984 : 6) بينما لا زال كامل مرتفعات الجولان تحت الإحتلال الإسـرائيلي حيث أقيمت مستـوطنات جديدة مكان القرى والمدن السـورية (لمـزيد من التفاصيل انظر Perlmott 1983 : 54 – 71 ; Orr 1983 : 82 – 101).

وبالنسبة للظروف الإجتماعية في الجولان قبل ١٩٦٧ فلم تختلف عما هي عليه في باقي البـلاد. وهنالك ثلاث دراسات حول الوضع

الإجتماعي في الجولان آنئذ. فالأولى (Oppenheim 1939: 350-378) وهذه لا تصور سوى حياة البدوان فقط فقيمتها محدودة إذن. والثانية لزكريا (١٩٥٧) وهذه دراسة شيقة وتغطي معظم جوانب الحياة في الجولان جغرافيا وتاريخيا واثاريا ومعماريا واجتماعيا وزراعيا. والثالثة (Bagh 1961) وهذه رسالة دكتوراة تقدم بها إلى جامعة السوربون بباريس. ولئن كانت حول الجغرافيا الإقليمية لمرتفعات الجولان إلا أنها اشتملت على جزء لا بأس به عن جغرافيتها البشرية أيضاً.

وكان يقطن معظم سكان الجولان الأرياف أو القرى (٨٠ %) ولم يشكل سكان المدن سوى ٢٠ % من سكان المحافظة وهؤلاء يعيشون في المركزين الاداريين وهما القنيطرة وفيق (الخير ١٩٧٦ : ١١١ ; Davis 1983:8). وهاتان المدينتان ذاتا أهمية ثانوية ولولا وضعهما الإداري والتجاري لما كانتا في عداد المدن أبداً (الخير ١٩٧٦: ١١١). وكان معظم سكان قرى الجولان إما فلاحين أو أعرابا (زكريا ١٩٥٧ : ٥٠١ - ٥١٥ ; Bagh 1961:320-37). فالفلاحون أهل زراعة وماشية بهذا الترتيب والبدو أهل ماشية وفلاحة بهذا الترتيب (ولمزيد من التفاصيل حول عاداتهم وتقاليدهم الإجتماعيه انظر زكريا ١٩٥٧).

وأما مستوى التعليم في الجولان فكان في أدناه كما كان يختلف من مكان لآخر (زكريا ١٩٥٧ : ٢٢٥ ، Bagh 1961:388-90). ولم يكن في أغلب القرى حتى مدرسة واحدة بمفردها. أو كما يقول زكريا (١٩٥٧ : ٥٠١):

> كانت قرى الأعراب محرومة من المدارس طيلة السنوات الماضية. ولم يفتتح فيها سوى أربع مدارس ابتدائية في أربع من قرى الفضل.

وبخصـــوص عملهم فكـــان أغلب سكـان الجـولان يعملون بالزراعة. وبلغت نسبتهم ٦٤ % (الخير ١٩٧٦ : ١١٩ , Davis 1983: 8).

2.1.2.2 بيئة ما بعد ١٩٦٧

إلتجـأ سكـان محافـظة القنيطرة إلى المناطق الخاضعة للسيادة السـورية بعـد طردهم الجماعي من الجولان عام ١٩٦٧ . واستقر أغلبهم في مدينة دمشق وضواحيها كما هو مبين في الجدول 1.2 أدناه.

الجدول 1.2 توزيع نازحي ١٩٦٧ في المحافظات حسب العوائل التي تتلقى الإعاشة الشهرية في الفترة ١٩٦٧ - ١٩٧٣

المنطقة	عدد العائلات	%
مدينة دمشق	٥٦٠٠	٣٢.٩٤ %
دمشق	٦٦٠٠	٣٨.٨٢ %
خان أرنبه	٤٠٠	٢.٣٥ %
درعا	٣٩٠٠	٢٢.٩٤ %
السويداء	٧٤	٠.٤٣ %
حمص	٣٧٩	٢.٢٢ %
حلب	٤٧	٠.٣٠ %
المجموع	١٧٠٠٠	٩٩.٩٥ %

المصدر: المكتب المركزي للإحصاء ١٩٧٤

يتبين من الجدول 1.2 أن أكثر من ٧٠ % من العوائل النازحة إنما تعيش في مدينة دمشق وما يجاورها. ويليها العوائل التي تسكن في درعا بنسبة ٢٣ %.

ولم يعين المكتب المركزي للإحصاء المناطق السكنية المحددة للمهاجرين في هذه المحافظات. وبما أني أسكن في تلك المنطقة فقد لاحظت توزع أماكن سكن المهاجرين في مدينة دمشق في مساكن برزه والقابون والمزة ودويلعة. وفي ريف دمشق يقيم المهاجرون في قطنا وعرطوز وجديدة عرطوز والمعظمية والكسوة والسيدة زينب ، الخ. وهنالك بعض العائلات التي لا تزال تسكن في بعض القرى السورية على الحدود السوريه الاسرائيلية ولمعظمها بيوت ومنازل في المناطق الداخلية الآنفة الذكر.

وعلى علمي لم يقم أحد بعد ببحث الظروف الإجتماعية والإقتصادية والسكانية للمهاجرين. ولذلك فلا ندري كيف استطاع هؤلاء الناس تدبير أمور معاشهم في ظل ظروف الهجرة الحربية القاسية جداً ، وأظن أن معظمهم يعملون عمالاً عاديين أو في قطاع الخدمات. وأما العاملون بالزراعة فقليلون جداً. ولا نستطيع معالجة هذا الموضوع أكثر من هذا القدر في بحثنا هذا.

وأخيرا على الرغم من تحرير مدينة القنيطرة ، عاصمة الجولان ، عام ١٩٧٤ فلم يعد المهاجرون لها لأن اليهود الصهاينة دمروها عن بكرة أبيها ومسحوها إلى الأرض عشية جلائهم عنها علماً أنها وقعت في أيديهم في حزيران ١٩٦٧ ومبانيها سالمة.

2.2.2 من هم المهاجرون في هذا البحث؟

1.2.2 الفضل: تعليق قصير

لا تعنى هذه الدراسة بالوضع اللغوي إلا عند إحدى الفئات المهاجرة من الجولان وتدعى بالفضل عادة (Oppenheim 1939: 350-78; Cantineau 1936: 10; زكريا: ١٩٥٧ : ٥٠٢ ; Bagh 1961: 401).

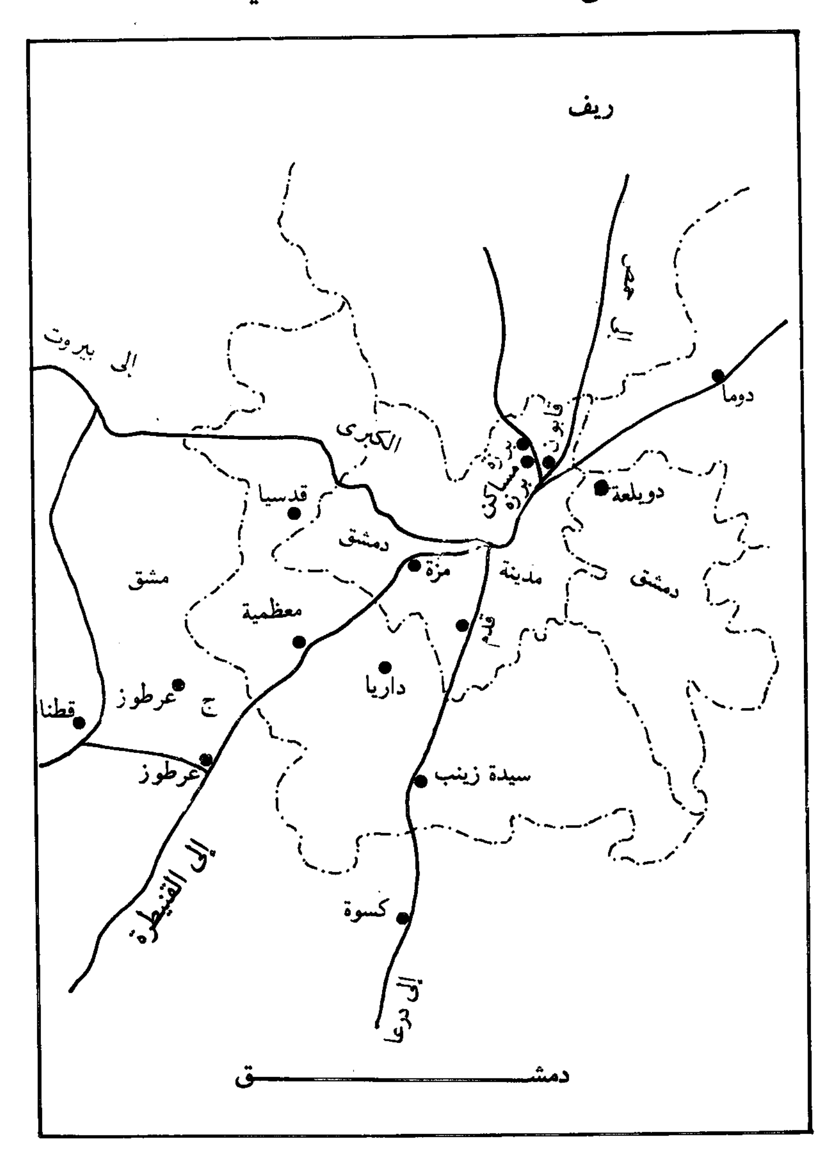
وكان هؤلاء من سكان الأرياف (١٠٠ %) وكانوا يعيشون في الجزء الشمالي الغربي من الجولان حول العاصمة الا قليمية (انظر الشكل ٢). وكانوا يعملون بتربية الماشية والزراعة على هذا الترتيب. وعدد زكريا(١٩٥٧ : ٤٨٠ - ٤٨٤)أسماء قراهم (١٤) ومزارعهم (٩)غير أن تقديراته لعدد سكانها الحقيقي مشكوكة لإستنادها على احصائيات غير رسمية. وقدر (Bagh 1961: 401)، الباحث في جغرافيا الجولان قبل ١٩٦٧ أعدادهم بحوالي ٣٠,٠٠٠ نسمة إلا أن هذا الرقم مجاف للمنطق نظراً لا نعدام الإحصاءات الدقيقة قبل ١٩٦٠ . وهذا ما اعترف به هو بنفسه (1960: 400).

فالطريقة الوحيدة لتقدير عدد سكان الفضل أو مهاجريهم تكمن إذن في مقابلة قائمة زكريا بأسماء قراهم ومزارعهم ومقارنتها مع أول إحصاء رسمي ودقيق للسكان عام ١٩٦٠ . ويبلغ عددهم على هذا الأساس ٦٠٢١ شخصاً موزعين في ١٤ قرية و ٩ مزارع كما حددها زكريا أعلاه. وفي الوقت الحالي لايمكن تحديد عددهم لأسباب عدة. فأولاً صعوبة الحصول على المعلومات الرسمية لكافة المهاجرين بعد ١٩٦٧ حيث تفرقوا في مناطق واسعة ، فصار الناس الذين كانوا يسكنون في قرية واحدة في الجولان كسكيك مثلاً مشتتين فيها لا يقل عن عشرة قرى أو مدن في دمشق. وثانيا لا تبين الإحصاءات السكانية الخصائص العرقية للناس أبداً. وثالثا لايوجد سجل للمهاجرين في احصاء سكان مدينة القنيطرة لعام ١٩٨١ ولا في احصاء سكان مدينة دمشق وريفها التي يعيشون فيها حالياً. ولكن يمكننا تقدير عددهم تقديراً عاماً فهم يتراوحون بين ٢٠,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ نسمة ولا يتجاوزون العدد الأخير غالباً.

ولم يبق من الفضل أحد في الجولان عقب الاحتلال الاسرائيلي

لها عام ١٩٦٧ . ومنـذ ذلك الحين وهم يعيشون في مدينة دمشق (وسكانها حوالي ٢٨ ،١ ،٢٥١ حسب إحصاء ١٩٨١). وما حولها. ففي مدينة دمشق يتركزون في مساكن برزه والقابون ودويلعة ولكنهم ينتقلون منها إلى الضواحي مثل المعظمية (٥٥٣٥ نسمة) وجديدة عرطـوز (٩٦١١ نسمـة) ، وعـرطـوز (٤٤٧٣ نسمـة) وقطنا (١٧٩٢٨ نسمـة)، ومعظمهم مقيم في المدينة الأخيرة. ومن المدن الأخرى الكسوة (١٨٤٢٥ نسمة) ، الخ. ويسكن بعض المهاجرين في قرى مجاورة أخرى ، وهؤلاء لم يستقروا بعد ، فهم ينتقلون من مكان لآخر على الدوام. وأخيراً لاتزال حفنة من المهاجرين تسكن المنـاطق المتاخمة على الحدود الإسرائيلية مثل سعسع وما يحيط بها. ويمتلك كافـة هؤلاء المهـاجرين الحدوديين بيوتا في قطنا وعرطوز وغـيرهما . ويبين الشكل ٤ المناطق السكنية الرئيسية لمهاجري الفضل في دمشق.

الشكل (٣ . مواقع سكن المهاجرين الرئيسية في منطقة دمشق.



المصدر: مديرية الشؤون الفنية ١٩٧٣ .

والمناطق التي حل فيها المهاجرون ذات علامات مميزة تماماً؛ فهم إما أن يقطنوا في مجموعات تتكون من خمسة بيوت أو أكثر في شارع ما أو في منطقة كبيرة نسبيا من عشرين أو ثلاثين بيتًا بنوها بأنفسهم. وتقع معظم هذه البيوت على الأطراف الخارجية للمدن التي يعيشون بها. ولا يقصد من هذا أن كافة سكان المنطقة هم مهاجرون حصراً. ففي بعض الحالات يتجاور المواطنون والمهاجرون بيتًا لبيت. ومع ذلك فهنالك شيء أكيد وهو ميل المهاجرين للسكن متجاورين مع بعضهم بعضاً سواء مع المواطنين أو دونهم. وهناك غرضان من وراء تبعثر وتجمع المناطق المهجرية السكنية في أماكن تواجدهم في الوقت نفسه، وهما التدليل على الرفض والقبول الجزئي لقيم المجتمع المضيف ولا سيما لغته.

وفي الفصل الرابع سنقدم مزيداً من المعلومات حول هؤلاء المهاجرين عند شرح وسائل اختيار العينة البشرية في هذا الكتاب.

الفصل الثالث
استعراض المسائل المنهجية

0.3 استهلال

يرمي هذا الفصل إلى إعطاء عرضاً تمهيدياً لمناهج البحث اللغوية الإجتماعية في قياس البنى الإجتماعية وجمع المادة اللغوية. وسننتقي في هذا المقال مايخدم غايتنا ولسنا نبغي استعراض كل ماكتب في هذا الموضوع ؛ فمن المستحيل عمل ذلك في هذا الكتاب. وسوف نشير إذن إلى الخطوط الكبرى في مناهج البحث سيما ما يتعلق منها بمنهجنا الذي سنناقشه في الفصل الرابع أدناه.

1.3 قياس المؤشرات الإجتماعية

1.1.3 العينة

من أشق المشاكل في مناهج علم اللغة الإجتماعي إختيار عينة الرواة (انظر L. Milroy 1980 : 42). إذ يختلف إنتقاء الراة وحجم العينة من دراسة إلى أخرى. وفيما يلي نقدم ملخصاً وجيزًا عن معالجة هذا الموضوع في علم اللغة الإجتماعي.

1.1.1.3 أساليب اختيار العينة

العينة عدة أنواع (Petyt 1985 : 15 - 19). فهي إما عشوائية أو مرتصفة أو مختارة. فالعشوائية هي التي تكون امكانية اختيار الراوية فيها محسوبة ومقدرة. وقد تكون بسيطة بمعنى أنه لكل فرد من السكان امكانية متساوية من الإختيار (كالنصيب) أو شبه عشوائية وفيها لايتساوى أفراد السكان بامكانية الإختيار. ويحدث هذا لدى سحب الأفراد من جدول مسبق الإعداد ، كأن يجري اختيار كل عاشر اسم وهكذا مثلاً.

وأما العينة المختارة فينتقيها الباحث بنفسه لتتناسب وتصنيفات معينة مثل الجنس والعمر ، الخ. وتختلف العينات المختارة عن العشوائية في أنها لا تمثل الجماعة التي استمدت منها. ففي العينة العشوائية مثلاً يجب أن تتساوى نسبة الذكور والإناث مع الأصل الذي استمدت العينة منه. وأما المختارة فلا تخضع لهذا التقييد. وبالنسبة للمرتصفة فهي مستمدة من دراسة سابقة تم فيها تحديد خواص الأفراد كطبقتهم الإجتماعية وجنسهم وعمرهم ، الخ.

ويعتمد استخدام أي من هذه العينات في علم اللغة الإجتماعي على عدة أشياء منها طبيعة البحث ووجهته ووفرة المعلومات الإحصائية عن كافة قطاعات المجتمع. ففي بحثه عن مدينة نيويورك قام لابوف (111 : 1972 a) باعتماد العينه المرتصفة ، وهذه كانت خواص أفرادها معروفة من دراسة سابقة أجراها برنامج تعبئة الشباب. وتضمنت تلك الدراسة الأصلية على ٩٨٨ بالغاً ، تمكن لابوف من مقابلة ١٢٢ فرداً منهم في بحثة. وأما (Trudgill 1974) في دراسته عن لهجة نورج فاستخدم العينة شبه العشوائية في اختيار رواته الخمسين. واهتدى إلى تلك الطريقة بتقسيم عدد السكان

الاجمالي للمنطقة على العدد المرغوب من الأفراد في بحثه ثم اعتمد الكسر الناتج عن القسمة أساساً لإنتقاء أفراده. فإذا كان إجمالي سكان نورج ١٠٠,٠٠٠ والعدد المطلوب هو ٥٠ فرداً فكسر العينة هو ٢٠٠٠ . وهذا يعني لزوم انتقاء العضو الألفيني أو كل من يحمل الرقم ٢٠٠٠ ومضاعفاته ٤٠٠٠ ، ٦٠٠٠ ، الخ. واتبع (Petyt 1985 : 49 – 51) الأسلوب ذاته الذي اعتمده تردكل في دراسته للهجة غرب يوركشر.

اعتمدت غالبية الدراسات اللغوية الإجتماعية العينات المختارة. ومنها لمجرد الذكر (Labov 1963 , 1972a : ch. 1 , 1972b ; L. Milroy 1980 ; Cheshire 1982 ; Poplack 1979 : 27 – 28, Horvarth 1985).ويتأتى ذلك بطريق الإتصال بالأفراد على مستوى شخصي. أو كما تقول (Horvarth 1985: 43):

تم اختيار أفراد العينة بعدة وسائل ، وكان نظام الشبكات الوسيلة الرئيسية فيها. فكنا نعطى اسم مشارك محتمل ثم نتصل به/ بها للمشاركة في المقابلات ... ونسأل الناس عن ذكرياتهم وأيام طفولتهم.

وهذا مافعلته (L. Milroy 1980 : 54 – 55) بالذات. ومن الجدير بالذكر أن جميع الدراسات اللغوية الإجتماعية عن المهاجرين (Payne 1976 , 1980 : 145 ; Bortoni - Ricardo 1985 : 131 ; Kerswill 1985 : 75 – 76 ,) كانت من هذا القبيل.

2.1.1.3 حجم العينة

حجم العينة من المسائل المزعجة في علم اللغة الإجتماعي. فهي صغيرة جدًا بالمقارنة مع حجمها في علم النفس والإجتماع مثلاً. وهذا

أمر متوقع تماماً نظراً لإختلاف أساليب البحث ومناهج التحليل فيما بين هذه العلوم. فعلى اللغويين الإجتماعيين القيام بتسجيل المادة اللغوية زيادة على استخلاص المادة الإجتماعية عن أفراد عيناتهم. كما أن عليهم أن يمضوا أشهراً وهم يكتبون مادتهم اللغوية التي جمعوها قبل مباشرة تحليلها إحصائياً. فأما علماء النفس والإجتماع فيتكلون على الإستبيانات المحددة للحصول على المعلومات اللازمة لهم دون الحاجة إلى تسجيل أفرادهم في عدة أساليب لغوية أو تدوين مادتهم بالطريقة ذاتها التي يكتبها بها علماء اللغة الإجتماعيون.

تكونت عينة لابوف (1966 , 1972 a) عن مدينة نيويورك من ١٢٢ نفراً. وعينة (Trudgill 1974) عن نورج أصغر منها بكثير وعددها ٦٠ فرداً. وتقارب عينة (Petyt 1985) عن غرب يوركشر عينة لابوف في عددها البالغ ١٠٦ شخصاً. وتحتوي عينة (1969 Wolfram) عن دترويت و (Macaulay 1977) عن غلاسكو على ٤٨ فرداً في كل منهما. وفي عينة (L. Milroy 1980) عن بلفاست ٤٦ متكلماً. واستخدم باحثون آخرون عينات أصغر تراوح عددها بين ١٨ و ٢٥ نفراً كما في (Poplack 1979; Cheshire 1982; Romaine 1978 Russel 1982; Gal 1984; Hundley 1983;). وفي الدراسات المهجرية (Bortoni - Ricardo 1985 ; Kerswill 1985) كان حجم العينة بين ٣٣ و ٣٩ فرداً لكل على حدة.

والعرض السابق إنما يشير إلى عدم إتفاق الباحثين على عدد محدد للأفراد اللازمين في أي عمل لغوي اجتماعي. والنتيجة التي وصل إليها لابوف (1972 a : 204) كما أوردها (Petyt 1985 : 20) هي أن العينة العشوائية المكونة من ٢٥ فرداً كافية جداً لتبيين الإختلاف اللغوي والإجتماعي. وأما عن عدد الأفراد في كل خلية

كالعمر والجنس فيتراوح بين ٢ (Wolfram 1969 ; Macaulay 1977) و ٣ (Hundley 1983) و ٥ (Le Page 1980).

2.1.3 قياس البنى الإجتماعية

استعمل اللغويون المجتمعيون عددًا من المؤشرات الإجتماعية في قياس خواص أفراد عيناتهم الإجتماعية. وفيما يلي نعرض لبعض هذه الأبحاث.

1.2.1.3 دراسات الطبقات الإجتماعية

يعتمد قياس الطبقة الإجتماعية في علم اللغة الإجتماعي على طريقتين ، إحداهما متعددة البنود والأخرى وحيدتها. فأما المتعددة فأول من استحذمها لابوف (1966, 1972 a) في بحثه عن نيويورك. ويزعم (Labov 1972 a :285) أن

> الوضع الإجتماعي للفرد إنما تحدده ردود الأفعال الذاتية لأفراد المجتمع الآخرين ؛ أما بالنسبة للغرباء فمن السهل استخدام مؤشرات اجتماعية اقتصادية موضوعية لتعيين منزلة بعض الأفراد.

واعتمد لابوف المؤشر الإقتصادي الإجتماعي الذي طوره برنامج تعبئة الشبان في مسح المواقف الإجتماعية في نيويورك. ويتألف من ثلاثة مؤشرات متساوية الأهمية ، وهي مهنة (رب البيت) ، وثقافة (المستجيب) ، ودخل العائلة. ولكل مؤشر منها مقاسات تتألف من أربعة أو ثلاثة عوامل ، وهذا يعطينا مؤشراً من ١٠ نقاط. – ٩ تم تقسيمه بالتالي إلى أربع طبقات اجتماعية ، وهي. – ١ الطبقة الدنيا ؛ ٢ – ٤ الطبقة العاملة ، ٥ – ٨ الطبقة المتوسطة الدنيا و ٩ الطبقة

المتوسطة العليا. وليست الحدود بين هذه الطبقات فاصلة ولكنها متصلة بمعنى أن بعض الطبقات، كالطبقة ٢ و ٥ مثلا ، هامشية بفضل تجاور مواقعها الإجتماعية.

واستعملت دراسة دترويت (Wolfram 1969 : 32 - 39) ثلاثة مؤشرات ، وهي الثقافة والمهنة والمسكن. وتم حسابها كلها فيما يخص رب البيت. وللثقافة والمهنة مقاس من ١ - ٧ نقاط لكل منهما وللمسكن من ١ - ٦ . ثم تم ضرب الأرقام الناتجة للثقافة والمهنة والسكن بالعوامل ٥ ، ٩ ، و ٦ لكل على حدة وذلك لحساب مجموع المرتبة الإجتماعية للفرد ، وكان هذا يتراوح بين ٢٠ إلى ٣٤ نقطة. وعليه فكلما قلت النقاط التي حصل عليها الفر د ارتفعت منزلته الإجتماعية. وبعدها أضيفت مجاميع الأفراد إلى بعضها بعضاً وتم تقسيمها كي تعطي عددًا محددًا من الطبقات الإجتماعية المتمايزة: ٢٠ - ٤٨ الطبقة الوسطى العليا، ٤٩ - ٧٧ الطبقة الوسطى الدنيا ، ٧٨ - ١٠٦ الطبقة العاملة العليا ، و ١٠٧ - ١٣٤ الطبقة العاملة الدنيا.

وأما (Trudgill 1974: ch. 3) فاستخدم ستة مؤشرات ، وهي الوظيفة والثقافة والدخل والحي والمسكن ووظيفة الأب. ولكل مؤشر خمس نقاط ويتراوح المجموع الكلي الممكن بين. - ٣٠ . وبعدها تم تخفيض هذه المجاميع كي تعطي خمس طبقات إجتماعية كبرى ومتمايزة، وهي ٣ - ٦ الطبقة العاملة الدنيا ، ٧ - ١٠ الطبقة العاملة الوسطى ، ١١ - ١٤ الطبقة العاملة العليا ، ١٥ - ١٨ الطبقة الوسطى الدنيا ، و ١٩ + الطبقة الوسطى الوسطى.

واعتمد (Petyt 1985:30 - 30) في بحثه عن لهجة غرب يوركشر الانكليزية خمسة مؤشرات لتحديد المنزلة الإجتماعية لأشخاصه ، وهي الثقافة والمهنة ودخل رب الأسرة الأساسي والمسكن وأسلوب

المعاش ، والمؤشر الأخير غير موضوعي. ولكل عامل منها موازين من ثلاث إلى خمس نقاط. وتتراوح المجاميع الكلية الممكنه بين. – ٢١ . ويعطي هذا ٢٢ طبقة اجتماعية جمعت بعدئذ في طبقات أكبر ، وهي ٥ – ٤ الطبقة العاملة الدنيا ، ٥ – ٨ الطبقة العاملة الوسطى ، ٩ – ١٢ الطبقة العاملة العليا ، ١٣ – ١٦ الطبقة الوسطى الدنيا ، و١٧ – ٢١ الطبقة الوسطى الوسطى.

وثمة بحاثة آخرون لم يقوموا إلا بإعتماد مؤشرين فقط ، وهما الثقافة والوظيفة. فقسم (Hundley1983:80 – 82) عينته البيرونية إلى ثلاث طبقات – الطبقة العاملة ، الطبقة الوسطى ، والطبقة الوسطى العليا. فلدى رواة الطبقة العاملة ٥ سنوات من التعليم الابتدائي وكلهم عمال مدنيون وأهليون من ذوي القبات الزرق، فمنهم سائقو سيارات الأجرة والعربات وعمال الزجاج والعتالة. وتتفاوت ثقافة أفراد الطبقة الوسطى بين السنة الأولى من الدراسة الثانوية إلى الدراسة الجامعية غير المستكملة ، وكانوا كلهم موظفين مدنيين ، وموظفي مصارف أو باعة. وأما أفراد الطبقة الوسطى العليا فكلهم من خريجي الجامعات والمهنيين والمدراء والاداريين بما فيهم الأطباء والمحامين وأساتذة الجامعات والمحاسبين. وتعد دراسة (Johnston 1985:54 – 55) عن اللهجة الاسكتلندية الانكليزية من هذا الباب.

وبخصوص الدراسات ذات العامل الوحيد في قياس الطبقة الإجتماعية فإن أشد المؤشرات استخداما في هذا الصدد هو المهنة. ففي دراسة عن لهجة غلاسكو وصف (Macaulay 1977:57 – 67) أربع طبقات اجتماعية بناء على تصنيف المسجل العام للمهن (وهذا ما استخدمه تردجل وبتيت أعلاه). وهذه الطبقات هي الطبقة الأولى

(المهنيون والمدراء) ، والثانية (ذوو القبات البيضاوات من غير اليدويين) ، والثالثة (اليدويون المهرة) ، والرابعة (أنصاف المهرة وغير المهرة). واتبع (Coupland 1984) طريقة ماكولي في اعتماد المهنة إلا أنه ميز عدداً أكبر من الطبقات الإجتماعية.

وأشارت (Horvath 1985:45) في دراستها عن اللهجات الاستراليه الانكليزية إلى أن:

الطبقة الإجتماعية الإقتصادية هي أصعب الفئات الإجتماعية التي يعتمدها علم اللغة الإجتماعي إلا إذا قام عالم اجتماع بتحديد طبقات الأفراد كما الحال في عينة لابوف عن نيويورك.

فلم تواجه هورفث انعدام المعلومات الإحصائية حول الطبقة الإجتماعية في استراليا فحسب بل واجهتها مشكلة المهاجرين الذين غالباً ما تتأثر منازلهم الإجتماعية سلبياً في مثل هذا الموقف. أو كما تقول (1985:46):

إن الأمر المعتاد بالنسبة للمهاجرين هو أن يبدأ من كان منهم من الطبقة الوسطى سابقاً بالطبقة العاملة في استراليا. وبعد عشرين سنة في هذا البلد تمكن كثير من الأفراد في هذه الدراسة الذين نزلت مستوياتهم الإجتماعية هنا من استعادة وضعهم الإجتماعي السابق.

وأخيراً إلتجأت هورفث (1985:47) إلى اعتماد نتائج دراسة اجتماعية سابقة عن المهن باستراليا. وعلى أساسها ميزت ثلاث طبقات اجتماعية - الطبقة الوسطى (المهنيون والمهنيون الماهرون). الطبقة العاملة العليا (العمال المهرة) ، والطبقة العاملة (العمال غير المهرة).

وفي دراسات أخرى تم تقسيم الحالة الإجتماعية بناء على التعليم فقط. وهـذا ما فعـله (Jahangiri&Hudson 1982; 51-52; Jahangiri 1980) في بحـوثهم عن لهجـة طهـران الفـارسية بتحـديد أربـع فئـات اجتـماعية على أسـاس التحصيل الثقافي ، وهي الأمية والابتدائية والثانوية والجامعية. كما قام (Thelander 1982:80) بتمييز ثلاث زمر ثقافية في بحثه عن لهجة مدينة برترسك بالسويد ، وهي الإبتدائية والثانوية والثانوية العليا. وجدير بالذكر أن هذه الأبحاث لم تربط الوضع الثقافي بالطبقة الإجتماعية.

ولئن كانت هنالك دراسات غيرها مما أدرجت الثقافة والمهنة فيها إلا أنها درستهـا على انفصـال ولم تجمع بينهما لإعطاء مؤشراً اقتصاديا اجتماعيا. ومثال ذلك دراسة (Kerswill 1985) عن لهجة برغن في النرويج.

2.2.1.3 دراسات شِلل الرفقان

تعنى هذه الدراسات بالمعايير والقيم والضغوط الإجتماعية التي تتحكم في السلوك اللغوي للمراهقين والمدركين (العمر ١١ - ١٩). وفي هذه المرحلة تتأثر لغة المرء برفقانه على نحو ملموس. ويعتمد مدى تأثير جماعة الرفاق في استعمال اللغة على مقدار انخراط الفرد في تركيبتهـا الإجتـماعية. فقـام (Labov 1972 b) بوصف البنية الإجتـماعية واللغـوية لعصـابة الشارع أو شلة الرفاق من السود الذكران في جنوب ووسط هارلم بنيويورك. فحدد خمس زمر ، وهي الـطيور الـرواعـد ، وأفاعي السل ، والنفاثات ، واخوان أسكر ، وانوود. وهذه الأخيرة هي الفئة الوحيدة للشبان البيض. فلا يمكن وصف البنية الإجتماعية لهذه الزمر بالطريقة الإقتصادية الإجتماعية

بل على أساس الأدوار الإجتماعية التي يقوم بها الرفقان ضمن مجموعاتهم وشللهم. وقد تكون عضوية الشلة إما رئيسية أو ثانوية أو طرفانية (العرجان). وتنعكس هذه الأدوار في استخدام اللغة على نحو موح جدًا. فمثلاً يتميز الأعضاء الرئيسيون بلهجتهم الثقيلة إذا ما قورنوا بالعرجان، الذين يستخدمونها قليلاً جداً (انظر Labov 1972b: Chs. 3&7).

وبمثل لابوف (1972 b) هذا اقتدت دراستان على الأقل. احداهما دراسة (Habick 1980) عن شلتين من شلل الحارات في احدى المدارس الثانوية في فارمر ستي بمساتشوستُ بأمريكا. والثانية دراسة (Cheshire 1982) حول ثلاث فئات عمالية في ردنغ بانكلترا. وتتسم دراسة تششر بإدخالها الإناث (١١) إضافة إلى الذكران (١٣). وليس بمقصود عملنا هذا الإفاضة في التفاصيل هنا غير أنه يمكن للقارىء النبيه العودة إلى هذه الأعمال بنفسه.

3.2.1.3 دراسات الشبكات الإجتماعية

إن أول من أدخل مفهوم الشبكة الإجتماعية إلى علم اللغة الإجتماعي هو (Gumperz 1964) في دراسته الإنسانية عن تغيير اللهجات في همنر بالنرويج. واستعار (Labov 1972 b) هذا المفهوم في دراسة شلل الرفاق في هارلم بنيويورك الآنفة الذكر. كما طبقتها (Gal 1978 ,1979 ,1984) على التحول بين الألمانية والهنغارية في النمسا، واستعملتها (Russell 1982) في بحثها عن اللغة السواحيلية في مومباسا بكينيا.

وممن استخدم الشبكات الإجتماعية وطورها (Milroy 1978 ,1985
(L. Milroy and Margrain 1980; L. 1982; and Milroy

وذلـك في أعـمالهم عن لهجـة بلفـاست بشـمال ايرلندا. فكما الحال في شلل الـرفـاق فإنـه يستغنى عن الـطبقـة الإجتماعية في دراسات الشبكـات الإجتـماعية التي تركز على كلام الطبقة العاملة بشكل أساسي. وقد وضعت (L. Milroy 1980) المبادىء والأسس النظرية للتحليل الشبكى الإجتــماعي في استخـدام اللغـة. فاستعملت في إنشائها لمقياس الشبكة الإجتماعية أو ما أسمته بمجموع قوة الشبكة خمس نقاط، (وهي (L. Milroy 1980: 41–42) :

١ . الإنتساب إلى مجموعة ذات كثافة عالية ومتمركزة محلياً ،
٢ . إقامة علاقات قربى مع الجوار (أكثر من بيت بالإضافة إلى العائلة النووية) ،
٣ . العمـل في ذات المكـان مع ما لا يقل عن شخصين من المنطقة ذاتها ،
٤ . كون مكـان العمل ذاته مع ما لا يقل عن شخصين من الجنس نفسه من المنطقة.
٥ . المصاحبة الإرادية مع زملاء العمل في أوقات الفراغ.

وتـــزعم ل. ملروي (1980:202) أن لمنهجهـــا في الشبكـــات الإجتماعية تطبيقاً عاما وشمولياً. أو كما تقول:

يمكن القول بأن لمفهوم الشبكة تطبيقاً عاماً وشمولياً حتى ولو كانت المؤشرات التى تصور البنية التحتانية للعلاقات الشخصية تتغـير وفقـا لنظرة الباحث عن أنسب الفئات الثقافية وأسهلها قياساً.

واستعملت (Bortoni - Ricardo 1985:162) طريقـــة مختلفـــة نوعا ما لحساب ما أطلقت عليه مؤشر الإندماج الشبكي لدى رواتها في بحثها في أحاديث المهاجرين في البرازيل. وهذا مما لايهمنا ههنا وعلى

القارئ المهتم الرجوع إلى مظان العمل الأصلي ذاته.

4.2.1.3 دراسات أفعال تماثل الهوية

قدم لابج فرضية تشرح السلوك اللغوي المتعدد في المجتمعات ذات اللغات المتوالدة (كريول). ويمكن تسمية هذه الفرضية بأفعال التماثل، وهي تتكون من فرضية وأربعة عوامل (1980, 1972, 1968 McEntegart and Le Page 1982 ; Le Page et al 1974 ; Le Page) وتتلخص الفرضية في أن:

...يخلق كل فرد أنـماطـاً لسلوكه اللغوي تتماثل مع أنماط الجماعة أو الجماعات التي يرغب من حين لآخر في الإنتساب لها (أو حتى يبعد نفسه عن الجماعات التي لا يحب أن ينتمي إليها). ولا يتأتى له ذلك إلا إذا

١. استطاع تمييز الجماعات؛
٢. استطاع التقرب الكافي منها ولديه القدرة على تحليل أنظمتها؛
٣. دوافعه إيجابية أو سلبية مع الأخذ بالحسبان الرد الذي يحصـل عليه من تلك الجـماعـات بفرص السماح له بالإنضمام لها؛
٤. ألا يزال قادراً على تكييف سلوكه (أي ألايكون كبيرًا جداً).

.(McEntegart and Le Page 1982: 105–6)

وتم اختبار هذه الفرضية على طلبة المدارس في بليز وسانت لوسيا في البحر الكاريبي. وغالبا ماكان يقوم بتلك البحوث فرق عمل بكاملها.

5.2.1.3 دراسات الأفراد

على عكس الـدراسـات السـابقة التي كان رحاها يدور حول الجـماعـة وكـانت نتـائجها اللغوية الإجتماعية عبارة عن معدلات جماعية. فهنالك عدد لابأس به من الدراسات اللغوية الإجتماعية التي ركـزت على دور الفـرد في الاختلاف اللغوي. إذ قدمت هذه الأبحـاث نتـائجها لكل فرد على حدة (مثلاً Douglas—Cowie). واعتمدت بعض هذه الأبحاث على النظرية التضمينية (1975, 1981, Sabban 1985 ; Bickerton 1971 ,1973) الـتي تختلف مفهـومهـا للإختلاف اللغوي اختلافًا تاماً عن مدرسة لابوف وأتباعه. ولسنا بصدد العناية بهذه الدراسات هنا.

2.3 جمع المادة اللغوية: وصفها وإحصائها وتحليلها

1.2.3 أساليب جمع المادة اللغوية

استخدم اللغويون الإجتماعيون عدة طرق في استحصال المادة الكلامية من رواتهم. ويمكن إيجاز هذه الطرق كالآتي.

1.1.2.3 المقابلة الإستيبانية.

كانت المقـابلة وربـما لا تزال الطريقة المثلى في استنباط المادة الكلامية الدقيقة من الرواة مهما كانت مساوئها. ويقول لابوف (1972 a :109) بهذا الصدد:

سنحتاج دوماً إلى مقابلات فردية ووجها لوجه لجمع مقداراً كبيراً من الكلام المسجل بشكل صحيح والذي نحتاج له لدراسة فرد ما دراسة مفصلة.

وعنـد دراسـة الأنماط الكلامية لعدد كبير من الأفراد بطريقة

منتظمة ومتسقة فغالبا ما يستخدم الباحث إستبيانا محددًا أعد لهذا الغرض. وعلى الرغم من استخدام الإستبيانات في بدايتها في علم اللهجات الريفية (مثلاً مقدمة Orton and Dieth 1962) إلا أنه تم تعديلها في الأبحاث اللغوية المجتمعية كي تفي بما يستلزمه الباحث من وراء دراسته. والإستبيان عادة عبارة عن قائمة بالأسئلة التي يرغب الباحث في أن يسألها إلى رواته لاستنباط أحاديثهم. ويتغير شكل الإستبيان من دراسة لأخرى تبعاً لطبيعة البحث. ومن الأعمال البارزة التي يمكن الإستشهاد بها في هذا المجال (Labov 1966 ;1969 Horvarth 1985; Petyt 1985; Macaulay 1979; Trudgill 1974; Wolfram ; الخ). وقد اتبعت الدراسات اللغوية الإجتماعية للمهاجرين (Kerswil 1985 ; Bortoni - Ricardo 1985 ; Payne 1976 , 1980) هذه الطريقة.

وأما عن إجراء المقابلة فعادة ما تكون وجها لوجه بين شخصين اثنين في أحسن الأحوال ، وهما المقابل والمقابَل. ويستغرق زمنها ١٥ - ٦٠ دقيقة أو أكثر. وعلى الرغم من امكانية حضور الآخرين ومشاركتهم من حين لآخر في المقابلة ، إلا أن الإهتمام ينصب أولا على المقابَلين. ولأن الكلام المستنبط في المقابلة اصطناعي أو غير طبيعي في معظمه فقد انتقدت المقابلة لهذا السبب وغيره من القيود. ويدعى النقد الرئيسي لها بمتناقضة المراقب. ووصفها لابوف (1972a :209) بما يلي:

> ...يجب أن يكون الغرض من البحث اللغوي في المجتمع استكشاف كيف يتحدث الناس وهم بعيدون عن المراقبة المنظمة لهم، إلا أننا لا نستطيع الحصول على هذه المعلومات إلا بهذه بالمراقبة المنتظمة.

وهـذا يعني أن النـاس إنما يتحدثون على نحو طبيعي مسترخ عامي حينما لا يراقبهم أو يسجـل كلامهم أحد. وعند القيام بهذا الشيء لاسيما من طرف الغريب عنهم يغير الناس طريقتهم المألوفة في الحديث ويتصنعون بكلامهم ويهتمون به. ولتخطي هذا الحاجز تم اللجوء إلى عدة أساليب لإستنباط العامية الدارجة ومنها الجلسات الجماعية التي سنفصل الحديث عنها أدناه.

2.1.2.3 الجلسات الجماعية

تكمن الغاية من الجلسات الجماعية في الحصول على العامية بأبعد صورها وتجاوز متناقضة المراقب في حال إجراء المقابلات. ففي هذه الجلسـات الجـماعية يجري تسجيل ثلاثـة أشخـاص أو أكثر وهم يتحـدثـون فيما بينهم من دون تدخـل البـاحث مبـاشرة. وتكون موضوعات أحاديثهم غير محضرة لهذا الغرض. وهذا مما يساعد على انسياب العامية انسيابا تلقائياً وعارضاً. وممن استخدمها (Labov 1972 b ; Cheshire 1982 ; L. Milroy 1980 ; Gal 1984 ; الخ). كما قام لابوف وكَال باستخدام المقابلات كذلك بالإضافة لها.

3.1.2.3 طريقة المراقب

إبتدعت هذه الطريقة (Wolfson 1976) في بحثها عن الزمن الحاضر التاريخي لما عجزت عن الحصول على عينة كافية من الكلام باستعمال المقابلة والجلسات الجماعية. ووجدت أن البديل في استنباط ما أسمته بالكلام الطبيعي والملائم هو بالمراقبة ، أي أن تراقب الناس في استخدامهم ذلك المتغير اللغوي في قصص ذات مواضيع متفاوتة بمـواقـع متفـاوتـة: محادثات بين الأصدقاء ، لقاءات عامة ، مواقع

العمل ، محادثات بين الأولاد ، محادثات بين الأولاد وآبائهم ، محادثات بين الجيران ، مواجهات تلفزيونيه ، الخ ، (Wolfson 1976:204). ولما كان الباحث الوحيد عاجزًا عن القيام بهذا العمل فقد اعتمدت على ثمانية مراقبين لإمضاء بعض الوقت من كل يوم في الإستماع إلى الأحاديث والأقاصيص التي يرونها وتسجيلها. فكلما سمع المراقب قصة فعليه تدوين المعلومات الوثائقية التالية لأغراض التحليل ، وهي (١)موقع الحديث، (٢) المشاركون (المتحدثون ومستمعوهم بما في ذلك (آ) الجنس، (ب) العمر التقديري، (ج) العمل، (د) اللباس، (هـ) الفئة العرقية (إن عرفت)، و (و) الكلام (أفصيح هو أم عامي)، (٣)ورودد أو عدم ورود الـزمن الحـاضر التاريخي، و (٤)موضوع القصة (Wolfson 1976: 207–8).

4.1.2.3 طريقة الشبكات الإجتماعية

طورت هذه الطريقة (L. Milroy 1980) لأغراض عديدة. وأولها كأداة للعمـل الميداني. فوجـدت أن هذه الطريقة تلائم العمل في المجتمعات المضطربة مثل بلفاست بشمال ايرلندا. فهنالك عوامل كثـيرة تقيد دخـول العمال الميدانيين والباحثين الغرباء لجمع المادة اللغـوية من مشاركيهم. وفي بلفاست كان على العامل الميداني أن يكون (١) أنثى ، (٢) وأن يدخل المجتمعات وحيداً ، (٣) وأن يقدم ضمانا بحسن النية على المستوى الشخصي (L. 1980:44 Milroy). ومن دون اتباع هذه التقييدات فلا يمكن مراقبة كلامهم وتسجيله. ولتخـطي هذه العقبـات دخلت مجتمـع بلفاست بصفتها '' صديقة لصديق '' . أو كما تقول (55 – 1980:54):

كنت أقـوم... دومـاً باجـراء مفاتحة أولية مع شخص معين

أعطيت اسمه وأقدم نفسي له كصديقة لفلان ، فهو يظن أنك قادر على معاونتي. وكانت معرفة اسم فلان بمثابة ضمان بحسن النية حيث اعتبرها فلان طلباً له منه بضرورة تنفيذ الواجبات تجاهه على شكل تقديم المساعدة '' لصديقه '' .

وبهذه الطريقة استطاعت ل. ملروي أن تحصل على قدر كاف من المعلومات اللغوية في عدة مواقع كلامية التي قلما تأثرت بمتناقضة المراقب. وأما الموقفين اللغويين الذين حصلت عليهما فهما المقابلة والجلسات الجماعية. وأجريت الأولى وجها لوجه بين الباحثة ومقابليها بينما تضمنت الأخرى مشاركين آخرين وكان دور الباحثة فيها سلبياً غالباً (انظر L. Milroy 1980 : Ch. 3).

5.1.2.3 طريقة المخاطب

وينطبق ذلك على مجموعة من الأبحاث اللغوية الإجتماعية التي يتم فيها تسجيل ما لا يقل عن شخصين وهما يتحادثان مع بعضهما بعضا حول عدة مواضيع عادية يومية من دون تدخل الباحث الذي غالبا مايكون دوره منعدماً أو مهملاً (مثلاً Douglas - Cowie 1978; Coupland 1980 , 1984 ;). (ولعرض أوفى عن هذه الأعمال انظر Bell 1984). ويحدث ذلك غالباً بتسجيل راوية مامع مجموعات مختلفة من الناس من مختلف الطبقات والشبكات الإجتماعية.

6.1.2.3 اختبار المراسل

في علم اللغة الإجتماعي متغيرات كثيرة يندر ويقل ورودها. وهكذا فلا يمكن استنباطها بالمقابلات العادية على نحو كاف ومناسب للأغراض الإحصائية. واختبار المراسل الذي جرى

تصميمه أساساً لبحث القدرات التعبيرية لدى المحتبسين إنما أدخله (Bell 1986) لمعالجة مشكلة المتغيرات النادرة في اللغة الويلزية. وينقسم اختبار المراسل إلى ثلاثة أقسام كما يلي (Bell 1986:381):

(١) سؤال الأفراد كي يشرحوا ما يقوم به المختبر تماماً إلى طرف ثالث على الهاتف. مثلاً حك الأذن؛

(٢) الطلب من الأفراد أن يعلموا المختبر نفسه بما يقوم به هو بالضبط، كما ولو أن المختبر غير واعٍ لتصرفاته لسبب ما؛

(٣) إعطاء الأفراد قائمة بأربعة أفعل للقيام بها. وعليهم أن يقوموا باخبار الممتحن بما كانوا يقومون به تماماً بعد كل عمل. مثلا حك الأنف ولمس المنضدة.

وعلى الرغم من اقتصار استخدام اختبار المراسل على دارستين ثنتين صغيرتين فقط تستندان على أربعة وستة رواة في كل منهما، إلا أن بل خلص إلى القول بجودته كأداة بحث في علم اللغة الإجتماعي وذلك لجمع المعلومات واستنباط الكلام العفوي والتلقائي.

2.2.3 وصف المادة الكلامية أو عزل الأساليب

بعد جمع المادة الكلامية مهما كانت طرقها، يبدأ العمل الشاق بكتابتها ووصفها وتعزيل أساليبها. وفيما يلي سأقتصر على نظرية لابوف وانتقاداتها بصورة رئيسية في هذا الصدد.

1.2.2.3 منهج لابوف في عزل الأساليب

يزعم (Labov 1972 a :99) أنه يمكن تمييز عدة أساليب في المقابلة الوحيدة بناء على مقدار الإنتباه إلى الكلام. وكما يقول:

يمكننا...الإفتراض بترتيب كل أساليب الحديث المتفاوتة

على مدرج واحد وهو الإنتباه إلى الكلام ، وفيه يكون الكلام العفـوي في إحـدى أطـراف السلم والأزواج الصغرى في الطرف الأخر.

ويمكن جمع هذه الأساليب في مجموعتين كبيرتين كما يلي:

الأساليب العادية أو المحادثات:

آ. الأسلوب العفوي

ب. الأسلوب الحريص

الأساليب الشكلية والقراءات :

ج. أسلوب قراءة النص

د. أسلوب قراءة القائمة

هـ. أسلوب الأزواج الصغرى

وليست الفـروق بين هذه الأساليب ، لاسيما المحادثات منها ، سهلة أو واضحة على نحو قاطع. وقدم (Labov 1972 a :79 - 99) عدة معايير للتعريف بكل منها. فالحديث العفوي أصعبها استنباطاً ويحصـل في المحـادثـات اليومية المسـترخية مع الزوجات والأولاد والأصـدقاء. وحدد له خمسة مواقع سياقية شكلية وخمسة غيرها من الدلائل اللاشكلية لتمييزه عن غيره في المقابلة. فالمواقع السياقية هي: (١) الحديث الجاري خارج المقابلة الرسمية بالذات كما يحدث قبلهـا وبعدها وأثناءها في المقاطعات حينما يقدم القهوة أحد أفراد العائلة مثلاً ، (٢) الكلام مع شحص ثالث كما يحصل عندما يجاوب الراوي على المكالمات الهاتفية ، (٣) الكلام الذى لا يكون جوابا مبـاشـراً على الأسئلة كما في الإستطرادات ، (٤) ألحان الطفولة والأعـراف والأغـاني ، و (٥) سؤال خطر المـوت. وأما الدلائل القنواتية فهي التغييرات الطارئة على (١) السرعة ، (٢) مدى

الصوت ، (٣) حجمه ، (٤) معدل التنفس ، و (٥) الضحك. ويتكون الكلام العفوي من هذين النوعين من الدلائل الشكلية واللاشكلية.

والأسلوب الحريص عبارة عن ذلك الجزء من المقابلة التي يجيب فيه الراوي على أسئلة السائل. وهذه هي الحالة الحقيقية للمقابلة كما يسميها لابوف. وهذا الصنف من الكلام أشد رسمية من الكلام مع الأصدقاء أو أفراد العائلة مثلاً ولكنه أقل رسمية من مقابلات التوظيف والخطابات العامة. ويتميز الأسلوب الحريص كذلك بابتعاده عن العامية نحو الفصحى.

وأما أساليب القراءة فكلها مواقع كلامية رسمية. والتمييز بينها سهل. فأسلوب قراءة النص مكتوب غالباً بشكل مقطع عامي ترد فيه المتغيرات الصوتية. ويتكرر كل متغير حوالي عشر مرات عادة (Labov 1972 a :158-9) في حين يصرف أسلوب قائمة الكلمات انتباه المرء إلى الكلمات المعزولة. واستخدم لابوف ثلاثة أنواع من هذه القوائم ، وهي (آ) قائمة غير مكتوبة بأيام الأسبوع وأشهر السنة يحفظها كل راو غيباً ، (ب) قائمة مكتوبة بالمتغيرات الصوتية المدروسة ، و (ج) الأزواج الصغرى. وأما أسلوب الأزواج الصغرى فلم يستخدمه إلا مع المتغير (ر) فقط علماً أن الأزواج الصغرى وردت في قائمة الكلمات والمقطع أيضاً. فمثلاً جرى إفراد كلمتي Sauce و Source لجلب أقصى انتباه الرواة لمعرفة فيما اذا كانوا واعين لحقيقة أن (r) هي المفرق الوحيد بينهما.

وممن اقتفي آثار لابوف بدقة تردكل في دراسته عن لهجة نورج بانكلترا (1974: 46-52) . فعزل الأساليب ذاتها واستخدم معايير لابوف للتفريق بينها مع إجرائه بعض التعديلات الطفيفة عليها

كإستبدال سؤال خطر الموت في الكلام العفوي بالضحك والفكاهة. واتبعها أيضا في ذلك (Petyt 1985: 44-47) في دراسته عن لهجة غرب يوركشر بانكلترا حيث قام بعزل خمسة أساليب سياقية وهي العفوي والحريص وقراءة النص وقائمة الكلمات والأزواج الصغرى. وجرى تحديد الأساليب الرسمية واللارسمية فيها كما في لابوف أعلاه.

وهذا لايعني أن جميع اللغويين راضون عن معايير لابوف في عزل الأساليب. فممن رفضها (Wolfram 1969:58-9) ولاسيما فصل لابوف المقابلة إلى أسلوبين عفوي وحريص حيث وجد أن معايير التمييز بينهما غير موثوقة وأدلى بثلاثة أسباب لذلك. فأولا يمكن أن تشير الدلائل القنواتية كالسرعة والضحك على ادراك الراوي المتزايد لزيف الموقف أو رسميته أيضا ولا يمكن استخدام أية معايير للتمييز بين ما أسماه بالضحكة العصبية والمسترخية. وثانيا تفسيره للسمات غير اللغوية ذاتي ولذلك فهذا مما لاتستقيم النتائج معه. وثالثا كان ورود الكلام العفوي قليلا جداً في المادة اللغوية التي جمعها بحيث لايمكن معالجتها إحصائيا. ولهذه الأسباب كلها قام ولفرام بجمع الأسلوبين العفوي والحريص تحت اسلوب واحد ، هو اسلوب المقابلة. كما أبدى (Macaulay 1977:21) نقداً مشابها. وهاجمت (Horvath 1985:51) معايير لابوف في وصفه لتغيير الأساليب بأنها لايصح الاعتماد عليها. أو كما تقول:

> كان أهم انحراف لنا عن طريقة لابوف في المقابلة هو عدم تصميمنا للمقابلة بغية الحصول على التنوع الأسلوبي... فلم نقتنع بصحة المنهاج الذي وضعه لابوف لتحديد التغيير الأسلوبي.

وانتقدت ل. ملروي (1980) منهج لابوف من حيث أن المتكلمين

لايغيرون كلامهم بالضرورة نحو الفصحى في أساليب القراءة. أو كما تقول (1980:101):

> لايمكن تحليل التنوع الأسلوبي في مجتمعات بلفاست فعلاً باستخدام طريقة لابوف القديمة ذات المتصل الأفقي المنفرد وذلك بترتيب أسلوبي المحادثة العفوية والحريصة بجانب أساليب النص وقائمة الكلمات والأزواج الصغرى في اقتراب كل منها بدرجة أكبر من غيره نحو الفصحى. وفي الحقيقة إذا ما قارنا بين انتظام لغة المتكلمين في اسلوب قائمة الكلمات والمقابله والأسلوب العفوي... فإننا نرى أن المتكلمين لايختارون بالضرورة اللفظ الأقرب للفصحى عند القراءة بصوت عال.

وقامت ل. ملروي باستغلال المجال الرحيب جداً للأساليب الكلامية من خلال اسلوب الشبكات الإجتماعية الذي جعل من المراقبة المطولة وتسجيل الكلام العفوي أمرا يسيرا (1980:62). وميزت بين أسلوبين لغويين-المقابلة والعفوي. ويشبه الأول منهما الأسلوب الحريص والرسمي عند لابوف وتردكل ويتميز ببنية سؤاليه/ جوابية إذ ينغمس المقابَل بالإجاجة على آسئلة الباحث. وأما الثاني فقد يكون قصة يروي فيها الرواة حكاية طويلة إلى الباحث الذي غالبا مايبقى صامتًا خلالها أو هرجة حيث يتحادث أناس عديدون مع بعضهم بعضا لوقت ما.ولكن ملروي قامت بدمج القصة والهرجة في اسلوب واحد هو الأسلوب العفوي (ولمزيد من التفصيلات النظر L. Milroy 1980 :62-8).

غير أن كثيراً من الدراسات اللغوية الإجتماعية لم تعد تميز بين الكلام والعفوي والحريص في المقابلة الواحدة. وجميع الدراسات

اللغوية الإجتماعية المهجرية من هذا القبيل (Payne 1976 ، 1980 ؛ Bortoni - Ricardo 1985 ؛ Kerswill 1985).

وأخيراً بالنسبة للجلسات الجماعية فإن لابوف (1972 b) لم يحاول فيها تحليل التنوع الأسلوبي كما فعل في تمييزه بين الأساليب العفوية والحريصة في المقابلة. وبخلاف ذلك عالج الجلسة الجماعية معالجة واحدة وأسماها بالأسلوب الجماعي. كما أن (Cheshire 1982 ؛ Gal 1984) لم تقوما أيضا بتفصيل الأساليب الكلامية في الجلسة الجماعية لرواتها في تلك المواقف كذلك واقتصرتا على استنباط أسلوب واحد - الأسلوب الجماعي الذي أطلق على مجمل الجلسة الجماعية.

2.2.2.3 فرضية الإعداد للجمهور

قام (Bell 1984) بجمع مقداراً كبيراً من المعلومات في مقالة مطولة جداً عن ١٥٠ متغيراً لغوياً اجتماعيًا استقاها من مجموعة واسعة من المجتمعات اللغوية في الفترة ١٩٦٦ - ١٩٨٢ (1984:108). وفيها رفض مقاييس لابوف في التحليل الأسلوبي الذي بناه على كمية الإنتباه إلى الكلام حيث يكون في أدناه في الكلام العفوي وفي أقصاه في أسلوب القائمة الكلماتية وطرح بديلا عنها أسماه بالإعداد للجمهور. والإعداد للجمهور أصلاً عبارة عن استجابة المتحدثين إلى جمهورهم ، وهكذا فإن ما يقوم به المتكلمون بصورة رئيسية هو تعديل أحاديثهم وتكييفها وإعدادها إلى مستمعيهم ومحاديثهم. أو كما يقول (1984:159):

> ... يبني (الإعداد للجمهور) افتراضه على أساس أن البشر إنما يحاوبون أصلاً بشراً آخرين وأن الخطباء يحسبون حساب مستمعيهم عند إعداد خطبهم. والخطيب هو

الشخص الأول والمشارك الرئيسي في لحظة التحدث... وأن الفـروقـات اللغـوية بين المتكلمـين إنـما مردهـا إلى مزايا الشخص الأول هذا. وهكـذا يقـوم المتكلمـون بتصميم أساليب حديثهم إلى مستمعيهم. ويمكن تفسير الفروق بين أساليب الخطيب الواحد عن طريق تأثير الشخص الثاني (المخـاطب) وبعض الغياب ، الذين يشكلون بمجموعهم الجمهور الصاغي لخطاب الخطيب.

وليس † هنالك مجالاً في الإعداد للجمهور إلى أساليب القراءة والعفـوية والحـريصـة. ولـه بعدان اثنان: احدهما استجابي والثاني استبدائي. أي أن المتكلم قد يجيب مستمعه أو يفارقه نحو طرف ثالث أو حكم ما. ويشتمـل البعد الإستجابي على عوامل شخصية وغير شخصية ، والأخـرى مستمدة من الأولى. وأما العوامل الشخصية فهي الخـطيب ، وهـو الشخص الأول، والمستمـع (وهو الشخص الثاني) ، والمصغي والمتسمع والمتنصت ، وهؤلاء الثلاثة هم الغياب أو الشخص الثـالث. وفي الإعـداد للجمهور يعد المستمع الشخصية الـرئيسية والمشـارك المـركزي الذي يعرفه المتكلم ويميزه ويخاطبه. والمصغون معروفون مميزون ولكنهم غير مخاطبين. والمتسمعون معروفون ولكنهم غير مدركـين وأما المتنصتون فغير معروفين ويعد حضورهم البدني في موقع الحديث صدفة.

وفيما يخص تغيير الأسـاليب فإن أثر المخاطب أبرزها وأهمها. وسـاق (Bell 1984; 161–78) عدة حالات دراسية لإثبـات فرضيتـه. ويمكن رؤية تأثـير المخـاطب مثـلاً بمقـارنـة أسلوب المقابلة مع الأسلوب الجماعي إذ يكون المخاطب هو المقابل في الأسلوب الأول أو المتكلمـين الآخـرين كأفـراد العائلة والأصدقاء ، الخ في حالة

الأسلوب الآخر. وبعدها ترد الفروق بين الأسلوبين إلى اختلاف آثار المخاطبين.

كما أشار بل إلى اختلاف المتغيرات اللغوية فيما بينها من ناحية أثـرهـا في تكييف الكـلام. فبعضها ذات آثار قوية على المستمعين وبعضهـا ضعيفـة وبعضها لا أثر لها أبداً. ويبلغ الحد الأقصى لنسبة التغير الأسلوبي الناجم عن أثر المستمع في الأحوال العادية ٦٧ % وتختلف الآثار الكمية على تغـير الأسلوب باختـلاف المستمعين ويعزى الدور الأكبر إلى المخاطب. أو كما يقول (Bell 1984:157)

يجوز لنـا القول بأن هنالك ترتيباً هندسيا لآثار المستمعين كمياً. أي انه إذا كان أثر المخاطب يساوى 0.5 ، فإن أثر المصغي 0.25 ، والمتسمع 0.125 . وهذا محض افتراض ويحتاج إلى مزيد من الأدلة على المصغي ، وأهم من ذلك المعلومات الكيفية التي تنقصنا عن أثر المتسمع.

وهنالك عدة أسباب تحدو بالمتكلم كي يستجيب إلى مخاطبه. وذكر (Bell 1984:167) ثلاثة منها ، وهي:

١. يقـدر المتكلمون الخصائص الشخصية لمستمعيهم ثم يعدون أساليبهم لتناسبهم ،

٢. يقـدر المتكلمون المستوى العام لأسلوب حديث مستمعيهم ويغيرون أساليبهم بناء عليه ،

٣. يقدر المتكلمون مستويات بعض المتغيرات اللغوية لمستمعيهم ثم يتغيرون تبعاً لها.

هذا ويقوم المتكلمون بالإستفادة من هذه الأسباب كلها في تكييف كلامهم.

وأما العوامل اللاشخصية للإعداد للجمهور فتتكون من الأشياء

التالية مثل الموضوع والبيئة. فمواضيع الثقافة والطبخ، الخ وبيئات الجامعة والبيت، الخ هي انعكاس واضح لما نظنه يرتبط بها. فمثلاً تستدعي مناقشة موضوعاً علمياً شخصاً مثقفاً إلى ذهننا. وهكذا يمكن شرح اختلافات الأساليب الناجمة عن هذه العوامل بسهولة.

وأخيراً نأتي إلى البعد الإستبدائي للإعداد للجمهور. ويحدث هذا عندما ينتقل المتكلم بعيداً عن مستمعيه وجمهوره. وفي الأسلوب الإستبدائي يخاطب الناس كما لو كانوا أشخاصاً آخرين. ويظهر ذلك تماماً حينما يبتعد المتكلم عن مخاطبه ونحو طرف ثالث أو حكم، ويكون هذا غائبا عن المحادثة بدنياً. ولكن دوره وأثره كبير بما يكفي للتأثير في حديث المتكلم. واعتبر (Bell 1984:186) الأسلوب الإستبدائي الوجه الشاذ والغريب للإعداد للجمهور. كما وجد أن البحث فيه أشد صعوبة من الأنواع الأخرى. ومع أن بل ميز بين أصناف عدة للأسلوب الإستبدائي ولكن الحديث عنها يقع خارج حدود هذا الكتاب وعلى القارىء الراغب في الإستزادة الرجوع إلى المقال الأصلي (Bell 1984: 182-191).

3.2.3 حساب المادة اللغوية

1.3.2.3 عزل المتغيرات اللغوية

عند اختياره لمتغيراته اللغوية قام لابوف (1972 a :8) بتحديد مجموعة عوامل. فأولاً ينبغي أن يتكرر ورود المتغير اللغوي بدرجة كافية تسمح بتحليله إحصائياً. وثانيا ينبغي أن يكون متركباً كأن تظهر عليه قيود لغوية معينة. وثالثا ينبغي أن يكون مرتصفاً قادراً على تبيين الإختلاف الإجتماعي أو اللغوى. ورابعا ينبغي أن يكون بارزاً

حتى يمكن تنبيه المتكلمين إليه لدرس مواقفهم اللغوية وتعليقاتهم.
وأخيرًا ينبغي أن يكون منيعاً على الكبت الشعوري كي لايتفادى المتكلمون استعماله.

وبما أن لكل متغير لغوي صيغتين أو أكثر فقد قام لابوف (a :72 1972) باعتماد الهلالين (   ) لحصر المتغير اللغوي كـ (ت) والـزاويتين < > للإشارة إلى ناتج المتغير. فمثلاً تعني العلاقة (ت) ← <ت> إمكانية لفظ / ت / إما [ت] ، أو [ت ء] أو [ء].

كما يمكن أن تكـون المتغيـرات اللغـوية بفضـل اختـلافهـا الإجتماعي والأسلوبي أحد ثلاثة: علامة أو دالة أو واصمة (237 ,Labov 1972a: 314–17). ويبـين العـلام الإختـلاف الإجتـماعي والأسلوبي في حين ان الدال لايوضح إلا التراصف الإجتماعي فقط. وأمـا الواصم فيشبه العلام في خصائصه ولكنه غالباً ما يكون مثار النقد الإجتماعي والتعليق والضحك والسخرية.

2.3.2.3 حساب مجاميع المتغيرات إحصائياً

ينطوي حساب علامات متغير لغوي ما على عد جميع وروداته في المادة الكلامية. وأسمى لابوف (1972a: 72) هذا المبدأ بالتحاسب وعلى أساسه:

> ... نقوم بسرد قيم كافة الحالات التي ورد العنصر المتغير فيها في أمكنتهـا المناسبة... أي أننا نورد نسبة حالات الصيغة المتغيرة بالمقارنة مع المجموع الكلي للحالات التي قد تكون وردت فيها.

وهنـالك طرق مختلفة لحساب مقادير المتغيرات اللغوية (انظر Chambers & Trudgill 1980:60–62 ، Hudson 1980:160–67). وسأقوم فيما يلي بسرد مثال مستقى من (Trudgill 1974)، وهولا يصور المنهج اللابوفياني بهذا الصدد فحسب (Labov 1972 a :72–78 ; Trudgill 1974 ; Macaulay 1977 ; Petyt 1985 ; الـخ) بل يبـين أيضا كيفية الوصول إلى هذه العملية الحسابية. قام (Trudgill 1974:82) بإيضاح طريقتـه في التحليل الإحصائي لدراسته عن لهجة نورج كما يلي. ولمتغير (ت) فيها ثلاثة مستغيرات وهي [تْ-- ت]، [تء]، و [ء]. أعطيت هذه الصيغ قيمًا عددية (ت) - ١ ، و (ت) - ٢ ، و (ت)- ٣ لكل منها. ولا يجري تعيين هذه القيم العددية مجازفة بل يقوم على اعتبارات اجتماعية وأسلوبية. فترتبط القيمة العدديه ١ بالأساليب الرسمية وكلام الطبقة الوسطى والثالثة بالأسلوب العفوي وكلام الطبقة العاملة وأما الثانيه فوسط بين هذين الطرفين. ولحساب مقادير المتغير (ت) في أسلوب قائمة الكلمات مثلاً عند أحد الرواة اتبعت الطريقة الآتية:

عدد الحالات	نوع المستغير	الحساب
٣	(ت) - ١	٣ x ١ = ٣
٣	(ت) - ٢	٣ x ٢ = ٦
٦	(ت) -٣	٣ x ٦ = ١٨
		٢٧

والمجموع الوسطى هو $\frac{٢٧}{١٢}$ = ٢،٢٥ .

ومن هذا المجموع الوسطي ٢٥ ، ٢ للمتغير (ت) ككل جرى حساب المجموع العام وذلك بطرحه من ١ وضربه بـ ١٠٠ . وهذا يعطينا المجموع العام الناتج وهو ١٢٥ . فإستعمال (ت) - ١ على نحو دائم إنما يعطينا الناتج .. و (ت) - ٢ ١٢٥ و (ت) - ٣ ٢٠٠. وعلى هذا النحو جرى حساب مجاميع الطبقات بإتباع الطريقة ذاتها.

لكن مجموعة من الباحثين (مثلاً (Romaine 1978:147 ، Hudson 1980:161–2) انتقدت هذه الطريقة لجملة عوامل. ويكمن الإشكال فيها في تحديد المعنى الإجتماعي للقيم العددية كأن تكون (ت) - ١ مثلاً صيغة الطبقة الوسطى ، الخ. وهذا أمر سهل في حال المتغيرات الثنائية إذ يمكننا القول بأن الصيغة الفلانية هي صيغة رفيعة ورسمية جداً وللطبقة الوسطى ، الخ. وأما في المتغيرات المتعددة فإنما يكون تحديد القيم عملية عشوائية. ففي المتغيرات التي لها ثلاثة مستغيرات أو أكثر يكون تحديد القيم العددية على أساس المعنى الإجتماعي وحده اعتباطيا جدًا. فكيف يمكن للمرء تحديد قيم ثلاث صيغ لمتغير ما وهي متساوية في عدم فصاحتها؟ كما هوجمت هذه الطريقة لطمسها قيمة كل صيغة من صيغ المتغير بدمجها في المجموع العام له. فمثلاً لا يظهر المجموع العام ١٢٥ لـ (ت) القيم الفعلية لـ (ت)- ١ و (ت) - ٢ و (ت) - ٣ . وفضلاً عن ذلك فعلى الرغم من زعم تردكل بأن المجموع العام ١٢٥ إنما يتطابق تقريبا مع (ت) - ٢ أكثر من غيرها ، فما من شيء يضمن ذلك دوماً. فمثلاً قد يشير المجموع ١٢٥ إلى تساوي مقادير الصيغتين (ت) - ٢ و (ت)- ٣ كما يحدث فيما لو كانت هنالك ٦ حالات لكل منهما وانعدام حالات (ت) - ١ . وأخيراً لا تناسب هذه الطريقة المتغيرات من

السواكن التي تكون منفصلة وغير متصلة كما هي الحال في المعتلات (أصوات اللين) (وبخصوص هذه النقطة الأخيرة انظر 147 :1978 Romaine).

3.3 الخلاصة

استعرضنا في هذا الفصل طرق البحث التي اتبعها اللغويون الإجتماعيون استعراضا إجمالياً قصيراً في حصولهم على المادة اللغوية بما فيها انتقاء الرواة وقياس المراتب الإجتماعية وجمع المادة الكلامية ووصفها وحسابها. وفي الفصل القادم سنقوم بوصف طرق بحثنا هذا بالذات.

الفصل الرابع
مناهج البحث والتحليل

0.4 استهلال

إن غرض هذا الفصل هو وصف الإجراءات المنهجية والتحليلية المتبعـة في هذه الدراسة. وقبل ذلك سنقدم عرضاً سريعاً لأساليب البحث التي تبنـاهـا من بحثوا في علم اللغة الإجتماعي العربي. وهذا أمر ضروري لسببين؛ فنريد أولاً تبيان كيفية جمع المادة الكلامية في المحيط العربي وثانيا ربط منا هجنا في هذه الدراسة بمنا هج علم اللغة الإجتماعي في الغرب وبلاد العرب.

1.4 عرض للمناهج اللغوية الإجتماعية للدراسات العربية

يكاد يكون البحث اللغويْ الإجتماعي في العربية مجهولاً تماماً عنـد أغلب النـاس. وعبر (Campbell 1986:155) عن اندهاشه لانعدام – حسب معرفته – الأعمال اللغوية الإجتماعية بالعربية في إحدى هوا مشه ،قائلاً:

من المستغـــرب ألا يتـطرق أحـد من البـاحثـين – على

علمي - للهجات العربية من منظور القواعد المتغيرة للابوف.

كما أن العدد الخاص للمجلة الدولية لعلم اجتماع اللغات رقم ٦١ سنة ١٩٨٦ لم يحتو إلا على مقالين قصيرين يمكن تسميتهما تسمية لغوية إجتماعية ولعل السبب في هذه الحالة قلة الدراسات التي أجريت عن البلاد العربية ولهجاتها ، وكلها كانت رسائل دكتوراة أو مبنية عليها. وسنعرض لكل هذه الدراسات فيما يلي.

كانت باكورة الدراسات اللغوية الإجتماعية عن العربية دراسة (Schmidt 1974) عن اللهجة القاهرية المصرية . وهذه ذات عينة مختارة تتكون من ٢٨ راوية ، ومنهم ١٦ (٨ ذكور و ٨ إناث) من طلاب الجامعة الأمريكية بالقاهرة و ١٢ من ذوي الثقافة الثانوية أو دونها الذين جرى تجنيدهم في إحدى المقاهي بالمناطق العمالية بالقاهرة. وميزت الدراسة أربعة أساليب لغوية بالطريقة اللابوفيانية المألوفة - الأسلوب العفوي والحريص والنص والكلمات. وكان فيها تسعة متغيرات (٤ صوتية و ٥ نحوية).

وهنالك دراستان عالجتا الإختلاف اللغوي في أحاديث المثقفين على المستوى العربي بعامة. فكانت الأولى دراسة (El-Hassan 1977, 1978) عن إسم الإشارة في كلام ٩٠ راو (٧٦ ذكراً و ١٤ أنثى) من خمسة أقطار عربية ، وهي الأردن وفلسطين (٣٩)،مصر(٢٦)، سوريا (١٧)، ولبنان (٨). وكلهم مثقفون وتتراوح أعمارهم بين ١٧ - ٦٠ سنة وأشغالهم كما يلي: (١) طلاب المدارس الثانوية والجامعات، (٢) المدرسون والمعلمون، (٣) موظفو الحكومة، (٤) موظفو الأعمال الخاصة كالمحامين والمحاسبين ومحققي الكتب ووكلائها والمترجمين ، (٥) الفنيون والموسيقيون والممثلون ، (٦)

الكتـاب والصحفيون ، (٧) السياسيون والدبـلوماسيـون، (٨) الأطباء والمهندسون ، و (٩) ربات البيوت (1977:120 , 1978:33 El-Hassan). وكان الإتصال بالرواة من خلال عدة مقابلين سجلوهم في أماكن شغلهم لمدة ١٥ - ٢٠ دقيقة وسطياً لكل منهم. وبالتحديد جرى تسجيل كلام ٢٤ راو من مقـابـلات إذاعية تلفزيونية. وأما الآخـرون ففي جماعـات من شخصين أو أكثر وهم يتحدثون عن أنفسهم وعملهم وتخصصهم بالإضافة إلى المشاكل التى تواجه العالم العربي سيما الثقافية منها. أو كما يقول (El-Hassan 1978:33):

...جـرى تشجيع المتكلمـين للتحدث بحرية عن أنفسهم وعملهم ومجـالات تخصصهم. ولكن تشعبت المناقشة الحرة غالبـاً لتغطي عدة مواضيع... والمشاكل التي تواجه العالم العربي ، وخصوصا المشاكل الثقافية.

وعلماً أن الحسن لم يسجل أياً من رواته إلا في جلسة محادثة جماعية وحيدة غير أنه عزل أسلوبين بناء على من تكلم مع من: أي إذا كان المتحدثون من أبناء البلد الواحد أو البلدان العربية الأخرى. ولم يجر هذا التقسيم إلا مع رواة مصر والأردن فقط. وهذا يعني أنه لا يمكن مقـارنـة أسلوبيه مباشرة لتغير هوية المتكلمين في كل حالة. ومن الجدير بالذكر أن الحسن قام بتحليله من منظورين: نظرية الإختلاف (Labov 1972 a) والتضمين (Bailey 1973). وأيدت نتائجه كلا الإتجاهين بالمثل (El-Hassan 1978 : 48).

والثانية (Sallam 1980). وهذه بحثت في المتغير الصوتي (ق) في عينة مختارة من ٤٠ فرداً ، أعمارهم بين ١٧ - ٧٠ عاما، وهم من مصـر (١١)، وفلسـطين (٩) وسوريا (٧)، والأردن (٧)، ولبنان (٦)،وكلهم يمثلون الـطبقة المثقفة (Sallam 1980: 78) . ولكنه لم يبين

تحليله إلا على معلومات من (٢٠) راو ينقسمون بالمثل في الجنس والـوطن، وتقع أشغالهم في خمس زمر ، وهي (١) مشاهير الممثلين والمغنين، (٢) الطلاب ، (٣) مروجو الثقافة من النساء والرجال، (٤) المـدرسون ، و (٥) الساسة. وجرى جمع مادته على شكل أحاديث بين العرب من الأقطار المختلفة وفي جماعات من فردين أو أكثـر، وتكونت من ''ومناقشات ومحادثات'' حول مجموعة واسعة من "العــلاقـات الشخصية" (Sallam 1980:78 .) وميز أسلوبـين على أســاس المـوضـوعات أصلاً ، أحدهما رسمي والآخر غير رسمي. فيرتبط الموضوع العلمي مثلاً بالأسلوب الرسمي وأما البيتي فباللارسمي.

وعلى المستوى القطري فهنالك أربع دراسات عالجت الإختلاف اللغوي فيها ، ظهرت ثلاث منها في عام واحد. فدراسة (Holes 1981) بحثت في ـ٦ متغيرات صوتية ومثلها صرفية في لهجات البحرين. ونشــرت المتغــيرات الصــوتية سنـة ١٩٨٠ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٦ والأطروحة بكاملها ١٩٨٧ . وعينة البحث مختارة تتألف من ٨٧ فرداً ينقسمـون بالـطائفـة إلى سنة وشيعة، وبالمنطقة إلى حضر وريف وبـالتعليم إلى متعلمين وأميين بخصوص الشيعة فقط (1981:84). وعلى الرغم من عدم تحليل الفروق الجنسية إلا أن الدراسة احتوت على ٤٤ ذكـراً و ٤٣ أنثى. وجـرى جمع المـادة اللغـوية على هيئة مقابلات مدة إحداها نصف ساعة دارت حول مجموعة واسعة من المواضيع مثل (١) أساليب الحياة في البحرين قديماً وحديثاً ، (٢) أعراف الزواج في الماضي والحاضر ، (٣) الأعياد الدينية ، (٤) العمـل ، (٥) الإهتمامات الشخصية ، (٦) التجارب الشخصية الخطيرة و (٧) النكت البحرانية. وكان الباحث هو الذي قام بمقابلة

الـرواة المتعلمـين وأمـا الأميين فأقاربهم (1981:78). ولم يعزل إلا أسلوباً واحداً فقط. ومن الجدير بالملاحظة قيام هولز بتحليل مادته تضمينياً (Bickerton 1971 , 1973 , 1975 , Bailey 1973) واختلافياً (Labov 1972 a) وأيدت نتائجه كلتا النظريتين كما الحال مع الحسن أعلاه.

وهنـالـك دراسـة عن اللهجة الفلسطينية بالمنفى قام بإجرائها (Shorrab 1981) ، وهي ذات عينـة مختارة من ٢٦ فرداً ينقسمون بالتساوي بين طلبة جامعة نيويورك ببفلو في أمريكا وأبناء الجالية الفلسطينية فيها. كما يتساوى عدد الذكران والإناث في الدراسة. وميز أيضًا بين ثلاث فئات إجتماعية حسب خلفياتها اللهجوية الأصلية ، وهي أهـل المدن ، والفلح ، والبدو. واستعمل المقابلات الإستبيانية المنـظمـة في جمع مادتـه الكـلامية حسب طريقـة لابـوف (1966, 1972a) وتردكل (1974) بالـذات. وعـزل أربعة أساليب لغوية - العفوي والحريص والنص والكلمات. واحتوت الدراسة على سبعـة متغـيرات صوتية وبعض المتغيرات النحوية. وهذه الأخيرة جرى وصفها وصفاً نوعياً على الأغلب.

ولدينا دراسة عن اللهجة الأردنية بعمان قام بها (Abdel Jawad 1981) وصف فيهـا متغـيرين صوتيين. وهي ذات عينـة مختـارة من ١٥٤ فرداً من ثلاث مناطق من عمان : منطقة أولى (٤١) ، ومناطق شعبية (٨٢) ، ومخيمات اللاجئين (٣١). وحذى حذو شراب (١٩٨١) في تحديد ثلاث فئات إجتماعية : المدن (٦٠) ، والفلح (٥٦) والبدو (٣٨). وهنالك ٦١ إمرأة و ٩٣ رجلاً. وفضلاً عن ذلك فقد ميز بين ثلاث فئات مثقفة حسب تحصيلها التعليمي ، وهي الأمية (٣٥) ، والثانوية (٥٩) ، والجامعية (٦٠). وفرق بين خمس فئات مهنية ،

وهي المهنيون والتنفيذيون (١٢) ، وموظفو الدولة (٦١) ، والطلبة (٢٦) ، ورجال الأعمال (٢٠) ، والعمال (١٣) ، وربات البيوت (٢٢). ولكن ظلت المهنة هامشية في الدراسة ولم يجر تحليلها إلا نادراً. وفي إحدى المواضع جمعت المهنة والثقافة لإستخراج المؤشر الإقتصادي الإجتماعي لخمس جماعات (1981:262) إلا أن هذا بقي تحليله هامشياً أيضا ولا يهمنا أكثر من هذا القدر هنا. وبخصوص تداخل الثقافة والمهنة خلص عبد الجواد (1981:350) إلى القول:

> من الطبيعي وجود بعض التداخل بين التحصيل الثقافي للمتكلم ومهنته. فكلما ارتفعت ثقافة المرء علت مهنته على السلم الوظيفي ... وليس بالأمر المعقول إعطاء إحداهما أهمية أكبر من الأخرى. ومع ذلك يمكننا القول عموماً بأن الثقافة والمهنة متغيران اجتماعيان مهمان يؤثران على سلوك المتحدثين اللغوي.

ومن حيث العمر ميز ثلاث زمرعمرية: الشبان (١٨ - ٢٩) ، ومتوسطو العمر (٣٠ - ٤٤) ، والكبار (٤٥ +). إلا أنه فرض قيداً على العمر وهو أن يكون أصحاب الفئتين العمريتين الأخيرتين قد عاشوا ما لايقل عن ٢٥ سنة في عمان كي يدخلا في العينة (1981:80). وتمت مقابلة الرواة وجها لوجه على يد الباحث وساعدته امرأتان (1981:54-55, 62-65) فيها. واستخدم الإستبيانات المبوبة بطريقة لابوف (1966 , 1972 a) وترد كل (1974) ذاتها. وميز ثلاثة أساليب ، وهي العفوي وشبه الرسمي والرسمي. وفرق بين هذه الأساليب باتباع لابوف (1972 a) مع إدخال بعض التعديلات من مثل الموضوع والألفة بين المتحدثين وشبكاتهم الإجتماعية (وللإستزادة انظره (117-1981:101). وأغفلت الدراسة أساليب القراءة التي

استبـدلها بما أسماه الأسلوب الخطابي ولا ينطبق هذا إلا على ١٣ خطيبـاً إضـافياً جرى تسجيلهم من التلفـاز والمـذياع والمسـاجد والمدارس. ولم تكن الفواصل بين هذه الأساليب الأربعة واضحة تماماً. وكما يقول (1981:117):

ربما كانت الحدود بين هذه الأساليب الأربعة غامضة أحيانا ، سيما بين الـوسـطى منها... وعليه فينبغي تفسيرها تفسيراً تقريبياً وغير قطعي.

وأخـيراً نأتي إلى دراسـة (Al-Amadihi 1985) عن لهجة قطر، وبحثت في متغيرين صوتين ، وعينتها مختارة مؤلفة من ٤٥ رجلاً من العـاصمة الدوحة ، ينقسمون إلى زمرتين عمريتين: ٢٠ - ٣٥ سنة وفيها ٣٤ فرداً و + ٥٠ وفيها ١١ . واحتوت الدراسة على أربع فئات اجتماعية عشائرية ؛ وهي القبائل ، والحوالة ، والبدو ، والعجم. وتسكن هذه الفئـات في أحياء مختلفة في المدينة الدوحة ولها أصول تاريخية مختلفة. فالقبائل أقدم سكان المدينة ؛ والحوالة عرب أصلاً عادوا من إيران بعد أن هاجروا إليها منذ وقت بعيد ؛ وجاء البدو من الصحراء ؛ وأمـا الـعـجـم فهـم فرس جاءوا من إيران (وللمـزيد انـظره (1981:35-39). وقسمت الفئة الشابة إلى ثلاث فئات ثقافيا ، وهي: الإبتـدائية (١٢)، والثـانـوية (١١)، والجـامعية (١١). وأمـا الكبار فأميون جميعاً فالتعليم لم يبدأ في قطر إلا سنة ١٩٥٠ . وكان العدد المراد من الرواة في كل خلية ثلاثة (1981:46) ، ويعطينا هذا ما مجموعه ٤٨ راوية ، استبعد ثلاثة منهم لأسباب مردها غموض التسجيل وصخبـه. واعتمـد العمادهي في مقـابلتـه رواتـه على الإستبيانـات المبـوبة كما في لابوف (1966) وتردكل (1974). وأما موضوعاتها فمن كل شيء سوى السياسة (1981:62). وعزل ثلاثة

أساليب كلامية ، وهي العفوي والرسمي وقراءة (آ) ١٢ سطرا من فصيح الشعر و ١٢ أخرى من عاميّه. وجرى التفريق بين الأسلوبين العفوي والرسمي بحسب الموضوع كما في (Douglas-Cowie 1978). وزعم العمادهي أنه أول من أدخل أو استعمل قراءة الشعر العامي بالمقارنة مع الشعر الفصيح (1985:318).

وهكذا تتسم الأبحاث اللغوية الإجتماعية عن العربية بعدة خواص عامة. فاعتمدت كلها على العينات المختارة. وكانت الثقافة. أكثر المتغيرات الإجتماعية استخداما علمًا أن تعريفاتها متفاوتة من دراسه لأخرى. وهنالك متغيرات أخرى في بعض الدراسات مثل الطائفة أو الأصل القبلي. وأما الجنس فلم يدخل في كل هذه الأبحاث. كما جرى جمع المادة اللغوية غالبا بطريقة المقابلات القائمة على الإستبيانات المبوبة واتبعت النظرية اللابوفيانية عموما في عزل أساليبها. وأخيرًا كانت جميع هذه الدراسات ملتزمة بنظرية لابوف في الإختلاف اللغوي رغم إشارة بعضها إلى نظرية التضمين.

والآن نعود إلى وصف منهاجنا بالذات.

2.4 المناهج اللغوية الإجتماعية في هذا البحث

1.2.4 مكان العمل الميداني وزمانه

أجري العمل الميداني لهذا البحث في دمشق في الفترة ٢٠ أيار– ٣١ آب ١٩٨٥ . وقضي الأسبوعان الأولان في زيارات استطلاعية لمعظم الأماكن التي يسكنها المهاجرون منذ الإحتلال الإسرائيلي ١٩٦٧ . وتنتشر هذه الأماكن على بقعة تمتد من الحدود السورية الإسرائيلية في هضبة الجولان بمحافظة القنيطرة إلى مدينة دمشق والمدن والقرى المجاورة لها في محافظة دمشق. ومن بين نازحي الجولان

اخـترنـا فئة مهجرية واحدة لأغراض هذا البحث ، وهي الفضل (انـظر الفصل ٢ أعلاه). وكان سبب الإختيار مايلي:

١. معرفتي الأهلية بهذه الفئة الإجتماعية وانتمائي لها. فبما أني أحد أبنـائهـا يمكنني تخطي كثـيراً من قيود العمل الميداني مثل تشككات الرواة وارتيابات‌هم وانعدام شعورهم بالأمان وفقدان رغبتهم في تعاونهم معنا.
٢ . إختلاف لهجتهم العربية عن لهجة المجتمع المضيف، وهذا هو الموقع المثالي
٣. للبحث ليس في الإختلاف اللغوي في الكلام المهجري ذاته فحسب بل في تماس اللهجات كأثر اللهجة المحلية في اللهجة المهجرية واكتساب المهاجرين لها.

2.2.4 العينة

2.2.4 أسلوب إنتقاء العينة

لم نجد الحصول على العينة العشوائية مستحيلاً فحسب بل غير مجد لعـدة أسباب. أولاً مغالطة ورداءة وندرة المعلومات الإحصائية سواء عن حجم هذه الفئة المهجرية أو توزعها السكني. ثانيا عدم تواجـد المهـاجـرين في أية محلة بأعـداد كبيرة ، فهم متفرقون في مجمـوعـات صغيرة تتكون من عدة بيوتات في أحد أماكن المدينة القـاطنـين بها. ثالثـا تغيير المهـاجرين المتواصل لأماكن سكناهم بالتنقل من مدينة لأخرى سواء بإرادتهم أو بأمر السلطات المحلية كما حدث عندما هدمت الزفتية، وهي منطقة سكنية غير صحية في مدينة دمشق تم إخلاء النازحين منها إلى أماكن خارجها. وأخيراً فالنازحون غير مسجلين كساكنين في المدن التى كانوا يسكنون فيها لما أجريت

هذه الدراسة بل في مدن أخرى سبق لهم العيش فيها لوقتـعـمـا.
ولذلك اعتمدنا العينة المختارة وحددنا لذلك جملة شروط ، وهي:

١. ينبغي أن يكـون الرواة جميعاً من الفضل الذين نزحوا من الجولان عقب الإحتلال الإسرائيلي لها عام ١٩٦٧ ؛
٢. ينبغي أن يكـون جميع الرواة قد عاشوا في مدينة دمشق أو ضواحيها القريبة منها منذ ١٩٦٧ ؛
٣. ينبغي أن يكون الرواة أبناء أسر نازحة أيضًا ؛
٤. ينبغي أن يكون الرواة راغبين في التعاون في هذا المشروع بعد تقديم الأسباب الوجيهة لهم ؛ و
٥. ينبغي ألا يقل حجم العينة المقصودة عن ٢٥ شخصاً كما ألا يقل عدد أفراد الخلية عن ٢ ولا يزيد عن ٤ . وقد بني هذا القيد على المسح الدراسي الذي قمنا به (في الفصل الثالث) أعلاه.

وبعـد ذلـك قمنـا بالإتصال بالرواة عبر شبكاتهم الإجتماعية وأصـدقائهم ومعارفهم. كما اعتمدت أيضا على علاقاتي الإجتماعية بالذات في المنطقة ، وقد كانت ذات فائدة عظيمة في هذا الخصوص. وقمنا بزيارة الرواة مرتين عادة. ففي المرة الأولى أردنا التعرف بهم وإنشاء رابطة معهم. وكانوا ودودين دافئين كراماً أهل ضيافة ، فلم يعطونا من وقتهم فقط بل قدموا لنا الشاي والقهوة والطعام والنقل والإقامة حيثما احتجنا لهما أيضاً. وفي أثناء هذه الزيارة تطرقنا إلى عدة موضوعات سيما ما يهم المتحادثين منها. وبذلنا عناية خاصة في استغلال أية فرصة مواتية لشرح موضوع مهمتنا اللغوية الإجتماعية. فمثلاً عندما كان الناس يذكرون جيرانهم وتعاملاتهم معهم استفسرت منهم فيما إذا كانوا محليين وكيف يتحدثون معهم. كما سألتهم فيما إذا كانوا

يفهمـون كلام بعضهم بعضاً أو يواجهون مصاعب في التفاهم فيما بينهم أو يغـيرون كلامهم معهم. ولما أمنت من اهتمام مضيفي بهذا الـموضوع جدًا أعلمتهم بنيتي في جمع مادة كلامية يمكن استعمالها لهجة لأغراض تعليم اللغة الانكليزية كلغة أجنبية في سوريا من منظور لغوي إجتماعي وبحاجتي إلى تعاونهم معي في هذا المشروع. وقد وافق معظم الذين تكلمت معهم على الإشتراك فيه. ولما تم لنا هذا الهدف حددنا موعداً لزيارة ثانية بشأن تسجيل الرواة المرغوبين.

وأمـا حالات رفض المشـاركـة في المشروع فكانت قليلة جداً وأنواعها مختلفة. فثلاثة شباب أبوا التسجيل لأن اثنين منهما خشيا أن أكـون صحفياً ولم يريدا أن يظهـرا على الشاشة فيضحك الناس عليهما، وأما ثالثهم فلم يكن يحب أن يستمع الأجانب الأوربيون إلى كلامه. وعن طريق أصحاب خلص لهم توصلنا إلى إقناعهم جميعاً فيما بعد بحقيقة نوايانا وصدقها. وهكذا تيسر لي تسجيل كلام أحدهم بنفسي بينما قام أخواي غازي وزيد بتسجيل كلام الأخرين منهما. وثـمـة أنـثـى إبـتـدائـية الـتـعليم طلب أبـوهـا مني الحصـول على موافـقـة رسـمـية لها من عمـلهـا لتـسـجـيلهـا، إلا أني لم أتـابـع هذه الحـالـة لإكتفـائي بمثـل حالاتهـا وعـدم اختلاف كلامها عنهن. كما أن هنالك شخصاً آخر ، وهو صديق عزيز علي وأحد طلبة الدراسات العليا بجامعة دمشق ، أبدى استعدادًا في البداية لمساعدتي في مشروعي ولكن غير رأيه فيما بعد لما رأى أنه ذو تصميم غربي. ولم ألاحق هذا الشخص لأنه كان خارج الفئة العمرية في هذه الدراسة. وهذا يعني فعليا حالة رفض واحدة لم نلاحقها لعدم أهميتها ، وهي لاتذكر إذا ما قارناها بحالات الرفض عند لابوف (1972a) وبتيت (1985) ، الـخ. وأخـيراً فعلى المرء ألا يذكر حالات

الرفض من طرف الرواة فقط بل تلك التي اضطرتها طبيعة البحث هذا. فلم يجر إدخال رواة كثيرين في عينة البحث ممن كانوا يرغبون بذلك ، وذلك إما لأنهم كانوا خارج نطاق الزمر العمرية المرغوبة أو لأننا إكتفينا بتسجيل حالات مماثلة لهم.

2.2.2.4 خصائص العينة

1.2.2.2.4 الثقافة

في مدن الغرب كغلاسكو مثلاً (Macaulay 1977) تكون المهنة أهم العوامل وأنسبها لقياس وضع المرء الإجتماعي والتأثير بالتالي على استخدامه اللغوي. وأما في بلدان العرب فالثقافة هي أكثر المؤشرات تلاؤماً مع الوضع الإجتماعي للمرء ، فهي التي تضمن له أن يدخل تلقائيا إلى الوظائف ذات الراتب العالي. ودليل ذلك ما قمنا باستعراضه من الدراسات اللغوية الإجتماعية في العربية. وكما يشير فصلنا الثاني عن المجتمع السوري إلى الخلاصة ذاتها أيضًا.

وتتجاوز الثقافة عند مهاجرينا أي شيء غيرها في أهميتها. فكان أول افتتاح المدارس في قراهم بالجولان عام ١٩٥١ . وقد أشار زكريا (١٩٥٧) وباغ (1961) إلى حرمانهم التعليمي بالمقارنة مع بقية سكان الجولان. وهكذا لقي المهاجرون في التعليم وسيلة لتحسين مستواهم الإقتصادي والإجتماعي.

وحددت هذه الدراسة أربع فئات إجتماعية بناء على تحصيلها التعليمي. وليس تحديد المستويات الثقافية يسيراً ولا يمكن قياسها بمجرد عدد السنوات التي أمضيت في المدراس (قارن عبد الجواد 1981). فهنالك حالات من الناس من ذوي التعليم الذاتي الذين أغنت مطالعاتهم الشخصية وعلاقاتهم الإجتماعية مستوياتهم الثقافية

مثلما أن هنالك من ذهبوا إلى المدراس وبقوا فيها حوالي أربع سنين دون الإقتدار على القراءة والكتابة. كما أن النظام التربوي يحتوي على مستويات متوسطة بين المراحل العليا والدنيا. ففي سوريا مثلا تشتمل الدراسة الثانوية على ست سنوات الثلاث الأول منها إعدادية والأخيرات هي الثانوية الأصل. ويمكن الحصول على التعليم العالي في الجامعة (٤ سنوات أو أكثر) أو المعاهد المتوسطة (٢ سنة). فلا بد إذن من إجراء التعديلات للسماح بالقيام بالبحث المنظم (قارن عبد الجواد 1981:82 ، والعمادهي 1985:46). وأخيراً تم تحديد الفئات الثقافية الأربع كالآتى:

١. الأميين ((أ): وهم غير متعلمين لا يقدرون على القراءة والكتابة،
٢. الإبتدائيين (ب):وهم من لهم ٦ - ٧ سنة من التعليم الرسمي،
٣. الثانويين (ث): وهم من لهم ١١ - ١٢ سنة من التعليم الرسمي،
٤. الجامعيين (ج): بما فيهم الحاصلون على درجة التعليم الجامعي والمعاهد المتوسطة.

وتتكون هذه الفئات من ٢٨ راوية يتوزعون كما يلي: ٨ (أ) ، ٧ (ب) ، ٥ (ث) ، و ٨ (ج).

2.2.2.2.4 المهنة

لم تدخل المهنة بين المتغيرات الإجتماعية بهذا البحث سواء بمفردها أو بدمجها مع الثقافة لإستخراج المؤشر الإقتصادي الإجتماعي كما فعلته مجموعة من الدراسات التي أشرنا لها آنفاً.

وهنالك عدة عوامل لإستبعادنا إياها من تحليلنا اللغوي الإجتماعي هذا. فأولاً لضمان درجة الثقافة مهنة المرء الممكنة في سوريا ؛ فعادة كلما ارتفعت ثقافته علت وظيفته. وثانيا ميوعة النظام الطبقي الإجتماعي السوري وقلة البحث المنظم في هذا الباب. وثالثا صعوبة تناول المهاجرين من منظور طبقي اجتماعي نظراً لعدم استقرار وضعهم الإقتصادي الإجتماعي. وأخيرا ميل الدراسات اللغوية الإجتماعية في العربية عموماً نحو اعتبار الثقافة المتغير الإجتماعي الأول القادر على التقابل مع الإستخدام اللغوي بدرجة أكبر من كل المتغيرات الأخرى.

وأما أشغال ، الرواة فإنهم ينخرطون في وظائف كثيرة تبعاً لمستوياتهم التعليمية. فالأميون كلهم عمال يدويون غير مهرة أو ممن لايعمل كما الحال عند الإناث. وهؤلاء يعملون في مشروعات البناء والإنشاءات. والإبتدائيون شبه مهرة ومنهم سائقو السيارات وعمال المصانع ، وإناث هذه الفئة غير عاملات ماخلا احداهن التي تعمل في أحد المشافي. وفي الفئة الثانوية ثلاثة شبان لهم أعمال متنوعة : فأحدهم ذو عمل خاص به إذ يعمل على شاحنته وكان يعمل قبلها كمعلّم حداد في شركات الإنشّاءات ؛ والثاني مساعد مهندس مساح والأخير ممن لاعمل له. وبالنسبة للإناث فواحدة تعمل في شركة تأمينات والأخرى في مصرف تجاري ولكنها استقالت منه بعد زواجها. وأما الجامعيون فمدرسون وموظفو دولة وكل الإناث معلمات أو مدرسات.

3.2.2.2.4 العمر

في البحث زمرتان عمريتان: الشباب والكبار. وتم إختيارهما عمداً

لدراسة الطرق التي يستجيب المهاجرون بحسبها إلى الموقف اللغوي الجديد الذي خبروه منذ عام ١٩٦٧ ولرصد التغيير اللغوي المتواصل عندهم. ولدى إختيارهما اشترطنا القيود التالية؛

١ . ينبغي ألا يتجاوز عمر الرواة الشبان عند وصولهم المناطق المضيفة ١٢ سنة أو أقل. وتم إتخاذ هذا الشرط لإعتبارات اكتساب اللغة الثانية (انظر Harley 1986 لعرض شامل) التي تفضل الصغار على الكبار في ذلك. وملائمة هذا المعيار إلى الوضع المهجري الذي بين أيدينا واضحة جداً لأن النازحين إلى المنطقة اللهجوية الجديدة سيتأثرون من حيث الكلام بها بطرق مختلفة. كما أن كل المستويات الثقافية المحددة أعلاه لا توجد إلا في هذه الزمرة العمرية أيضاً. وأما الزمر العمرية الكبرى فإما شبه متعلمة أو غير متعلمة أبداً.

٢ . ينبغي عدم إدخال من هم دون العشرين من العمر في هذه الدراسة واتخذ هذا الإجراء الدراسي بسبب التبعات المالية والزمنية على البحث. وهذا يعني أن الزمرة العمرية الصغيرة تتكون ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٠ - ٣٠ سنة حصراً.

٣ . وينبغي أن تشتمل الزمرة الكبيره على الرواة الذين تزيد أعمارهم عن ٥٠ سنة. وتتراوح أعمار هؤلاء بين ٥٠ - ١٠٠ سنة.

وهكذا فمجموع الرواة لدينا في هذه العينة ٣٨ : منهم ٢٨ شبابًا و ١٠ كبارًا. وكافة الرواة الكبار أميون ماخلا رجلين منهم يقدران على القراءة والكتابة.

4.2.2.2.4 الجنس

وهو أحد المؤشرات الإجتماعية المهمة جداً على الإستخدام والتغيير اللغويين. والجنسان ممثلان في هذه الدراسة. ويتساوى عدد

الذكران مع الإناث عند الشباب (١٤ لكل منهما). وأما عند الكبار فلدينا ٦ رجال و ٤ نساء. وتبلغ نسبة النساء في العينة كلها ٣٦ , ٤٧ % . فتمثيل الجنسين متعادل عمومًا

5.2.2.2.4 المنطقة

لاتتوفر لدينا إحصاءات رسمية عن أماكن سكن النازحين بعد ١٩٦٧ . فهـذا مما كان على البـاحث تعيينـه على أساس معرفته الأصلية بالمنـطقـة ومعـرفة رواته أيضا. ومن احدى صعوبات هذا البحث هي كثرة تغيير النازحين لأماكن سكنهم بما لا يقل عن مرتين أو أكثر خلال العشرين سنة الماضية. وعند إختيار المهاجرين بحسب المنطقة فرضنا القيود التالية:

(١). ينبغي أخذ المهاجرين كلهم من مناطق تختلف لهجاتها عن لهجاتهم ،

(٢). ينبغي أخذهم جميعًا من مدينة دمشق أو ما يجاورها من المدن التي تشترك معها في الخصائص اللغوية ذاتها،

(٣). ينبغي أن يكون المهاجرون قد أقاموا في هذه المناطق منذ ١٩٦٧ .

ولما استوفيت هذه الشروط باشرنا في اختيار العينة من الرواة. ووجـدنا أن غالبية المهاجرين إنما تسكن في المدن المجاورة لمدينة دمشق. كما أن أولئك الذين كانوا يقيمون فيها أخذوا بالخروج منها إلى المنـاطق المحيطة بها. وفي مدينـة دمشق استمـددنا الرواة من منطقتين ؛ هما مساكن برزة ودويلعة. فالأولى أولى المناطق السكينة التي استقر بها المهاجرون بعد طردهم الجماعي من الجولان مباشرة. وتتكون هذه المنطقة من مبان تعاونية كانت قيد الإنشاء عندما حل بها المهـاجـرون وكـانت ينقصها الماء والكهرباء ووسائل الصرف

الصحي ولكن ظروفها تحسنت قليلا فيا بعد ، ورغم ذلك فقد انتقل المهاجرون منها إلى منطقة قريبة منها ، وهي دويلعة. وكانت هذه منطقة زراعية ذات بساتين وأشجار مثمرة وحقول كثيرة : فهي لاتظهر لذلك في الإحصاءات الرسمية قبل ١٩٧٧ . وهي تقع على الطريق بين دمشق ومليحة بلاط. وبما أنها قريبة جداً إلى دمشق المدينة أبيدت بساتينها وباع أصحابها أراضيهم لأغراض البناء تجاوزاً للقانون. وكان النازحون من بين أولئك الذين شروا فيها قطعاً صغيرة لتشييد بيوتات لهم عليها. والآن تعد المنطقة إداريا جزءًا من مدينة دمشق. وسنطلق على مساكن برزة ودويلعة معاً منطقة مدينة دمشق أو مناطقها الداخلية.

ومن خارج مدينة دمشق جاء الرواة بصورة رئيسية من مدينة قطنا، وهي تبعد ٢٤ كم عن دمشق، وفيها يسكن أغلب المهاجرين. وعلى بعد ٦ كم من قطنا توجد مدينة أصغر منها اسمها عرطوز استقر فيها بعض المهاجرين الذين انتقلوا إليها من قطنا أصلاً. وسنطلق على قطنا وعرطوز ريف دمشق أو مناطق المدينة الخارجية (انظر شكل ٤ من الفصل الثالث أعلاه).

ويكون توزيع الرواة بحسب المنطقة كما يلي: ١١ متكلمًا من دمشق و ٢٧ من الريف. والمنطقة أحد العوامل الإجتماعية الداخلة في هذا العمل لدراسة الفروقات في السلوك اللغوي لمهاجري المدينة وريفها.

6.2.2.2.4 ملخص المتغيرات الإجتماعية

يلخص الجدول ١٠٤ أدناه توزيع الرواة المهاجرين الـ ٣٨ بحسب المقاييس الإجتماعية للثقافة والجنس والعمر والمنطقة.

جدول ١٠٤ توزيع الرواة حسب المتغيرات الإجتماعية في الدراسة

١. الثقافة	الشباب			الكبار			المجموع
	ر	ن	ج	ر	ن	ج	
أمي أ	٤	٤	٨	٦	٤	١٠	١٨
إبتدائي ب	٣	٤	٧	-	-	-	٧
ثانوي ث	٣	٢	٥	-	-	-	٥
جامعي ج	٤	٤	٨	-	-	-	٨
المجموع	١٤	١٤	٢٨	٦	٤	١٠	٣٨
٢. المنطقة							
مدينة دمشق	٤	٥	٩	٢	-	٢	١١
ريف دمشق	١٠	٩	١٩	٤	٤	٨	٢٧
المجموع	١٤	١٤	٢٨	٦	٤	١٠	٣٨

7.2.2.4 نقد العينة

يمكن نقـد العينـة من نقـطتـين. فأولاهما خلوها من الزمرتين العمريتين ممن هم دون العشرين من العمر ومتوسطي العمر (٣١ - ٤٩ سنـة). وتجاهلناهما نظراً لقيودات الوقت والموارد وللملاحظة البـاحث بعـدم وجود اختلاف بين كلام هاتين الزمرتين وبين الزمر العمرية الأخرى في هذا الكتاب. أي أن متوسطي العمر كانوا أقرب إلى الكبار بينما كان من هم دون العشرين أقرب إلى الشباب. ولكن هذا لايسوغ أمر ترك كلام من هم دون العشرين من العمر بالذات دون

مزيد من البحث. فعلى الدراسات القادمة في المستقبل أن تعنى بأساليب كلام هؤلاء والأطفال كذلك.

ويكمن القصور الثاني في هذه الدراسة في تمثيل الفئات الثقافية من المناطق الداخلية للمدينة التي تنقسم إلى الأمية (ذكر وأنثى) والإبتدائيات (ذكر وامرأتان)، والثانوية (لا أحد)، والجامعية (ذكران وامراتان). فعدم تمثيل الثانوية في الدراسة أمر هامشي لأن كل رواة هذه الفئة إما أن يكونوا درسوا بمدارس مدينة دمشق أو عملوا بها. وفي الواقع إنما يذهب كافة المهاجرين الريفيين إلى مدينة دمشق للدراسة أو العمل فيها يوميا. ولذلك فالتفريق كله بين مدينة دمشق وريفها مسألة نوعية غالبًا، كما سنرى فيما بعد في تحليلنا اللغوي الإجتماعي.

3.2.4 جمع المادة الكلامية ووصفها وتحليلها

1.3.2.4 أساليب استنباط الكلام

عند استعراضنا لمناهج جمع المادة الكلامية في الدراسات الغربية والعربية سواء المبسوطة في الفصل الثالث أعلاه أو في بداية هذا الفصل بينا إقتصارها في تطبيقها على المجتمعات المستقرة غير المهجرية. كما أن الدراسات التي عنت نفسها بالكلام المهجري ذاته (Kerswill 1985، Bortoni-Ricardo 1985، Payne 1976) قامت باستخدام التقاليد اللابوفيانية ذاتها في مقابلة الرواة بناء على الإستبيانات المنظمة التي لم تستخرج فيها إلا أسلوبا واحدًا، هو أسلوب المقابلة. وهذه المناهج لا تلائم المجتمعات المهجرية، فهي منقوصة لأنها تعطينا زاوية محددة من زوايا التنوع الأسلوبي الذي يستغله المهاجرون في محادثاتهم اليومية مع غيرهم من المهاجرين

والمواطنين سواء. فلوحظ أن المهاجرين يستعملون أساليب كلامية تختلف حسب خلفية مخاطبيهم اللهجـوية. وكانت هذه النقطة إحدى الأغراض المنهجية الرئيسية لهذا البحث.

ولـدى القيام بتسجيل المـادة الكـلامية من الرواة المهاجرين وضعت بعض الشروط ، وهي:

(١). عدم استخدام المقابلات الإستبيانية المبوبة.

(٢). تسجيل كل راوية مهجـري في مواقف ومـواجهـات كلامية طبيعية مع المهاجرين مثله والمستوطنين.

(٣). إجـراء كافـة المـواجهـات الكـلامية فردًا لفرد سواء أكان المتحادثان (المقابل ومن يقابله) في جماعة أم لا.

(٤). وانسجـام موضوعات المواجهات الكلامية لدى كل الأفراد لضمان مقارنة الأساليب فيما بعد. وأن تكون الموضوعات عادية يومية مما يستخدم بين أفراد العائلة والخلان والأقارب والجيران.

وفيما يلي سنتنـاول الـطرق التي اتبعنـاها في استحصال المادة الكلامية من مهاجرينا.

1.1.3.2.4 المواجهة الكلامية بين المهاجر والمهاجر

والقصـد منهـا استنبـاط ذلك الصنف من الكلام الذي يجري استخـدامـه بين المهـاجرين عادة في بيوتهم مع أهاليهم وزوجاتهم وأولادهم وأقاربهم وأصدقائهم من المهاجرين أمثالهم. وكان ذلك يسيراً ولم نواجـه أية مصـاعـب فيه عمـومـاً. إذ قمـت بنفسي-وكمهاجر - بالتحدث إلى كل راو من رواتي تقريباً وعددهم ٣٨ وسجلتهم بلهجتنا الخاصة لمدة ٣٠ دقيقة وسطياً باستثناء حالتين (ذكـرين) قام بتسجيلهما لي إخواني غازي وزيد وجاسم وعروسين

جديدين سجلا حديثهما بنفسهما لي. وقد إتصلت بهذه الحالات الأربع سابقاً.

وأمـا مواضيع هذه المـواجهـات الكلامية فمن النمط اليومي. واستبعـدت السياسة والدين والموضوعات العلمية الجادة لإرتباطها الغالب بالأساليب الرسمية (Douglas-Cowie 1978) فلم تكن هذه مما ترمي إليه الدراسة. وقد جرى تجنب السياسة والدين خصوصاً مراعاة للتقليد البريطاني بشأن عدم توريط الأصحاب والأحباب في الجـدال عنهـا ولإزالة أدنى إحساس بالشبهة والشك والخوف من طرف الرواة عند مناقشتها. وتتكون معظم المواجهات الكلامية من البنية ذاتها. فتبتدىء المواجهة النموذجية عادة بالتسليم على الراوي وتختتم بشكره على تعاونه في المشروع. وفيما بين ذلك يحدث تناول الموضوعات على نحو تلقائي بحيث يقود كل موضوع إلى غيره. وهذه الموضوعات هي:

(١). معلومـات سكـانية عن الـراوي كتاريخ ومكان ولادته ومنطقة سكنه ، الخ ؛
(٢). العائلة والجيران والأصدقاء والأقارب ، الخ ؛
(٣). أعراف الأعراس والزواج وقصص الحب ؛
(٤). التقليد الـطبي أو الـطب الشعبي القديم الذي لايزال معروفًا في المنطقة ؛
(٥). الذكريات والقصص والتجارب الشخصية وقصةِ الهجرة ، الخ ؛
(٦). المقاتلات والكونات والميتات والأحلام ؛
(٧). عمل المرء في المنزل والوظيفة ؛

(٨). الرياضات والأغاني والدبكات والأفلام والحصان العربي الأصيل ؛

(٩). عادات الطعام ، سيما المناسف (طعام المناسبات التقليدي) ، والقهوة العربية ؛

(١٠).المخيمات والسفرات والعطلات ، الخ ،

(١١).أسئلة عامة عن المواقف اللغوية كتغيير المرء لكلامه وفهم اللهجات الأخرى ، الخ.

وجرى تسجيل جل هذه الموضوعات في كل حالة. واقتصر دور الباحث على تقديم هذه الموضوعات تقديماً عفويًا وأن يكون المستمع لراويه المهجري. وأعطي الراوية أكبر قدر من الزمن في الحديث بالمقارنة مع الباحث الذي كان دوره أقل مايمكن بهذا الخصوص حتى يتسنى لنا تسجيل أكبر قسط من المادة الكلامية في الوقت المسموح به لهذه المواجهة الكلامية. وتنوعت الأدوار الكلامية للرواة واستجاباتهم بتنوع الأفراد والموضوعات. فكان بعضهم أكثر حديثًا من غيرهم كما كانت بعض الموضوعات أطول من غيرها. فمثلاً كانت قصص الحب أطول من المعلومات السكانية عند جميع الرواة.

وكانت غالبية المحادثات رخية مرحة ، جرى تقديم القهوة والشاي والفاكهة أثناءها باستثناء شهر رمضان الكريم حيث طلب مني أصحابي الإنتظار لحين الفطور ولكن كنت أستأذن منهم وأستعفي وأشكرهم على ذلك. وكان الرواة مرحين ضحوكين وقلما خلت محادثة معهم من الضحكات العديدة هنا وهناك. وهذا مما أضاف إلى حيوية المحادثات وعفويتها.

2.1.3.2.4 المواجهة الكلامية بين المهاجر والمستوطن

والمقصـود بها تقصي فيما إذا كان الـرواة المهاجرون يغيرون كلامهم بعيداً عن لهجتهم الأم ونحو اللهجة المستوطنة لمستمعيهم إبـان الحديث معهم. وعند تسجيل هذه المواجهة الكلامية تم تبني الإجراء الآتي:

ينبغي تسجيل كل راوٍ مهجري مع متكلم مستوطن من منطقة اللهجـــة المضيفـة لمدة حوالي نصف ساعـة وحـول عدة موضوعات من النوع عينه الذي أشرنا إليه في الجزء السابق.

ولم يكن الحصول على هذا النمط من المادة الكلامية من رواة المهاجرين سهلاً ومريحًا غالباً. فعلمًا أنهم وافقوا عليها ، لكن صعب علينا إيجاد متكلمين محليين يريدون التعاون معنا في مشروعنا وخلق رابطة بينهم وبين الرواة حيث أن الغرباء تماماً لايتحدثون فيما بينهم بحرية وراحة وارتخاء. وجرى اتخاذ عدة إجراءات للتغلب على هذه القيود ، وهي:

(١) كانت الخطوة الأولى أن ندع كل راو مهاجر أن يختار لنفسه أحد صدقانه المستوطنين بالذات ويتسجل معه لمدة ٣٠ دقيقة. ولئن رحب جميعهم بهذا الإقتراح غير أننا لم نحصل إلا على اثني عشر تسجيلاً بهذه الكيفية استغرق معظمها وقتا طويلاً لإتمامها. وكان علي في بعض الحالات أن أنتظر لمدة شهرين، ولما كنت أسأل الرواة عن تسجيلاتهم كانوا يقولون لي غالبًا: ''متى ستسافر؟''، ولما كنت أجيبهم ، '' في الشهر القادم '' ، كان ردهم علي ، '' آه ، لازال معك وقت طويل ''. وفي هذه التسجيلات لم أكن حاضراً غير أني كنت أعرف معظم المستوطنين أو رأيتهم.

(٢) وأما الخطوة الثانية فكان علي إحضار المتكلم المستوطن بنفسي. ولم يكن هذا سهلاً لأنه من الصعب جداً إيجاد شخصاً ما يعطيك من وقته بلا مقابل كي يتم تسجيله مع من تبقى من الرواة وعددهم ٢٨ أو سواه. وكنت بخيتًا في أني وجدت من المستوطنين رجلاً عجوزاً- عمره ٧٠ عاماً - وأميا كان يحرس معمل بلوك بناء قرب بيت أهلي. ففاتحت هذا الشيخ وأعلمته بغرض إقامتي فأبدى استعداده مباشرة لاستقبال رواتي والتسجيل معهم ، وذلك إما في محرسه ليلاً أو نهارًا أو بيتنا. وهكذا بلغ عدد من سجلناهم معه ٨ رواة كبار و ١٣ من الشباب. وكنت أحضر كل هذه التسجيلات بنفسي ولكني كنت أظل صامتاً أرعى المسجل وأقدم الشاي لهم.

(٣) وكانت الخطوة الثالثة حضوري إلى مكان عمل الراوي بعد تحديد موعداً مسبقاً معه وأطلب منه التكرم بتسجيله في موقفين: أحدهما معي والآخر مع زميل من زملائه المحليين في العمل. ولم أحصل إلا على حالتين من هذا الصنف فقط ، وكلتاهما في جامعة دمشق.

ومن بين الرواة المهاجرين البالغين ٣٨ فرداً أربعة متكلمين لم يجر تسجيلهم في هذه المواجهة الكلامية. فأما أحدهما فشيخ كبير وأما الثلاثة الباقون فشبان وهم شاب أمي وفتاه إبتدائية وأخرى ثانوية.

3.1.3.2.4 المادة المقروءة

فالغرض منها - كما الحال عند لابوف (1972 a) وتردكل (1974) - أن نرى فيما إذا كان الرواة المهاجرون يقومون بتغيير كلامهم بعيداً عن اللهجة الأم ونحو الفصحى. وهنا استخدمنا نوعين منها: فكانت الأولى قائمة كلمات مكتوبة بخط اليد تحوي كل المتغيرات الصوتية المبحوثة وبمعدل ١٠ - ١٥ كلمة لكل متغير. وفي

أثناء المقابلات بين المهاجر والمهاجر طلبنا من الرواة قراءتها. واستغرق ذلـك دقـيقـتـين أو ثلاث، واقتصر على المـتـعـلمـين فقط وبالجملة اشترك في هذا الإختبار ٢٠ راو، منهم رجلان كبيران.

وأما النوع الثاني من المادة المقروءة فمن الذاكرة. وأعطي هذا الإختبار إلى الأميين ، فطلبنا منهم تلاوة بعض آي القرآن الحكيم التي يحفظونها عن ظهر غيب مثل الفاتحة والخمس الأواخر من الكتاب العزيز. وتمت هذه القراءة في حوالي الدقيقتين. وبلغ عدد من أدوا هذه التلاوة القرآنية ٨ رواة ، منهم ٤ شباب (٣ ذ و ان) و ٤ كبار (٢ ذ و ٢ ن). والقراءة المستظهرة هي أول محاولة من نوعها (على علمي) في علم اللغـة الإجتـماعي التي ترمي إلى معـالجـة مشـكلة استنباط أكثر الأسـاليب/رسمية من الأميين، إذ لم تحاول الـدراسـات السابقة حل هذه مشكلة أبداً.

2.3.2.4 وصف المادة الكلامية أو عزل الأساليب

قمنا بعزل أسلوبي محادثة وأسلوبي قراءة في هذه الدراسة. وسنتناولها بالتفصيل فيما يلي.

1.2.3.2.4 أسلوبا المحادثة

1.1.2.3.2.4 أسلوب المهاجر و المهاجر (أ م م)

وهـذا مبني على المـواجهـة الكـلامية بين المهـاجـر والمهـاجر (1.1.3.2.4) ، وفيهـا تحادث المهـاجرون مع بعضهم بعضا من دون مشاركة غير المهاجرين. وغرض هذا الأسلوب تبيان مدى الإختلاف اللغوي وتغييره في كلام المهاجرين ومعرفة مدى الإحتفاظ باللهجة المهاجرة الأصلية وهل لحضور المستمع المهاجر الدخيل (أي الباحث

ومقابله) دور في المحافظة على اللغة. وبمعنى آخر جرى تصميم هذا الأسلوب لتبيان الطرق التي يتحدث المهاجرون بها مع بعضهم بعضا وبعيداً عن المستوطنين والغرباء.

وفي هذا الأسلوب لم نميز بين الكلام العفوي والحريص باعتماد معايير لابوف أو سواها مما ذكرنا في الفصل الثالث أعلاه. فعلى الرغم من وجود الفروقات في كلام الرواة حسب تنوع الموضوعات الواسع التي دار الحديث حولها في المواجهة الكلامية بين المهاجر والمهاجر، لكننا لم نبحث فيها. وأسباب ذلك أنه رغم تعدد هذه الموضوعات فكانت ترمي كلها لإستخراج اللهجة العامية؛ ودليل هذا استبعاد المواضيع العلميه، الخ، كما أن غاية البحث لم تكن استقصاء مثل هذه الفوارق. ويضاف إلى ذلك أن تجانس الموضوعات المطروقة سيعطينا فروقاً ضئيلة وتافهة حتى لو فحصناها. ولهذه الأسباب مجتمعة احتفظنا بهذا المقطع من المواجهة الكلامية كلاً واحداً وقمنا بتحليله من دون تقسيمات جانبية سواء بحسب الموضوع أو غيره.

2.1.2.3.2.4 أسلوب المهاجر والمستوطن (أم ن)

ويستند هذا على المواجهة الكلامية بين المهاجر والمستوطن (2.1.3.2.4) وفيها تحدث المتكلمون المهاجرون مع مستمعيهم من المواطنين. ويسعى هذا الأسلوب إلى تبيان مدى الإختلاف اللغوي وتغيره في كلام المهاجرين ومدى التغير اللغوي الحاصل بعيداً عن اللهجة المهجرية الأصل ونحو اللهجة المستوطنة المستقبلة تحت تأثير المستمعين المحليين. وبعبارة أخرى يرمي هذا الأسلوب إلى تبيان فيما إذا كان المهاجرون سيغيرون كلامهم مع محادثيهم المحليين عند حديثهم معهم من دون مشاركة المهاجرين الآخرين.

وكما الحال في أ م م فلم نقسم أ م ن إلى كلام عفوي وحريص ، الخ. وأسباب ذلك ماقدمناه في الأسلوب السابق.

2.2.3.2.4 أسلوبا القراءة

1.2.2.3.2.4 أسلوب قائمة الكلمات (أق ك)

ولا ينسحب هذا إلا على المتعلمين القادرين على قراءة القائمة المكتوبة المقدمة لهم والموصوفة أعلاه (3.1.3.2.4) . وجرى استبعاد متكلمين في متغيرين ، وهما عروسان جديدان من ذوي الثقافة الجامعية والثانوية لم أقابلهما بنفسي. وقاما بقراءة المتغيرين باللهجة المهاجرة ؛ وفي الحقيقة إن الزوج هو الذي طلب إلى عروسه كي تفعل ذلك أولاً. وأما باقي المتغيرات فقرأاها بالفصحي كالمعتاد.

2.2.2.3.2.4 أسلوب التلاوةالفرآنية (أت ق)

وينطبق هذا على الأميين الذين قرأوا بعض آي القران الكريم من ذاكرتهم كما ذكرناه أعلاه (3.1.3.2.4) .

3.2.3.2.4. قيود ونقود

تشكو الأساليب الكلامية المشروحة آنفا من بعض التقييدات. ففيما يتعلق بأساليب المحادثة تنقصنا الأساليب الجماعية في كلتا المواجهتين. فقد أظهرت الأبحاث اللغوية الإجتماعية تزايد استعمال العامية في الجلسات الجماعية حقاً. وفي الموقف المهجري الذي بين أيدينا فإننا نتوقع أن يختلف حديث المهاجرين مع المستوطنين بين المقابلة الثنائية والجلسة الجماعية إلا أن هذه الدراسة لم تستطلع الآثار المترتبة على الإحتفاظ باللغة وتغييرها فيما لو سجل مهاجران أو ثلاثة

أو أكثـر مع متكلم مستـوطن أو أكثر. وانطباعي هو أن نسبة التغيير اللغوي في المهاجرين عند تسجيلهم فرادى مع المحليين أكثر منها نسبيًا فيما لو كانوا جماعة. ولمست ذلك في ملاحظاتي للمهاجرين وهم يتحدثون مع المستوطنين جماعات جماعات. كما أعلمني بعض رواتي أنهم لن يغيروا كلامهم نحـو اللهجـة المحلية إذا كانـوا يتكلمـون وسط مجموعة من المهاجرين والمستوطنين في الوقت الواحد.

وكان عدم تقصي الأساليب الجماعية مقصوداً. ففي الحقيقة تم إبلاغ كل راو مهاجر في أول جلسة التسجيل ألا يستجيب إلى أية محادثين من الحضور عدا عن مستمعه المباشر. كما سألنا الحاضرين في المحادثة ألا يقاطعوا الراوي ومستمعه. وجرى اتخاذ هذه القرارات حتى لا تطول المقابلات أكثر مما ينبغي لها. وعدا عن ذلك فهنالك قيودات مالية ، فليس من السهل أن يقوم بكل هذه الواجبات باحث أعزل. فغالباً ماتكون الحاجة إلى فريق عمل للقيام بها. ومع ذلك فهذا مما لا ينفي ضرورة تنفيذها في الأبحاث القادمة.

3.3.2.4 تحليل المادة الكلامية

1.3.3.2.4 كتابة المادة

إن إستنساخ المادة الكلامية من أشرطة التسجيل أمر ممتع ومرهق وممـل. ولم يعالج اللغويون الإجتماعيون هذه المشكلة بطريقة واحدة. فاستنسخ بعضهم مادتهم بأنفسهم ، وساعد بعضهم آخرون، وبعضهم ممن دونها لهم آخرون (مثل Macaulay 1977). ففي بعض الدراسات أيضاً كان تدوين المادة الكلامية كاملاً؛ وفي بعضها كان ذلك مناصفة بإختيار مقاطع معينة من المادة المسجلة. ويقع القرار في ذلك بلا ريب على

طبيعـة المتغـيرات–صـوتية (Trudgill 1974)، نحوية (Cheshire 1982) ، أو خـطابـية (Van Dijk 1984 ؛ Dittmar 1987). ففـي حالـة المتغيرات الصوتية قد يكتفى بكتابة الحالات المرغوبة وما يجاورها من كلمات. فلنأخذ المتغير (ت) ، مثلا في اللهجات الانكليزية حيث يأتي [ت] ، و [ت ء] ، و [ء] (Trudgill 1974 ؛ Macaulay 1977 ؛ Petyt 1985). فهنا تكفي كتابة الكلمات المناسبة مع حالات نطقها دون الحاجة إلى استنساخ كامل النص الذي ترد فيه.

وفي دراستنا استنسخت كافة الأشرطة المسجلة بأكملها تقريباً باستخدام الرموز الأبجدية الصوتية الدولية (IPA) بعد تعديلها. وبـالأخص قمنـا بتدوين حديث كل راو ومستمعه بالكامل ماعدا الـرواة الكبـار ، فهؤلاء كتبنـا كلامهم كاملاً وأما كلام مستمعيهم فنصفه. واستغرقت كتابة شريط مسجل مدته ساعة ما معدله ١٠ ساعات. ورغم هذا الجهد الجهيد الطويل الذي مضى فيها فلهذا الإجراء محاسنه ، نذكر اثنين منها ، وهما:

(١) تدوم المـادة المكتـوبـة وقتـاً أطـول من المادة المسجلة. فالأخـرى تتـآكل وتتشـوش في فترة وجيزة مما يجعـل استعمالها صعباً فيما بعد ؛

(٢) إن الميزة الرئيسية لتدوين المادة المسجلة هي عندما يكون لدينا حوالى ١٠ متغيرات لغوية في بحثنا. وعندها يكون الـرجـوع إلى المـادة المكتـوبـة أسهـل وأحفظ للوقت منه إلى المسجلة. وقد يكون الوقت الذي يضيعه الباحث حينـما يريد الـرجـوع إلى تسجيلاته الصوتية كلما أراد البحث عن متغيرات أخرى أطول مما لو دقق في سجلاته المكتوبة.

2.3.3.2.4 حساب الحالات وعدها

تم حفظ الكتابات في ملفات خاصة بكل راوية على حدة. ويحمل كل ملف الصفات الإجتماعية للراوي فيما يخص جنسه وعمره وثقافته ، الخ. كما فصلت النسخ العائدة لكُل أسلوب كلامي بمفردها. ومن هذه الكتابات عملنا قائمة بكل الحالات أو الكلمات التي ورد فيها المتغير اللغوي فعلاً ، وصنفناها بحسب صيغة المتغير والأسلوب ولكل راو على حدة. وعند القيام بعد الكلمات تبنينا الخطوات الآتية:

١ . تعداد كافة الكلمات الفعلية للمتغير المطلوب في كل أسلوب لغوي؛

٢ . تعداد الحالات الثلاث الأولى فقط للكلمات المتكررة فوق ثلاث مرات في المادة؛

٣ . استبعاد الكلمات الدخيلة والحديثة من المادة مثل سيكاره ، باكيت ، تركتور ، كمبريصة. وأما الكلمات المستعارة القديمة مثل بلكي فاحتفظنا بها. وكلاهما قليل جداً في مادتنا على كل حال.

3.3.3.2.4ـ حساب المجاميع وإحصائها

لم نقم باستخدام طريقة المجموع العام التي استعملها (Trudgill 1974) وأشرنا إليها آنفا (2.3.2.3) .وتكمن الصعوبة الرئيسية في تطبيق هذه الطريقة على مادتنا في تعيين المعاني الإجتماعية للقيم العددية للمتغير اللغوي. فلأحد متغيرات بحثنا – وهو (ق) – ما لا يقل عن ثلاث صور نطقية: [ق] ، [ء] ، و [ݣ]. فالأول صيغة فصيحة، والثاني والثالث صيغتان عاميتان، إحداهما محلية

والأخرى مهجرية. وبما أن الصيغتين الأخيرتين غير فصيحين فلن ندرك الصواب أبداً إذا ما أعطينا إحداهما القيمة (ق) – ٢ والأخرى (ق) – ٣ كما فعله تردكل بتاته. وأما الصعوبة الثانية فهي أن المجموع العام لا يوضح لنا كم كانت نسبة كل صيغة في المعدل العام الذي يجري حسابه للمتغير ككل. فالمجموع العام ٢٠٠ فرضاً لا يبين لنا هل كانت الصيغة المستخدمة [ء] أم [ك] أم كلاهما معاً.

ولذلك قررنا إعتماد الطريقة الإحصائية التي تتلافى هذه التعقيدات. وهذه هي طريقة المجموع أو النسبة المئوية ، وهي مما يقع أصلاً ضمن إطار نظرية لابوف الأصلية (Trudgill 1974; Labov 1972a ، (Macaulay 1977; 1982; Romaine 1978) واستخدمها Sallam 1980 ; Coupland 1980 , 1984 ; Al-Amadihi 1985 ; Cheshire Gal 1984 , Holes , 1981 , 1983 , 1987 ; Abdel-Jawad 1981 , 1986 ; Harris 1985 ; الخ). ويجري حساب المجاميع المئوية بناء على الصيغة الإحصائية الآتية:

$$\text{المجموع المئوي} = \frac{\text{عدد حالات المستغير}}{\text{عدد مجمل حالات المتغير}} \times ١٠٠$$

فلنفرض مثلاً أن المتغير (ق) ورد في ١٠٠ حالة في كلام أحد الرواة ، وجاءت [ق] ١٠ مرات ، و [ء] ٢٠ مرة ، و [ك] ٧٠ مرة. فيكون المجموع المئوي لـ [ق] = $\frac{١٠}{١٠٠}$ x ١٠٠ = ١٠ % ، و لـ [ء] $\frac{٢٠}{١٠٠}$ x ١٠٠ = ٢٠ % و لـ [ك] $\frac{٧٠}{١٠٠}$ x ١٠٠ = ٧٠ %.

وبهذه الطريقة تعرف نسبة كل صيغة أو مستغير وتكون واضحة. كما أننا

تجنبنا تحديد المعاني الإجتماعية.

وسنعرض نتائج التحليل اللغوي الإجتماعي فيما بعد بناء على الجماعة كما في (Macaulay 1977 ; Trudgill 1974 ; Labov 1972 a ; Al-Amadihi , 1985 ; Bortoni-Ricardo 1985 , الخ) وليس للفرد كما فعله مثلاً (El-Hassan 1978 ; Bickerton 1971 , 1973 , 1975 ; Douglas-Cowie 1978 , الخ). وجرى حساب العلامات التي حصلت عليها جماعة ما بإضافة جميع الكلمات كما لو كانت لشخص وحيد ثم حصلنا على نسبتها المئوية حسب الصيغة أعلاه.

ولم نطبق اختبارات القيمة الإحصائية على نتائجنا. واتبعنا في ذلك موقف (Labov 1970) الذي أورده (Trudgill 1974:91) و (1985:74 Petyt). وينص على ما يلي:

مما يتضح إلى الإحصائي المدقق فورًا أن إختبارات القيمة لاداعي لها...وحتى لو كانت نسبة حالة معينة دون مستوى القيمة المتعين لها. فتلاقي جملة عوامل كثيرة يرفعنا إلى مستوى للثقة مجهول في معظم الأبحاث الإجتماعية النفسية.

فهذا هو الموقف الذي تبناه (Labov 1966 , 1972 a , 1972 b ; Macaulay 1977 ; Petyt 1985 ; Trudgill 1974 , 1978 ; 1981 ; Cheshire 1982 ; Romaine 1978 ; Holes 1981 , 1983 , 1986 ; El- Hassan 1978 ; Sallam 1980 ; Abdel-Jawad 1986 ; Harris 1985 ; Shorrab ; Coupland 1985 ; الخ). وحقاً هذا هو موقف غالبية اللغويين الإجتماعيين الساحقة (انظر Wardhough 1986:150 ; (L. Milroy 1980: 121 . كما أقر أولئك البحاثة الذين أجروا إختبار القيمة على نتائجهم بأن:

أنماط الإختلاف تكون أحيانا واضحة وهذا مما يزيل الحاجة

إلى إختبـارات القيمـة سيما عنـد تلاقي مجموعة اتجاهات وانتظامها. (L. Milroy 1980:121).

وأشارت (Gall 1984:298) إلى عدم لزوم استخدام اختبار القيمة في مادة بحثها. أو كما تقول:

فالفروقات قوية بما يكفي لزوال لزوم استخدام اختبارات القيمة.

وأخيراً يبقى علينا أن نشير إلى أنه ينبغي على المرء المحاذرة عند تفسير نتائجه اللغوية الإجتماعية ، سيما عند انعدام اختبارات القيمة الإحصائية ، من الإفراط في التعميمات وما توصل إليه من الأرقام القليلة والهبـوطـات والصعـودات على الأشكـال البيانية والعينات الصغيرة. وكانت هذه من بين الإنتقادات التي وجهها (Petyt 1985; 77) إلى (Trudgill 1974). وبهذا الصدد سنتشهد بوصف (1985:77 Petyt) لعمله بالذات حيث قال:

...إنني لا أشعر بإمكانية اتخاذ أرقامي وأشكالي دليلاً مفصلاً على بعض الآراء - إلا أنه يجوز استخدامها لتبيين اتجاهات ونماذج عامة.

وملاحظته هذه صادقة. وليس هنالك من سبب يمنعنا من تبني هذه الملحوظة في عملنا أيضاً. ففيه مما يؤيدها الشيء الكثير حقاً.

3.4 الخلاصة

في هذا الفصـل عنينـا بعرض المناهج اللغوية الإجتماعية التي اعتمدناها لجمع مادة بحثنا وتحليلها. ولعل الجانب الجديد والطريف في هذه المناهج هو طرق استنباط الكلام التي طبقناها على المهاجرين ، وذلـك بتسجيلهم في موقفـين كلاميين: أحدهما مع المهاجر المماثل

والثـاني مع المتكلم المستوطن. والمراد بذلك تفحص مدى المحافظة على اللغة وتغييرها. وفي الفصل التالي سنقدم دراسة صوتية مقارنة للهجات الثلاث في البحث.

الفصل الخامس
وصف صوتي للموقف اللهجوي المهجري

0.5 استهلال

يسعى هذا الفصل ليعطي صورة مقتضبة عن الأصوات المنفردة فى اللهجة المهاجرة ، الموضوع الرئيسي لتحليلنا اللغوي الإجتماعي. وبما أنها على إتصال يومي مباشر مع اللهجة المحلية الدمشقية منذ الهجرة الجماعية لأهلها من الجولان عام ١٩٦٧ ، فإننا سنقوم بمقارنة كلتيهما معاً وسنجري هذه المقارنة من منظور اللهجة الفصحى التى يتفرعان منها ويلتقيان معها. وهذا يعني أن الموقف اللهجوي المهجري ينطوي على ثلاث لهج أساساً ، وهي الجولانية الفضلية المهاجرة ، وجاءت تسميتها هذه لأنها كانت سائدة أصلاً فى الجولان ويتكلمها أبناؤها الفضل وهى الآن لهجة مهجرية في دمشق وما يحيط بها من الضياع التى استوطنوها منذ ١٩٦٧ ، ولهجة دمشق ، لهجة المناطق المضيفة كمدينة دمشق وقطنا ، الخ. واللهجة الفصحى ، وهي اللهجة العليا. فأما لهجة الفضل ولهجة دمشق فعاميتان دارجتان تستحدمان فى أحاديث اليوم بينما الفصحى لغة الإعلام والمؤسسات الثقافية. ويشير بعض دارسي العربية (انظر Mitchell 1986) إلى

الفصحى بعدة تسميات لأسباب تاريخية وغيرها وهي مما لا تهمنا هنا.

1.5 تحليل صوتي مقارن للهجات الثلاث: الفصحى والفضلية والدمشقية.

1.1.5 العلل

1.1.1.5 علل الفصحى

إن العربية الفصحى هى إحدى اللغات المتميزة بنظام العلات الثلاث البسيطة والأساسية (انظر Lass 1984 : 142).

ويمكن التمييز بين العلات فيها بالعلو والمد والمخرج. أي أنها قد تكون عالية أو واطية ، قصيرة أو طويلة ، خلفية أو أمامية. وحدد قدامى النحاة (سيبويه ١٩٧٥ ؛ ابن سينا ١٩٦٨) والمحدثون منهم 1968 : 46 , 56 – 59 ; Cantineau 1960 : 91 , Gairdner 192 : 38) Al-Ani 1970 ; Semaan) ثلاث علل طويلة ومثلها قصيرة ، وهي:

١. (آ) / ي / ، علة طويلة عالية أمامية غير مستديرة. كما في ريف.

(ب) / ـِ / ، علة قصيرة عالية أمامية غير مستديرة كما في مِن.

٢. (آ) / ا / ، علة طويلة واطية أمامية أو وسطى غير مستديرة كما في كان.

(ب) / ـَ / ، علة قصيرة واطية أمامية أو وسطى غير مستديرة كما في مَن.

٣. (آ) / و / ، علة طويلة عالية خلفية مستديرة كما في فول.

(ب) / ـُ / ، علة قصيرة عالية خلفية مستديرة كما في كُن.

ولهذه العلل صيغ وتنويعات أخرى تأتي في سياقات صوتية معينة

لا يهمنا الحديث عنها ههنا (انظر Gairdner 1945 ; 29 - 23 :1970
Al-Ani).

وفى الفصحى علتان مزدوجتان أيضاً (Gairdner 1925 , 3-102 : 1960 Cantineau 1 , 1970:35 Al-Ani) تتكونان من الأول / ا / والعلتين / و / و/ي / ليعطيا / أيْ / و/أوْ/. كما في بيْت ويوْم.

2.1.1.5. علل الدمشقية

1.2.1.1.5 مقدمة

تكثر الدراسات التقليدية عن لهجة دمشق المدينة. ويعد أقدم وصف جزئي لها (Bergstrasser 1915) ، وذلك فى أحد أجزاء مصوره اللغوي لعدة لهجات فى فلسطين وسوريا ولبنان. ولكن أول وصف صوتى كامل لها كان (Bergstrasser 1925) ثم تلته دراسات أخرى لأصواتها وصرفها ونحوها (Ferguson and Ani 1961 ; Cowell 1964; Grotzfeld 1965 ; Ambros 1977). ولم تتطرق هذه الدراسات إلى تاريخ ظهور الدمشقية وتطورها كلهجة عربية مستقلة. كما أنها لم تذكر العلاقة بين كلام مدينة دمشق الشام والمدن والقرى المجاورة لها. إذ لهجات هذه القرى كقطنا وعرطوز وجديدة عرطوز والمعظمية تشترك مع الشامية فى الأصوات المنفردة أو المنقسمة عينها كما سنرى فيما بعد. وفي دراستنا هذه سنطلق مصطلح اللهجة الدمشقية أو الشامية للدلالة على كلام مدينة دمشق الشام والمدن والقرى المجاورة أيضاً، وهذا مما يميز دراستنا هذه عما سبقها.

2.2.1.1.5 علل الدمشقية الشامية

ذكـر كتـاب اللهجـة الـدمشقية (Ferguson and Ani 1961 : 6 , Grotzfeld 1965 : 6 , 9 - 13 . Cowell 1964: 9 - 17 , Ambros 1977 : 16 - 17) إحتفاظها بنظام علل الفصحى عموماً إلا أنه ظهرت•فيها علتان متوسطتان وهما / إي / و / أُو / نشأتا عن العلتين المزدوجتين أَي / و / أَو/ ، ومثال ذلك بَيْتَ ← بِيْت ويَوْم ← يُوْم. وهـذه قاعـدة قاطعة ولا يتوقف عملها إلا حينما يلي أحد المزدوجين صوت / - ي / كما في هيجٌ و/ - و / كما في أوَّل ، ففي مثلها احتفظت الدمشقية بالمزدوجىن الأصليين.

وتؤيد ملاحـظاتى ومـادتى الكـلاميـة الميدانية التي جمعتها من دمشق وقطنا هذا التحليل. ولكن توزع العلات في السياقات الملائمة لها يختلف بين الفصحى والـدمشقية. فمثـلاً تصبح العلل القصيرة الفصيحة كما في قُل و أمِل طويلة في الدمشقية وفي الكلمات ذاتها التى تتحول إلى أُوْل وميل. لن أزيدِ أكثر من ذلك لأنه يخرجنا عن صميم موضوعنا.

3.1.1.5 علل المهجرية

1.3.1.1.5 تقديم

لا يوجد لدينا إلا وصفاً جزئياً وحيداً عن اللهجة الفضلية قبل الشروع بهذه الدراسة. وهذه دراسة قام بها كانتنو سنة ١٩٣٦ لما قارن بين ١٢ لهجـة سورية فيما يخص أصـواتهـا الإنقسامية ومنها العـلات وبعض السـواكن والأصـوات المـتراكبة أو اللاإنقسامية كالمقـطع والصـرف كصيغ الأفعـال ، وبعض الـتراكيب النحوية ، وأحـرف الجـر. ونشر نتائجه في مقالين (Cantineau 1936 , 1937).

وأشار إلى هذه اللهجات بالإسم الذي يعرف به متكلموها وأهلها الأصالى. وأطلق على لهجة موضوع دراستنا هذه إسم ف (الفضلية) ولكنه لم يعط أية تواريخ لنشوئها. كما قام بالإشارة إلى نتائجه اللغوية عنها في مواقع عدة هنا وهناك في عدة بحوث أخرى لاحقة (1936 ,1960 Cantineau 1946). وفي بحثنا هذا سنركز على (1936 Cantineau) بصورة رئيسية وذلك لدقة فحصها للفضلية بالمقارنة مع غيرها. وهكذا فقد تعطينا (Cantineau 1936) صورة عن حال اللهجة الفضلية لما كانت لهجة مستوطنة قبيل هجرتها وكما كان يحكيها الجوالنة في موطنهم وليس في مهجرهم بدمشق.

2.3.1.1.5 علل المهجرية الفضلية

يتشابه وصف (Cantineau 1936 : 43 – 46) لعلات اللهجة الفضلية فيما قبل الهجرة مع وصف الدمشقية السابق إذ تم الإحتفاظ فيها بكافة علل الفصحى مع نشأة علتين متوسطتين ، هما / إي / و أُو / عن المزدوجتين / أَي/و/أَو/ كما في بَيْت ← بِيْت ويَوْم ← يُوْم. ولا ترد المزدوجتان الأخيرتان إلا في السياقات التي يليهما فيها صوتا / – ي / و / –و / كما في سيَّج و زوَّر. وميز كانتنو بين عدد من الصيغ التى تتحول لها هذه العلل بناء على أسيقتها الصوتية ولكن هذه المتحولات المتباينة لا تهمنا هنا.

ولا تختلف مادتى الميدانية عن كلام المهاجرين عن هذا الوصف إذ تم الإحتفاظ بتلك الصورة عموماً. ولكن على الرغم من إحتفاظ المهجرية بعلل الفصحى فهنالك إختلاف واسع بين المهجرية والفصحى فى توزيع علاتها. ومثال ذلك العلتان القصيرتان / ـِ / و / ـُ / كما فى قل و أمِل اللتان تمدان فى كلام المهاجرين

فتصـيران / و / و / ي / كما فى قُول ومِيل. وهناك حالات مماثلة كثيرة غيرها. وليس بوسعنا تقصي هذه الفروقات هنا لإنها تخرجنا عن نطاق عملنا، ولذلك سنتركها على هذه الحال.

4.1.1.5 الخلاصة

يبين التحليل الوجيز والمقارن السابق للعلل فى اللهجات الثلاث انسجـامها فيما بينها ، ولا سيما المهجرية والشامية اللتان تتميزان بتطور العلتين المتوسطتين فيهما ، وهما / إيْ / و / أوْ /. ورغم صحة هذا القول عموماً فالصورة الصوتية الحقة معقدة تماماً، إذ يختلف توزيع العلل من لهجة لأخرى. وسأوضح ذلك بمجموعة من الأمثلة على بعض هذه العلات.

	فصحى	دمشقية	مهجرية
١. / ـُ ، ـِ /	غُرفه	غِرفه	غُرفه – غِرفه
	قُلت	إلت	كُلت – إلت
	خُبز	خِبز	خُبز – خِبز
٢. / ـَ ، ـِ /	ضَرب	ضَرب	ظِرب – ضَرب
	ضَعف	ضَعف	ظُعف – ضَعف
	ضَحك	ضَحك	ظِحك – ضحك
	قَمر	أَمر	كَمر–أمر
	تَرك	تَرك	تِرك – تَرك
٣. / ـِ ، ـَ /	عِندك	عَندك	عِندك – عَندك

توضح الأمثلة السابقة كيف تنقلب العلل القصيرة في الفصحى كـ / ـُ / مثلاً إلى / ـِ / فى الدمشقية فى حين تتناوب الصيغتان

في المهجـرية مع العلم أنها احتفـظت بالعلة الفصيحـة فى مواقعها الأصلية. وهذا ينطبق على بقية الأمثلة.

ورغم وجـود الإختلافات بين اللهجات السابقة فإننا لن نقوم بدراسـة العلل فى هذا العمـل. وليس لدي سبب لذلك سوى أن المتغيرات الساكنة أبرز منها وأظهر. كما أن الصيغ المتحولة للعلات محدودة فى توزعها فهي تقتصر على سياقات صوتية معينة. ومع ذلك فهذا لا يجيز لنا بأي حال استبعادها من تحليلنا اللغوي الإجتماعي وعلى الأبحاث القادمة أن تعالج هذه العلل ، ولا سيما تلك التى تفرق بين الشامية والمهجرية ك / ء /، و / ً / و / ـ /. وأما عن ملاحـظاتي على كلام المهـاجـرين فهي قيامهم بإستعـمال علاتهم الأصلية بالتنـاوب مع علات الفصحى والشـامية. وهذه ملاحظات بحاجة إلى الإثبات التجريبي لها.

2.1.5 السواكن

1.2.1.5 تقديم

تكمن معظم الفروقات بين اللهجات الثلاث فى سواكنها. ولن يكون بمقدورنا إعطاء وصفاً، مهما كان مختصراً، لهذه السواكن جميعها لأن ذلـك يخرجنـا عن حدود بحثنـا. ولـذا فإنـا نحيل القـارىء المهتم إلى الأعـمال المـذكـورة أعـلاه (1.1.5 – 3.1.5) إذا ما أراد صورة أعم وأشمل. فما سأقوم به فى بقية هذا الفصل هو ذكر وتعريف المتغيرات السـاكنة التى تشكل موضوع تحليلنا اللغوي الإجتماعي فيما بعد (الفصول ٦ – ٩). وكان اختيار هذه المتغيرات بحسب المعايير التالية:

١. معـرفتي بالفضلية المهجـرية كلهجـة أولى لي وبالشامية

كلهجة ثانية وبالفصحى كلهجة عليا.

٢. الدراسات الآنفة الذكرحول هذه اللهجات.

٣. الدراسات اللغوية الإجتماعية عن لهجات العرب في بلادهم.

٤. بروز هذه المتغيرات ونفورها.

٥. استطاعة كل من هذه المتغيرات على التفريق بين إثنتين من هذه اللهجات على الأقل.

وهكذا تم لنا إنتقاء سبعة متغيرات صوتية وواحداً صرفيا وتعريفها على هذا الأساس. وفيما يلي سنناقشها متغيراً متغيراً وفى كل لهجة على انفراد.

2.2.1.5 المتغيرات الساكنة

1.2.2.1.5 المتغيرالصوتي (ق)

1.1.2.2.1.5 / ق / / فى الفصحى

إختلف قدامى النحاة ومحدثوهم حول طبيعة الصوت / ق / فى ثلاثة أمور: (١) المخرج، (٢) الجهر، (٣) الحلقنة. وسنتناول هذه الأمور واحداً واحداً.

أولاً قدماء النحاة. لم يذكروا المخرج الدقيق لنطقها علمًا أنهم حددوا لها مخرجاً خلفياً. فحسب رأي سيبويه (ت. ١٧٧ / ٧٩٣ م) في كتابه الذي يعد أقدم وأكمل تحليل للعربية (Semaan 1968:38)، يكون مخرجها من 'مؤخرة اللسان ومايليه من الحنك' (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٢٣). ولم يفصل أكثر من ذلك. وهل مخرجها المقصود من الحنك أو اللهاة؟ ويرى ابن سينا (ت. ١٠٣٨ م) أن مخرج / ق / نفس مخرج / خ / ولكن الأولى أعمق في الفم من

الأخـــرى (Ibn Sina 1968 : 38). واكـــتـــفـــى ابـن جنـى (ت. ٣٤٠ هـ/ ١٠٠٢ م) بالقـول بخـروج القاف من مؤخرة اللسان (ابن جنى ١٩٥٧ : ٥٢) من دون ذكر الجزء المقابل لها من الحنك فى هذه الـعـملية (قـــارن Bakalla 1982:71). وردد الـــزمخشـــري (ت. ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) تعـريف سيبـويه حرفياً (الـزمخشري ١٢٩١ : ٢٦)؛ في حين جمع شارحـــه ابـــن يعـــيش (ت. ٦٤٨ هـ/ ٥٤٢ م) ، القاف والكاف في 'نفس المخرج' ، الذي وصفه 'باللهوي' (ابن يعيش، مجلد ١٠ : ١٢٦).

وأمـا عن صفـاتهـا الأخـرى ، فأجمعـوا على جهرها (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٤ ابن جنى ١٩٥٤ : ٦٩ ؛ ابن سينا ١٩٦٣ : ٣٨ ؛ الزمخشري ١٢٩١ : ٢٢٠ ؛ وابن يعيش ١٠ : ١٢٩)؛ وشـدتها (سيبـــويه ١٩٧٥ : ٤٣٤ ؛ ابن جني ١٩٥٤ : ٦٩ ؛ ابن سينـــا ١٩٦٣ : ٣٨ ؛ الـــزمخـــشـــري ١٢٩١ : ٢٢١ ؛ ابـــن يعـــيش ١٠ : ١٢٩)؛ وتـفـخيمهـــا (سيبـــويه ١٩٧٥ : ٤٣٦ ؛ ابن جني ١٩٥٤ : - ٧ - ٧١ ؛ الزمخشري ١٢٩١ : ٢٢١ ؛ ابـن يعـيش ١٠ : ١٢٩). وبـالتفخيم كانوا يقصدون رفع اللسان نحو الحنك الأعلى ؛ وهو ليس حبسة أولية بل ثانوية فى نطق / ق / . (ولمزيد من التفاصيل عن التفخيم انظر 1.1.4.2.2.1.5 أدناه).

ثانيا النحاة المحدثون. وهؤلاء نظروا فى تعريف القدامى للقاف وأجمعوا فى تعريفهم لها على لهوية مخرجها (Gairdner 1925:15,26 ; Ghazeli 1977: 54 ; Al-Ani 1970:32) ويستثنى منهم (Cantineau, 1960: 27 ,147) فى عدها لهوية أو لهوية-طبقية معاً. وعرف (Ghazeli 1977:54) مخرج القاف فى بحثه الصوتى الشيق عن مخارج السواكن الخلفية وأطيافها وتصويراتها كالآتى:

يتميز هذا الساكن بحركة علوية خلفية لمؤخرة اللسان تنتهي بانطباقها على اللهاة. وينشأ عن الحركة التصاعدية للسان أيضا ارتفاع ضئيل للحلق (٢١٥ مم) والعظم اللامي (٣ - مم). كما ينشأ عن هذه الحركة الخلفية بلوغ تضييق فوهة الحلق أقصاها (٤ - ٥ مم) ، ويحدث هذا بين اللهاة وجدار الحلق الخلفي.

واختلفوا عن القداف في كونها مهموسة (Gairdner 1925:15 (Al-Ani 1970:32 ; Cantineau 1960:27; . وبهذا الصدد انتقدهم (Cantineau 1960:3) بقوله:

وضع سيبويه والزمخشري القاف بين الأصوات المجهورة. ولكن لفظها الصحيح مهموس فى العربية القديمة الفصحى. ولكن المحدثين انقسموا على أنفسهم بخصوص تفخيم القاف. فمنهم من يرى ذلك (Cantineau 1960:27; Gairdner 1925:107 Delattre 1971 ; Jacobson 1958:516-17 ;) ومنهم من يضاد هذا الرأي (Ghazeli 1977:171; Al-Ani 1970:40) فهذا الأخير (ص ١٧١) يجادلنا مقنعا بأنه:

ليس لتصنيف القاف بين الأصوات المحلقنة من مسوغ وتناطقي. فهي ذات مخرج لهوي؛ وأما السواكن المحلقنة فذات مخارج أسنانية-لثوية أو فيما بين الأسنان ويصحبها في ذلك تراجع ثانوي للسان. وفوق ذلك ففي حين تظهر السواكن المحلقنة ارتباطها بمدى الأثر الخلفي من اليسار لليمين وبالعكس فإن الأثر الخلفي للقاف إنما يرتبط بعلة واطية مجاورة لها.

(ولمزيد من التفاصيل راجع Ghazeli 1977,146-47, 58-64). وإن موقف الغزالي هذا بشأن فصل القاف عن السواكن المحلقنة مما أيدته

الدراسات الصوتية الحديثة حول ظاهرة الحلقنة في العربية ، والتي استخـــدمت الـطرق التجـريبية (Ahmed 1984) أو الفيزيائية أو الصدوية (Card 1983).

وأخـيرًا فإن النقـطة الـوحيدة التي اتفق القـدامي والمحدثون (Cantineau 1960: 174; Al-Ani 1970:32) فيها هي طبيعة القاف المنفجرة أو الشديدة.

وفي بقية هذا العمل سنعتمد تعريف (Al-Ani 1970:32) للقاف ، القائل بهمسها ولهويتها واحتباسها. ويتوافق هذا التعريف مع نتائج الأبحاث الصوتية الأخيرة السالفة الذكر ، سواء كانت تجريبية أم صدوية.

2.1.2.2.1.5 وضعها العامي

1.2.1.2.2.1.5 الوضع العامي تاريخيًا

لم يعن قدامى نحـاة العـربية بلهجاتها الدارجة التي مابدأت دراستها إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فصاعدًا (انظر Johnston 1963 ; Cantineau 1936 , 1960). ولكنهم عنـوا باللهجة الفصحى الرفيعة التي بها نزل القرآن الكريم وقيل فيها الشعر. ومع ذلك كانوا يذكرون على نحو عابر بعض الصيغ الشاذة والمطعونة التي كانت شائعة في لهجات معينة آنذاك. وتفسير هذه الصيغ أمر صعب جداً لغموض إشاراتهم وملحوظاتهم ونقصها الشروحات والكتابات الصوتية.

وفي حالـــة القـــاف فيجـــوز لنـــا الإفـــتراض بتغـــايرهـــا مع / ڭ / , / ك / , و / ج / في اللهجـات العـربية القـديمة والمستطعنة ولو أن أحداً من النحاة القدامى لم يشر إلى ذلك صراحة.

فذكر سيبويه (١٩٧٥ : ٤٣٢) وابن جني (١٩٥٤ : ٥١) وابن فارس (١٩١٠ : ٢٥) وابن يعيش (١٢٥ - ١٢٧) وابن سينا (١٩٦٣ : ٥١) صوتـا مطعـونـا يلفظ بين الكاف والجيم. وفسره المحدثون (Bakalla 1982: 84; Semaan 1963:51, Cantineau 1960: 57) بأن المقصود به صوت / ݣ / . ويرى (Bakalla 1982: 84) أنه صوت / ݣ / لما له من صفة الجهر الموجودة في / ج / والخواص النطقية لـ / ك / .

ولكن قصـر هذا التفسـير على /ݣ/ وحدها أمر ضيق جداً. فهنـالـك الكثـير من اللهجـات العـربية الحـديثـة التى تستبدل / ق / بـ / ك / أو التي تستبـدلـه بـ / ج / في سياقات صوتية معينة. أكتفي بهذا القدر من المناقشة لأنه لا طائل من المجادلة في مسألة تاريخية ينقصنا الدليل المادي عنها.

وأخيراً يجدر بنا أن نذكر ما أورده ابن السكيت في كتابه (٦٠ ورقة) الذي يدور على مسألة الإختلاف الصوتى فى الفصحى حيث تتبدل بعض الأصوات في كلمات معينة دون فقدانها معانيها. فذكر عدة كلمات تتناوب فيها /ق/و/ك/. مثلاً: دمق – دمك ''الضرب على الصـدر''، قشط–كشط 'الحـك' إمتقّ–إمتكّ–'رضع'، عربي قح–كـح 'أصيل'، قاتعـه– كاتعـه ''قـاتله'' (ابن السكيت ١٩٠٣ : ٣٧ ، ابن جنى ١٩٥٤ : ٢٧٨).

ولم يلمح ابن السكيت إلى طعن منزلة هذه المتحولات والصيغ إطـلاقاً. وهذا الدليل على إختلاف / ق–ك / مما يؤيد فرضيتنا التى ذهبنا إليها بخصوص تحول القاف كافاً في قديم اللهجات العربية.

2.2.1.2.2.1.5 الوضع العامي الحاضر

1.2.2.1.2.2.1.5 / ق / في الدمشقية

في لهجـة دمشق أصبحت القـاف همزة ، وهذه صوت حنجري مهموس حبيس (Ambros 1977:8 – 9 ; Cowell 1964:4 – 5 ; الخ). مثـلاً / قمـر – أمر ؛ قلم – ألم ؛ ... / . ولا يحتفظ بالقاف إلا في المستعارات الطفيفة من الفصحى كما في القرآن (Ambros 1977:9 ; Cowell 1964:4).

ولا يعرف متى ظهرت / ء / ولم يتطرق البحاثة إلى ذلك. ويرى من بحثوا في اللهجات العربية الأخرى ذات الظاهرة عينها اندماج /ق / مع /ء / تماماً بحلول القرن الثامن عشر (Garbel 1958: 318 كما أورده عبدالجواد ١٩٨١ : ١٨٤).

وتشير الأبحاث الأخيرة عن توالد اللهجات بالعربية (Thomason and Elgibali 1986:328) إلى القـرن الحادي عشر الميلادي ، ففيه اسـتبدلت / ق / بـ / ء / في اللغة المكتوبة للأفريقيين الشماليين من ذوي الأصل اللاعربي وفيما يعرف بموريتانيا اليوم.

وحسب ملاحـظاتي ومادتي الميدانية عن لهجة دمشق وماحولها فكلها تشير إلى عدم إقتصار /ق/ على الإستعارات الفصحى علماً أن / ء / أكثر المتحـولات سماعاً في أحاديث الناس اليومية. وفي الحقيقة تتناوب / ق / مع / ء / في معظم الكلمات فيها ، كما في / أمر – قمر ؛ ألم – قلم ؛ الخ / .

2.2.2.1.2.2.1.5 / ق / في الفضلية المهجرية

لاحظ (Cantineau 1936: 28 – 29) في وصفه للفضلية قبل هجرتها انعدام /ق/ فيها اطلاقا واستبداله بـ/ گ/ ، وهي طبقية مجهورة حبيسة، و/

ج / وهي حنكية اصطكاكية مجهورة.

وأشـار إلى أن تبـادل ك/و/ج/ محكوم صوتها: تتحول/ك/إلى/ج/ بمجـاورة (١) العلل الأمـامية كما في/بـريج، رفيج: ... /، (٢) السواكن المرققة كما في/عرج/. ويتعطل الاستحناك بمجاورة (١) العلل الخلفية كما في / كول / (وليس جول) ، و (٢) السواكن المفخمة كما في/كصيرة). (وليس جصيرة). وهناك بعض الحالات القليلة جداً التي يخضع التحنيك فيها إلى قيود صرفية معينة. ففي صيغ المضارع والماضي للفعـل/يكف/و/وكف/، تأتي/ك/طبقية في حين تأتى صيغـة اسم الفـاعل/واجف/بالجيم الإصطكاكية. ويصدق الشيء ذاته على صيغة الإسم المفـرد/جدر/بـ/ج/بينما جمعها/كدور/بـ/ك/. وأخيراً صيغة مضارع الفعل/كعد/بـ/ك/واسم فاعلها/جاعد/بـ/ج/.

ويبـدو أن عمـل ظاهـرة الإستحناك أمر قياسي في ظل تلك الشروط الصوتية التي لم يذكر لها أية إستثناءات: إلا أن (Cantineau 1936:38) اندهش لانعدام التحنيك في كلمتي/ شركن/ و/ مشرِّك/ رغم أن ما يلي الساكن الطبقي فيهما علة أمامية.

وأخيرًا قام (Cantineau 1936:30) بذكر ثلاث كلمات في إحدى هوامشه يكون لفظها بـ / ك / أو / تش / ، وهي / كتل- تشتل/ و /تشتب / .

والآن نأتى إلى مادتى الميدانية عن كلام المهاجرين. فلئن كانت تساند ماذهب إليه كانتنو فإنها تظهر أن الصورة السابقة لم تعد كما كانت عليه فى الماضي. فلم يدخل المهجرية صوت / ق / فحسب بل صوت / ء / كذلك ، وهما في تناوب متواصل مع بعضهما إضافة إلى الصـوتين المهجريين الأصليين / ك / و / ج / . ومن الأمثلة

على ذلـــك/قـال– آل – كَال /،/ قليل – أليل – كْليل – جليل / .
وينضـــاف إلى هذه الصيغ المتحـــولـة مجمـوعـة أخـرى أثبتنـاهـا ، وهي / ك / و / تش /وينحصـران في كلمتـين أو ثلاث ، هي/وكت ، كتل، تشتل ، كتلة ، تشتلة / ، وكلها وردت أيضا بـ / ق ، كَ ، وء / .
وكـذلـك صوت / ج / كما في كلمة / جاعد / وصيغه الزمن الحاضر المـــســتــمـــر كما في / جاعـــد أكــتــب/، وقـــد يتـحـــول هذا إلى / ت / أو / د / (أي / تاعـد / داعد ... /). ولما كانت المتحولات / ك ، تش ، د ، ت / نادرة في ورودها ، فلن نتطرق إليها في تحليلنا بعد الآن.

وبناء على النقاش السابق للمتغير (ق) وتوزعه في اللهجات الثلاث ، قمنا بتحديد أربعة مستغيرات له في اللهجة المهجرية. وهذه ملخصة في الجدول 1.5 أدناه.

الجدول 1.5 مستغيرات (ق) في اللهجة المهجرية

المستغير	اللهجة الأصلية	المنزلة اللغوية الإجتماعية	الأمثلة
١. [ق]	الفصحى	فصيح، رفيع، رسمي ، خطابي ، مكتوب	قال
٢. [ء]	الشامية	عامي ، محلي ، دانىء ، شفوي	آل
٣. [ك]	الفضلية	عامي ، مهجري ، دانىء شفوي	كَال
٤. [ج]	الفضلية	عامي ، مهجري ، دانىء شفوي	رفيج

وفي الفصول القادمة سنقدم تحليلاً لغويا إجتماعيا لتخالف هذه الصيغ وتناوبها في لهجة المهاجرين.

2.2.2.1.5 المتغير الصوتي (ك)

1.2.2.2.1.5 / ك / في الفصحى

إن تعـريف مخرج الكاف غامض وعويص ومتناقض في كتب قدمـاء نحـاة العـربية الفصحى. فعند سيبويه (١٩٧٥ : ٤٣٣) يكـون مخرجها من ذلـك الجـزء من اللسـان الـذي هومخـرج القـاف ومـا يقابله من الحنـك الأعـلى . وتقع عدم دقة تعريفه في عدم تحديد المخرج المقصود للكاف : أطبقية هي أم لهوية؟ ولم يصب أيضا في قوله بأن مخرج الكاف وراء مخرج القاف ، وهذا ما رفضه العلماء المتأخرون. ولا يختلف تعريف ابن جني (١٩٥٤ : ٥٢) عنه في تناقضه الذي يرى أن مخرج الكـاف تحت مخرج القـاف وهـو أقرب إلى مقدمة اللسان. فتناقض تعريف ابن جنى واضح فلا يمكن أن يكون مخرج الكاف قبل القاف وبعدها مباشرة في وقت واحد. وأما عدم دقته فلأننا لا ندري هل كان مخرجها اللهاة ام الطبق. ولكن شارح ابن جني المعـاصر ، (Bakala 1982: 71)، حدد الطبق مخرجاً لها رغم اعترافه بغموض وعدم دقة أستاذه. ولئن وضع متأخرو النحاة مخرج الكاف بعد القاف إذا ما ابتدأنا من مؤخرة الفَم باتجاه مقدمته إلا أن عدم الـدقـة في تعيين مخرجهـا الصحيح لا زالت قائمـة. فهـذا وصف الزمخشرى (١٢٩١ : ٢١٩) لمخرجها: من مؤخرة اللسان والحنك الأعلى؛ ويكون اتصال الحنك واللسان قبل مخرج القاف مباشرة. فلا يحدد هذا التعريف المنطقة الحنكية العلوية التي تخرج / ك / منها بدقه (لهوية أم طبيقة). ولعل هذا الذي حدا بشارحه ، ابن يعيش (١٢٤) لأن يعطي / ك / و / ق / مخرجاً لهوياً مع كون الأولى أقرب إلى مقدم الفم من الأخرى.

وبالنسبة لجهرها وهيئة نطقها، فقد أجمع قدامى النحاة على كونها

مهمـوسـة حبيسـة (سيبـويه ١٩٧٥ : ٤٣٤ ؛ ابـن جني ١٩٥٤ : ٦٨ - ٦٩ ، الزمخشري ١٢٩١ : ٢٢١ ؛ ابن يعيش ١٠ : ١٢٩).

وماذا عن الدراسات الصوتية الحديثه للعربية الفصحى؟ حددت الإنـطبـاعية منهـا (Cantineau 1960:174 , Gairdner 1925:15, 25) مخرجاً واحداً للكاف في اللغات العربية والانكليزية والفرنسية حيث تضـرب مؤخـرة اللسان الحنك اللين أو الطبق وأثبتت ذلك دراسة (Al-Ani 1970: 32) لأصوات العربية صدويًا وتشريحيًا. كما زاد العانى أيضاً نشـوء صيغة مستحنكة للكاف لتجاورها مع العلل الأمامية العلوية / ِ / و / ي / ونـظراً لتقـدم اللسـان في تهيئـه لنطقها. وأخـيرًا فإن علماء الأصـوات المحـدثون يتفقون مع القدامى على خاصتي الهمس والحبس لها.

وسنعتمد في دراستنا التعريف الكامل الآتي للكاف : وهي ساكن طبقي حبيس منفوس مهموس – وهذا هو وصف (Al-Ani 1970: 22) لها.

2.2.2.2.1.5 الوضع العامي

1.2.2.2.2.1.5 الوضع العامي التاريخي

على الرغم من انعدام تدوين اللهجات العربية العامية القديمة ، يمكننا القول بوجود صيغة مطعونه للكاف ، وهي / تش / – وهي حنكية اصطكاكية مهموسة. ولدينا دليلان على هذا القول : فأولها على المستوى الصوتي إذ أشار كافة النحاة القدامي إشارة بسيطة إلى صوت يمكن تفسـيرة بـ/تش/،ومنهم سيبـوية (١٩٧٥ : ٤٣٢)، وابن جنى (١٩٥٤ :٤) والزمخشري (١٢٩١ : ٢٢٠) وابن يعيش

(١٢٧)، وهؤلاء أشاروا إلى صيغة مطعونة تلفظ/ج/ولم يزيدوا على ذلك الشرح. كما قال ابن فارس (١٩٠١ : ٢٥) ، بوجود صيغة مطعونة للكاف تلفظ كـ /ش/ولكنه لم يعط أية أمثلة. ويعد ابن سينا (١٩٦٣ : ٥١) الصوتي القديم الوحيد الذي أشار إلى/تش/ بوضوح مذ أنه كان يتكلم العربية والفارسية. ومما يجدر بنا ذكره هنا هو إن ابن سينا لم يؤكد على كون/تش/صوتا عربيًا حقاً مرتبطاً باللهجات العامية في عصره بل قال عنه أنه فارسي. وكما يقول(١٩٦٣ : ٥١): ''وهناك الصوت الفارسي أيضاً الذي يشبه/ج/في العربية كما في الكلمة الفارسية/ تشاه/بمعنى بئر.''

وعلى الرغم من عدم قطعية ملحوظه ابن سينا ، فإن تعدد الأدلة المختلفة يمكننا من إعادة تركيب /تش/ . فهناك نحويون محدثون قبلوا بهذه النقطة (مثلاً Cantineau 1960: 65 ، والمصادر فيه، وقارن أيضا Bakalla 1982: 84).

والدليل الثاني على وجود/تش/في اللهجات العربية القديمة علامة صوتية صرفية سنتناولها بالتفصيل وعلى انفراد في (1.2.3.2.2.1.5) أدناه.

وعلينا ألا تفوتنا الإشارة أخيراً إلى ما أورده ابن السكيت من الكلمات التى يتناوب فيها صوت الكاف مع غيره من الأصوات مع احتفاظها بمعانيها وثباتها. وهذه هي:

(١). / ك / - / ج /	(٢) . / ك / - / ف /
سيهك – سيهج (حدة الذهن)	حسافل – حساكل (الذرية الصغيرة)
يرتك – يرتج (يتأرجح)	حسيفة – حسيكة ((عداوة))
سك – سج (إسهال)	(ص ٣٦)
(ص ٣٨)	

ولاحظ ابن جني (١٩٥٤ : ٢٨) تحول الكاف تاء – وهي علامة الضمير المتصل المذكر المفرد المخاطب. فمثلاً / أحسنت – أحسنك ، عصيت – عصيك / . وقال ابن جني أن تغاير الكاف والتاء ضرب من التماثل وينشأ نتيجة تشابه صوتي / ك / و / ت / في همسهما ولكنه لم يشر إلى إمكانية تعميم هذه القاعدة أو إقتصارها على هذين المثالين فقط. كما أشار ابن جني (١٩٥٤ : ٢٨) إلى إضافة / ك / إلى صيغة جمع كلمة هناديك. ومفردها هندي ، نسبة إلى الهند.

2.2.2.2.2.1.5 الوضع العامي الحالي

1.2.2.2.2.2.1.5 / ك / في لهجة دمشق الشام

تحتفظ لهجة مدينة دمشق بصوت / ك / دون تغيير ، وهو ساكن طبقي حبيس مهموس. ومثاله كلب، كنت، كيف، الخ (انظر Ambros 1977 : 8 – 9 ؛ Grotzfeld 1965:5 ؛ الخ).

وتؤيد مادتي الميدانية هذا التصوير. وأريد أن أشير أيضاً إلى إحتفاظ اللهجات المجاورة لمدينة دمشق من مثل قطنا، الخ بالكاف سالمة.

2.2.2.2.2.2.1.5 / ك / في لهجة الجولان الفضلية المهجرية

أشار (Cantineau 1936:28–39) إلى تغاير الكاف – طبقية حبيسة مهموسة – مع / تش / في الفضلية قبل هجرتها. وتأتي / ك / بمجاورة (١) العلل الخلفية كما في كُل ، كره ، و (٢) السواكن المفخمة كما في صك. وتتحول الكاف إلى / تش / – حنكية إصطكاكية مهموسة – بمجاورة (١) العلل

الأمامية مثل تشلب ، تشِنت ، و (٢) السواكن المرققة مثل تشلاب.

كما ذكر (Cantineau 1936:39) إستثناءات قليلة يبطل فيها عمل القاعدة الإصطكاكية نظراً لبعض التضاورات الصرفية كما يحصل في (١) صيغ المفرد والجمع كما في تشتف، كتوف، (٢) صيغ الماضي والحاضر للأفعال كما في رتشب، يركب، و (٣) صيغ اسم الفاعل واسم المفعول كما في راتشب،مركوب. ولم يذكر إلا إستثناءة واحدة تتحول فيها/ك/إلى/تش/في سياق العلة الخلفية أصلاً وهذه هي كلمة كلوه ← تشلوه.

ولا يزال هذا الحال صحيحاً إذا ما طبق على كلام المهاجرين علمًا أن عمل قاعدة الاصطكاك ليس مقيدًا صوتيًا بالضرورة إذ أن / ك / و / تش / يعملان عملهما في الكلمات ذاتها كما في كنت ، تشنت (وللإفاضة في التفصيلات عن تحليل الكاف لغويًا انظر الفصل السادس أدناه).

ففي ضوء الـوصف السابق للهجات الثلاث المرتبطة بالموقف اللغوي المهجري،يمكننا عزل صيغتين للمتغير (ك). وهاتان مبينتان في الجدول 2.5 أدناه.

الجدول 2.5 أنواع الكاف في لهجة المهجر

المستغير	اللهجة الأصلية	المنزلة اللغوية الإجتماعية	الأمثلة
١. [ك]	اللهجات الثلاث	فصيح، رفيع، رسمي، محلي، عامي، مهجري	كنت
٢. [تش]	الفضلية	مطعون، مهجري، دافئ	تشنت

وسنبحث في طبيعة التنوع اللغوي الإجتماعي لهاتين الصيغتين في اللهجة المهجرية في الفصول القادمة.

3.2.2.1.5 المتغيرالصوتي الصرفي (-ك)

1.3.2.2.1.5 في الفصحي

إن العلامة الصوتية الصرفية / - ك / هي الضمير المتصل المؤنث المخاطب. ففي الفصحى لا يتغير العنصر الساكن في هذا الضمير بتغير الجنس ، ولكن ذلك يشار إليه من خلال تغييرات تطرأ على العلات بدلاً منه. مثلاً:

المذكر	المؤنث
منكَ (مفرد)	منكِ (مفرد)
لك (׳)	لكِ (׳)
لكم (جمع)	لكن (جمع)

فتبين هذه الأمثلة بقاء العنصر الساكن [- ك] لهذا الضمير على حاله سواء في الإفراد أو الجمع. وتستخدم العلتان / ِ /، و/ َ / للتمييز بين صيغ المذكر والمؤنث له في حاله الإفراد. وفي الجمع تكون [- م] للمذكر و[- ن] للمؤنث.

2.3.2.2.1.5 الوضع العامي

1.2.3.2.2.1.5 الوضع العامي التاريخي

ذكر قدامى النحاة باختصار ظاهرتين صوتيتين اصطكاكيتين مطعونتين، هما الكشكشة والكسكسة (ابن جني ١٩٥٤ : ٢٣٥ ؛ ابن فارس ١٩١٠ : ٢٤ ؛ الزمخشري ١٢٩١ : ١٨٣ ؛ ابن يعيش ٤٨ - ٤٩ ؛ السيوطي ١٣٣). وكانتا تصيبان ضمير المؤنث المتصل في اللهجات العربية القديمة. والمقصود بالكشكشة استبدال الكاف بالشين ؛ وبالكسكسة بالسين. ومن هنا جاءت التسمية. فمثلاً تصبح صيغة الكشكشة لـ منكِ منش وكسكستها منس. وزاد

السيوطي على ذلك بقوله بإمكانية إضافة الشين والسين دون حذف الكاف. أي كقولنا منكش ومنكس. وربما كانت الظاهرتان شائعتين جداً في اللهجات العربية القديمة التي ذكرها بعض النحاة السابقين رغم اختلافاتهم في تسمياتهم (كما عند ابن فارس والسيوطي). فما وصفه أحدهم كسكسة وصفة آخر كشكشة في اللهجة عينها.

2.2.3.2.2.1.5 الوضع اللهجوي الحاضر

1.2.2.3.2.2.1.5 /-ك/ في الشامية

احتفظت الدمشقية بضمير المؤنث المخاطب المتصل احتفاظاً كاملاً (Ambros 1977:31). ويكون التمييزبين صيغ التذكير والتأنيث بتغيرات في العلل المرتبطة به، كما في الأمثلة الآتية.

المذكر	المؤنث
إسمَك (مفرد)	إسمِك (مفرد)
أساميكو (جمع)	أساميكو (جمع)

ففي هذه الأمثلة يتضح بقاء العنصر الساكن دون تغيير عند الجنسين وفي العددين، ولا تتميز صيغة المؤنث عن المذكر إلا في حالة المفرد وذلك باستخدام العلتين / ـِ وـَ / قبل الكاف.

وهذاما أكدته مادتي الميدانية التي قمت بجمعها عن لهجة دمشق والمدن المحيطة بها.

2.2.2.3.2.2.1.5 / -ك / في الجولانية المهجرية

لاحظ (Cantineau 1936: 72) أن العنصر الساكن في الضمير المتصل المؤنث المخاطب في الفضلية قبل طردها هو [- تش] وللمذكر [- ك] كما في الأمثلة الآتية.

المذكر	المؤنث
أبوك (مفرد)	أبوتش (مفرد)
إساميكم (جمع)	إساميتشن (جمع)

ويمكننا القول بأن استخدام [- تش] للإشارة إلى ضمير المؤنث المخاطب في الجولانية يشبه الكشكشة في اللهجات العربية القديمة المذكورة آنفا (وعن كسكسة اللهجات العربية الحديثة انظر Cantineau 1936,1937).

وفي مادتي الميدانية عن اللهجة المهجرية لضمير المتصل المؤنث المخاطب صيغتان، وهما [–تش]، و [–ك] تبعا للعوامل الإجتماعية الأسلوبية المؤثرة فيه، وكل ذلك يفعل الاتصال فيما بين الدمشقية والفضلية منذ ١٩٦٧ . وأمثلة ذلك:

أبوتش - أبوك (مفرد)

إسمتش - إسمك (")

إساميتشن - إساميكن (جمع)

وبناء على هذا الوصف قمنا بتمييز صيغتين لهذا الضمير أو الصوت الصرفي / - ك / في اللهجة المهجرية. ويبينهما الجدول 3.8 أدناه.

الجدول 3.5 صيغ (- ك) في اللهجة المهجرية

المستغير	اللهجة الأصل	المنزلة اللغوية الإجتماعية	الأمثلة
١. [–ك]	الفصحى والدمشقية	فصيح، رفيع، محلي	إسمكِ
٢. [–تش]	الجولانية	عامي، مطعون، داني	إسمِتش

وسنناقش في الفصول التالية تغاير هذين المستغيرين بحسب الموازين اللغوية والإجتماعية والأسلوبية.

4.2.2.1.5 المتغير (ض)

1.4.2.2.1.5 في الفصحى

1.1.4.2.2.1.5 الوضع الصوتي للسواكن المحلقنة في العربية

إن الطبيعة الصوتية للمحلقنات في العربية مثار جدال بخصوص العمليات اللفظية المصاحبة لنطقها وعددها فيها. وفيما يلي سنعرض باختصار لآراء النحاة القدامى والصوتيين المحدثين في هذا الباب.

أولا النحاة القدامى. وهؤلاء ميزوا نوعين من أنواع النطق الخلفي الثانوي الذي يصطحب نطق ما يسمى بالسواكن المفخمة.

فالأول هو الإطباق ويعني رفع مؤخرة اللسان نحوالحنك الأعلى، وهذا هو رأي سيبويه (١٩٧٥ : ٤٣٦) وابن جني (١٩٥٤ : ٧٠)، والزمخشري (١٢٩١ : ١٢٢١)، وابن يعيش (١٢٩). ولم يحددوا أكان المقصود بالحنك الأعلى الطبق أم الحنك؟ والإطباق عبارة عن تضيق (مخرج) ثانوي يلازم تضيقاً أولياً عند لفظ السواكن المفخمة ، وهذا الأخير إما أن يكون لثويا أو أسنانياً. أي أن لكل ساكن مفخم مخرجي نطق متزامنان معًا، أحدهما أسناني أو لثوي والآخر إما طبقي أو لهوي. وبهذه الطريقة حددت أربعة سواكن مفخمة أساسية، وهي / ط ، ض ، ص ، وظ / ويقابلها من السواكن العادية / ت ، / ، س ، وذ / لكل / منها باستثناء / ض / فليس لها مقابل.

وأما التضيق الخلفي الثانوي فهو الإستعلاء ويعني رفع اللسان باتجاه الحنك سواء بالإطباق أو بدونه (الزمخشرى ١٢٩١ : ٢٢١ ؛ ابن جني ١٩٥٤ : ٧١؛ ابن يعيش ١٢٩؛ سيبويه ١٩٧٥ : ١٢٩).

ويشتمل هذا النوع على سبعة سواكن ، وهي / ق / ، لهوي

حبيس ، و / خ / ، احتكاكي طَبقي مهموس ، و / غ / ، احتكاكي طبقي مجهور ، بالإضافة إلى الأربعة السابقة. والسبب في ضم القاف والخاء والغين إلى نفس الطبقة الطبيعية للطاء والضاد والصاد والظاء لا يعود إلى عوامل نطقية مخرجية بل إلى إبطال رفع الألف إلى الياء بجوارهـا . وهـذه عملية إجبارية مستطعنة في غيرها من المواضع (سيبويه ١٩٧٥ : ١٢٩ ؛ ابن جني ١٩٥٤ : ٢١٨). وتعرف عملية رفع الألف بالإمالة.

استرعت ظاهرة التفخيم اهتمام الصوتيين المحدثين (انظر 1984 Ahmed لعرض موسع). فلم تكتف بواكير الأبحاث الحديثة عن التفخيم في العربية بزيادة عدد السواكن المفخمة من خلال إضافة [ب] ، [م]و ، و [ل] ، الخ (انظر Cantineau 1936,1937,1960 ; Jakobson 1957) بل أخـطأت في تعيين الطبق مخرجاً ثانوياً للفظها (Gairdner 1925:15,20). كما أن (Cantineau 1960:23) التزم بتعريف النحاة القدامى لها دون أية إضافات.

ولكن الدراسات الصوتية التشريحية والصدوية والتجريبية عن الحلقنـة في العـربية (Card 1983 ; Ghazeli 1977 ; Al-Ani 1970 ; Ahmed 1984) أبت إضـافة أية أصوات إلى السواكن المحلقنة سوى / ط ، ض ، ص ، ظ ، وز /. وبينت أن التضيق (المخرج) الخلفي الثانوي المصاحب للفظها ليس بالطبق بل بالحلق – ومن هنا جاءت تسميتي لها بالحلقنـة. ويمكن تلخيص الصفـات الأساسية للحلقِنة بإيجاز كالآتي:

مخرجياً تتكـون الحلقنـة من عمليتـين متـزامنتـين: إحـداهمـا تضيق أمـامـي أولي والأخـرى خلفـي ثانـوي، وكلتـاهمـا مرتبطتان باللسان (Ghazeli 1977:68). فبينما يختلف التضيق الأولي

من محلقن إلى آخـر، فإن الثـانـوي مشترك بين المحلقنات كلها ، وينطوي على : '... حركة تراجعية لمؤخرة اللسان نحو الجدار الخلفي للحلق بمستوى الفقرة العنقية الثانية، (Ghazeli 1977:72).

وأما عن الشكل الجواني للفم أثناء الحلقنة ، فما يحدث فيه حسب ملاحظة (Ghazeli 1977:72) هو:

هبوط لظهر اللسان الحنكي الذي ينجم عن (أو ينجـم منه) تراجع مؤخرة اللسان... وتكون نتيجة هذه الحركات ازدياد التجويف الفموي لشكل الجهاز الصوتي (بين سطح اللسان والحنـك الأعـلى) وتنـاقص التجويف الحلقي فوق اللهاة بالمقارنة مع نظائرها من الأصوات غير المحلقنة ...

وأظهـر (Ahmed 1984) في دراسته للحلقنة من خلال تصوير الحنك كهربائياً وجود فروق في تماس اللسان والحنك بين ما أسماه بالسـواكن المفخمة (أي المحلقنة) ونظيراتها البسيطة غير المحلقنة كالصـاد والسين، الخ، ففي الأولى يكون هذا التماس أقل منه في الأخرى وذلك نتيجة للشكل الداخلي للفم أثناء الحلقنة. وكما يقول (1984:61) :

كانت السواكن المحلقنة تظهر دوماً حيزًا ذي تماس أقل ، سيما في الجزء الخلفي للحنك ، كما كانت تبين إنهباطا في وسط اللسان يتزامن حدوثه مع تراجع مؤخرة اللسان نحو جدار الحلق.

وأخيرا شكل الشفاه. ويبدو أن ذلك غير مهم أثناء الحلقنة. ففي حين أن (Ghazeli 1977:74) لم يجد دليلا حاسـمًا على استدارتها أو نتوئها أثناءها، دعا (Ahmed 1984) في تلخيصه لنتائجه إلى مزيد من البحث في هذا البصدد.

وبــالنسبــة لصدى الصوت ، فإن أوضح مؤشر على الحلقنة هو الإتجاه العام للمتشكل الثاني ف-٢ بالإنخفاض في العلات المجاورة للسواكن المتحلقنة (Ghazeli 1977:77 , Ahmed 1984:79 ف ٢ :1983 Card). ويمكن مشــاهــدة أبين آثار الإنخفاض هذا في ميل العلة الأمامية الواطية/ ا/ إلى الإرتجاع (Ghazeli 1977:82)، كما أن العلات الأمامية العليا تتأثر أيضا ولكن ليس بالقدر ذاته (انظر 78 - 1977:77 Ghazeli , Ahmed 1984:17). ومن بين السواكن التي تتأثر بالإرتجاع المــوائع (اللام والراء) والأنفية (الميم والنون) منها على نحو خاص بينَما لا تتأثر به الحبأئس كثيراً (انظر Ghazeli 1977:88 , Ahmed:216-7).

وأخيراً للحلقنة آثارها التلافظية في الأصوات المتجاورة. والمقصود بالتلافظ ، تداخل الأفعال (الأصوات) المتجاورة مكانيا وزمانيا' (Lindblom 1983:220) ، أو 'التأثير المتبادل بين الأصوات في الكلام المتصل (Ahmed 1984:165). وبمعنى أوضح ينطوي التلافظ على التماثل أو الإدغام. وقد يمتد مدى التلافظ الإرتجاعي الناشيء عن الصوت المحلقن على كلمة كاملة (Ghazeli 1977:95 ; 1983:79 Card , Ahmed 1984: 217) وينــتــشــر من الــيمــين إلى الــيســار ومن اليسار إلى اليمين. فمثلاً/فاض/ مثال عن الإرتجاع من اليمين إلى إليســار، وفيهــا تتــأثــر كافــة الأصــوات بالارتجــاع بفضــل المحلقن/ض/،و/ضاف/مثاله من اليسار إلى اليمين. أي أن ظاهرة الإرتجـاع النــاشئة عن/ ض/ في كلتا الكلمتين تسود الأصوات كلها فيهما.

وأما إمكانية عمل التلافظ الإرتجاعي في كافة الأسيقة الصوتية فأمــر مختلف فيه. فيرى (Ghazeli 1977:90,99,128) أن العــلات الحنكية (الأمامية) تضعف التلافظ ولا تمنعه في حين أن (1983:80

Card) ترى منعهـا له بالكـامل وهنا يكون نطاق الحلقنة منقسمة (صـوت) واحـدة كما في كلمـة / طين / إذ أن الطاء هي المحلقن الوحيد فيها ولا أثر لها على المنقسمات (الأصوات) الأخرى. ويبدو أن المحلقنـات تختلف في آثـارهـا التلافظية فيما بينها. ففي دراسته الصوتية الإنطباعية عن المستغيرات القرآنية، أورد (1983:133 Al-Wohaibi) أمثلة عن تحول الـلام المـرققـة فيهـا إلى مفخمـة بعد / ص ، ط وظ / وبطلان ذلك بعد / ض / . والأمثلة هي:[١]

(ا).صـلاة (ج). ظل (هـ). فضل

(ب). طلاق (د). ضلال

ففي (آ)، (ب) ، و(ج) تتـفخم اللام بينما لا تتغـير في (د) و(هـ) حيث تلي / ض/ فيهما. ولم يشرح الوهيبي أسباب ذلك. والآن نعود إلى صوت /ض/.

2.1.4.2.2.1.5 / ض / في الفصحى

صنف النحاة القدامى / ض / مع السواكن المحلقنة الرئيسية الأربعة. وبما أننا عالجنا طبيعة الحلقنة في المقطع السابق ، فسنعنى هنا بخـواص / ض / الصـوتية. أولاً مخرجها: وهو جانبي ويكون من بداية طرف اللسان ومايليه من الأسنان (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٣ ؛ ابن جني ١٩٥٤: ٥٢ ؛ الزمخشري ١٢٩١: ٢٢ ؛ ابن يعيش ١٢٥).

وأشار ابن جني وابن يعيش إلى إمكانية لفظها من جانب اللسان الأيسر أو الأيمن وقد يشتمل ذلك على رأس اللِسان وشفرته أيضا كما يرى (Bakalla 1982:75). وثانيا جهرها وهيئتها. فقالوا عنها أنها مجهورة احتكاكية أو رخوة (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٤ - ٤٣٥ ؛ ابن جني ١٩٥٤ : ٦٥ ؛ الـزمخشـري ١٢٩١ : ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ ابن يعيش ١٢٩).

وعلينا أن تذكر هنا عدم توافق تعريف ابن سينا مع تعريفاتهم القائل بمخرجها اللثوي أو الأسناني وهيئتها الحبيسة قطعاً. وكما يقول (1963:40) : 'يكون مخرج / ض / أمام مخرج / ش / قليلاً في الفم وحبس النفس فيها كاملاً كما في / ج /، ويشير ربط / ض / بـ / ش / من ناحية المخرج اللثوي وبـ / ج / من ناحية الهيئة المنفجرة إلى أنها كانت تمر في حالة تغيير لغوي آنئذ.

وهذا مايتفق عليه كافة البحاثة المحدثون (Gairdner 1925:20 ; Cantineau 1960:21,55 ; Al-Wohaibi1983:133) – أى أن تغيراً تاريخياً طرأ عليها. فاحتفظت بجهرها وحلقنتها ولكنها غيرت مخرجها من الجانبي إلى الأسناني (Cantineau 1960:19 , 21) أو اللثوي (Gairdner 1925:21) أو الأسناني–اللثوي (Al-Ani 1970:46 , Ghazeli 1977:72) وهيئتها من الإحتكاكية إلى الإنفجارية (21–19 , Contineau 1960 , Al-Ani 1970:46 ، الخ). ونتيجة لهذا التطور أضحي للضاد مقابلاً لا ملحقناً وهو الدال، الذي كانت تفتقر إليه فيما مضى.

وباختصار يمكن تعريف الضاد صوتيا في الفصحى بإيجاز كما يلي – أسنانية محلقنة مجهورة حبيسة غير منفوسة (Al-Ani 1970:46). وهذا ماسنعتمده فيما تبقى من هذا الكتاب.

3.1.4.2.2.1.5 الوضع العامي

1.3.1.4.2.2.1.5 الوضع العامي التاريخي

للضاد مستغير مطعون في اللهجات العربية القديمة وكان يدعى عند قدامى النحاة (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٢ ، إبن جني ١٩٥٤ : ٥١ ؛ الزمخشري ١٢٩١ : ٢٢٠؛ابن يعيش ١٢٧ – ١٢٨) بالضاد الضعيفة. ولا ندري هل كانت هذه محلقنة أم لا كما لا يمكننا

تحديد خصائصها الصوتية. ففي حين تجاهل الزمخشري وابن جني هذه المسـائـل وصفها سيبويه بأنها رخوة جانبية وحدد ابن يعيش مخرجها من بين الأسنان أو من بين أطراف اللسان وأطراف الأسنان. والصوت الناتج هو / ط / – مهموسة لثوية – محلقنة حبيسة ، أو وسط بين/ظ/– – مجهورة أسنانية – محلقنة رخوة ، و / ض / . كما فسـر (Cantineau 1960:55) الضاد الضعيفة بالـظاء أو بصوت بين / ظ / و / ض / (قـارن Corriente 1978:54-55). ورأى (Bakalla 1982:85) أن الضـاد الضعيفـة هي ظاء ، وهـذه مجهورة أسنانية محلقنة رخوة. ولعل رأي باكلا هو الصحيح بحكم طبيعة الإختـلاف اللغـوي الخاص بـ/ض/في اللهجات العربية الحديثة حيث تحولت فيها إلى/ظ/بالكامل.

وهـنــاك حالات لاحظ فيهـا قدامـى النحـاة (سيبـويه ١٩٧٥ : ٤٨٥ ; الزمخشري ١٢٩١ : ٢٠٥ ; ابن يعيش ٤٥ – ٤٦) تحول الضاد لاماً كما في إضطجع – إلطجع. ورغم شدة ندرة هذا النوع من التحول (Cantineau 1960:55) فإنه لم يمنع (1978 :50-55 Corriente) من جمع مادة لغوية لا يستهان بها من المعاجم العربية، وفيها تتناوب الضاد واللام في الكلمات عينها مع إحتفاظها أو تقاربها في معانيها ; ومثال ذلك لدّ ضد (ص ٥٣) ،ركل – ركض (ص ٥٤). (وأمـا عن الإحتفـاظ بالـلام الجانبية في إحدى اللهجات العربية الجنوبية الحديثة فانظر Landberg 1901:637). وأخيراً ما ذكره ابن الـسـكـيت (١٩٠٣ : ٤٩) من الأمـثـلة الـتي تتغـاير فيهـا / ض / و / ص / كما في قبض – قبص ، صاف السهم وضاف ، ومضمض – مصمص ، الـــخ. ولم يكن تحول / ض / إلى / ل / أوتناوبها مع / ص / مستطعنًا.

2.3.1.4.2.2.1.5 الوضع العامي الحالي

1.2.3.1.4.2.2.1.5 /ض/ في الدمشقية

احتفظت لهجة دمشق الشام بالضاد سليمة . ويمكن تعريفها بأنها أسنانية أو لثوية محلقنة مجهورة (Bergstrasser 1924:13 Grotzfeld 1965:5 , Ferguson and Ani 1961 : 227 - 28 , Ambros 1977:8-9 , 112 ;). وأمثلة ذلك ضعيف ، ضو ، ضمير.

وأثبتت مادتي الميدانية هذا الوصف. كما أن المناطق المحيطة بدمشق تحتفظ بالضاد سالمة أيضا. ولكن هنالك ملحوظتان. فالأولى هي استبدال الضاد في بعض الكلمات بـ / ژ / ، وهذه لثوية محلقنة رخوة مجهورة. وجميع هذه الكلمات مرتبطة بالجذر / ض ب ط / أو مشتقة منه. فمثلاً ، / مژبوط - مضبوط ، بالژبط-بالضبط: زابط-ضابط زبط-ضبط/والأخرى تبادل / ض / مع / د / في كلمة الجذر / رك ض / ، كما في / ركيد ، ركاض ، ركض ، ركد ، يركض ، يركد ، الخ / . وفيما عدا هذه الإستثناءات الشائعة في كافة المناطق فالحالة منتظمة جداً.

2.2.3.1.4.2.2.1.5 الضاد في المهجرية

إن الضاد مفقودة كلية في الجولانية قبل هجرتهاحيث كانت تستبدل فيها بالظاء أو تندمج معها، وهذه أسنانية محلقنة رخوة مجهورة. وكما يقول (Cantineau 1936:18) :- 'اندمجت الضاد القديمة مع الظاء القديمة في لفظ واحد هو / ظ / بالكامل ، كما في فظل بدلاً عن فضل.

وفي مادتي الميدانية عن كلام المهاجرين تتخالف / ض / و / ظ / في أغلبية الكلمات وذلك بتأثير الفصحى

والشـــامية ، سيما الأخـــيرة منهـــا. مثـــلاً ، / فِضَّـــةٌ – فُظة / ، / رضى – رظى / . وبـالنسبة للمستغيرين / ژ / و / د / اللذين ذكـرناهما بخصوص الدمشقية في المقطع السابق فقد أثبتناهما في مادتي الـكـلامـية وفي الـكـلمات عينهـا. مثـلا ، / بالـژبط – بالضبط – بالضبط : مژبـوط – مضبوط – مظبـوط: ژابط–ضـابط–ظـابط: يركض يركـد يركظ ، ركاض – ركاظ: ركض ـ ركيد / . والمستغيران / ژ / و / د / نادران جدًا، ولا سيما ثانيهما.

وتسهيلاً لدراستنا سنكتفي بإعتماد مستغيرين للضاد في اللهجة المهجرية كما هما مثبتان في الجدول 4.5 أدناه.

الجدول 4.5 مستغيرا الضاد في الكلام المهجري

المستغير	اللهجة الأصلية	المنزلة اللغوية الإجتماعية	الأمثلة
١. [ض]	الفصحى والدمشقية	فصيح ، رفيع ، محلي	ضمير
٢. [ظ]	الجولانية الفضلية	عامي ، دافيء ، مهجري	ظمير

وفي الفصـول التالية سـنقوم بتقديم تحليلاً لغويا لتبادل الضاد والظاء في اللهجة المهجرية.

5.2.2.1.5 المتغير الصوتي / ج /

1.5.2.2.1.5 / ج / في الفصحى

وضـع العلماء القـدامي / ج / و / ش / و / ي / في صنف واحـد : فكلهـا لها مخرج واحـد هو وسط اللسان ومنتصف الحنك (سيبـويه ١٩٧٥ : ٤٣٣ ، ابن جنى ١٩٥٤ : ٥٢ ، الـزمخشـري

١٢٩١ : ٢٢ ؛ ابن يعيش ١٢٧). والمقصود بوسط اللسان مقدمته (Bakalla 1982:72)، وبمنتصف الحنك الحنك الصلب. أي أن للجيم مخرجا حنكيا. وهي مجهورة شديدة (سيبوية ١٩٧٥ : ٤٢٣). ولم يذكر أي منهم منزلتها الإصطكاكية – وهذا تقسيم لم يكن يعرفه النحاة القدامى. وبهذا الشأن قال (Cantineau 1960:57): 'لكن النحاة القدامى لم يعرفوا ظاهرة الإصطكاك '

وأما علماء الأصوات المحدثون فلم يختلفوا عن القدامي في تصويرهم للجيم. فعرفوها بأنها مجهورة حنكية إصطكاكية تخرج من مقدمة اللسان والحنك (Gairdner 1925:15 ؛ Cantineau 1960:21 ؛ Al-Ani 1970:32). وهكذا فالخلاف الجزئي الوحيد بين تعريف القدامي والمحدثين لها في تصنيف الإصطكاك مع العلم أن المصطكات انفجارية أيضاً. وبالتحديد يتكون المصطك من سلسلة من صوتين: حبسة ورخوة متماثلة (Ladefoged 1982:60 ؛ Gimson 1980:174). فالجيم العربية إذن مركب من صوتين على المستوى الصدوي: / د / ، وهي الحبيسة، و / ز / ، وهي الرخوة (Al-Ani 1970:32). أو كما يقول (Al-Ani 1970:32).

في البداية تظهر [د] كقضيب صوتي من دون تشويش فوقها مباشرة ... وفي الترددات العليا من ٢٥٠٠ فمافوق يليها فوراً تشوش عشوائي، مع استمرار القضيب الصوتي لـ [د] ومدة الـ [ج] من ١٢٠ – ١٨٠ مث: وتأخذ [د] عادة حوالي ثلث هذه المدة أو أقل.

2.5.2.2.1.5 الوضع العامي للجيم

1.2.5.2.2.1.5 الوضع العامي في الماضي

يمكن القول بوجود ما لا يقل عن مستغيرين مطعونين لها في اللهجات العربية القديمة، وهما (چ)، وهي مجهورة لثوية رخوة، و [ڭ]، وهي مجهورة طبقية حبيسة. وقد دون النحاة القدامى صوتين مطعـونين للجيم: أولها/ ج / تلفظ كالكاف وثانيهما / ج / تلفظ كالشـين (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٢ ؛ ابن جني ١٩٥٤ : ٥١ ، ابن فارس ١٩١٠ : ٢٥ ؛ الزمخشرى ١٢٩١ : ٢٢ ؛ ابن يعيش ١٢٧). ولم يعط أحـد منهم أمثلة على ذلك باستثناء الأخير الذي أورد مثالين هما (١)/ ج- ك/ كما في جمل - كمـل، و (٢) / ج - ش/ كما في أجـدر وأشدر. ويعزى استخدام العلماء القدامى للكاف والشين محل الكاف والجيم إلى إفتقـارهم للرمـوز الكتـابية المنـاسبة لتمثيل الصوتين الأخيرين اللذين لا يردا في الفصحى أبداً.

ومما يدعم تفسيرنا المصادر الثلاثة الآتية. أولاً إشارة العالم القديم ابن سينا (1963:52-53) إلى / چ / بصورة واضحة عن طريق ذكر المثال الفارسي / چرف / ''بثر''. ووصف / چ / كما يلي:

> ومن بينها صوت كالشين طبيعته كطبيعة الزاي ، وهو يسمع في الفـارسية كما في چرف بمعنى 'بثر' وهو / ش / يصدر بتقـريب اللسان من سقف فتحة الفم وجعل سطحه يتذبذب مما يحـدث همسًـابـه. ويبتـدي هذا الصوت كشين في المنطقة الـوسـطى من اللسـان وينتهي كزاي على رأس اللسـان. ويمكن سماع ما يشبـه هذا الصـوت عند غليان السوائل اللزجة مثل الدهن.

ثانياً رفض (Cantineau1960:57) تفسير ابن يعيش القائل بأن الصوتين

المقصودين هما [ك] و [ش] واستبداله لها بـ [ڤ] و / / نظراً لإنعـدام العلامات الكتابية لتمثيلها في الكتابة العربية آنئذ وعلى أساس التشابه الصوتي فى الجهر بين / ج / و / ڤ / و / چ/. أو كما يقول:

ولكن الجيم مجهورة. وبما أن المجهورات التي تقابل الكاف والشـين معدومة في كتابة العربية ، فإننا نفهم بوضوح أن هنـاك / ج / تلفظ / ڤ / وأخرى تلفظ / چ / . وهكذا يكون لدينا أچدر ، ڤمل ، ورڤل.

ثالـثـا فسّـر (Bakalla 1982:84) تحول / ج / إلى / ك / بـ / ڤ / على أساس التماثل في الجهر. وأمـا عن تحول / ج / إلى / ش / فلم يبتعد (Bakalla 1982:88) عن وصـف ابـن جنـى لها والـقـائـل بأن/ج/تـصـبـح /ش /قبل /-ت/كـما في خرجـت الـتي تصـبـح خرشت.

كما استبـدل / ج / بـ / د / في المريدية ، وهي لهجة تولدت عن العـربية في القـرن الحـادي عشـر الميلادي فيما يدعى اليوم (بوسط) موريتاينا. فجمل تلفظ دمل. (ولمزيد من التفاصيل أنظر (. Thomason & El-gibali 1986 : 327-28)

وأخـيراً ذكـر ابن السكيت (١٩٠٣) مجموعة كلمات تختلف فيها / ج / مع (١) / ط / كما في بط - بج ، أطم - أجم (ص ٤٩) ؛ (٢) / ح ، د / كما في يجوس ،يحوس ، يدوس ، أجم الأمر وأحم (ص ٢٩) ؛ و (٣) مع / ي / كما في عشي وعشج (ص ٢٨). وممـن ذكـر هذا المـثـال الأخـير مع غيره من الأمـثـلة ابـن جنى (١٩٥٤ : ١٩٢ - ١٩٥) والـسـيوطـي (ج ا: ١٣٣). ووصـف السيوطي استبدال الجيم بالياء بأنها مستطعنة. وكانت هذه الظاهرة

شائعة جداً في إحدى اللهجات العربية القديمة وتدعي قضاعة التي كانت تعرف بها جداً. ومن هنا جاء إسمها عجعجة قضاعة.

2.2.5.2.2.1.5 الوضع العامي الحاضر

1.2.2.5.2.2.1.5 / ج / في الشامية

أجمعت كافة الدراسات عن لهجة مدينة دمشق (Grotzfeld 36 :1924 Grotzfeld ;1965:5 Cowell 1964:3 ; Ferguson & Ani 1961:8 , Bergstrasser ; Ambros 1977:8,10) على إفتقارها للجيم في نظامها الصوتي واستبدلها إياه بالچيم، وهذا لثوي رخو مجهور. ومثاله چار چمل.

وتؤيد مادتي الميدانية عن لـهجات دمشق وما يجارها مما أشرنا إليها سابقـاً هذا الـوضـع بعـامـة. ولكنني أود أن أزيد على ذلك حيث أن / ج / ترد في بعض الـكـلمات لما تـسـبـقـهـا فيها / د / أو / ت / رغم ندرة ذلك. ومن الأمثلة/تجوز، دجوز، تچـوز، إچـوز، /. كما تتـحـول / چ / إلى / ش / في كلمـة / وجـه / وتصبـح / وش / وعندما تليها التاء كما في مجتمع ومشتمـع. وأحيانـا تستخـدم / ك / في الإستعارات المأخوذة عن المصرية كما في چمال وكمال ، وچنة وكنة. وأخيراً هنالك كلمة جشّر التي تلفظ دشر دوما. وكل هذه المستغيرات نادرة للغاية.

2.2.2.5.2.2.1.5 / ج / في الفضلية الجولانية المهجرية

خلافًا للدمشقية إحتفظت الفضلية قبل هجرتها بالجيم سليمة ، وهي حنكية إصطكاكية مجهورة. وبهذا الخصوص كتب (1936:24 Cantineau) يقول:

إن الصوت الذي يقابل الجيم العربية القديمة (في الفضلية)

هو / ج / ، وهي مجهورة حبيسة اصطكاكية. وتأتي في كل موقع. ومن الأمثلة جبهة ، جلد ، يجون.

ولكن كلام المهاجرين لم يعد كما كان. ففي مادتي الكلامية تتناوب [ج] مع [چ] المستعارة من الدمشقية لما اتصلت اللهجتان ببعضهما بعضا منذ ١٩٦٧. فمثلاً جبهة چبهة، جلد چلد ، الخ. وفيما عدا ذلك فهنالك حالات قليلة تتحول فيها / ج / إلى / ش / قبل / – ت / كما في مجتمع ومشتمع أو إلى / د / كما في دشر (نظر أيضا Cantineau 1960:60) أو إلى / ك / كما في الكلمات المأخوذة عن اللهجة المصرية خصوصاً من مثل/جمال، كمال، چمال،/،وجميعها جد نادرة.

وعلى ضوء شرحنا السابق عن / ج / في اللهجات الثلاث يمكننا تمييز مستغيرين لها في المهجرية يبينهما الجدول 5.5 أدناه.

الجدول 5.5 مستغيرا الجيم في اللهجة المهجرية

المستغير	اللهجة الأصلية	المنزلة اللغوية الإجتماعية	الأمثلة
١. [ج]	الفصحي والمهجرية	فصيح، رفيع، مهاجر، دافيء	جو
٢. [چ]	الدمشقية	عامي ، محلي ، دافيء	چو

وفي المواضع المناسبة في الفصول القادمة سنناقش أثر العوامل اللغوية والإجتماعية والأسلوبية على اختلاف [ج] و [چ].

6.2.2.1.5 المتغيرالصوتي (ظ)

1.6.2.2.1.5 / ظ/ في الفصحى

إن الظاء إحدى الأسنانيات الثلاث في الفصحى وهي المقابل المحلقن للساكن البسيط المرقق / ذ / الذي سنتناوله أدناه (7.2.2.1.5). وفيها انقسم النحاة القدامى فيما بينهم بشأن مخرجها؛ فمنهم من قال بأنها أسنانية وتصدر من بين رأس اللسان وأطراف القواطع الأمامية (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٣ ؛ ابن جني ١٩٥٤ : ٥٣؛ الزمخشري ١٢٩١ : ٢٢) وآخرون قالوا عنها بأنها لثوية (ابن يعيش ١٢٥ ؛ ابن سينا 1963:44). والحقيقة أن ابن يعيس رأى أن جميع الأسنانيات لثوية المخرج. وكما يقول (١٢٥):

للظاء والذال والثاء مخرج واحد فكلها تخرج من رأس اللسان وأصول الأسنان ... وكلها لثوية لأنها تنشأ من اللثة.

وأما خواصها الأخرى ، فأجمعوا على جهرها ورخاوتها وتفخيمها (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٤ - ٤٣٦ ، ابن جني ١٩٥٤ : ٩٦ - ٧٠ ، الزمخشري ١٢٩١ : ٢٢١ ، ابن يعيش ١٢٩). (وسبق أن أشرنا (1.1.4.2.2.1.5) إلى مغالطة فهمهم للعملية النطقية الفعلية للحلقنة.)

واختلف الصوتيون المحدثون حول ماهية المخرج الأولي للظاء: أهي لثوية أم بين أسنانية؟ فمن الإنطباعيين منهم من قال برخويتها (Gairdner 1925:20-21) وقال آخرون ببين أسنانيتها (1960:20 Cantineau). ولا يزال الخلاف حول هذه المسألة قائما فى المدراسات الصوتية الأخيرة، سواء كانت صدوية أو تجريبية أو وظائفية تشريحية. فيقول (Al-Ani 1970:48) مثلاً بأنها تخرج من بين الأسنان ويشابهه قول (Ghazeli 1977:72) الذي يرى أنها تخرج ''بإبراز رأس اللسان بين الأسنان الأمامية''، وأما (Ahmed) 1984:161-2) فيرى أن

مخرجها لثوي إذ بيَّن أن اللسان يتراجع عن موضع ما بين الأسنان كما في الصـوت المرقق البَسيط/ ذ/ إلى موضع وراء الأسنان للصوت المفخم أو المحلقن/ ظ/ نظرًا لتقدم رأس اللسان وشفرته في الأول منهما وتراجع جسم اللسان نحو الجدار العلوي للحلق في الثاني. وباستثناء هذا الخلف البسيط فالصوتيون المحدثون بانطباعيبهم Cantineau 1960: 19-21, Gairdner 1925: 20-21) وتجريبييهم (Ghazeli 1977: 72, Al-Ani 1970: 48 الخ) متفقون في تعريفاتهم لصفات الظاء الأخرى: أي أنها مجهورة رخوة محلقنة (رغم غلط تعريف الإنطباعيين للحلقنة (انظر 1.1.4.2.2.1.5).

وأما تعريفنا العملي والشامل للظاء الذي سنعتمده في بقية هذا الكتاب فهو وصف (Al-Ani 1970:48) لها: أي أنها بين أسنانية محلقنة رخوة مجهورة.

2.6.2.2.1.5 الوضع العامي

1.2.6.2.2.1.5 تاريخياً

ذكر قدامى النحاة (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٢ ; ابن جنى ١٩٥٤: ٥١ ; الزمخشري ١٢٩١: ٢٢٠ ; ابن يعيش ١٢٨) مستغيراً مطعونا للظاء هو [ث] ولكنهم لم يزيدوا على هذا الكـلام سوى ما قدمه ابن يعيش وكـان ذلـك مثـالاً واحـداً هو ظالم وثالم. وأشار ابن جني (١٩٥٤ : ١٢١) إلى استبـدال / ظ / بـ /طـ/في اللهجة النبطية العربية (وهي لهجة مندثرة) التي كانت تفتقر إلى / ظ / بالكامل بفعـل تأثرها باللغة الآرامية. والطاء لثوية حبيسة محلقنة مهموسة. وأمثلة ذلك كما في ناظور وناطور. وأعطى السيوطي (١٨٢ - ١٨٣) أمثلة أخرى على تبادل / ظ - ط / من دون الإشارة إلى لهجة

الأنبـــاط. كما أورد السيوطي أيضـــا بعض الحـالات التي تختلف فيها / ظ / و / ض / كما في فيض النفس وفيظها.

2.2.6.2.2.1.5 الوضع العامي الحالي

1.2.2.6.2.2.1.5 / ظ / في الدمشقية

وفيها الظاء معدومة بالمرة وتستبدل بـ [ژ] ، وهي لثوية – محلقنة رخـوة مجهـورة ، و [ض] ، وهي لثـوية – محلقنة مجهورة حبيسة (Bergstrasser 1924: 13–14 ; Ferguson & Ani 1961:288 ; Grotzfeld 1965:7; Cowel 1964:8 ; Ambros 1977:8 , 111). وأمثـال ذلـك نزام ، نضـافه ، الخ. ويرى (Ambros 1977:11–12 , Grotzfeld 1965:7) أن مرد إنـشـقاق / ظ / إلى صوتي [ژ] و [ض] عائد إلى الطبيعة العامية أو الأدبية للكلمات التى يردان فيها. فتفضـــل العـامية [ض] والأدبية [ژ]. وهـذا شرح غير مقبـول (وسنناقشة بأكمله في الفصل السادس فيما بعد).

وفي مادتي الميدانية عن لهجة دمشق ومايجاورها من قطنا، الخ، الظاء لا وجود لها إطلاقاً في أحاديث الناس اليومية على الأقل. وقد تتحـــول في بعض الحـــالات إلى/ د / كما في كلمـة ظل ضل دل ومشتقاتها. وفيما خلا هذه الحالة فلا يختلف الوضع اللغوي عما وصفه الكتاب السابقون عموماً.

2.2.2.6.2.2.1.5 / ظ / في الجولانية المهجرية

كانت الظاء في الفضلية قبل هجرتها محفوظة سليمة كما هي في الفصحى (Cantineau 1936:18) . مثلاً نظيف ، نظام ، ظل ، الخ. ولكن هذا المـوقف تغير منذ ١٩٦٧ لما تماست مع الدمشقية تماسا

يوميا. ففي مادتي الميدانية عن لهجة المهاجرين نجد إختلاف [ظ] و [ض] و [ز]. وجـاءت إلـيهـا الأخـيرتـان هاتـان من لهجـة دمشق. فمثلاً ظالم، زالم، نظيف، نضيف، الخ.

وعلى ضوء الشرح السابق للظاء في لهجة المهاجرين، قمنا بعزل ثلاثة مستغيرات لها نلخصها في الجدول 6.5 أدناه.

الجدول 6.5 مستغيرات (ظ) في لهجة المهاجرين

المستغير	اللهجة الأصلية	المنزلة اللغوية الإجتماعية	الأمثلة
١. [ظ]	الفصحى والجولانية	فصيح، رفيع، دافىء، مهاجر	ظل
٢. [ض]	الدمشقية	عامي، دافىء، محلي	ضل
٣. [ژ]	الدمشقية	عامي، دافىء، محلي	نزام

وفي المواقع المناسبة من الفصول القادمة سنحلل طبيعة إختلاف هذه المستغيرات أو الصيغ لغويا واجتماعياً

7.2.2.1.5 المتغير الصوتي (ذ)

1.7.2.2.1.5 / ذ / في الفصحى

إن / ذ / هي الصوت بين الأسناني الثاني والنظير المرقق للظاء التي سبق ذكرها. ووصفها القدامى (سيبويه ١٩٧٥ : ٤٣٣ ٤٣٥؛ ابن جني ١٩٥٤ : ٥٣ ، ٦٩ . الزمخشري ١٢٩١ : ٢٢٠ - ٢٢١) بأنها بين أسنانية رخوة مجهورة تصدر بإيلاج رأس اللسان بين أطراف الأسنان. واختلف عنهم ابن يعيش من ناحية قوله بأن مخرجها من اللثة (ص ١٢٥)(راجع تعريفه كاملاً في 1.6.2.2.1.5 أعلاه).

كما اتفق المحدثون (Cantineau 1960:21 ; Gairdner 1925:15,19 ; Al-Ani 1970:47) مع القدامى على كونها مجهورة رخوة بين أسنانية. وهذا هو التعريف السليم الذي سنتبعه في كتابنا فيما بعد.

2.7.2.2.1.5 الوضع العامي

1.2.7.2.2.1.5 تاريخياً

لم يذكر القدامى أية صيغ مطعونة للذال. ولكن بعضهم أشاروا إلى حالات قليلة تستبدل فيها الذال بغيرها. وهذه هي:

(١). / ذ – د / . مثلاً	إذكر – إدكر	(ابن جني ١٩٥٤ : ٢٠٣)
	ذحاذح – دحادح	(ابن السكيت ١٢٩٠ : ٥٤)
(٢). / ذ – ز / . مثلاً	ذرق الطير و زرقه	
	زبرت الكتاب وذبرته	(ابن السكيت ٥٨)
(٣). / ذ – ث/. مثلاً	جذوت وجثوت	
	تلعذم وتلعثم	
	نبيذ ونبيث	(ابن جني ١٩٥٤ : ٢٠٣،
	حذحاذ وحثحاث	وابن السكيت ١٩١٠ : ٣٩)
(٤.) / ذ – ظ / . مثلاً	وقيذه ووقيظة	(ابن جني ١٩٥٤ : ٢٣٣)
	وهي الغنمة المنخنقة	

ولا نعرف مدى عمل القواعد السابقة وتطبيقاتها. وليس لدينا من دليل على هل كانت هذه المستبدلات مقتصرة على كلمات معينة أم كانت أوسع من ذلك. ولكن يبدو أنها كانت مقصورة على بعض الحالات. فمثلاً مايراه ابن جنى (١٩٥٤ : ٢٣٣) من أن تبادل / ذ / و / ظ / في (٤) أعلاه مقبول بحسب القرآن الكريم

والاستعمال العام ويتعذر ذلك في كلمات أخرى بذات الجذر مثل/وقذه/'قتله'/والموقوذة/'الشاة الميتة' وهاتان لا تجوزان بالظاء/* وقظه ، * الموقوظة / .

2.2.7.2.2.1.5 في الزمن الحاضر

1.2.2.7.2.2.1.5 / ذ / في الدمشقية

لم يبق للذال أثر أبداً فيها: ومثلها كمثل الظاء أعلاه (1.2.2.6.2.2.1.5) حيث حل محلها مستغيران ، أحدهما لثوي رخو مجهور هو [ز] ، والأخرأسناني حبيس مجهور هو [ذ] (1924:36 Bergstrasser ; Ferguson and Ani 1961:8 ; Cowell 1964:3 ; 1965:7 Grotzfeld ، 111-12 ، Ambros 1977:8-10). وأمثلة ذلك / دهب ، زهب، زكره /. ولا يعرف متى حصل هذا الإنشطار ولم. ويرى (Ambros 1977:111-12 ، Grotzfeld 1965:7) أن الدال ترد في الكلمات العامية وأما الزاي ففي الأدبية منها أو المستعارة من الفصحى وبالطريقة نفسها التي حصلت للظاء أعلاه. (أنظر الفصل السادس لمناقشة هذا القول بالتفصيل).

وفي مادتي الميدانية تثبت هذه الصورة سواء للهجة مدينة دمشق أو ما يجاورها إذ ليس للذال أثراً في أحاديث الناس اليومية على الأقل في هذه القرى.

2.2.2.7.2.2.1.5 / ذ / في المهجرية

احتفظت الفضلية قبل هجرتها بالذال سليمة دون أن تتحول إلى بدائل رخوة أو حبيسة (Cantineau 1936:18). فمثلاً / إذن ، ذهب ، ذمة / .

وللذال مجموعة مستغيرات في كلام المهاجرين ، جاء بعضها من الدمشقية كما بينته مادتي الميدانية. وهذه هي [ذ] ، و[ز] ، و[د] ، و [ظ] . فالزاي والدال انتقلا إليها من الدمشقية ؛ وأما الظاء فنادر ويرد في بعض الكلمات مثل ظكت، ظايك ، وظايج (ذقت،...) وفي صيغة المذكر المفرد لإسم الإشارة هاظا، هظاك (هذا...). (وذكر ذلك (Cantineau 1936:107) عند مناقشتة لإسم الإشارة الذي يطرأ عليه هذا التغيير بصرف النظر عن العدد والجنس .) وتختلف المستغيرات اربعة مع بعضها بعضا في كافة الكلمات تقريباً. وهذه هي الأمثلة / هذا، هاظا، هادا، هازا / ؛ ذكره ، زكره / ؛ / ذمة ، زمة / ، /ذهب، دهب/ ، اذن ، إزن / ؛ و / إذن ، إدن / .

ولأغراض بحثنا هذا سنقوم بعزل ثلاثة مستغيرات للذال في اللهجة المهجرية ؛ وهذه مدرجة في الجدول 7.5 أدناه.

الجدول 7.5 مستغيرات (ذ) في اللهجة المهجرية

المستغير	اللهجة الأصلية	المنزلة اللغوية الإجتماعية	الأمثلة
١. [ذ]	الفصحى والجولانية	فصيح رفيع مهجرى دافىء	إذن
٢. [ز]	الدمشقية	عامي محلي دافيء	إزن
٣. [د]	الدمشقية	عامي محلى دافىء	إدن

وفي الفصول القادمة سنقدم تحليلاً لغويا واجتماعيا لكشف العوامل التي تتحكم في إختلاف هذه البدائل في كلام المهاجرين.

8.2.2.1.5 المتغير الصوتي (ث)

1.8.2.2.1.5 / ث / في الفصحى

الثاء هي الصوت بين الأسناني الثالث والنظير المهموس للذال الآنفة الذكر في المقطع السابق. ووصفها قدامي النحاة (سبوية ١٩٧٤ : ٤٣٣ - ٤٣٥ ، ابن جني ١٩٥٤ : ٥٣ ، ٦٩ الزمخشرى ١٢٩١ : ٢٢ - ٢٢١) بأنها بين أسنانية رخوة مهموسة. وحاد عنهم ابن يعيش (١٢٥) قليلاً بوصفه إياها بأنها لثوية في مخرجها (راجع تعريفة الكامل في 1.6.2.2.1.5 أعلاه). وأما الصوتيون المحدثون (Al-Ani 1970:47 ; Cantineau 1960:21 ; Gairdner 1925:15) فكان تعريفهم مطابقاً لتعريف القدامي من حيث أنها مهموسة رخوة بين أسنانية-وسنعتمد هذا التعريف فيما بقي هذا الكتاب.

2.8.2.2.1.5 الوضع العامي

1.2.8.2.2.1.5 في الماضي

لم يتحدث قدامى النحاة عن أية بدائل مطعونة للثاء فيما كتبوه حول العربية الفصحى. وهذا لم يمنع بعضهم من ذكر عدة مستغيرات لها، وكلها غير مطعونه. وهي:

(١) دون السيوطي (ج ١ : ٢٧٣) حالة واحدة تختلف فيها [ث] و [د] كما في/ مرث الخبز ومرده/ 'نقعه في الماء ورشه به':

(٢). ذكر ابن السكيت (١٩١٠ : ٣٤ - ٣٥) بعض الأمثلة التي تتناوب فيها [ث] و [ف] كما في جدث وجدف ؛ حثافل وحفافل 'بقايا' ؛ ثناء الدار وفناءه ' ؛

(٣). ذكر ابن السكيت (ن٩٠ - ٨٣ : ١٩١٠) أيضاً اختلاف [ث] مع [س] في بعض الكلمات مثل ثاخت وساخت رجله في الأرض ، ناقة فاثج وفاسج 'حامل'، وأتيته ملس الظلام وملثه.

(٤). وأخيرًا لاحظ ابن جنى(١٩٥٤ : ١٨٩)تناوب [ث] مع [ت] في إثّار، إثتأرا، إتأرا.

ولم يحددوا مدى تطبيق الإختلاقات السابقة وهل كانت مقصورة على بعض الحالات أو ذات تطبيق أعم.

2.2.8.2.2.1.5 الوضع العامي الحاضر

1.2.2.8.2.2.1.5 / ث/ في الشامية

ينوب عن الثاء في الدمشقية بديلتان: إحداهما مهموسة أسنانية حبيسة وهي [ت] ، والأخرى مهموسة لثوية رخوة وهي [س]. أي أن مثل الثاء مثل الذال السابقة الذكر. ومن الأمثلة على ذلك تاني ; تنين ; سانية;سانوي ; سانوية ; الخ / . وهذا الوصف كما في Cowell 1964:3 ; Ferguson & Ani 1961:8 ; Bergstrasser 1924:36) (Ambros 1977:8-10 , 111-112 ; Grotzfeld 1965:7; وأما زمن وكيفية حصول الإنقسام الصوتي فلا يمكن معرفته علما أن (1965:7 Ambros 1977:111-112 ; Grotzfeld) ألمحا إلى إرتباط البديلتين الحبيسة والرخوة بالكلمات العامية والأدبية لكل منهما. (ولمناقشة مستوفية حول هذا الرأي انظر الفصل القادم).

وفي مادتي الميدانية عن لهجة دمشق وما يحيط بها، فلا أثر للثاء في أحاديث الناس اليومية بالكامل. وهذا مما يؤيد الوصف السابق.

2.2.2.8.2.2.1.5 / ث / في الجولانية المهجرية

كانت الجولانية قبل هجرتها متميزة بإحتفاظها الكامل بالثاء – وهي مهموسة رخوة بين أسنانية (Cantineau 1936:18). وأمثلتها كما في ثاني ، ثنين ، ثامن ، ثالث ، الخ.

ومنذ ١٩٦٧ ، أي بعد إتصالها بلهجة دمشق ، تغير الوضع السابق على نحو ملموس. ففي مادتي الميدانية عن كلام المهاجرين يتناوب صوت [ث] مع البديلتين الشاميتين [ت] و [س] كما في / ثاني - تاني ؛ ثنين - تنين ؛ ثامن - تامن ؛ مِثِل - متل - مسل ؛ مثَل - متل - مسَل ؛ الخ / . ولاحظت حالتين ثنتين استبدلت فيهما الثاء بالدال مرة كما في ديد، (ثدي بالفصحى) وبالظاء مرة أخرى كما في ظخين (ثخين بالفصحى) - وهاتان نادرتان جداً جداً.

وهكذا قسمنا الثاء إلى ثلاث بدائل في كلام المهاجرين لتتناسب مع أغراض دراستنا. وهذه البدائل مبينة في الجدول 8.5 أدناه.

الجدول 8.5 مستغيرات (ث) في كلام المهاجرين

المستغير	اللهجة الأصلية	المنزلة اللغوية الإجتماعية	الأمثلة
١. [ث]	الفصحى والجولانية	فصيح رفيع دافىء مهاجر	ثالث
٢. [ت]	الدمشقية	عامي محلي دافىء	تالت
٠. [س]	الدمشقية	عامي محلي دامىء	مسال

وفي الفصول الآتية سنقوم بفحص تأثير الوامل اللغوية والإجتماعية على تناوب هاتيك البدائل في كلام المهاجرين.

2.5 الخلاصة

خصصنا هذا الفصل لتقصى الفروقات الصوتية التي تميز كلام المهاجرين عن اللهجة المحلية أو الدمشقية والفصحى. ووجدنا أن

العـاميتين تختلفان وتتفقان مع الفصحى من عدة أوجه. ففي حالة المتغير (ق) تتفرق اللهجات الثلاث عن بعضها بعضا إذ لفظه مختلف في كل منهـا. وفي حالات أخرى كالكاف مثلاً تنفصل الجولانية عن الفصحى والدمشقية. وأخيراً هناك حالات تنعزل فيها الدمشقية عن الفصحى والجولانية كما في الثاء مثلاً. ووجدنا أن أوضح الفروقات بين هذا اللهجات كامنة في سواكنها، ومنها اخترنا سبعة أصوات لتحليلها الـدقيق صوتياً ولغويًا إجتماعياً بالإضافة إلى صوت صرفي كذلك. ولكـــل صوت منهـــا عزلنـــا عدة مستغـــيرات أو بدائـل بنـاء على تماس اللهجات الثلاث هذه والتي ترتبط باللهجة المهجرية: وسنقوم بدراستها في الفصول القادمة دراسة مفصلة لغويًا وإجتماعيا وأسلوبيا. وهـــذه المتغـيرات هي (ق) ، و (ك) ، و (ض) ، و (ج) ، و (ظ) ، و (ذ) ، و (ث) والصوت الصرفي (- ك) .

الفصل السادس
التحليل اللغوي للمتغيرات الصوتية

0.6 استهلال

يبغي هذا الفصل دراسة تأثير السياق اللغوي على تكييف الإختلاف اللغوي بخصوص المتغيرات الصوتية في بحثنا هذا. وبعبارة أخرى نريد أن نبين إحتمال تأثر ورود مستغير أو بديلة ما لمتغيرما ببيئتها اللغوية المباشرة وتسببها فيه، سواء أكانت بيئة صوتية أم نحوية أم كلمية. ومع العلم أن هذا النمط من البحث هو موضوع علم اللغة التركيبي وليس الإجتماعي، فإن اللغويين الإجتماعيين هم أول من بين أثر المحيط اللغوي على تكييف الإختلاف بياناً كمياً وليس بيانا إستبطانيا كما فعله التركيبيون منهم. ووصف ذلك (Hudson 1980:167) قائلاً:

بالتحديد ليس هذا من إختصاص علم اللغة الإجتماعي أبداً بل إنه دراسة محض جوانية للتركيب اللغوي دون الإشارة إلى المجتمع فيها. ولكن لما لم يكن اللغويون المهتمون بالعلائق الداخلية في اللغة ميالين إلى تمحيص النصوص كمياً قاموا بإستعمال الطرق الإستبطانية عوضاً عن ذلك. وهكذا

وقعت الــدراســة الكمية لأثر كلمة ما على ما يجاورها من كلمات على كاهل اللغويين المجتمعيين.

1.6 استعراض بعض البحوثات الملائمة

تقع مراجعة جميع أدبيات الإختلاف اللغوي خارج نطاق عملنا هذا. ولهـذا فإني سأقتصر على ذكر بعض الحالات التي تعيننا على إيضـاح هذا الأمر. والدراسة الأولى هي تحليل ((Labov 1972 b:ch. 3) لفعـل الكون في اللهجة الأنكليزية السوداء. ولفعل الكون فيها ثلاث صيغ، وهي: (١) صيغـة كاملة كما في He is happy (هـو مبسوط)،(ب) وصيغة مختصرة كما في He's happy ، و(ج) صيغة محذوفة كما في He happy ووجـد لا بوف مجمـوعـة عوامل صوتية ونحوية تحكم عمل الإختصار والحذف هذين، كما هو مبين في الجدول 1.6 أدناه.

الجدول 1.6 انسب الإختصار والحذف بالسياق اللغوي لفعـل الكون عند أربع مجموعات انكليزية سوداء في الأسلوب الجماعي

	الجملة الإسمية		الصفة المسنده أو الخبرية وأسماء المكان		الفعل		صيغة المستقبل	
	خ	ح	خ	ح	خ	ح	خ	ح
الساكن السابق/ اللاحق.	.37	.62	.25	.50	.65	1.00	.89	.87
العلة السابقة / اللاحقة	.80.	.29	170	.37	,86	33	1.00	1.00
الضمير السابق	.94	.40	.98	.56	.97	.79	1.00	.96

المفتاح: خ = إختصار ؛ ح = حذف.

المصدر: Labov 1972 b : 107 .

يتبـين من الجدول 1.6 أن السواكن والعلات ضدان بخصوص أثـرهـا على عمل الإختصار والحذف في كافة السياقات النحوية ماعـدا صيغـة المستقبـل التي يتسـاويان فيهـا يعـزل النـظر عن المحيطات اللغـوية التي يردان فيهـا. أي أنـه بينـما تفضـل العلة الإختصار فالساكن يفضل الحذف. وزيادة على ذلك فأثر الضمير شبه قطعي على الإختصار. وأخيرا الحذف مع الضمير السابق أقوى بكثير منه مع الإسم المنتهي بعلة.

وإذا كان فعل الكون في اللهجة السوداء خاضعاً لتأثير العوامل الصوتية والنحوية معاً فإن المتغير (ر) في اللهجة الاسكتلندية (1978 Romaine) متأثر بالقيود الصوتية فقط. فللراء في أدنبرة ثلاثة ألفاظ: [ر – ١] ناقرة ، و [ر – ٢] مجهورة غير احتكاكيه متواصلة ، و [ر – ٣] خرسـاء. ويتعـين وقوع أحد الألفاظ عموماً على نوع السياق الصوتي اللاحق له : أي العلات والساكنات والوقفات. وهذه مدرجة في الجدول 2.6 أدناه.

الجدول 2.6. نسب (ر) بالسياق الصوتي عند طلبة أدنبره

	قبل العلة	قبل الساكن	قبل الوقف	المجموع
[ر ١]	70	40	34	47
[ر ٢]	26	48	38	38
[ر] ٣	4	12	28	15

المصدر: بتصرف عن Romaine 1978 .

يبـين الجـدول 2.6 أن العلة الـلاحقة تستحب المستغير الناقر [ر ١] كثـيراً على السـاكن والـوقفـة اللاحقتين. والراء [ر ٢] المتـواصلة هي ثاني أكثـر المستغيرات تكراراً، ويكثر حدوثها قبل السـاكن فمـواقع إنتهاء الألفاظ والكلمات. والراء الخرساء أقلها استحباباً التي يزداد احتمال ورودها قبل الوقف ويقل قبل العلة.

وهنـالـك دراسات لغوية إجتماعية أخرى لم يكن فيها للقيود الصـوتية والنحوية أثـر في تكييف الإختـلاف اللغـوي. وكان مرد الإختلاف فيها راجع إلى أثر قيود الكلمات. أي أنه في حال المتغيرات التي يحكم اختلاف بدائلها عوامل نحوية وصوتية فذلك عائد لما يليها أو يسبقهـا من الأصوات والصيغ النحوية وأما في حالة الإختلاف اللغوي المتكيف بالكلمة فإن الكلمة الواحدة قد تتكرر في لفظين أو أكثـر بصرف النظر عما يسبقها أو يليها من الأسيقة. وهاكم هذين المثالين لتوضيح هذه النقطة – أولهما من بلفاست والآخر من فلادلفيا.

ففي بلفـاست (Harris 1985: 150-155 J. Milroy 1978) هنـ

المـتـغـير (٨) أو (´) الـذي يتراوح لـ

[٨] كما في Cut (يقطع) بالانكليزية الفصحى و

في put (يضع). وبين ملروي أن الكلمات التي

الفصحى هي ذات ألفاظ تتراوح بين [´]

وسندرج بعض هذه الكلمات في الجدو

كان ...
اللغو...

الجدول 3.6 نسب المتغير (٨) في عشر كلمات بأساليب المحادثة في بلفاست

الكلمات	عددها ونسبة [٨] فيها	المجموع الكلي لعدد الورودات
pull	٥١ / ٧٤ %	٦٩
full	١٥ / ٤٧ %	٣٢
put	١٢٠ / ٣٩ %	٣٠٩
took	٤٩ / ٣٣ %	١٤٨
could	٨٢ / ٣١ %	٢٦٨
look	٥١ / ٢٧ %	١٩١
would	٨٨ / ١٦ %	٥٤١
should	٥ / ٨ %	٥٩
butcher	١ / ١٠٠ %	١
pudding	١ / ٠ %	

المصدر: بتصرف عن J.Milroy 1978:104

يبين الجدول 3.6 أن جميع الكلمات تتراوح ألفاظها بين [٨] و [ءَ] ماعدا كلمتين وردت كل منهما مرة واحدة ، إذ لفظت إحداهما بـ [ء] والأخرى بـ [٨]. كما يبين الجدول إختلاف نسب لفظ [٨] بين الكلمات حيث يبلغ أقصاه في pull (٧٤ %).ولكن هذه الصيغة غير مستحبة في كل الكلمات الأخرى. ولم يتطرق ملروي إلى فيما إذا [illegible] مرد ذلك إلى مقدار تكرار كل كلمة. وفي الحقيقة فليس للمادة [illegible]ة هنا ناظم فيما يخص التكرار فيها. فنجد مثلاً أن pull (تكرارها

= ٦٩) و full (تكرارها = ٣٢) ضدان وكذلك الأمر في put (تكرارها = ٣٠٩) و would (تكرارها = ٥٤١). أي أن نسبة التلفظ بـ [٨] لا ترتبط بعدد مرات ورود معظم الحالات.

ومثالنا الثاني مأخوذ من لهجة فلادلفيا بأمريكا ويخص الألف القصيرة ( ) التي قد تكون مشتدة متوترة أو رخوة (Labov 1981). فكما كان الحال مع (٨) في بلفاست فإن إختلاف الألف القصـيرة محكوم بنوع الكلمة التي قد ترد بالمستغير المشتد أو الرخو. وفي الجدول 4.6. أناه نعرض نتائج لابوف لأسلوب قائمة الكلمات أدناه.

الجدول 4.6. نسب (a) في أسلوب قائمة الكلمات عند ٣١ متكلمًا من فيلا دلفيا

% الإشتداد	العدد الكلي لوروداتها	الكلمات	
٦٨	٦٢	planet	- قبل الأنفي والعلة
٣٥	٣١	damage	
٣٢	٣١	manage	
٢٣	٣١	flannel	
١٩	٣١	camera	
١٩	٣١	family	
٢٠	٣٠	personality	
٦	٣١	pal	- قبل اللام والعلة
٠	٣٠	algebra	
٠	٣١	California	

المصدر: Labov 1981:294

يبين الجدول 4.6 تراوح ألفاظ جميع الكلمات – باستثناء الجبر وكاليفورنيا – بين البديلتين المشتدة والرخوة للألف القصيرة. ورغم إختلاف نسبة اللفظات المشتدة بين كل كلمة وكلمة فإنها أعلى في الكلمات التي يلي الألف فيها ساكن أنفي (كالميم والنون) وعلة منها في تلك التي يليها فيها لام وعلة. ويظهر الجدول أنه على الرغم من عدم استحبابّ النطق المشتد بإستثناء كلمة 'كوكب' فهي تختلف من كلمة لأخرى رغم تساوي عدد المرات التي وردت فيها معظم الكلمات. فمثلاً نلحظ إختلاف كافة الكلمات المتكرة بين ٣٠ – ٣١ مرة في لفظاتها المتوترة التي كانت تتراوح نسبها بين ٠ % و ٥٦ %، الخ. ولم يعلق لا بوف على أثر التكرار في وقوع الإشتداد أو التوتر.

وفي تحليلنا الآتي في بقية هذا الفصل سنقوم بتفحص القيود الصوتية والنحوية والكلمية على المتغيرات الصوتية والصرفية الثمانية التي سنعالجها واحداً واحداً فيما يلي.

2.6 التحليل اللغوي ونتائج الدراسة

1.2.6 المتغير الصوتي (ق)

1.1.2.6 مراجعة نتائج التحليل اللغوي للقاف في الأبحاث اللغوية الإجتماعية في العربية

ليس هنالك إتفاق عام بين الباحثين حول كيفية وصف القاف لغوياً. والحقيقة أن بعض الدراسات تناقض بعضها بعضا. وكان تحليل القاف اللغوي فيها كيفياً دون إستثناء. وفيما يلي عرض لهذه الدراسات.

أولا دراسة (Sallam 1980: 84-88) . وهي تقوم على أحاديث ٤٠ مثقفا من ٥ بلدان عربية – مصر، لبنان، فلسطين، الأردن،

وسـوريا. وللقاف فيها أربعة مستغيرات، وهي [ق،ء،ڮ،و ك] تبعاً للبلد. ووضع سلام عدة قواعد متجزئة لشرح تناوب هذه البدائل فيما بينها، وهي:

(١). قيود صوتية. وصاغها في قاعدتين ، هما:

(أ) ق ←[ق] / (آ) – اءِس. مثال : قائم.

(ب) س ا ءِ – . مثال : عائق.

(ج) – س ا ءِ س . مثال : قصائد.

(د) إ لـ – اء . مثال : إلقاء

(ب) ق - ق ←[– ق – ق] / س – ائـ – . مثال: رقائق

وفي كل هذه القـواعـد التي يمكن جمعها في قاعدة واحدة وهي:

ق ←[ق] / – أ – ، تجوز الصيغ الفصيحة بـ [ق].

(٢). قيود الكلمات. واشتملت على نوعين من القيود كما يلي.

(أ). ق ←[ق] / # –– (×) –– أ # (حـيث تشير × إلى إمكانية ورود القاف في أي موقع من الكلمة و # حد الكلمة).

وتنطبق هذه القاعدة على الكلمات المنتهية باللاحقة الظرفية (ً) كما في إطلاقاً، نقداً قطعاً. ولهذه القاعدة إستثناء اتها، فكلمة تقريباً قد تظهر بالكاف والهمزة، الخ. أي تكريباً، تئريباً.

(ب). هناك مجموعة كلمات ترد بصيغها الفصحى في الأساليب الرسمية ولكنها تستبدل بكلمات أخرى بذات المعنى في غير الرسمية منها، ومنها كلمة موسيقا ، القاهرة ، القرآن ، رقم ، يتوقع ، متقن ، وقناع. وأما الكلمات العادية التي تقابلها في أحاديث الناس فهي مزيكا ، مصر ، المصحف ، نمره ، ينتزر، كويس، ووش لكل منها.

(٢). القيود النحوية. وتحتوى على أربعة أسيـقة، وهي (ا) اسما الفاعل والمفعول، (ب) اسم التفضيل ، (ج) الفعل المبني للمجهول، و (د) أسـماء الأفعـال. وفيهـا كلها تقريباً كان استخدام المستغير الفصيح [ق] يتناوب مع نظائره العامية [ء،ڱ،ك) في العادي من الأحاديث وأما في الرسميْ منها فكان لا يرد إلا البديل الفصيح. فأية محاولة إذن لتعريف هذه القيود هي محاولة عقيمة.

وفي دراسة (Abdel-Jawad 1981:194-6) عن اللهجة الأردنية و (Shorrab 1981: 195) عن الفلسطينية و (Schimdt 1974: 128) عن المصريه لم يكن للعوامل الصوتية أو النحوية أثر في تفصيح القاف بهذه اللهجات. وكما يصفها (Abdel-Jawad 1981: 194-6) :

> وبالنسبة لتفصيح (ق) فلا أثر للقيود اللغوية الداخلية عليها كما نعلم. وعلى العموم لم نلاحظ أي نوع من التكثيف ... ترتبط بموجبه قيود صوتية معينة ... بنسبة عالية أو متدنية لتفصيح القاف.

وتتناقض هذه العبارة بوضوح مع قول سلام أعلاه. والحقيقة أن عبدالجواد (201) لم يرض عن قيودات سلام وحاول:

> ...استبـــدال سياقـات سلام الصـوتية والنحـوية بشـرط واحد يمكن صياغته كالآتي :
> تستحب كل كلمة يمكن تصنيفها بأنها فصيحة بحتة لفظ القاف ... ويشتمل هذا الشرط على كل الكلمات التي حكى سلام عنهـا... فبـدلاً من السياقات المتقطعة الكثيرة التي اقترحها سلام لدينا شرط لغوي وحيد وهو الوضع المعجمي للكلمات الحاوية على المتغير (ق).

وتضم الصيغ الفصحي البحتة فى شرط عبدالجواد جميع الكلمات ذات الطبيعة التقنية والثقافية غالبا والتي تفتقد إلى المقابلات العامية. ولن نزيد البحث في طبيعة هذه الكلمات هنا لإن ذلك يخرجنا عن حدود بحثنـا ولكون معايير تصنيفها إنطباعية على العموم كما أنها متقلبة وقائمة على إجراءات غير لغوية. ولصورة أشمل عنها نحيل القارىء الحصيف إلى (Abdel-Jawad 1981:119 - 23) ودراسة مماثلة لها (Al-Amadihi 1985:112 - 18).

وكان (Holes 1983:452-55) ممن حذا حذو عبدالجواد (1981) في رفضه لدور القيود الصوتية على تكييف الإختلاف اللغوي بين المستغير الفصيح [ق] والعامي [گ] في اللهجة البحرانية. واختار بدلاً عنها ما أسماه بالفرضية المعجمية. وبالرغم من عدم إشتمال تحليله على كافة المفردات في مادته باستقصائه الكلمات التي كانت ترد حصراً إما بصيغها العامية أو الفصحى وإقتصاره على الكلمات التي كانت تتراوح وروداتها بين الصيغتين العامية والفصيحة، إلا أنه استشهد بثلاثة شروط لدعم فرضيته المعجمية وهي:

(١). أن الأصوات تتغير بالجملة وليس بالإنفراد. ففي كلمة/كِتل/مثلاً يتغير المستغيران العاميان [گ] و [ِ] في زمن واحد إلى [ق] و [َ] في الصيغة الفصيحة قَتل.

(٢). أن الصيغ الوسطى أو الهجينة تنعدم في الإنتقال من الصيغة العامية إلى الفصحي. فمثلاً ليس هناك صيغة وسط كـ / كَتل / بين / كِتل و قتل / أعلاه.

(٣). وجود قيود توارد عليا نحوية ودلالية في الحالات التي يطرأ التغيير فيها على صوت منفرد. فمثلاً يقتصر الإختلاف في الفعل قطع

– كَطع على استخدام القاف والكاف فقط ولكن الصيغتين تردان في تراكيب مختلفة في العامية والفصحى كما يتبين من المثالين:

١. /... كَطعوا رزجي .../

٢. /... وقطعوا العلاقات.../

فللمثالين تراكيب ومعاني مختلفة. ففي الأول ترد صيغة الفعل العامي / كَطعوا / مع صيغة عامية للإسم / رزجي / كما يظهر من استعمال المستغير / ج / قبل العلة الأمامية والذي يدل على عمل وضيع : حفر القبور. وفي الثاني ترد الصيغة الفصحى للفعل مع الإسم الفصيح في عالم السياسة. كما يتميز الأول في أنه بيتي، ودود ، وعامي وأما الثاني فرسمي جماهيري فصيح. وهناك مثال مشابه آخر، وهو استعمال كلمة / قاعد / التي تدل بالإضافة إلى معنى الجلوس بالفصحى والعامية على صيغة الإستمرار في الأخيرة كما في / حسين كاعد يشتغل / (Holes 1981:172–73).

وأودى هذا الوضع اللغوي بهولز (1983:454) إلى الفصل بين الكلمات ذات [ق] و [ك] وقال بأن إكتسابها منفصل ويتبع الموقف الذي تستخدم فيه. وكما يقول:

هذه الكلمات لها دلالة واحدة ولكنها تختلف شكلياً فيما بينها بسبب إختلاف معانيها الإجتماعية واستقصا ئها المتبادل...

أي ان أحد المعنيين أهلي، ودود، وعامي والأخر رسمي عمومي فصيح.

وممن إنتقد هذه الفرضية بشدة (Al-Amadihi 1985) في دراسته عن لهجة قطر التي تنطوي القاف فيها على أربعة مستغيرات وهي الفصيح [ق]، وثلاثة عامية هي [غ]، و [ك]، و[ج]. فقام بإعطاء دليلاً مضاداً على وجود الصيغ الهجينة من مادته.

فمـــثـــلاً يمـــكـــن لكـلمـــة قريب أن تأخـــذ (١) صيغـتـهـــا الفصيحـــة/قـريب/،أو(٢)العـامية/كِـريب/، أو (٢) الهجينـة/كَـريب/. (Al-Amadihi 1985:162). ومـــع الـــعـلم أنـــه (1985:156-59). وجـــد قيوداً تواردية سيما في التعـــابـــير السياسية والـــدينية مثـــل / قضـــاء وقـدرٌ/ ، / سياســة قطر / إذ فيهـا تفضل الصيغ الفصحى على الشـائعـة منهـا كما في/عايش في كَطر / التي تستحب المستغيرات العامية، فلا زال يرفض وبقوة الفرضية المعجمية لهولز بقوله (1985:164):

مما يناقض البديهة الزعم بأن الكلمات المتزاوجة مثل [كَطر] و [قطر] كلمات منفصلة: أي أنها غير مشتقة من بعضها بعضا وذلك لمجرد عدم ورود صيغ وسطى لها. فأبناء اللغة لا يحســو ن بإرتبــاط هذه الأزواج دلالياً وصرفيا فحسب بل بإشتقاقها من بعضها بعضا في نهاية الأمر.

وأمـا البديل الذي ارتآه (Al-Amadihi 1985:164-5) عن هذه الفرضية المعجمية فما أسماه بالفرضية الصوتية التي عرضها لشرح الإختلاف بين [ق]،[غ]،[كَ]،[ج] في القطرية. وترتبط هذه البـديلات الأربع ببعضها بعضا من خلال مجموعة قواعد تولدها. فمثـلاً ترتبط الصيغ المختلفة لكلمة / قليل / (أي كِليل ،كَليل ، جليل ، قِليل) ببعضها بعضا كما يلي:

(١). (ق) ← [ق] - وهذه هي الدائرة الأولى كما في قليل.

(٢). (ـَ) ← [ـَ]

(٣). (ق) ← [كَ] - الدائرة الثانية كما في كَليل

(٤). (ـَ) ← [ـِ]

(٥). (كَ) ← [ج] – الدائرة الثالثة كما في جليل.
(٦). (ـَـ) ← [ـَـ].

فحرفا (ق) و (´) في (١) و (٢) هما الصوتان المثاليان ويكـونان على شكل بنى مجردة ترتبط بهما الأصوات أو الكينونات الصـوتية. وعند نطق هذه الصيغ يستعمل بعض المتكلمين الدائرة الأولى في قليل أو الـدائـرة الثـانية في كْليل كما يحصل - عندما لا يستعمل المتكلمون كافة القواعد في إحدى الدوائر.

ولئن كان لتحليل العـــادهي للإرتبـــاط الصـوتي بين الصيغ الفصحى والعامية في القطرية دوافعه الملائمة والصائبة على المستوى النفسـاني، لكن الفرضية الصوتية عاجزة عن شرح الإختلاف في المـادة على المستوى اللغوي الداخلي. فمثلاً لا يمكن القول بأن الصيغ / قليل ، كْليل ، وجليل //المذكورة أعلاه محكومة صوتيا لأن [كَـ]، و [ج]، و [ق] قد ترد كلها أمام السياقات الصوتية نفسها، وهي / – ـِ ... / أو / ––––´ ... /. كما أن العادهي ذاته (1985:132) أشـــار بوضـــوح إلى أن الإخـــتـــلاف بين [غ ، ق ، ك ، ج] غير محكوم صوتيا.

وفي الجزء التالي نأتي إلى تقديم تحليلاً مفصلاً وكميا للمتغير (ق) في مادتنا.

2.1.2.6 تحليل (ق) لغويًا في دراستنا

1.2.1.2.6 القيود الصوتية

إن التناوب بين المستغير الفصيح [ق] وبديلاته العامية [ء]، و [ك]، و [ج] غير محكـوم صوتياً في اللهجة المهجرية إذ يمكن ظهور كل كلمة في مادتنا بمستغيرين أو أكثر لدى المتكلم الواحد وفي

الأسلوب الـواحد. فلنأخذ الكلمات التالية مثلاً: / قمح كْمح أمح؛ قال آل كْال؛ قام آم كْام؛ قليل أليل كْليل جليل؛ رفيق رفي ء رفيڤ رفيج / . فلفظها جميعاً متنوع ولا يتأثر بما يسبقـه أو يليه من الأصـوات. وهذا يعنى إتفاق نتائجنا مع نتائج عبـدالجـواد (6-1981:194) وشراب (1981:195) وهولز (1983:455) وشميت (1974:128) والعمادهي (1985:132) الملخصة في المقطع السابق.

ولكن نتـائجنـا لا تؤيد تحليل كانتنـو (1936:28,36) لظاهـرة إستحناك [ڪ] في الجولانية قبل هجرتها. وبالأخص أشار كانتنو إلى تحول [ڪ] إلى [ج] في الأسيقة الصوتية الآتية:

(١) بعد العلل الأماميه كما في جبلة، ريج.

(٢) بعد السواكن المرققة كما في عرج.

(٣) أن يسبقها (دون أن تليها) علة أمامية كما في ركيج، دكيج (فالصيغ رجيج ودجيج غير جائزة).

وفي مادتنـا لا يجوز لفظ الكلمة الواحدة بـ [ڪ] أو [ج] فحسب بل أن الأولى لا تتحـول إلى الأخـرى حتى عند إستيفاء الشـروط الصـوتية لذلك. ويبين الجدول 5.6 مجموعة أسيقة صوتية توضح هذه النقطة.

الجدول 5.6 نسب تناوب [ك-ج] بالسياق الصوتي في أساليب المحادثة

السياق الصوتي	المستغيرات		العدد
	[ك]	[ج]	
علة	٨٨،٥٦	١١،٤٤	٤٤٧٨
ساكن	٩١،٢٠	٨،٨٠	٩١
قبل العلة	٨٨،١٦	١١،٨٤	٣٢٦٠
بعد العلة	٨٩،٦٦	١٠،٣٤	١٢١٨
علة أمامية	٧٨،٦٤	٢١،٣٦	٢٣٩٨
علة خلفية	١٠٠،٠٠	٠٠،٠٠	٢٠٨٠

يوضح الجدول 5.6 أن [ج] ترد حصراً في سياق العلات الأمامية ولكن نسبتها قليلة (٢١%) بالمقارنة مع [ك] (٧٨ %). وينطبق الشيء ذاته على السياقات الباقية التى لا تحبذ فيها [ج] على [ك].

2.2.1.2.6 القيود النحوية

يبين الجدول 6.6 أدناه تحليل (ق) بتقسيمها حسب حالتها النحوية في الأسماء والصفات والأفعال والظروف.

الجدول 6.6. نسب (ق) بالفئة النحوية في أساليب المحادثة

	[ق]	[ء]	[ك]	[ج]	العدد
إسم	٢٧.١٦	١١.٤٦	٥٤.٠٦	٧.١٢	٢٧٩٣
فعل	٨.٥٢	١٤.٩٤	٧٠.١٨	٦.٢٦	٣٠٩٦
صفة	٢٨.٨٢	١٢.٢٠	٤٤.٩٢	١٤.٠٦	٥٩٠
ظرف	٢٢.٤٦	١٥.٤٦	٥٢.١٨	٩.٩٠	٤١٤
مجموع					٦٨٩٣

يظهر الجدول 6.6 تفضيل المستغير المهجري [ک] على كافة المستغيرات الأخرى في جميع الحالات النحوية، ويكثر احتمال إستخدامه في الأفعال فالأسماء فالظروف ثم الصفات. وتليه استعمالاً البديلة الفصيحة [ق] التي يقل إحتمال استخدامها في الأفعال وتكثر في الأسماء والصفات، الخ. وأما [ء] فيتساوى توزعها في كل الفئات النحوية وبالنسبة لـ [ج] أخيراً فهي أقل المستغيرات إستعمالاً.

تتعارض هذه النتائج مع تحليل (Sallam 1980:85) المشار إليه آنفا الذي ترد [ق] فيه أساساً في اسمي الفاعل والمفعول واسم التفضيل والمبني للمجهول وأسماء الأفعال. فعلى الرغم من الإختلاف الواضح بين التحليلين للفئات النحوية في تفاصيلها الضئيلة، إلا أنه يظهرمن الجدول 6.6 أن [ق] أقل وروداً من [ک] مثلاً وفي كل حالة.

كما أن تحليل سلام مرفوض من جهة أخرى. فهو لا يذكر مثلاً فيما إذا كان عدد حالات تكرار فئاتة النحوية متساويا أو متفاوتا. ويتبين من إعادة تحليل مادة الجدول 6.6 السابق استحباب بعض المستغيرات لبعض الفئات النحوية على غيرها. فكان تفضيل [ق]

للأسـماء (٢٠ . ٥٩ ٪) على الأفعـال (٤٤ . ٢٠ ٪)، والصفـات (١٦ . ١٣ ٪) والـظروف (٢٠ . ٧ ٪) في حين أن [ء] لم تفضـل الأسـماء (٦٨ . ٣٤ ٪) والصفـات (٨٤ . ٧ ٪) والـظروف (٩٨ . ٦ ٪) بالمقـارنـة مع الأفعال (٥٠ . ٥٠ ٪) التي حبذتها. وتشبهها [ک] في عدم تفضيلها الأسماء (٢٨ . ٣٦ ٪) والصفات (٣٩ . ٦ ٪) والـظروف (٢٠ . ٥ ٪) واستحبـابها للأفعـال (٢٢ . ٥٢ ٪). وأما [ج] فوردت في الأسماء(٨٦ . ٣٨ ٪) والأفعال (٩٢ . ٣٦ ٪) أكثر من الصفات (٣٢ . ١٦ ٪) والظروف (٨ ٪).

ولكن التحليل السابق مضلل لأنه يطمس الصورة الصحيحة للإختـلاف في المـادة الكـلامية. فجميع الكلمات من مختلف الفئات النحوية كانت ترد بمستغيرين أو أكثر. ففي الكلمات الآتية مثلاً:

/ قمح كمح أمح : قليل كليل أليل جليل : قبل
كبل أبل : يوافق يوافک يواف ء /

يجري لفظها بالمستغيرات الثلاثة [ق ، ء ، ک، الخ] رغم أن الفئـة النحوية واحدة في كل حالة. ولذلك فهذا مما يستلزم تحليلاً للإختلاف في المادة وهذا البديل معجمي أو كلمي وسنقدمه في المقطع التالي.

3.2.1.2.6 القيود المعجمية

1.3.2.1.2.6 فرضية الإنتشار المعجمي: مقدمة

بما أن تحليل المادة معجمياً مرتبط مباشرة بنظرية الإنتشار فإنه يجدر بنا تقديم عرضا موجزًا لمبادئها العامة التي سنستعملها إطاراً لتحليلنا التالي لمتغيرات دراستنا هذه.

كان (Wang 1969) أول من طرح نظرية الإنتشار المعجمي. وجرى

تطبيقهـا فيما بعـد على مجمـوعـة لغـات مثل الصينية والانكليزية والـدرافيدية والأسترالية والسويدية والألمانية (وأمثلة هذا الأبحاث الـواردة فـي 1977 ، Wang 1979 ؛ Heath 1981 ؛ Johnson 1983 ؛ Philip 1984 ؛ J.Milroy 1978 ؛ Labov 1981 ؛ Harris 1985 ؛ 1972 Chen ؛ الـخ).ونشأت النظرية لشرح الشواذات والإستثناءات. في مذهب النحاة الجدد الذي طال أمد الإعتقاد به من حيث أن عمل التغيرات الصوتية إنما يسير بإنتظام ولا يعرف الإستثناء. فبحسب نظرية الإنتظام أو القياس عند النحاة الجدد تكون القوانين الصوتية قياسية منتظمة وتؤثر في جميع الأصوات القابلة لها وأما ما يستثنى من ذلـك فمـرده إلى إختـلاط اللهجات والإستعارة اللغوية والمشابهة (ولمزيد من التفاصيل على مذهب النحاة الجدد انظر 1933:351 Blomfield ، Labov 1992,1981:272-4 ؛ Phillips 1984:321-3 ؛ 2.2: Johnson 1983 ؛ Chen 1972 : 457-65 ؛ Wang 1969).

وأمـا نظرية الإنتشـار المعجمي فتعرض منظوراً لمسار التغيير الصوتى يختلف جدريا عنها. أولاً إن الكلمات هي التي تحمل التغيير اللغوي وليست الأصوات كما الأمر في نظرية الإنتظام. ثانيا لا يلزم أن يكون التغيير قياسياً وهذا أمر محال تطبيقيا. وبعبارة أخرى يتم إنتشار التغيير اللغوي عبر المعجم (أي كلمات اللغة). فيصيب بذلك بعض الكلمات وليس جميعها في المرة الواحدة. ومن هنا جاءت تسمية الإنتشار المعجمي. كما أن هذا التغيير قد يصل إلى درجة الإكمال أو لا، وقد يتراجع أو يتوقف. وعرف (Chen & Wang 1975 : 256) الإنتشار المعجمى كالآتى:

يتسع نطاق عمل القاعدة الصوتية تدريجياً فتغدو المساحات التي يغطيها في المعجم أكبر وأكبر إلى أن يتم تغيير الكلمات

الملائمة لـها بهذه العملية.

كما قاما بمقارنة آرائهما بآراء بلومفيلد بهذا الصدد. أو كما يقولان (1977 : 150):

فخـلافاً لمذهب بلومفيلد فإننا نرى أن الكلمات إنما تتغير ألفـاظهـا بمقـادير متميزة ملحـوظة - ولكن ذلك يصيبها فرادى في كل مرة (أي بالتدريج معجمياً) ولا يكون دوماً في مجموعة منسجمة. ويسمى هذا المفهوم الأخير للتغير الصوتي بالإنتشار المعجمي.

وبالنسبة لمسار الإنتشار المعجمي وتطبيقه فبالإختلاف المتزامن. ولذلك ثلاث مراحل عند (Wang 1979:362) ، وهي الثابتة والمختلفة والمتغيرة. وهاكم مخططا وهميا لها في الجدول 7.6 أدناه.

الجدول 7.6. مراحل الإنتشار المعجمي بالإختلاف المتزامن

الكلمات / المراحل	ثابتة	مختلفة	متغيرة
ك ١	--	---	ك
ك ٢	--	ك ٢ - ك ٣	--
ك ٣	--	ك ٢ - ك ٣	--
ك ٤	ك ٤	---	--
ك ٥	ك ٥	---	--

المصدر: Wang 1979: 363

يوضح الجدول 7.6 أن الكلمتين ٤ و ٥ ثابتتان، والكلمتين ٣ و ٣ في حالة اختلاف ، والكلمة ا هي الوحيدة التي تغيرت. والآن نعطيكم مثـلا حقيقيا من الانكليزية وهـو القاعدة التى تقصر الواو /u:/ إلى

ضمة/ u / قبل التاء في كلمات المقطع الواحد. ولكن هذه القاعدة لا تعمل عملها في كافة الكلمات القابلة لها ، كما هو مبين في الجدول 8.6 أدناه.

الكلمة / المرحلة	ثابتة	مختلفة	متغيرة
foot	----	----	/fut /
soot	----	/ su :t ، sut /	----
root	----	/ ru :t، rut/	----
boot	/bu :t/	-----	----
loot	/lu :t/	-----	----

المصدر: Phillips 1984:320

يوضح الجدول 8.6 إستمرار إحتفاظ 'حذاء' و 'سلب' بالواو المـديدة في حين أن 'جذر وسخم' تتراوحان بين المد والقصر. وأما 'قدم' فهي الوحيدة التي أصابها القصر بالكامل.

وفيما يتعلق بآلية إنتشار التغيير الصوتي فتكمن في التكرار: أي كم مرة وردت الكلمة أو عدد مرات ورودها. وأما مسألة ما الذي يتغير في الأول: أهي الكلمات الأقـل أم الأكثر تكراراً، فلا يمكن البت فيها. فهناك أبحاث أشارت إلى أن الكلمات الأكثر تكراراً هي أول ما يتأثر بالتغيير (Hooper 1976:95-99 ، Phillips 1980 ،1983 ، 1983 Johnson). فمثلاً بين (Phillip 1980،1984:322) أنَّ الكلمات الأقل وروداً (تكرار = ١ - ١٠) بخصوص رفع الألف / a / في اللغة

الانكليزية القديمة إلى أُو / o / أمام الأنفيات (أي الميم والنون ...) ذات نسبـــة أدنى في رفعهـا (٣٩ %) من أكثـر الكلمات وروداً (تكرار = فوق ٤٠٠)(٩٨ %).

وهناك بحوث أخرى ذات نتائج مناقضة بإشارتها إلى أن الكلمات الأكثر وروداً أقل عرضة للتغيير حيث تحافظ على لفظها العفوي 1984 ; Al-Amadihi 1985:157 ; Dressler & Wodak 1982:353) 1984) (Hooper، 1976:99 - 100 ; Phillips. ومثال ذلك ما وجدته Phillips) في دراستها عن حذف المنزلقة الياء (/ Y /) كما في new 'نيو' وتصبح 'نو' في اللهجات الجنوبية للإنكليزية الأمريكية. وفي هذه الدراسة المبنية على مادة كلامية لستين شخصاً كانت الكلمات الأقل وروداً أكثـر حذفـاً للمنـزلقة / ي / من تلك الأكثر وروداً. وهذه النتائج معطاة في الجدول 9.6 أدناه.

الجـــدول 9.6. تكـرار حذف الياء عنـد ٦٠ فرداً في الأمـريكية الإنكيليزية الجنوبية

الزمرة التكرارية	الأمثلة	نسبة الياء المحذوفه
٠ - ١	nude, Tudor, etc.	٧٤ . ٤
١ - ١٠	nutrient, tutor, etc.	٧١ . ٨
١١ - ١٠٠	Tuesday, numerous.	٦٠ . ١
١٠١ - ٥٠٠	Knew, during.	٥٤ . ٥
فوق ٥٠٠	new	٤٣ . ٠٠

المصدر: بتصرف عن Phillips 1984:_323

يتبين من الجدول 9.6 أنه كلما دنا تكرار ورود الكلمة ازداد فقدان المنزلقة فيها. أي أن الكلمات التي تكررت مرة واحدة هي ذات النسبة العليا في حذف الياء (٧٤ . ٤ %). إذا ماقورنت مع الكلمة الواردة فوق ٥٠٠ مرة، وهي ذات الحذف الأدنى (٤٣ %).

وفي ضوء هذا العرض الوجيز للإنتشار المعجمي، يمكننا الآن الشروع بتحليل مادتنا. وسنركز فيها على شيئين، هما مدى الإنتشار المعجمي في المادة ودور تكرار الكلمات فيه.

2.3.2.1.2.6 الإنتشار المعجمي والقاف

1.2.3.2.1.2.6 مداه ومراحله

نظراً لكثرة كلمات القاف في مادتنا (البالغة ٦٨٩٣ كلمة في أساليب المحادثة)، فمن المحال إدراج كل منها مع تكراراتها هنا. ولذلك سنقوم بذكر الأرقام الخام فقط توفيراً للمساحة. وتوصلنا إلى هاته الأرقام بحساب جميع الكلمات بحسب المتكلم والمستغير والأسلوب ثم جمعناها لكافة الرواة والأساليب. وعبرنا عن هذه النتائج على هيئة نسب مئوية جرى حسابها بناء على المعادلة الإحصائية المقدمة في الفصل الخامس. ولم نطبق على هذه النتائج إختبار القيمة، وكان ذلك موقف لابوف (1981) و.ج. ملروي (1978) و.فيلبس (1984)، الخ.

ويعرض الجدول 10.6 نتائج القاف بخصوص مراحل الإنتشار المعجمى فيه.

الجدول 10.6. نسب (ق) في مراحل الإنتشار الكلمي بأسلوبي المحادثة

المراحل	عدد الكلمات	النسبة
ثابتة	١١١٣	١٦.١٤
مختلفة	٥٢٣٨	٧٦.٠٠
متغيرة	٥٤٢	٧.٨٦
المجموع	٦٨٩٣	١٠٠.٠٠

يبين الجدول 10.6 أن الغالبية الساحقة من الكلمات اختلافية (٧٦ %) وينقسم ربعها الباقي بين الثابتة (١٦ %) والمتغيرة (٨ %). والمقصود بالكلمات المختلفة تلك التي يتراوح لفظها بين (١) [ق ، ء ، ک ، وج] مثل قليل ، أليل ، کليل : جليل ، (٢) [ق ، ء ، ک] مثل قلب، ألب، كلب، (٣)[ق،ء] مثل قلت، ألت، و (٤) [ق ، ک] مثل قلت، كلت، الخ. وأما الكلمة الثابتة فهي، التي لا تظهر إلا بـ [ک] أو [ج] دوماً. وبخلافها تكون المتغيرة التي لا ترد إلا بـ [ق] أو [ء] دوماً.

وعلما أن الجدول 10.6 لايبين المقدار الدقيق لكل مستغير في المعدل العام المعطى للمتغير بأكمله. فالصورة الإجمالية للإنتشار لا تزال صحيحة حتى لو عرضناها لكل مستغير على حدة. ولهذا الغرض نعيد تحليل المادة في الجدول 11.6 أدناه حيث نبين مدى الإنتشار المعجمي لكل مستغير منها.

الجدول 11.6. نسب (ق) بمراحل الإنتشار المعجمي لكل مستغير في أساليب المحادثة

المستغيرات					
المراحل	[ق]	[ء]	[ك]	[ج]	المجموع
ثابتة	۰۰۰۰	۰۰۰۰	٢٥،١٠	١٢،٢٧	١١١٣
مختلفة	٦٣،٠٦	٩٢،٩٤	٧٤،٩٠	٨٦،٧٣	٥٢٣٨
متغيرة	٣٦،٩٤	٧،٠٦	۰۰۰۰	۰۰۰۰	٥٤٢
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٦٨٩٣

يبين الجدول 11.6 شدة استحباب جميع المستغيرات للإختلاف على المرحلتين الأخريين. وأعظمها تفضيلاً لذلك البديلة المحلية [ء] ونسبتها (٩٣ % والفصيحة [ق] ، وأما البديلة المهجرية [ك] فوسط بينها (٧٣ %). وبالنسبة لمرحلة التغيير فهي تفضل القاف (٨٨ %) على الهمزة (١٢ %). وفي الكلمات الثابتة تستحب [ك] (٩٣،٨٠ %) على [ج] (٦،٢٠ %) بالاحتكام إلى عدد الكلمات في كل حالة.

ولا يقتصر القدر الهائل للإختلاف في مادتنا بالمقارنة مع مرحلتي الإنتشار الباقيتين على هذه الدراسة وحدها. فأظهرت إعادة تحليلنا لقائمة كلمات لابوف (1981:294) بخصوص اشتداد الألف التي سلف ذكرها (1.6) نتائج مماثلة حيث بلغ الإختلاف (بين الإشتداد والتراخي) فيها ٧٢ % بينما لم يبلغ الثبات (عدم الإشتداد والتراخي) سوى ١٨ % .

وفي الأبحـاث العـربية قلما نجـد دليلاً على طبيعـة الإنتشـار المعجمي ومداه فيها. ولكن يمكننا القول بتوصل عبدالجواد (1981) والعمادهي (1985) إلى نتائج مشابهة في دراستيهما عن الأردنية والقطرية رغم اتباعهما مسلكين مختلفين. فكلاهما قسما كلمات القاف إلى أربع فئـات معجمية بإتباع طريقة واحدة على المعموم. وتدعى الحالتان الأولى والثانية في كليهما بـ (١) الكلمات العامية البحتة و (٢) الكلمات الفصحى البحتـة رغم الفروقات الطفيفة بين البحثين في المعايير المتبعة في تعريفاتها. وأما الفئتان الباقيتان فإحداهما أقرب إلى العامية والأخرى إلى الفصحى علماً أن تصنيفهما وتسميتهما كانت تختلف فيهـما تبعـاً لاعتبـارات صرفية وصوتية ومن حيث ملاءمتها للإستخدام في الكتابة. (وليس هذا المكان مناسباً كي نقيم أو نزيد فى تفصيل المعـايير الـلاسليمـة في تصـانيفهما، ولكن القارىء يمكنه الرجوع إلى عبدالجواد (1981:119-23) والعمادهي (1985:112-18) للإستزادة من المعلومات.) وأما نتائجهما التي تصرفنا فيها لتتناسب مع أغراض بحثنا فمبينة في الجدول 12.6 أدناه.

الجدول 12.6. نسب (ق) بالفئة المعجمية في اللهجة القطرية والأردنية

الفئة/اللهجة	الأردنية	القطرية
الأولى	١٢.٩٤ /(١٥٩٦)	١٣.١٢ /(١٢٧٩)
الثانية والثالثة	٧٥.٣٠ /(٩٢٨٨)	٧٢.٢٠ /(٧٠٣٥)
الرابعة	١١.٧٦ /(١٤٥١)	١٤.٦٨ /(١٥٣١)
المجموع	١٠٠.٠٠ /(١٢٣٣٥)	١٠٠.٠٠ /(٩٧٤٥)

المصدر: بتصرف عبدالجواد (1981:131) والعمادهي (1985:134)

يبين الجدول 12.6 أن الفئتين الثانية والثالثة اللتين جمعتا لتتناسبا مع أغراض بحثنا هذا تمثلان الغالبية الغالبة للمادة فى كلتا اللهجتين، وهما يقابلان المرحلة المختلفة في دراستنا بالذات حيث نتائجها متقاربة جداً. وتبلغ الفئتان الأولى (العامية الصرف) والرابعة (الفصحى الصرف) ربع المادة، وهاتان توازيان المرحلتين الثابتة والمتغيرة في مادتنا السابقة. ومن الجدير بالذكر أن هاتين الفئتين الأخيرتين تحتويان على قدر يسير من الإختلاف الذي لم نتمكن من تقديره نظراً لعرض نتائجهما للمتغير بأكمله وليس لكل مستغير على حدة.

2.2.3.2.1.2.6 (ق) والتكرار

في التحليل السابق للقاف بالإنتشار المعجمي الملخص في الجدولين 10.6 و 11.6، لا يتأتى لنا معرفة مدى أو مقدار التغيير المعجمي بالضبط. أي أن الأرقام – بالرغم من أنها تشير إلى كمية الإختلاف في المادة – لا تدلنا على كمية تطبيق التغير المعجمي؛ إذ أننا نريد أن نعرف فيما إذا كان تكرار الكلمة يحدد درجة التغيير الطارئ عليها. وللإجابة على هذا الأمر قمنا بتحليل المادة بالتكرار. ونعرض في الجدول 13.6 نسب التغير الصوتي الحاصل (أي [ق أوء]) بالزمرة التكرارية.

الجدول 13.6. نسب التغير الصوتي للقاف بالتكرار في أسلوبي المحادثة

الزمرة التكرارية	% اللفظ المتغير (استخدام [ق وء])	العدد والمجموع
٠ - ١	٤٠.٥٨	(٣٧٧ / ١٥٢)
٢ - ١٠	٤١.٠٢	(١٩١١ / ٧٨٤)
١١ - ٥٠	٣٥.٩٦	(٢١٥٠ / ٧٧٢)
٥١ - ١٠٠	٢٠.٧٠	(١١٢١ / ٢٣٢)
١٠١ - ١٠٠	٢١.٥٠	(١١١٦ / ٢٤٠)
٢٠١ - ٣٠٠	١٣.٧٦	(٢١٨ / ٣٠)
المجموع	٣٢.٠٠	(٦٨٩٢ / ٢٢١٢)

يبين الجدول 13.6 أنه لا الكلمات الأقل ولا الأكثر تكراراً تفضل اللفظ المتغير - أي إستخدام القاف والهمزة - علماً أن الكلمات العالية التكرار تستكرهه أكثر من الكلمات النادرة. وبمعنى آخر تظهر الكلمات المتدنية التكرار ميلاً للتغيير أكثر من ذوات التكرار العالي.

وهكذا تؤيد النتائج الملخصة في الجدول 13.6 أعلاه النظرية التي تقول بعدم استحباب الكلمات الأكثر تكراراً للتغيير ومحافظتها على نطقها المألوف. وأما الرأي القائل بتفضيل الكلمات الأقل تكراراً للتغيير بدرجة أكبر من ذوات التكرار العالي، فلا يمكن توكيدها هنا علماً أن الأولى أقل ميلاً إلى اللفظ العفوي من الأخرى.

وإلى نتائج مماثلة كهذه توصل العمادهي (1985:154) في بحثه عن لهجة قطر. وبالتحديد قام بإحصاء تكرارات خمس* كلمات من أكثر

الـكـلـمات تكـــراراً (بـــين ١٨٩ - ٤٥١ مرة) في مآدتـــه ووجـــد أن أربعاً منها –وهي قال ، قلت، قبل ، يقول – كان لفظها العادي قطعياً (فوق ٩٨ % في كل حالة). وحادت عن هذه الصورة كلمة أعتقد التي كانت تستبدل في العامية بكلمة أخرى ذات معني مماثل لها، وهي أحسب. ومع ذلك فلم تفضل اللفظ الفصيح الصريح (٩،٥٢ %) بل اللفظ شبه الفصيح (٩،٨٩ %) (العمادهي 1985:155).

3.3.2.1.2.6 الملخص

يمكن تلخيص التحليل اللغوي للقاف كما يلي:

(١) إن تبادل المستغير الفصيح [ق] والمحلي [ء] والمهجريين [ك وجْ] غير محكوم صوتياً أو نحويا في كلام المهاجرين.

(٢) إن الإختلاف بين تلك البدائل السابقة محكوم معجميًا. وهذا مما يدعم نظرية الإنتشار المعجمي. وبدقة أكثر ، بينت مادتنا أن الكلمة الواحدة قد يرد لفظها بمستغيرين أو أكثر. ومن بين المراحل الثلاث للإنتشــار المعجمي كانت المـرحلة المختلفة تشكل النسبة الساحقة للمادة (٧٦ %). كما وجدنا فروقات ضئيلة بين البدائل بخصوص مدى الإنتشار المعجمي فيها حيث كانت نسبة الإختلاف أعلاها في [ء] (٩٢ %) وفي [ق] أقلها (٦٣ %) وكانت [ك] في الوسط بينهما (٧٥ %).

(٣) وفيما يتعلق بالتكرار فلم تستحب الكلمات الشديدة والقليلة التكرار التغيير (أي [ق وء]) علماً أن الأخرى كانت أميل لذلك من الأولى. ولـذلك تؤيد هذه النتيجة المذهب القائل بعفوية لفظ الكلمات الأكثر تكرارًا.

2.2.6 المتغير (ك)

1.2.2.6 مراجعة للأبحاث اللغوية الإجتماعية العربية عن الكاف

جرى تحليل الكاف لغويًا في دراستين عن الأردنية (عبدالجواد 1981) والبحـرانية (هولز 1983 ، 1981). وكان نمط التحليل فيهما كيفيًا. ففي الأولى ميز عبدالجواد بين لهجتين، هما البدوية والفلاحية؛ وللكاف فيهما مستغيران: أحدهما فصيح [ك] والأخر مطعون [تش]. فعند المتكلمين البدو تكاد تكو ن [تش] قد اختفت فلذلك من العبث البحث عن القيود الصــوتية التي تحكم توزعْ الكـاف والتشين (2-1981). وأما الفلاحو ن ، فوجد أن [تش] لا تزال تظهر في حديث ٢٣ من بين ٥٣ راو ولكنها غير محكومة صوتيًا (1981:294). واستشهد بثمان كلمات لدعم نتيجته هذه التي وردت فيها [ك وتش] إلى جانب العـلات الأمامية والخلفية كما في / كِيف ، تشيف، كُل ، تشِل ، تشُل ، الخ /. كما ذكر أخيرًا (1981:295) أن صيغة [تش] مستحبة (٦٣ %) في حالة الضمير المتصل المؤنث المخاطب كما في / أبوتش / .

وفي البحرانية تتبادل [ك] مع [تش] أيضا؛ وهذا التبادل لا يتأثر بالعــوامــل الصـوتية (Holes 1983:453). ورأى هولـز أن شرح الإختلاف اللغوي الحاصل بينهما إنما يتم حسب ما أسماه بالفرضية المعجمية (6-453). ولتأييدها ساق الأدلة الثلاثة الآتية، وهي:

(١) حدوث تغيرالأصوات بالحزمة والتزامن. ومثاله التغير الذي يطرأ على الأداة / تشنـا / في العامية إلى / كأنَّ / في الفصحى ، وذلك يضم التغيرات الصوتية المتخاطرة التالية (1981:176):

١. [تش] ← < ك > (كِن -)

٢. [-ِ-] ← < -ِ- > (كَن -)

٣. ∅ ← > ء < / ´ -نّ (كأنْ -)
٤. ∅ ← > ´ < ء -نّ (كأن -)

أي أنـه لما تصبـح [تش] [ك] في الكلمات المذكورة أعلاه تصـاحبـهـا تغـيرات صوتـية أخـرى وتـضم هبـوط العلة (/ / ´ / إلى / ـ /) واستعادة الهمزة (∅ ← [ء]).

٣ . انعـدام الصيغ الـوسطى والهجينـة. ففي الإنتقـال من العامية / تشنًّا / إلى الفصحى / كأن - لا ترد صيغ هجينة مثل / تشأن - / أو / كِن - / .

٣ . قيود تواردية وأسلوبية عالية المستوى. فمثلاً يطرأ التغير في كلمة / أسماتش / و / أسماك / على صوت واحد ولكنهما تردان في تراكيب مختلفـة. فلإحـداهمـا تركيبـة عامية مثـل /... كِنا نودي الأسـماتش الـلي صدناهم عند اليزاف .../ وللأخرى تركيبة فصيحة كما في / شركة الأسماك .../. ففي الأولى تلازم أسماتش سياقا عاميا صرفا من كلمتي نودي واليزاف وأما في الأخرى فسياقها فصيح إذ تلازم شركة، وهي كلمة فصيحة.

وحـدت هذه الأسبـاب الثـلاثـة بهولز (1983:454) إلى اعتبار الأزواج الصوتية من مثل تشنًّا وكأن ، الخ منفصلة صوتياً عن بعضها وتستلزم مواداً معجمية منفصلة التي يتحدد إستعـمالهـا تحديداً لغويا اجتماعيًا. وكما يصفها بقوله (1983:454):

وحسب هذا الفـرضية (المعجمية) يمكن أداء الـوظيفـة النحوية التي تقوم بها الأداة كأن بإحدى كلمتين متعادلتين تبعا للسياق (الأسلوبي والإحتماعي). ولهذا فهما يستلزمان مادتين معجميتين منفصلتين.

وقد سبق أن ألمحنا إلى نقد العمادهي (1985) للفرضية المعجمية

ومبدأ الإنفصال الصوتي فيها (1.1.2.6) ولن أقوم بتكرار ذلك هنا. كما يمكن دحض المعايير الأخرى كما يلي. أولاً ليس الإستشهاد بتغير الأصوات بالحزمة بالسبب الوجيه لصالح الفرضية المعجمية وذلك لإمكانية أن تكون جميع التغيرات الصوتية المتواردة كهبوط العلة واستعادة الهمزة في حالة (كأن) متغيرات كاملة ومستقلة بعينها من حيث أن درجة الإختلاف الحاصلة فيها لا تقل عما حصل للكاف بالذات. وهذا الذي حصل في مادتي بالفعل. فعلما أن دراستي لا تقوم بالبحث في الفتح (-- ´--) والهمز (ء)، فيتبين لنا من القاء نظرة عاجلة على مادتنا أن شأن كلا المتغيرين هذين شأن المتغيرات الأخرى. فمثلاً تتناوب الهمزة/ ء/ فينهاية الكلمة بالذات مع o كما في/ سماء، سمه، سما: رجاء، رجه،/ . (وبخصوص الأمثلة عن العلات الخاضعة للإختلاف راجع الفصل الخامس). وبعبارة أخرى يمكن أن يحدث استرداد الهمزة (وانخفاض الفتحة كما في سماء، سمه/) مع ورود [ك و تش] أو بدونها سواء.

وثانيا بالنسبة للصيغ الوسطى، فوردت في مادتي كذلك. فخذ مثلاً / كأني / التي استشهد بها هولز أيضا إذ اختلفت بين / تشِنّي ، كِنّي ، كَنّي ، الخ / - وكَني هي الهجينة منها. وأما قيود التوارد العليا فليس يصطحبها بالضرورة تركيبات (عامية وفصيحة) منفصلة. فمثلاً لا تلازم كلمة فصحى - وهي كلمة فصيحة أساسًا - فعلاً فصيحاً دوماً. فكانت / أحتشي وأحكي فصحى / ترد بالصيغتين العامية والفصيحة. وينطبق الشيء ذاته على كثير من الحالات المماثلة غيرها.

2.2.2.6 تحليل (ك) في هذه الدراسة

1.2.2.2.6 القيود الصوتية

في المهجرية تختلف الكاف مع [تش]. ويدعى تحول الكاف إلى [تش] بالإستغـوار أو الإستحناك الذي يحدث، كما وصفه كانتنو (1936:28-39)، بجانب: (١) العلات الأمامية كما في ديتش و تشلب؛ و (٢) السواكن المرققة كما في حنتش.

وللتأكد من ذلك قمت بفحص أثر بعض الأسيقة الصوتية على تناوب [ك] و [تش] في أحاديث رواتي الـ ٣٨ في مادتي. وبدقة أكثر تفحصنا ذلك في أسلوب المهاجر مع المهاجر عند ٢٨ شابا وفي أسلوبي المحادثة للعشرة الكبار. ونتائج ذلك مجموعة في الجدول 14.6 أدناه.

الجدول 14.6. نسب (ك) بالسياق الصوتي في أساليب المحادثة

	[ك]	[تش]	العدد
علة	٧٢ . ٦٦	٢٧ . ٣٤	٤٥٨٣
ساكن	٨٣ . ٨٠	١٦ . ٢٠	١٠٥
مجموع	٧٢ . ٩١	٢٧ . ٠٩	٤٦٨٨
علة أمامية	٦٥ . ٥٦	٣٤ . ٤٤	٣٦٣٩
علة خلفية	١٠٠ . ٠٠	٠٠ . ٠٠	٩٤٤
مجموع	٧٢ . ٦٦	٢٧ . ٣٤	٤٥٨٣
قبل علة	٧١ . ٥٨	٢٨ . ٤٢	٣٥٥٣
بعد علة	٧٦ . ٤٠	٢٣ ، ٦٠	١٠٣٠
مجموع	٧٢ . ٦٦	٢٧ . ٣٤	٤٥٨٢

لا يتبـين من الجـدول 14.6 عدم استحبـاب الإستغـوار في جميع السياقات الصوتية فحسب بل بطلان عملها حتى عند إستيفاء شروطها الصوتية. فمثلاً في سياقات العلة الأمامية تفضل [ك] جداً في حين أنه ينبغي عكس ذلـك. وقـد سبق أن توصلنـا إلى نتيجة مماثلة بخصوص إختلاف [ڬ] و [ج] حيث كان الإستحناك مستكرهًا في ظل ظروف مشابهة (1.2.1.2.6)

2.2.2.2.6 القيود النحوية

ولمعـرفـة أثر القيود النحوية على تبادل [ك – تش]، فحصنا المادة الكلامية ذاتها الملخصة في الجدول 14،6 أعلاه. ونتائجها مبينة في الجدول 14.6 أعلاه.

الجدول 15.6. نسب (ك) بالفئة النحوية أسلوبي المحادثة

	[ك]	[تش]	العدد
الإسم	٧٩.٦٥	٢٠.٣٥	١٧٩٩
الصفة	٧٤.٠٠	٢٦.٠٠	٥٠٤
الظرف	٥٦.٦١	٤٢.٣٩	٥٩٠
الفعل	٧١.٢٠	٢٨.٨٠	١٧٩٥
المجموع	٧٣.٠٠	٢٧.٠٠	٤٦٨٨

يبين الجدول 15.6 عدم استحباب الإستغوار في كافة السياقات النحوية.

وعـدم إستحبـاب [تش] في كلا السياقين الصوتي والنحوي بالإضافة إلى ورود الكلمة الواحدة بـ [ك] و [تش] مهما كانت

صيغتهـا وفئتهـا الصوتية والنحوية كما في أحتشي، أحكي (فعل)، وحكي، حتشي (إسم)، مما يستلزم تحليلاً مختلفـاً. ونعـرض ذلك في القسم التالي.

3.2.2.2.6 الإنتشار المعجمي و (ك)

1.3.2.2.2.6 مراحل الإنتشار المعجمي

يعـطي الجـدول 16.6 أدنـاه توزيع المـراحل الثلاث للإنتشار المعجمي في الكاف عند كافة الرواة في أساليب المحادثة.

الجدول 16.6. نسب (ك) بمراحل الإنتشار المعجمي في أساليب المحادثة

المراحل	عدد ونسبة [ك]	
ثابتة	(٩٠)	١.٤٠
مختلفة	(٢٤٩١)	٣٨.٧٢
متغيره	(٣٨٥٢)	٥٩.٨٨
المجموع	(٦٤٣٣)	١٠٠.٠٠

يبين الجدول 61.6 أن أغلبية الكلمات تغيرت (٦٠ %) وتفضل الصيغة الفصيحة في لفظها التي يقصر الإستعمال عليها. ويتضح من الجدول أن ٤٠ % من الكلمات ذات ألفاظ تتراوح بين [ك وتش]. وأما الكلمات الثابتة على لفظ [تش] وحدها فشبه معدومة.

وإذا ما قارنا بين (ك) و (ق) أعلاه (1.2.3.2.1.2.6) يتبين لنا أن الأول منهـا أسبق من الثـاني بكثـير فيما يخص إستفصاحه واستكمال تغييره الصوتي. ففي (ق) غالبية الكلمات في مرحلتها

المختلفة (٧٦ %) في حين أنها في المرحلة المتغيرة في الكاف (٦٠).
ومن الصعب جداً إيجاد شرحاً معقولا للتباين في سلوك هذين المتغيرين. ولعل السبب الأساسي لتقدم المرحلة المتغيرة في الكاف عائد إلى الطعن الإجتماعي للمستغير [تش]. فبما أن [تش] مستغير مطعون موصوم منقود، فليس بالأمر الغريب أن يتراجع وينكمش أمام البديل الفصيح أو الرفيع [ك]. ومما يساوي ذلك أهمية الوجود السابق للكاف في النظام الصوتي المهجري الأصلي بخلاف [ق ، وء] اللتان ينبغي اكتسابهما من اللهجة الفصحى والمحلية لكل منهما. وهكذا يكون تفصيح الكاف أسرع من القاف وأشد منها.

2.3.2.2.6 المتغير (ك) والتكرار

نظراً لأن غالبية الكلمات في المرحلة المتغيرة للإنتشار المعجمي، فلن يستند تحليلنا إلا على كلمات المرحلة المختلفة فقط. وجرى اتخاذ هذا الإجراء حتى لا تتزيف النتائج بإدخال كلمات كان أغلبها قد تغير. وفي الجدول 17.6 أدناه نعرض النتائج الحاصلة لمدى التغير الصوتي في (ك) بالتكرار.

الجدول 17.6. نسب التغير الصوتي في (ك) بالتكرار حسب الكلمات المختلفة في أساليب المحادثة

الزمرة التكرارية	% لفظ [ك]	العدد والمجموع
١ - ١٠	٦٥ . ٢٣	(٤١٧ / ٢٧٢)
١١ - ٥٠	٤٣ . ٧٨	(٨٢٠ / ٣٥٩)
٥١ - ١٠٠	٥٥ . ٥٥	(٥٤٠ / ٣٠٠)

فوق ١٠٠	٥٠،٠٠	(٧١٤ / ٣٥٧)
المجموع	٥١.٧٠	(٢٤٩١ / ١٢٨٨)

يبين الجدول 17.6 تفضيل الكلمات ذات التكرار الأقل للفظ المتغير أكثر من غيرها بالرغم من انعدام إتساق وإنتظام المادة. ولسنا ندري مقدار صدق الأرقام الملخصة في الجدول 17.6 عن المتغير (ك) بأكمله. ولكن هنالك شيئان يسندان صحة هذه الأرقام. فأولهما ميل الكلمات الأقل تكراراً إلى التغير أكثر من ذوات التكرار الأكثر كما وحدنا في دراسة المتغير (ق) (2.2.3.2.1.2.6). وأما الثاني فيمكن التوصل إليه بمقارنة مادتنا مع السجل التار يخي للجولانية قبل هجرتها (كانتنو 33-1936:31) وفيه قائمة من ٢٧ كلمة، وكلها ذات ألفاظ مصطكة.ولدى مقابلة هذه القائمة بنتائجنا ميزنا الفئات التالية:

(١). هنالك أربع كلمات لم ترد في مادتنا، وهي ديتش، بتشيره، ستشن، يرتشي.

(٢). وردت ٦ كلمات في مادتنا بـ [تش] دوما، وهي حنتش، تشتف، تشبده، تشلوه، تشبش، بايتشه – وهذه الأخيرة تركية الأصل. وتراوح تكرار هذه الكلمات بين ٢ - ٦ مرات.

(٣). وردت ٤ كلمات بالكاف دائما، وهي تشرشه، تشعاب، ستشة وتشليله. وتكراراتها بين ١ - ٢ .

(٤). كانت غالبية الكلمات (ع = ١٣) ترد في لفظها بين [ك وتش]. وتراوحت تكراراتها بين ٤ – ٣١٣ مرة. وهي:

ارتشب: ٤	بتشه: ٢٣	حتشه: ٧١
تشف: ٦	بلتشي: ٣٤	تشيف: ٧٦
ماتشل: ٩	تشم: ٤٨	تشبير: ١٠٨

تشلب: ١٦ باتشر: ٥٤ تشثير: ١٧٥

هيتش: ٣١٣

وفي الفئة الأخيرة كانت نسبة اللفظ الفصيح في أقل الكلمات تكراراً (٤ - ١٠ مرة) - وعددها ثلاث - أعلى (٦٤، ٥٢ %) من الكلمــة الأكثــر تكراراً (٤١ %). وأما الزمر التكرارية الوسطى فتخلوا من تناسقها. فالزمرتان ١١ - ٥٠ و ٥١ - ١٠٠ - علمًا أن نسبة النطق الفصيح فيهما (بلغت ٠١، ٣٨ % و ٧٩، ٤٠ % لكل منهما) أدنى من الزمر الأقل تكرارًا - ذاتا تكرار أدنى من الزمرة ١٠١ - ٢٠٠ (٠١، ٥٩ %) وحيث ينبغي العكس.

3.3..2.2.2.6 الملخص

يمكن إيجاز النقاط الرئيسية للتحليل اللغوى للكاف كما يلي:-

(١) إن تبادل [ك] و [تش] غير مقيد صوتياً.

(٢). إن الإختــلاف الصــوتي بينهما محكوم معجمياً. أي أنه يمكن لفظ الكلمــة الــواحــدة بكلا البديلتين في آن واحد كما في / كنت - تشنت ، كان - تشــان ، الــخ / . كما تبــين من التحليل اللغوي أن أغلب الكلمات متغيرة (٦٠ %) ومعظم ما تبقى مختلف (٣٩ %) والثابتة منها معدومة تقريبًا (١ %). وهذا مما يجعلنا نقول بأن المتغير (ك) سيستكمل التفصيح في وقت غير بعيد.

(٣). كانت الكمات الأقل تكراراً تفضل اللفظ الفصيح أكثر من ذوات التكرار الأكثر. ولكن علينا ان نحتاط في قبول هذه النتيجة نظراً لعدم إتساق الزمر التكرارية وانتظامها. كما أن هذا التحليل التكراري كان مبنيا على المرحلة المختلفة فقط - فهو محدود إذن.

3.2.6 المتغير الصوتي الصرفي (– ك)

1.3.2.6 استعراض أثر السياق اللغوي في المتغيرات النحوية

لا تقتصـر دراسـة أثر السياق اللغوي في إختيار البدائل على المتغـيرات الصوتية. فالمتغيرات الصرفية والنحوية مما يخضع للقيود السياقية ذاتها (مثلاً Cheshire :31–71, Romaine 1982 a :Ch.6 1982). فهاكم مثلاً عن أداة النفي (ain't) في لهجة ردنغ بانكلترا، وهي شاهدنا على ذلك. ولها ثلاثة إستعمالات (1982:51)، وهي:

(١). صيغة النفي لفعل الكون المساعد BE في الزمن المضارع، كما في How Come that ain't working? (فـ ain't تساوي هنا be + not)

(٢). صيغة النفي لفعل الكون BE في المضارع، كما في You ain't no boss (حيث ain't = الرابطة not + be، أي أنها ليست فعلا مساعدًا).

(٣). صيغة النفي لفعل الملك Have في المضارع، كما في I ain't got one single flea in my hair, they're all married (أي أن ain't = have not).

وقامت تشثر (1982:53) بحساب عدد مرات تكرار (ain't) في حالتين نحويتين، وهما الجمل التصريحية والأسئلة المربوطة. ونتائجها معطاة في الجدول 18.6 أدناه.

الجدول 18.6 تكرارات (ain't) بالحالة النحوية في لـهجة ردنغ

صيغة الفعل	الجملة التصريحية	الأسئلة المربوطة
فعل الملك المساعد	٧٨ ، ٥٧	٩٥ ، ٠٠
فعل الكون	٥٩ ، ٨٢	٩٦ ، ٢٠
فعل الكون المساعد	٦٠ ، ٦٦	٨٨ ، ٨٩

المصدر Cheshire 1982:53 بتصرف

يبين الجدول 18.6 أن نسب (ain't) في الأسئلة المربوطة أعلى من الجمل التصريحية. كما يبين الجدول أيضاً أن نسبتها العليا هي في فعل الملك المساعد والصغرى في الكون المساعد.

وفي الدراسات اللغوية الإجتماعية العربية قلما نجد دليلاً على أثـر القيود اللغوية في المتغيرات النحوية لأن معظم هذه الأبحاث ذات متغيرات صوتية. ولا أعلم إلا دراسة واحدة (El-Hassan 1978) حاولت معالجة اسم الإشارة في أحاديث ٩٠ مثقفاً عربيا من مصر و سـوريا وفلسطين ولبنان والأردن. ولإسم الإشارة (هذا) للمذكر المفرد القريب – عدة مستغيرات تختلف بحسب المنطقة وكما يلي.

(١). الصيغة الفصحى : (آ) هذا.

(٢). الصيغ العامية: (ب) هدا (في لبنان وسوريا والأردن)، (ج) هظا في الأردن وسوريا، (د) هزا في مصر وسوريا (هـ) ده في مصر، (و) دوت في مصر، (ز) دون في مصر، (ى) هيدا في لبنان.

حدد الحسن (1978:33) لهذا ثلاث وظائف نحوية، هي:

١ . تأتي ضميراً وترد دون أن يلا زمها اسم معرف في الجملة الإسمية الواحدة كما في هذا كتابك، وهاظ إكتابك.

٢ . تأتي معـرفًا حيث تتلازم مع وتسبق الاسم المعرف في الجملة الإسمية الواحدة كما في هذا الكتاب لك، وهاظ لكتاب إلك.

٣ . تأتي صفة حيث تتلازم مع إسم معرف في الجملة الإسمية ذاتها ولكنها تتبع الإسم المرتبطه به بعكس الوظيفة السابقة كما في الجواب في الكتاب هذا والجواب بالكتاب هاظ.

ولم يحدد الحسن السياقـات النحـوية الخـاصـة التي ترتبط بها الـوظـائف الثلاث هذه . ولكن نتـائجه المتعلقة باللهجة السورية

(1978: 44) بينت أن نسبة المستغير الفصيح [هذا] تساوت مع المستغير العامي الرئيسي [هادا] (٤٩ ٪ مقابل ٤٧ ٪) بينما كانت نسبة الألفاظ [هزا] (٧٧ ، ١ ٪) و [هاظا] (٨٨ ، ٪) مهملة. وأما الوظائف النحوية فكانت الوظيفة الضميرية أحب (٦٦ ٪) من المعرفة (٢ ٪) والصفوية (١٢ ٪).

2.3.2.6 التحليل اللغوي للصوت الصرفي (- ك)

1.2.3.2.6 مراجعة

لم تقم فيما سبق أية دراسة عربية بمعالجة /-ك/. ويستثنى من ذلك عبد الجواد (1981) في إشارته العابرة لـها في اللهجات الأردنية التي ترد فيها إما [- ك] أو [تش] وذلك تبعًا لجنس المخاطب إذ تدل الأولى على المذكر والأخرى على المؤنث كما في/أبوك/(للمذكر) و/أبوتش/للمؤنث).

ولكن عبد الجواد لم يدرس أثر القيود اللغوية على تبادل [ك - تش]. واكتفى بالإشاره إلى استكراه اللفظ المصطك للكاف الذي بلغت نسبته ٣٢ من مجموع الحالات العام وعددها ١٨٧ (295 : 1981).

2.2.3.2.6 (-ك) فى هذه الدراسة

لا تخضع (-ك) في هذه الدراسة التي لها بديلتان فصيحة. [-ك] ومطعونة [-تش] لأية قيود نحوية أو صوتية أو معجمية مهما كان نوعها. والأمثلة التالية شاهد على ذلك:

/أبوتشي - أبوكي/ . مؤنث مفرد . /سلامتش-سلامِك/ ؛
/كتابتش-كتابِك ، /إسمتش-إسمِك/ ؛ /بتش - بيك /.

وفي وصفه للفضلية قبل هجرتها لاحظ كانتنو (1936:33) أن

استخدام [-تش] في الضمير المتصل المؤنث المخاطب كان قطعياً. وعلماً أن أمثلتنا السابقة تبين بجلاء تناوب [-ك] و [-تش] على المستوى المعجمي، فلا يزال ذلك غير مقيد لغوياً. والسبب الوحيد في ذلك هو الأسلوب. وبمعنى آخر ، كان استعمال اللفظ المصطلك يرد قطعيا بين المهاجرين وأمثالهم وأما اللامصطلك فبين المهاجرين والمستوطنين.وسننفصل ذلك في الفصل الثامن (3.8).

3.2.2.3.2.6 الملخص

ليس يحكم التناوب بين بديلتي المتغير الصوتي الصرفي (-ك) ، وهما [-ك] و [-تش] ، أية عوامل لغوية ، سواء كانت صوتية أم نحوية أم معجمية. فكلها معدومة في إختلافهما.

4.2.6 المتغير (ج)

1.4.2.6 مراجعة

هناك تحليلان لغويان كيفيان له ، أحدهما في اللهجة البحرانية (هولز 77-1983:452-6،1981:172) والآخر في القطرية (العمادهي 65-1985:159).وسنناقشهما واحدة واحدة.

حاول هولز معالجة تبادل المستغير الفصيح (والشيعي أيضا) [ج] مع المستطعن (والسني أيضا) [ي] بطريقتين: إحداهما معجمية والأخرى صوتية. فأما المعجمية فتشرح أغلبية المادة وتستند على نقطتين (1983:453) ، وهما:

(١). تغير الأصوات بالحزمة غالباً. فمثلاً يصاحب التغير الصوتي من [ي] في الكلمة العامية / يمعة / إلى [ج] في الفصيحة /جُمعة/عملية متزامنة معها أيضا، وهي التغير من [-ِ] إلى [-ُ] ،

(٢). انعدام الصيغ الـوسـطى والهجينـة. ففي الإنتقـال من العامية / يمعة / إلى الفصحى / جُمعه / مثلاً لم ترد صيغ وسطى مثل / يُمعة / أو / جِمعة /.

وتتضمن ما أسـماه بالفـرضية المعجمية عدم الإرتباط الصوتي شكلياً أو إشتقاقياً بين الكلمات من مثل / جمعة ويمعة / بالرغم من وحدة معناها. فينبغي تعلمها تبعاً للموقف اللغوى. وكما يقول :(1983:454)

يتـطلب هذا النمط من الإختلاف فرضية بديلة: الفرضية المعجمية. وتنطوي على إفتراض معجم أكثر تعقيداً ، ولكننا نعتقد بإنسجامها مع طريقة تعلم الصيغ الفصحى. وبحسب هذه الفـرضية ... تكـون النظائر الدلالية متشابهة شكليا وسـطحيا كما في / يمعة وجمعة / إذ لها نفس المعنى دلالياً ولكنها تبقيان منفصلتين بحسب إختلاف معناهما الإجتماعي وإستقصـائهما المتبادل : فيمعة بيتية حنونة دارجة وأما جمعة فرسمية فصيحة عامة.

وأما الطريقة الصوتية فتنطبق على تلك الحالات التي يتأثر فيها صوت واحـد بمفـرده (1981:177,1983:456). وهـاكم الأمثلة الآتية لتـوضيح هذه النقطة : / ياهل - جاهل / ، / ياب - جاب / . وفيها يقتصر التغيير على الإختلاف بين [ي] و[ج] في صيغتي كل كلمة ولا يلازمه أية تغييرات صوتية أخرى.

إنتقد العمادهي (1985:159-65) الفرضية المعجمية بعنف ورفضها لعدة أسباب. أولا قدم أدلة على وجود الصيغ الوسطى - فيمكن ورود كلمة جديد كجَديد بالفصحى و يديد بالعامية وجديد بالحالة الهجينة. كما لا حظ العـــادهي أن الصيغ الـوسـطى لَيست القـاعـدة بل

إستثناءاتها. فلذلك لا يصح إطلاق التعميات على أساس ما يستثنى. وثـاينـا دعا العمادهي إلى إعتبار الكلمات/جمعه/و/يمعة/،/جديد، يديد، الـخ/ وأمثـالها مرتبطة دلالياً بناء على اتحاد معانيها وصوتياً بإشتقاقها عن بعضها بعضا وعدم إنفصامها كما ادعى هولز. وعلى أساس هذين الاعتبارين طرح العمادهي فرضيته الصوتية بديلاً عن المعجمية. وهكـذا تكـون كلمتـا/جمعـة ويمعة /بحسبها مرتبطتين ببعضهما بعضا من خلال القواعد التالية (1985:165):

(آ) ١ . (ج) ← [ج] دائرة ١ كما في / جمعه/.

٢ . (ء) ← [ء]

(ب) ٣ . (ج) ← [ي] دائرة ٢ كما في / يمعة /.

٤ . [ء] ← [،]

وهذا يعني أن الناطقين يستخدمون الدائرة الأولى لنطق الصيغة الفصحى / جمعـة / والدائرة الثانية لنطق العامية / يمعة /. وفي القطرية تفتقر جمعة للصيغ الهجينة.

وعلماً أن تحليل العمادهي أصح من هولز، فكلاهما يعانيان من مشاكل جمة. فمعالجة هولز لمادته بطريقتين في ذات الوقت ليس لها ما يسـوغهـا نظرياً على الأقـل. فأن تتغير الأصوات المعجمية. وليس انفـراديا ليس سببـاً كافياً لتسـويغ الفرضية المجمية. فلا تقتصر الأصوات الكثيرة التي يتزامن تغيرها مع بعضها بعضا كـ [ء] و [ج] في كلمة /جمعة/أعلاه على تلك الكلمة فقط بل أنها تنطبق على حالات واسعة جداً. وفي هذا مما يكفي لأن يجعلها متغيرات كاملة بذاتها. وفي مادتي تصير [ء] [،] بانتظام تام ولا تقتصر على كونها وراء أو بجانب /ج/ فقط كما في الأمثلة الآتية:- / جُمعة - چمعة ؛ غُرفة - غِرفة ؛ خُبز-خِبز ؛ حُر-حِر ؛ مُر ، مِر؛ كُر-كِر ؛ الخ/.

ثانيا ليس صحيحًا ما قاله هولز (456 : 1983) بأن التناوب الصوتي بين البديليتين [ج] و [ي] في كلمتي /جاب–ياب/تناوب صوتي خالص. فهذا الإختلاف غير صوتي لأن [ج] و [ي]في/جاب–ياب/ يردان كلاهما قبل السياق الصوتي ذاته ، وهو/– ا /. بل أن ذلك حالة خالصة من حالات التكيف أو الإنتشار المعجمي عينه.

ورغم نجاح الفرضية الصوتية في الربط بين صيغتي /جمعه–يمعه/ دلاليا وصوتياً. فهي عاجزة عن شرح الإختلاف في المادة. فهي لا تحدد مثلا الأسيقة التي تستحب فيها [ج] على [ي]. كما أن الإختلاف بين [ج] و [ي] في كلمتي/جِديد ، يِديد ، الخ/ ليس مقيداً صوتياً بل منتشر معجمياً لأن كلا البديلتين تأتيان أمام السياق الصوتي نفسه [–ِ].

2.4.2.6 تحليل (ج) في هذه الدراسة

1.2.4.2.6 القيود الصوتية والنحوية

للجيم في اللهجة المهجرية مستغيران: فصيح [ج] وعامي [چ]. والتنـاوب بينهما غير محكوم صوتيا أو نحويا كما يتضح من الأمثلة الآتية : / يجي–يچي ، جبت–چبت– ، جيران–چيران ، جبنـة– چبنة ، جمعة–چمعة ، جبر– چبر ، الخ/. ففي جميع هذه الكلمات قد تأتي [ج] و [چ] أمام السياقات الصوتية ذاتها كما يعملان عملهما في الفئات النحوية نفسها.

والبديل لشرح التنوع في الأمثلة السابقة هو الإنتشار المعجمي إذ لكل كلمة لفظان في الوقت الواحد بصرف النظر عن أسيقتها الصوتية المباشرة ، الخ. وفي الجزء التالي تقدم تحليلا كمياً للمادة كلها

2.2.4.2.6 (ج) والإنتشار المعجمي

1.2.2.4.2.6 مراحل الإنتشار المعجمي

في الجدول 19.6 أدناه تعطى نسب (ج) بحسب مرحلة الإنتشار المعجمي.

الجدول 19.6. نسب (ج) بمراحل الإنتشار المعجمي بأساليب المحادثة

المرحلة	عدد و % (ج)
ثابتة	١٨.٣٢ (٧٣٣)
مختلفة	٧٨.٨٣ (٣١٥٤)
متغيرة	٢.٨٥ (١١٤)
مجموع	١٠٠.٠٠ (٤٠٠١)

يبين الجدول 19.6 تراوح لفظ الأغلبية الساحقة للكلمات بين [ج] و [چ]. وتبلغ نسبة الثابتة منها والتي تحتفظ بـ [ج] دوماً (١٨٪) والمتغيرة بـ [چ] مهملة (٣ %).

وهكذا تكون نظرية الإنتشار المعجمي سليمة ومقعنة لشرح التنوع اللغوي في المادة. ويتشابه (ج) و (ق) (1.2.3.2.1.2.6) في مدى الإنتشار المعجمي جداً.

2.2.2.4.2.6 المتغير (ج) والتكرار

حتى نرى مدى التغير اللغوي في المادة - أي استخدام [چ]

قمنا بإعطاء نسب لفظه بالزمرة التكرارية في الجدول 20.6 أدناه.

الجدول 20.6. نسب التغير الصوتي في (ج) بالزمرة التكرارية في المحادثة

الزمرة التكرارية	% المستعير [ج]	العدد والمجموع
٠ - ١	٢٣,٧٢	(٢١٥ / ٥١)
٢ - ١٠	٢٥,٢٢	(٩٩٩ / ٢٥٢)
١١ - ٥٠	٢٢,١٠	(١٦٦٠ / ٣٦٧)
٥١ - ١٠٠	٢٦,٦٠	(٥٦٤ / ١٥٠)
فوق ١٠٠	٢٣,٨٠	(٥٦٣ / ١٣٤)
مجموع	٢٣,٨٤	(٤٠٠١ / ٩٥٤)

يبين الجدول 20.6 أن [چ] ليست مستكرهة فحسب بل أن نسبتها هي واحـدة في كافة الزمر التكرارية. وبمعنى آخر ، تستحب جميع الكلمات ، ومهما كانت زمرها التكرارية ، اللفظ العفوي [ج] وبشدة.

وتوصل العمادهي (67-1985:265) إلى نتيجة مشابهة حيث لاحـظ أن الكلمات الأكثـر تكـراراً فضلت الألفـاظ العامية. وأوضح هذه النقطة بثلاث كلمات من أكثر كلمات مادته تكراراً ، وهي:

الكلمة	% [ج]	% [چ]	% [ي]	العدد
/واجد(ين)/	١	١٢,٥٠	٨٦,٥٠	١٩٢
/جاي/	١٥	١٧	٦٥	١٧٠
/جاء جئت/	٣٤	١٧	٤٩	١٧٥

فلا تفضل كلها لفظ [ج] الفصيح على [چ و ي] العاميتين.

ويؤيد التحليل التكراري لمادة كلامنا المهجرية المبينة في الجدول أعلاه الرأي القائل بأن الكلمات الأكثر تكراراً لا تفضل التغير اللغوي. كما أن الرأي المضاد القائل بأن الكلمات الأقل تكراراً تفضل التغيير الغوي لا تدعمه نتائجنا. وفي تحليلنا للقاف أعلاه (2.2.3.2.1.2.6) توصلنا إلى نتيجة مشابهة.

3.4.2.6 الملخص

يمكن تلخيص التحليل اللغوي للجيم بما يلي:

(١). ليس اختلاف [ج] و [چ] محكوماً صوتياً.

(٢). التناوب بين تلك البديلتين معمجمي. أي أن لفظ الكلمة الواحدة يتراوح في معظم الحالات بين [ج] و [چ]. ويبين تحليل الإنتشار المعجمي أن الغالبية الساحقة للمادة مختلفة (٧٨ %) وجزءاً ضئيلاً منها ثابت (١٨ %) وأما المتغيرة منها فقليلة جداً (٢ %).

(٣). بخصوص التكرار والتغير اللغوي، فلم نجد الكلمات الأقل أو الأكثر تكراراً تفضل المستغير الجديد [چ]. وسارت كافة الزمر التكرارية المسار نفسه في هذا الشأن.

5.2.6 المتغير (ض)

1.5.2.6 مراجعة

هنالك تحليل للضاد في اللهجة الفلسطينية (شراب 1985:170-74). واقتصر ذلك على الدراسة اللغوية الإجتماعية دون اللغوية منها.

2.5.2.6 تحليل (ض) في هذه الدراسة

1.2.5.2.6 القيود الصوتية والنحوية

إن تنـاوب البدبلتين الفصيحة [ض] والعامية [ظ] في اللهجة المهجـرية غير محكـوم صوتيا أو نحويا. فالكلمات/رياضه رياظه ، رضـى-رظـا ، رياضـيات- رياظـيات ، بالـضـبط- بالـظبط ، ضحك-ظحك ، ضاع-ظاع ، مرض-مرظ،ضمن-ظمن ، الخ/يأتي لفظها بـ [ض] و[ظ] ، مهما كان وضعها الصوتي والنحوي.

ويعني انعدام القيود الصوتية والنحوية أن تناوبهما مكيف معجمياً. وهذا ما نقدمه في الجزء التالي بالتفصيل.

2.2.5.2.6 (ض) والإنتشار المعجمي

1.2.2.5.2.6 مراحل الإنتشار المعجمي

في الجدول 21.6 أدناه نعرض نسب (ض) بمرحلة الإنتشار المعجمي.

الجدول 21.6. نسب (ض) بالانتشار المعجمي في المحادثة

المرحلة	عدد و % [ض]	
ثابتة	(٤٢٨)	٢٥,٥٥
مختلفة	(١٢٠٤)	٧١,٨٨
متغيرة	(٤٣)	٢.٥٧
مجموع	(١٦٧٥)	١٠٠,٠٠

يبيـن الجدول 21.6 إختلاف لفظ الأغلبية الساحقة من الكلمات بين [ض] أحيانا و [ظ] أحيانا ، في حين أن ربعها ثابت على لفظ [ظ]. وأما المتغيرة فمهملة.

وقـــد حصلنـــا على نتـــائـــج مماثلة في حال المتغـيرين (ق) (1.2.3.2.1.2.6) و (ج) (1.2.2.4.2.6) حيث بلغت فيهـــا المـــرحلة المختلفة للإنتشار ٧٦ و ٧٩٪ لكل على حدة.

2.2.2.5.2.6 (ض) والتكرار

يقدم الجدول 22.6 توزيع اللفظ المتغير [ض] بالزمرة التكرارية في أساليب المحادثة.

الجدول 22.6 نسب التغير الصوتي في (ض) بالزمرة التكرارية في المحادثة

الزمرة التكرارية	% المستغير [ض]	العدد والمجموع
٠ - ١	٢٠.٢٠	(١٠٤/٢١)
٢ - ١٠	٢١.٦٧	(٦٤٦/١٤٠)
١١ - ٥٠	٢١.٥٥	(٦٣١/١٣٦)
٥١ - ١٠٠	٢٠.٣٤	(٥٩/١٢)
فوق ١٠٠	٢١.٧٠	(٢٣٥/٥١)
مجموع	٢١.٤٩	(١٦٧٥/٣٦٠)

يبـين الجدول 22.6 شيئين: وأولهما عدم تفضيل [ض] في كافة الزمر التكرارية ، وثانيهمنا تساوي كافة الزمر هذه فيما يتعلق باللفظ المستجد فيها. وبشكل أبسط لا نجد فرقا بين جميع الكلمات ، مهما كانت زمرها التكرارية في استكراهها للتغير اللغوي.ووجدنا الناظم ذاته في المتغير (ج) (2.2.2.4.2.6).

3.5.2.6 الملخص

يمكن إيجاز النقاط الكبري لتحليل (ض) كما يلي:

(١) إن التناوب بين البديلة الفصيحة [ض] والعامية [ظ] غير مقيد صوتياً أو نحويا.

(٢) إن الإختلاف بينهما محكوم معجميا إذ جرى نطق معظم الكلمات بـ [ض] و [ظ] معاً. وبلغت كمية الكلمات الثابتة الربع وكانت المتغيرة منها مهملة.

(٣) بالنسبة لمدى استخدام البديلة [ض]، أظهر التحليل التكراري تساوي كافة الزمر التكرارية في رفضها للتغيير (حوالي ٢٢ %).

6.2.6 المتغير (ظ)

1.6.2.6 المنزلة اللغوية للمستسنات في اللغة العربية

في الفصحي ثلاثة مستسنات وهي/ذ/، رخوة مجهورة، و/ث/، رخوة مهموسة، و/ظ/، محلقنة مجهورة رخوة. وقدا ختفت جميعها في عدد من اللهجات إلا أنها استبدلت أو إنشقت إلى [د، ز] للذال، و [ت ، س] للثاء، و [ض ، ز] للظاء. ويختلف علماء اللهجات العربية الحديثة حول طبيعة الإنشقاق إلى الحبائس والرخوات هذه. ويمكننا تمييز مذهبين في تناول الإنشقاق الصوتي: لهجاتي ولغوي إجتماعي. وأمـا الأول، فجاءت أول ملاحظة عنه من (Gairdner 1925 : 31) الـذي أشار إلى أن البدائل الحبيسة نشأت في بدايتها لتحل محل المستسنات في اللهجات العامية في حين كانت الرخوة منها لمحاكاة نظائرها الفصيحة. وكما يقول (31 : 1925):

> انشقت المستسنات العربية فى اللهجات العامية إلى شقين متوازيين متبادلين. فأصبحت (آ) حبيسة – أسنانية أو (ب)

صفيرية. وقد يكون تفسير ذلك هو:- كان التغيير التلقائي الصحيح إلى الحبيسـات الأسنـانية، ولعل الصفائر كانت نتيجة القيام بمحاولة التفصيح، أي تقليداً للمستسنات في لغة الأدب من طرف أنصاف المثقفين. ومما يدعم هذا الشرح ملا حظتنا لحقيقتين ثابتتين: في الجذر الواحد تكون الكلمات ذات التغيير الصفـيري أقل شيوعاً وأكثر أدبية من ذوات التغيير الحبيسي؛ كما أنـه كلما كثرت عامية اللهجة تغلبت الأخرى على الأولى.

ومن الـدراسـات اللهجاتية الحديثة التي تبنت مذهبه من دون نقاش دراسة عن لهجة دمشق (Ambros 1977:111-2) وأخرى عن حلب (Sabuni 1980:15-16). فقام الأول مثلاً بتعريف ثلاثة معايير للإنشقاق الصوتي للمستسنات إلى حبائس ورخوات في الدمشقية، وهي:

(١). استبدلت /ذ/ و/ث/ و/ظ/ في العامية أولاً بالحبائس /د/، و/ت/، و/ض/ لكـل منهـا. مثلاً /ثلج-تلج، ذهب-دهب، ظهر-ضهر، الخ/.

(٢) استبدلت/ذ/و/ث/و/ظ/ بالرخوات/ز/و/س/و/ز/ لكل منها في الكلمات الفصيحة أو المأخوذة من الفصحى - مثلاً /ذرّه-زره، ذاكره-زاكره، ثروه-سروه، عظيم-عزيم، ظل-زل/.

(٣) هنالك كلمات تعصى على القاعدتين السابقتين. فيمكن أن تنشق كلمات الجـذر الـواحـد-أي المشتقات المترابطة-إلى كلمات بحبائس أسنانية وأخرى برخوات لثوية في آن واحد للتفريق بين المعاني. ومـنهـا مثـلاً / ذوق-دوء (طـعـم)-زوء (أدب)، ذكـر-دكـر

(بهائم) - زكر (بشر)، مثل- متل (قول)-مسل (مثال)؛ حفظ-حفاض-حفز/.

وفيما يخص المذهب اللغوي الإجتماعي، فهنالك دراستان يجدر ذكرهما. احداهما عن الفلسطينية (شراب 4-1981:161) والأخرى عن القاهرية (شمت 1974:91). وفي كلتيهما وجدت المستسنات تسلك مسلكين في تطورها إلى قاعدتين منفصلتين: الأولى في تطورها إلى حبائس أسنانية والثانية إلى رخوات لثوية. وأوضح شراب (1981 : 164) هذا التطور بالأمثلة الآتية من بحثه وبحث شمت:

	عربية فصحى	عامية مصرية	فلسطينية مدنية
ا) القاعدة الأولى	ثالث	تالت	تالت
" الثانية	"	سالس	* سالس
ب) القاعدة الأولى	ظهر	ضهر	ضهر
" الثانية	ظهر	زهر	*زهر
ج) القاعدة الأولى	ظلم	ضلم	ضلم
" الثانية	ظلم	زلم	زلم

ويظهر من الأمثلة السابقة أن الحبائس السنية والرخوات اللثوية تعمل عملها في كل حالة وفي كل كلمة في المصرية. فمثلاً تلفظ ثالث بالتاء والسين. وفي الفلسطينية لا يجوز التطبيق المتزامن للحبيسات والرخوات في نفس الكلمة إلا في ج) فقط في حين أنه يمكن استخدام أحدهما في آ) و ب). وأضاف شراب بأن الإختلاف بين الحبائس السنية والرخوات اللثوية في الفلسطينية غير مقيد صوتيا. وكما يقول (1981:164):

لسنـا متأكدين من أثر السياق الصوتي للمستسنات على منزلة القاعدة. والحقيقية ... أن العوامل الصوتية معدومة بهذا الخصـوص. فقـاعـدتـا الإستسنان الأولى والثانية تغيران صوتيان من دون قيود.

وأيد قوله بما أورده على لسان (Robertson 1970:47) حيث قال: ''... لا يبدو فيما يلوح لنا في الأفق أية قاعدة بعد لتحديد أي الصوتين سيسود في كلمة ما'.

وهكذا يشترك بحاثة اللهجات واللغويون الإجتماعيون في رأيهم حول انعدام العوامل الصوتية المقيدة للتناوب بين الحبائس الأسنانية والـرخـوات اللثوية للمستسنات على الرغم من أن اللهجاتيين لم يعبروا عن ذلك صراحة. وأما وصف اللهجاتيين للإختلاف بانه ناجم عن نوع الكلمة (أي كونها عامية أو أدبية) فمسألة غير مقنعة. وهناك سببان لإبطال هذه الفرضية: أولها عدم ذكرهم للمعايير المستخدمة في تصنيفاتهم. فمن العبث الجدال بأن كلمتي/تاني/و/سانية/، مثلاً، احداهما أكثر أدبية من الأخرى لمجرد احتواء الأولى على المستغير [س] والأخرى على [ت]. وثانيا انطباق كلا مستغيري المتغيرات السنية في اللهجة المصرية وإلى حد أقل في الفلسطينية على الكلمة الواحدة، كما رأينا في الأمثلة السابقة-وهذا مما يبطل تقسيمهم الفارغ.

وفي الأجزاء الثلاثة الآتية سنحلل المتغيرات السنية الثلاثة في لهجتنا، وذلك بدراسة العوامل الصوتية والنحوية والمعجمية بانفصال كيما نرى أثرها في التحكم بتخالف البدائل الصوتية المحددة.

2.6.2.6 تحليل (ظ) في هذا البحث

1.2.6.2.6 القيود الصوتية والنحوية

للظاء في هذه الدراسة ثلاثة مستغيرات: وهي [ظ]، [ض]، و [ژ]. وليس للعوامل الصوتية والنحوية قيمة في تقييد إختلافها اللغوي. وتوضح الأمثلة الآتية هذه النقطة:- /ظَهر-ضهر؛ ظُهر-ضهر؛ نظيف-نضيف،حظ-حژ؛حفظ-حفژ؛ أظن-أژن ؛ عظيم-عژيم ؛ الخ/. ففي كل هذه الكلمات ترد [ظ] و [ض] و [ژ] بصرف النظر عن سياقاتها النحوية أو الصوتية. وأما في الحالات التي يستخدم فيها إما [ض] أو [ز] إلى جانب [ظ] ، فهذا لا يعنى أن تناوب [ض-ژ] مقيد صوتياً. فهنالك حالات تنطبق عليها البدائل الثلاث كما في كلمة/ظاهر-ضاهر-ژاهر/.

فالحل البديل للإختلاف اللغوي بين [ظ] ، ض ، ز] إذن إنما يكمن في الحل المعجمي. أي أن معظم ألفاظ الكلمات تتراوح بين هذه البدائل الثلاث أو كلها معاً في آن واحد. وفي القسم التالي سنقدم تحليلاً كمياً للمادة.

2.2.6.2.6 (ظ) والإنتشار المعجمي

1.2.2.6.2.6 مراحل الإنتشار المعجمي

يعطي الجدول 23.6 أدناه مراحل الإنتشار المعجمي وتوزعها في الظاء.

الجدول 23.6. نسب (ظ) بمرحلة الإنتشار المعجمي في المحادثة

المرحلة	عدد و % [ظ]
ثابتة	١٨,٧٥ (١٣٢)

مختلفة	(٥٥٥)	٧٨٫٨٤
متغيرة	(١٧)	٢٫٤١
مجموع	(٧٠٤)	١٠٠

يظهر الجدول 23.6 أن الجزء الأكبر من الكلمات تختلف ألفاظها بين [ظ] و[ض] أو[ژ] وتبلغ نسبة الكلمات التي ثبت لفظها على [ظ] ١٨ % في حين كانت الكلمات التي تبنت اللفظ الجديد بـ [ض أوژ] ذات نسبة مهملة.

وهاتيك النتائج منسجمة مع تلك التي توصلنا إليها في المتغيرات الثلاثة السابقة؛ وهي (ق) (1.2.3.2.1.2.6) و (ج) (1.2.2.4.2.6) و (ض) (1.2.2.5.2.6).

2.2.2.6.2.6 (ظ) والتكرار

يقدم الجدول 24.6 نسب الظاء بالزمرة التكرارية.

الجدول 24.6. نسب التغير الصوتي (للظاء) بالتكرار في أسلوبي المحادثة

الزمرة التكرارية	% التغير أو اللفظ المستجد [ظ – ژ]	العدد والمجموع
٠ – ١	٢٨٫٠٠	(٢٥ / ٧)
٢ – ١٠	٢٠٫٦٣	(٢٢٣ / ٤٦)
١١ – ٥٠	٢٩٫٤٨	(١٧٣ / ٥١)
٥١ – ١٠٠	١٤٫١٩	(١٤٨ / ٢١)
فوق ١٠٠	١١٫١١	(١٣٥ / ١٥)
مجموع	١٩٫٨٩	(٧٠٤ / ١٤٠)

يبين الجدول 24.6 استكراه البديلتين المستجدتين [ض و ژ] في كافة الزمر التكرارية علما أن الكلمات الأكثر تكراراً تفعل ذلك أكثر من الأقـل تكـراراً. ويتصـاعـد هذا الإتجاه تدريجياً في جميع الزمر التكرارية فيما خلا الزمرة ١١ - ٥٠ ، ولكن ذلك غير مهم على كل حال.

ويشابه هذا الناظم الناظم السابق للمتغير (ق) (2.2.3.2.1.2.6) حيث وجدنا عدم استحباب التغيير في كل الزمر التكرارية علمًا أن أكثر الكلمات تكراراً استحبت اللفظ المسجد أشد من أقلها تكراراً.

3.2.2.6.2.6 الملخص

يمكن إيجاز نتائج تحليل الظاء لغويا كما يلي:

(١). انعدام القيود الصوتية والنحوية في حكم الإختلاف بين [ظ و ض و ز].

(٢). إن التناوب بينها تناوب معجمي. كما بين التحليل المعجمي أن القسط الأكـبر من الكلمات ذات ألفاظ تختلف فيها [ظ] و [ز] و [ض] وقد تنطبق جميعها على الكلمة الواحدة وكانت نسبة الكلمات الثابتة والمتغيرة أقل من ٢٠ % أو مهملة.

(٣). لم تستحب الكلمات الأكثر أو الأقل تكرارًا التغيير علما أن الأخرى فعلت ذلك على نحو أقل نسبيا من الأولى.

7.2.6 المتغير (ذ)

1.7.2.6 القيود الصوتية والنحوية

للذال في اللهجة المهجرية ثلاثة مستغيرات، هي [ذ]، و [ز]، و [د]، ولا يتأثر تناوبها فيما بينها بأية عوامل صوتية أو نحوية. وهاكم

الأمثلة التالية لتوضيح هذه النقطة:-

آ /أخذ-أخد/ ب) /ذكره-زكره/ ج) /إذن-إدن-إزن/

/ذهب-دهب/ /كذب-كزب/ /ذوق-دوه-زوه/

/ذبح-دبح/ /كذا-كزا/ /ذهب-دهب-زهب/

ففي آ (و ب) ترد [ذ] مع [د] أو [ز] لكل منهما علماً أن المستغيرات تعمل عملها في السياق اللغوي ذاته في كل حالة. وفي ج) تتبادل [ذ] مع [دوز] معاً. وزيادة على ذلك نـلاحظ أن استخدام [د] أو [ز] (وليس [ذ]) يعتمد على المعني المراد من كل كلمة في ج).

وبالنسبة لورود البديلتين [ز] و [د] في آ) وب) في سياقات صوتية مختلفة، فهذا لا يعني أبداً أنهما مقيدتان صوتياً. فليست هذه الكلمات تمثل مادتنا كلها بل أعطيت للإستشهاد بها إذ أن هناك حالات عديده تنطبق فيها [ز] و [د] و [ذ] على الكلمات الواحدة بالمعنى نفسه كما في كلمة/هذا ، هدا ، هزا/.

ولذلك فالإختلاف بين [ذ و ز و د] محكوم معجمياً حيث ترد كل كلمة في لفـظين أو أكثر كما يظهر من الأمثلة أعلاه. وفي القسم الآتي نقدم تحليلاً معجميا كميا للمادة برمتها.

2.7.2.6 (ذ) والإنتشار المعجمي

1.2.7.2.6 مراحل الإنتشار المعجمي

يعرض الجدول 25.6 أدناه نسب (ذ) بمرحلة الإنتشار المعجمي في أسلوبي المحادثة.

الجدول 25.6. نسب (ذ) بمراحل الإنتشار المعجمي في أسلوبي المحادثة

المرحلة	عدد ونسبة (ذ)	
ثابتة	(٢٧٢)	١٥ , ٠٨

مختلفة	(١٤٥٨)	٨٠ . ٨٢
متغيرة	(٧٤)	٤ . ١٠
مجموع	(١٨٠٤)	١٠٠ . ٠٠

يبين الجدول 25.6 أن المجموعة الكبرى من الكلمات مختلفة و ذات ألفاظ واردة بمستغيرين أو أكثر - [ذ]، [د]، [ز]. وتبلغ نسبة الكلمات ذات الألفاظ الثابتة على [ذ] دوماً(١٥%)في حين أن التي تغيرت إلى [د] و [ز] فمهملة (٤ %).

وينسجم هذا النمط من النتائج مع تلك التي حصلنا عليها لـ(ظ) والمتغيرات الأخرى في هذا الفصل.

2.2.7.2.6 (ذ) والتكرار

يعطي الجدول 26.6 أدناه نسب (ذ) بالتكرار.

الجدول 26.6. نسب التغير الصوتي في (ذ) بالتكرار في المحادثات

الزمرة التكرارية	% التغير [ز،د]	العدد والمجموع
٠ - ١	١٢ . ١٦	(٧٤ / ٩)
٢ - ١٠	٢٤ . ١٩	(٢٧٧ / ٦٧)
١١ - ٥٠	٢٤ . ٣٣	(٣٣٧ / ٨٢)
٥١ - ١٠٠	٢١ . ٤٧	(١٦٣ / ٣٥)
١٠١ - ٢٠٠	٤٠ . ٣١	(٤٤٩ / ١٨١)
فوق ٢٠٠	١٧ . ٠٦	(٥٠٤ / ٨٦)
مجموع	٢٥ . ٥٠	(١٨٠٤ / ٤٦٠)

يظهر الجدول 26.6 أن الألفاظ المستجدة بـ [د ، ز] غير مرغوبة فى كافـة الـزمـر التكرارية. ولكن نلاحظ عدم إتساق هذا الناظم التكـراي. أولا نلاجظ أن أكثـر وأقل الكلمات تكراراً ترغب عن التغير بالقدر نفسه تقريبا. ثانيا تفعل ذلك الزمر التكرارية الوسطى ١٠١ - ٢٠٠ بدرجـة أقـل مما ينبغي لها. ولـدى تمحيصنا الدقيق للسلوك المنحرف لهذه الزمرة التكرارية تبين أنها لا تفترق عن غيرها عموماً. ففي هذه الزمرة وردت ثلاث كلمات، لم تختلف اثنتان منها عما سواهما حيث بلغت نسبة التغير اللفظي فيهما ١٦ % ، ولم ترغب به إلا كلمـة واحـدة وهي إذا، وردت ١٩٩ مرة وكانت ترغب باللفظ المستجد [إزه] كثيراً (٧٠ %). وفيما عدا هذا الإستثناء الطفيف، فإنتظام النمط التكراري بخصوص تشابه كافة زمر التكرار في نزوعها إلى الرغبة عن التغيير أمر جلي.

وإذا ما طرحنا الإستثناءات جانبا. فإن المتغير (ذ) مشابه جداً للمتغيرين السابقين (ج) (2.2.2.4.2.6) و (ص) (2.2.2.5.2.6) حيث تسـاوت فيهما أو تشابهت جميع زمر التكرار فيما يتعلق برغبتها عن البدائل المستجدة.

3.7.2.6 الملخص

يمكن تلخيص النقاط الكبرى للتحليل اللغوي لـ (ذ) كما يلي.

(١) لا أثر للعوامل الصوتية والنحوية على تبادل [ذ ، ز ، د].

(٢) إن الإختلاف بين تلك البدائل معجمي. وبمعنى آخر يجوز أن ترد الكلمات بألفاظ بمستغيرين أو أكثر.وبين التحليل اللغوي أن القسط الأعظم من المادة مختلف، وليس هناك إلا جزءاً ضئيلاً منها ثابتاً (١٥ %) كما أن ما تغير لا تزيد نسبته عن ٤ % .

(٣) أظهر التحليل التكراري–بتجاوز الإستثناءات–تشابه جميع الزمر التكرارية تقريبا في رغبتها عن البدائل المستجدة، ولا سيّما أقل الكلمات وأكثرها تكراراً.

8.2.6 المتغير (ث)

1.8.2.6 القيود الصوتية والنحوية

إن مثل الثاء مثل المتغيرين السنيين السابقين، فله ثلاثة مستغيرات في اللهجة المهجرية، وهي [ث] و[ت] و[س].

ولا يحكم تبادل هذه البدائل أية قواعد صوتية أو نحوية. وإليكم بعض الأمثلة لتوضيح هذا الأمر:–

آ) / ثاني–تاني / ب) /ثم–سم / ج)/مثلا–مسلا–متلا /
/ ثنين–تنين / /بعث–بعس / /مِثل–مسل–متل /
/ثامن–تامن / /ثبت–سبت / /مَثل–متل–مسل /
/ثقيل–تئيل / /ممثل–ممسل /
/ثوب–توب /

ففي آ) و ب) يجري تبادل [ث] مع [ت] أو [س]. وفي كل حالة يرد المستغيران المعنيان بمجاورة السياق الصوتي ذاته، الخ. وفي ج) تنطبق [ث، ت، وس] جميعاً على الكلمة الواحدة، مهما كان سياقها اللغوي.

وليس هناك من شرح ملائم لهذا الإختلاف إلا بالإنتشار المعجمي إذ يمكن للكلمات، كما في الأمثلة أعلاه، أن ترد بصيغتين أو أكثر دون أية دواع نحوية وصوتية واضحة. وفي القسم الآتي نقدم تحليلا معجميا مفصلا للمادة الكلامية عن الثاء بأكملها.

2.8.2.6 (ث) والإنتشار المعجمي

1.2.8.2.6 مراحل الإنتشار المعجمي

في الجـدول 27.6 أدنـاه نبـين توزع المراحل الثلاث للإنتشار المعجمي للثاء في أسلوبي المحادثة.

الجدول 27.6 نسب (ث) بالإنتشار المعجمي في المحادثات

المرحلة	عدد ونسبة (ث)	
ثابتة	(١٨١)	١١.٤٦
مختلفة	(١٣٧٧)	٨٧.٢١
متغيرة	(٢١)	١.٣٣
مجموع	(١٥٧٩)	١٠٠.٠٠

يظهر الجدول 27.6 تراوح ألفاظ ٩٠ ٪ من الكلمات بين [ث] و [ت] أو [س]. وأمـا الكلمات الثـابتة على لفظ [ث] فقط فنسبتها ١٠ % في حين أن الكلمات التي اتخذت اللفظ الجديد بـ [ث و س] منعدمة فعلاً.

فمـدى الإنتشـار المعجمي للثـاء إذن مشابه تماماً للنتائج التي توصلنا إليها لمعظم المتغيرات السالفة كـ (ذ)، (ق)، الخ. وفيها جميعاً كانت نسبة المرحلة المختلفة للإنتشار المعجمي هي الساحقة إذ كانت ترد معـظم الكلمات فيها لا يقـل عن صورتـين لفـظيتـين بمستغيرين من دون قيود صوتية أو نحوية.

2.2.8.2.6 (ث) والتكرار

يعطي الجدول 28.6 نسب (ث) بالتكرار في أسلوبي المحادثة.

الجدول 28.6. نسب التغير الصوتي في (ث) بالتكرار في المحادثات

الزمرة التكرارية	اللفظ المستجد [ت،س]	العدد والمجموع
٠ - ١	٧.٧٠	(٤ / ٥٢)
٢ - ١٠	٢٥.١٩	(٦٦ / ٢٦٢)
١١ - ٥٠	٣١.٩٠	(٥٩ / ١٨٥)
٥١ - ١٠٠	٢٧.٠٨	(٦٢ / ٢٢٩)
١٠١ - ٢٠٠	٣١.٤٠	(٢٠٠ / ٦٣٧)
فوق ٢٠٠	٢٢.٩٠	(٤٩ / ٢١٤)
مجموع	٢٧.٨٦	(٤٤٠ / ١٥٧٩)

يبين الجدول 28.6 استكراه استخدام البديلتين [ت، س] في كافة زمر التكرار مع كون أكثر الكلمات تكرارًا ترغب عنهما أقل من ذوات التكرار الأقل. وفي هذا الشأن تتشابه كل الزمر التكراريه من الزمرة ٢ - ١٠ فصاعدًا تقريبا.

ويعد هذا المتغير الوحيد في بحثنا الذي وردت فيه الكلمات الأقل تكراراً أكثر عفوية في لفظها من ذوات التكرار الأكثر.

ولا يمكننا إستخلاص نتائج عامة من هذا الناظم لأن جميع الزمر التكرارية ترغب عن التغيير رغم الفروقات الطفيفة فيما بينها. وفي ذلك يستوي هذا الناظم في إطاره العام مع معظم المتغيرات السابقة التي لم يرغب معظمها بالتغيير أبداً.

3.8.2.6 الملخص

يمكن إيجاز التحليل اللغوي للثاء كما يلي:-

(١) لا قيمة للقيود الصوتية والنحوية على تناوب البدائل [ث، ت، وس].

(٢) الإختلاف اللغوي بين المستغيرات السابقة معجمي. وتبين من التحليل اللغـوي أن الأغلبية الساحقة للمادة مختلفة وعشرها ثابت وأما الكلمات المتغيرة فشبه منعدمة (١ %).

(٣) أظهـر التحليل التكـراري استكـراه البديلتين الجديدتين [ت و س] في كافة الزمر التكرارية مع العلم أن الكلمات الأقل تكرارًا لم ترغب بهما أكثر من ذوات التكرار الأكثر.

3.6 نتائج عامة

في نهاية هذا الفصل يجدر بنا لم خيوطه جميعاً وتلخيص نتائجه الرئيسية التي توصلنا إليها في التحليل اللغوي للمتغيرات الثمانية في اللهجة المهجرية تلخيصاً عاما. ويمكن إيجاز هذه النقاط بما يلي.

إن النقطة الكبرى التي توصلنا إليها هي ان للعوامل اللغوية الداخلية قيمة ودورًا في تكييف الإختلاف اللغوي كما يظهر باختيار مستغيرات معينة لمتغير ما. ويتلخص بحثنا في أثر السياق اللغوي بهذا الصدد بإيجاز كما يلي.

(١) لم نجد للقيود الصـوتية والنحـوية أثـراً في تكييف الإختلاف اللغوي لجميع المتغيرات الثمانية في هذا البحث.

(ب) كان الإختلاف اللغوي في كافة المتغيرات-ماخلا المتغير الصوتي الصرفي (-ك) مقيدًا معجميا ويتطابق مع نظرية الإنتشار

المعجمي التي وضعهـا (Wang 1969, 1977, 1979, ec.). وبحسب الإنتشار المعجمي ينتشر التغير اللغوي بين الكلمات (المعجم) على نحو تختلف فيه الكلمات فيما بينها بتأثرها فيه، وتكون أحد ثلاثة أنواع : إما ثابتة أو مختلفة حيث ترد الكلمة بلفظين أو أكثر في الوقت الواحد أو متغـيرة مستجـدة. وبـين التحليل المعجمي الكمي للمتغـيرات الصوتية السبعة في هذا البحث كون الغالبية العظمى للمادة (من ٧٠ % فصـاعدًا) في ٦ متغيرات في المرحلة المختلفة للإنتشار المعجمي، وشكلت المرحلة الثابتة جزءاً صغيراً من الكلمات (بين ١١ - ٢٠) في حين كانت المستجدة مهملة لكل المتغيرات. ولم يشذ عن هذه الصورة إلا (ك) فقط حيث زادت فيها الكلمات المستجدة عدد المختلفة منها.

(ج) أظهـر التحليل التكـراري للإنتشار المعجمي في المادة الكلامية عدم رغبة الكلمات الأكثر والأقل تكراراً بالتغييرات في جميع المتغيرات اللغوية بإستثناء (ك). ولكن لا ينفي هذا وجود الفروقات الطفيفة بين المتغيرات بهذا الشأن، وهذه هي:

(١) في حال المتغيرين (ق) و (ظ) نزعت الكلمات الأقل تكراراً إلى اللفظ العفوي أقل من الكلمات الأكثر تكراراً.

(٢) بالنسبة لـ (ج) و (ض) و (ذ) تساوت الكلمات من كافة الزمر التكرارية في عدم رغبتها باللفظ المستجد.

(٣) كان المتغير (ث) الحالة الوحيدة في هذه الدراسة الذي كانت فيه أكثر الكلمات عفوية أقلها تكراراً في كل الزمر التكرارية.

والمتغـير (ك) هو الإستثناء الوحيد الذي استحبت فيه جميع الكلمات من الزمر التكرارية كلها التغيير عموماً وفعلت ذلك الكلمات الأقل تكراراً أكثر من الكلمات الأكثر تكراراً.

الفصل السابع
تحليل المتغير (ق) لغويا إجتماعيا:
الاستخطاء والاستصواب والاستغلاط

1.7 استهلال

في هذا الفصل واللذين يليانه سنعنى بوصف وتحليل تقاطع المقاييس الإجتماعية والأساليب الكلامية والمتغيرات اللغوية في كلامات ٣٨ فرداً مهاجرا. فهناك أربعة مقاييس إجتماعية، وهي الفئة الثقافية والجنس والعمر والمنطقة، ومثلها من الأساليب الكلامية، وهي أسلوب المهاجر مع المهاجر (أم م)، وأسلوب المهاجر مع المستوطن (أم ن)، وأسلوب قائمة الكلمات (أ ق ك)، وأسلوب تلاوة القرآن (أت ق).

وبالإضافة إلى الرواة المهاجرين السابقين الذين يشكلون عينة البحث الرئيسية، هنالك ٩ مستوطنين سنشير إلى كلامهم بين الفينة والفينة لأغراض المقارنة فقط. وهؤلاء كلهم مثقفون جامعيون. وبما أن هؤلاء جرى تسجيلهم في مواجهة كلامية واحدة – بين المهاجر والمستوطن – فستكون الإشارة إلى كلامهم قاصرة على (أ م ن) وحده.

ومـا تبقى من هذا الفصـل نخصصه لتمحيص المتغير الصوتي (ق) تمحيصـا لغويا إجتماعيا دقيقا. ومن خلال إختلاف لفظه في اللهجات الثلاث الواردة في هذا البحث - بين [ق] في الفصحى ، و [ء] في الدمشقية، و [ك - ج] في المهجرية - سنتمكن من إظهار تبعية إختلاط هذه المستغيرات أو اللهجات في الكلام المهجري إلى قيود إجتماعية وأسلوبية معينة. كما سنتمكن من أن نبين كيف يقوى المهاجرون في تواصلاتهم اليومية ، سيما مع المحليين الدمشقيين، على الإحتفـاظ بلهجتهم أو التحـول عنهـا إلى الدمشقية. وذلك نتيجة للتماس اللهجوي بين المهجرية والمستوطنة والفصحى، وبالأخص بين الأولين منها. وسيجعلنا تمحيص تغير أساليب المهاجرين نستبصر أيضا دور الفصحى في هذا الشأن وتنافسها مع اللهجتين العاميتين. إذ ينطوي موقف التماس اللهجوي الثلاثي على أشكال متفاوتة من الإستصـواب: فهـو يبـين كيف يحصل التغير اللغوي في الجولانية العـامية المستخـطئـة نحـو (١) اللهجة الفصحى (الإستفصاح والإسـتـصـــواب) و (٢) الـلهجـــة المحلية العـــامية المستغلطة (اللاإستفصاح والإستغلاط) كذلك. ومن هنا جاءت التسمية الثانوية للفصـل.

والنقـطة الأخـيرة مهمـة جداً إذ أن أغلبية الأدبيات اللغوية الإجتماعية في نظرية الإختلاف (Labov 1972 a; Trudgil 1974; 1980 L.Milroy; Cheshire 1982) صورت بعـــدين لوضـع الإختـلاف اللغوي، وهما الفصحى الواحدة والعامية الواحدة وكان معظم التغير اللـغـوي يحدث باتجاه الفصحى . وستظهر مادتنا عن هذا المتغير وغيره عدم لزوم كون هذا الأمر كذلك دوماً.

وأخيراً سنسلط الأضواء على دور المخاطب وأثره في الإختلاف

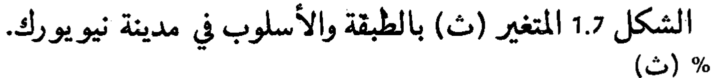
اللغوي الذي تجاهلته دراسات المهاجرين السابقة (1980، 1976 ;Payne Bortoni-Ricardo 1985 ; Kerswill 1985). وفي الحقيقة سنرى أننا نضيع قسطاً هائلاً من المعلومات في دراستنا من دون مراعاة هذا العامل اللغوي الإجتماعي القيم جداً.

1.7 عرض سريع لبعض النواظم اللغوية الإجتماعية للكلام

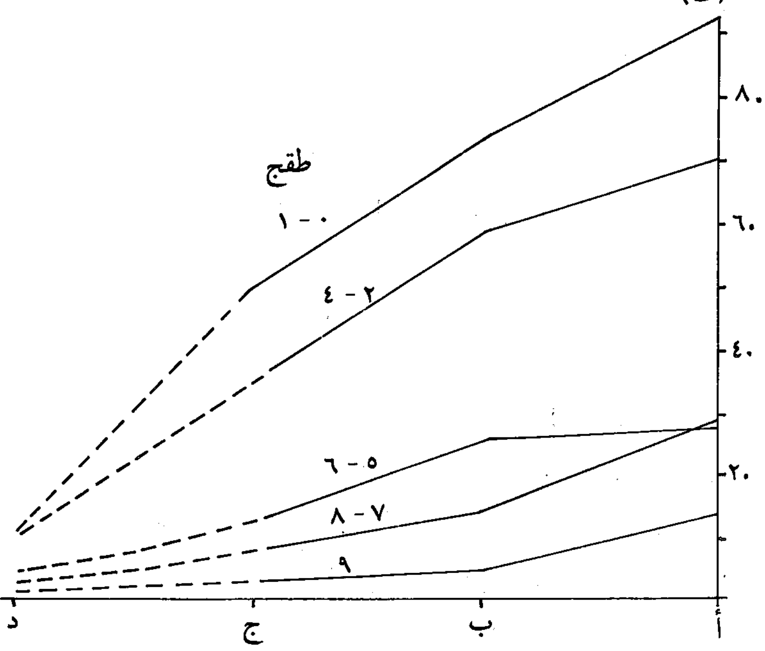
إن التوصل إلى مجموعة مصغرة عامة للموازين اللغوية الاجتماعية في وصف الإختلاف اللغوي شبيه بالمحال فعلاً (قارن Bell 1984). فمنذ دراسة لابوف (1972 a، 1966) الرائدة لمدينة نيويورك قامت دراسات كثيرة في دنيا اللغة الانكليزية وغيرها باستيحاء مثله. وتختلف النواظم اللغوية الإجتماعية من دراسة لأخرى ومن متغير لآخر في الدراسة ذاتها. ولن نتمكن من مراجعة أبسط جزء من هذه الأبحاث ههنا لأن ذلك مما يخرجنا عن حدود بحثنا. ولذلك نحيل القارىء المهتم إلى الكتب التالية في علم اللغة الإجتماعي للإستزادة والتوسع (Dittmar 1976 ; Hudson 1980 ; 1986 Wardhaugh ; L. Milroy 1987 ; Fasold 1984 ، 1990). وأما الذي سأقوم به الآن فهو إعطاء مثالين، احدهما من مدينة نيويورك والآخر من نورج ؛ والغرض منهما إيضاح انعكاس العمليات الإجتماعية في الأداء اللغوي ودورها فيه – وبمعنى آخر تداخل اللغة والمجتمع.

ففي بحثه عن لهجة نيويورك قام لا بوف (1972 a، 1966) بفصل خمسة متغيرات صوتية وتمكن من إظهار كيفية تقاطع الإختلاف اللغوي مع الإجتماعي والأسلوبي. فمثلاً هاكم صوت/ث/–مستسن رخو مهموس – كما في thing ، through الذي يأتي بثلاثة أشكال صوتية في نيويورك (1972 a :78)، وهي [ث]، والمصطكة [تث]،

والحبيسة السنية المهموسة [ت]. ويرتبط المستغير الأول بالفصحى وأما [ت] و [تث] لدرجة أقل ، فيالعاميـة. وقد تظهر هذه البدائل الثلاث في حديث كل فرد ولكن تختلف نسبتها بين الأفراد والطبقات الإجتماعية والمواقف والأساليب الكلامية. وحدد لابوف خمس طبقات إجتــماعية بناء على الثقافة والدخل والمهنة، وأربعة أساليب كلامية جرى ترتيبها من أدناها إلى أعلاها رسمية بحسب كمية الإنتباه المبـذولـة في الكـلام. وفي الشكـل 1.7 تعـطى نسب الثاء بالطبقة الاجتماعية الإقتصادية والأسلوب.



الشكل 1.7 المتغير (ث) بالطبقة والأسلوب في مدينة نيويورك.



المفتـاح طقـج = طبقة إقتصادية إقتصادية إجتماعية 0-1 طبقة عاملة دنيا، 2-4 طبقة عاملة عليا، 5-6 طبقة وسطى دنيا؛ 7-8 طبقة وسطى وسطى،

٩ طبقة وسطى عليا: ١ = أسلوب عفوي، ب = أسلوب حريص، ج = أسلوب قراءة: = أسلوب قائمة الكلمات.

المصدر: Labov 1972 a :113,124

يظهر من الشكل 1.7 إختلاف استعمال (ث) بالطبقة الإجتماعية والأسلوب الكلامي. ففيما يخص التراصف الطبقي نلاحظ أنه كلما كانت المنزلة الإقتصادية الإجتماعية أدنى كانت نسبة البدائل العامية أعلى والعكس بالعكس. كما يظهر انقسام المتصل أو السلم الإجتماعي إلى مجموعتين كبيرتين عموماً: الطبقة العاملة (طع) 0-4 من ناحية والطبقة الوسطى (طو)، 5-9 من ناحية أخرى. وتبلغ الفجوة بينهما أقصاها في الكلام العفوي (حوالي ٤٠ %) وأدناها في قائمة الكلمات (حوالي ٨ %). ولا تكون الفروقات بين الطبقات كبيرة جداً في كل مجموعة منهما فمثلاً تنفصل الطبقة العاملة الدنيا عن الطبقة العاملة العليا في الكلام العفوي بنسبة ٢٢ % بينما لا تنفصل الطبقة الوسطى الدنيا عن الوسطى الوسطى أبداً، واللتان تنفصلان كلاهما عن الوسطى العليا بحوالي ١٠ %.

وبالنسبة للإختلاف الأسلوبي فيمكن ملاحظة نقطتين. وأولاهما كان ورود المستغيرالفصيح في الكلام العفوي أدنى منه في الحريص وأعلى في أسلوب قائمة الكلمات من القراءة. وعلى العموم تستحب أساليب القراءة-أي قائمة الكلمات والقراءة-البديلة الفصيحة أكثر من أساليب المحادثة بكثير-أي الكلام العفوي والحريص. وثانيهما كانت الطبقة العاملة تغير أساليبها أكثر من الطبقة الوسطى. وعلى نحو أدق كانت الطبقة العاملة الدنيا والطبقة الوسطى العليا أشدها وأقلها تغييراً. فمثلاً بلغت نسبة التغيير بين الكلام العفوي وقائمة الكلمات ما يقارب ٧٥ % لدى الطبقة العمالية الدنيا ولم تتجاوز ١٢٪

في غير موقع من هذه الدراسة نواظم شاذة للطبقة والأسلوب).

2.7 التحليل اللغوي الإجتماعي للمتغير (ق)

1.2.7 المقياس الإجتماعي للثقافة

1.1.2.7 تقديم

إن المتغير الصوتي (ق) ذو أهمية لغوية إجتماعية عظيمة في لهجات العرب الحديثة. ومما يؤكد زعمنا هذا على الأقل معالجته وانتقاءه فى كل الدراسات اللغوية الإجتماعية التي تصدت لمسألة الإختلاف في اللغة العربية (Schmidt 1974 ; Sallam 1980 ; Holes 1980 , 1983 ; 1981 Abdel-Jawad ; Shorrab 1981 ; al-Amadihi 1985 ; الخ). ففي كلها جرى دراسة التقابلات بين استعمال (ق) وجملة مقاييس إجتماعية مثل الثقافة والزمرة الإجتماعية أو الأصل والجنس، الخ إضافة إلى مستويات الأسلوب. ولأغراض دراستنا هذه سنكتفي بذكر ثنتين من هذه الأبحاث بهذا الشان.

أولاً دراسة عبدالجواد (1981) عن اللهجة الأردنية بعمان. وللقاف فيها أربعة مستغيرات هي [ق]، وهي الفصيحة، و [ء] ، [ݣ] و [ك]، وكلها عامية. وتمثل كل بديلة عامية أو دارجة فئة إجتماعية متميزة تعرف بأصلها: المدن والفلح والبدو. ففي لهجة المدن ترد [ء]، والفلح [ك]، والبدوان [ݣ]. وأما [ق] فهى الصيغة المحايدة والمسيطرة. وميز عبدالجواد ثلاث مجموعات ثقافية وعزل ثلاثة أساليب كلامية. وفي الجدول 2.7 أدناه يعطى استخدام الصيغة الفصيحة [ق] وتوزعها بالثقافة والأسلوب.

الجدول 2.7 توزع إستفصاح (ق) بالثقافة والأسلوب في الأردنية

	الزمرة الثقافية غير مثقف	ثانوي	كلياني
الأسلوب العفوي	١٤ ٪	٢٤ ٪	٣٤ ٪
الأسلوب اللارسمي	١٨ ٪	٤٣ ٪	٤٩ ٪
الأسلوب الرسمي	٢٠ ٪	٥٧ ٪	٧٤ ٪

المصدر: بتصرف عن عبدالجواد 1981:454

يبين الجدول 2.7 إنقسام الموصول الإجتماعي إلى مجموعتين كبيرتين: غير المثقفين إزاء الثانويين والكليانيين. والفرق بين الثانويين والكليانيين ضئيل جدا، ولا سيما في الأسلوب الثانى. وهناك تنوع ملموس بين الأميين ومن سواهم في الأسلوب الثالث خصوصاً. وعلى العموم يأتي الثانويون في الوسط بين القطبين المتضادين للهرم الإجتماعي: اللامثقفين والكليانيين.

ويسير التنوع الأسلوبي سيراً عاديا. فكلما علت رسمية الأسلوب كثر تكرار البديلة الفصيحة [ق]. ونلاحظ من الجدول السابق عدم استحباب [ق] إلا في الأسلوب الثالث وعند فئتي المنزلة العليا فقط. وبلغ التغيير أدناه عند المنزلة الدنيا وأعلاه عند الفئة العليا.

وأما الدراسة الثانية فللعمادهي (1985) عن لهجة دوحة قطر. وللقاف فيها أربعة بدائل نطقية: مهموسة لهوية حبيسة هي [ق]، ومجهورة طبقية رخوة هي [غ]، ومجهورة طبقية جيسة هي [ڬ]، ومجهورة حنكية مصطكة وهي [ج]. وأشار العمادهي إلى فصاحة البديلتين الأولبين وعامية الباقيتين. وميز ثلاث فئات ثقافية وأربعة

عند الطبقة الوسطى العليا.

وفي دراسة تردكل (١٩٧٤) عن لهجة تورج بانكلترا ظهرت نواظم مماثلة. فلنأخذ المتغير (ng) – كما في thing, ring, sing ، الـخ – مثلاً. فلهذا الصوت بديلتان نطقيتان: إحداهما طبقية أنفية والأخرى لثوية أنفية ، مع كون الأولى الفصيحة والثانية العامية؛ وميز تردكل خمس طبقات إقتصادية إجتماعية حددها بعوامل المهنة والثقافة والدخل، الخ، وأربعة أساليب كلامية. ويعطي الجدول 1.7 أدناه إختلافات (ng) بالطبقة الإجتماعية والأسلوب الكلامي.

الجدول 1.7 مجاميع (ng) بالطبقة والأسلوب في نورج، انكلترا

الأساليب

	أ ق ك	أ ق م	أ ر	أ ع
ط م م	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٣	٠٢٨
ط م د	٠٠٠	٠١٠	٠١٥	٠٤٢
ط ع ع	٠٠٥	٠١٥	٠٧٤	٠٨٧
ط ع و	٠٢٣	٠٤٤	٠٨٨	٠٩٥
ط ع د	٠٢٩	٠٦٦	٠٩٨	١٠٠

الفتاح: أ ق ك = أسلوب قائمة الكلمات، أ ق م = أسلوب قراءة المقطع ، أر = أسلوب رسمي، أع = أسلوب عفوي. ط م م= طبقة متوسطة متوسطة، ط م د= طبقة متوسطة دنيا، ط ع ع = طبقة عمالية عليا، ط ع و= طبقة عمال وسطى، ط ع د =طبقة عمال دنيا.

المصدر: Trudgil 1974: 92

يبين الجدول 1.7 انتظاماً بيناً للتفريق الإجتماعي والإرتصاف الأسلوبي. فبالنسبة للتنوع الإجتماعي يمكن ملاحظة إزدياد

استخدام البديل الفصيح بعلو المنزلة الإجتماعية والعكس بالعكس. كما ينشق الموصول الإجتماعي إلى طبقتين كبيرتين: الطبقة العاملة (طـع) من جهة والطبقة الوسطى (ط و) من جهة أخرى. ويبلغ مقدار الفجوة الفاصلة بينهما ٤٥ % في أع و ٥٩ % في أر، ولكن هذه الفجوة تتناقص ضمن كل طبقة. فمثلاً تنفصل ط م م عن ط م د بما يناهز ١٤ % في أع وأر بينما تنفصل ط ع ع في أ ع عن ط ع و بـ ٨ % وط ع د بـ ١٣ % .

وأما الإختلاف الأسلوبي فنلاحظ ازدياد تكرار المستغير الفصيح بإرتفاع رسمية الموقف الكلامي. أي أن أ ق ك وأع طرفان ضدان. وعلى العموم تستحب أساليب القراءة ورود البديلة الفصيحة أكثر من أساليب المحادثة بكثير. كما يختلف مدى التغير الأسلوبى من طبقة لأخرى على الرغم من مشاركة جميع الطبقات فيه. وعلى العموم تغير الطبقة العاملة ككل أساليبها أكثر من الطبقة الوسطى. ويبلغ التغيير أدناه في الفئة العليا وأقصاه في ط ع ع.

وهكذا أثبتت دراسة تردكل، بخصوص المتغير (ng) على الأقل، نتائج لا بوف (1966,1972 a) عن نيويورك من حيث تقاطع العوامل الإجتماعية والأسلوبية والمتغيرات اللغوية ودعمتها. ويشترك المتغيران (ث) و (ng) في عدة نقاط. أولاً ينطوي كلاهما على ضرب من الإختلاف اللغوي يرتبط بالمتغيرات العلامة التي تظهر التمييز الإجتماعي والأسلوبي معاً (Labov 1972 a 23 %). ثانيا يحصل الإختلاف اللغوي على الموصول ذي الفصحي الواحدة والعامية الواحدة. وبالتالي فإن تغيير الأساليب ونقلها يرد باتجاه الفصحى. وأخيرا يظهر كلا منهما شكلاً عاديا منتظماً للإختلاف الإجتماعي والأسلوبي إذ ترتصف كافة الطبقات الإجتماعية بالطريقة المألوفة ويحدث التغيير الأسلوبي في اتجاهه الصحيح. (وسنصادف

أساليب. وفي الجدول 3.7 أدناه يعطى توزيع (ق) بالفئة الثقافية والأسلوب.

الجدول 3.7. نسب (ق) بالثقافة والأسلوب في القطريه

الزمرة الثقافية

	ابتدائي		ثانوي		جامعي	
	قف	قع	قف	قع	قف	قع
الأسلوب اللارسمي	٢٤	٧٦	٢٩	٧١	٤٥	٥٥
الأسلوب الرسمي	٤٦	٥٤	٥٦	٤٤	٥٢	٤٨
أسلوب قراءة الفصحى	٩٢	٨	٩٩	١	٩٩	١

قف = القاعدة الفصحى أو ورود [ق و غ] ؛قع=القاعدة العامية أو استخذام [ڭ و ج].

المصدر: بتصرف عن Al-Amadihi 1985 :333–7

يبين الجدول 3.7 عدم إتساق الارتصاف الإجتماعي وإختلافه من أسلوب لآخر. ففي اللارسمي الفصاحة مرغوب عنها عند كل الفئات وفيه يكون الفرق واضحاً بين الإبتدائيين والثانويين من طرف والجامعيين من الطرف الآخر. وفي الأخيرين تنفصل الفئتان العليتان عن الدنيا بفارق زهيد جداً. ولئن كان التفريق الإجتماعي قاتما، فالتراصف الأسلوبي ظاهر. فالمستغيران الفصيحان مستحبان استحبابا شبه قطعي في القراءة الفصحى ومرغوب عنهما في اللارسمي؛ وأما في الرسمي فبين بين.

وهكذا تشترك دراستاهما بعدة صفات. وينطبق ذلك حقا على جميع الدراسات اللغوية الإجتماعية العربية إذ كلها تشاركهما في هذه

الخواص. وبما أن كل هذه الأبحاث اقتدت بلابوف (1966،1972a) وتـردكـل (1974)، فقـد انصب اهتمامها الرئيسي على إبراز ورود الإختلاف اللغوي في دنيا لغة العرب على أساس الموصول اللمهجوي الثنائي - الذي يتكون من الفصحى واللهجة العامية الوحيدة مهما كان عدد اللهـج المدروسة فى كل بحث منها.وعلى الرغم من عدم مغالطة هذا الرأي في الإختلاف اللغوي من حيث المبدأ، إلا أنه ضيق جداً في أحسن أحـوالـه ومضلل في أسوأها . وذلك لأن الإختلاف اللغـوي وتغييره في العالم العربي وغيره من المجتمعات اللغوية قد يحدث بعيداً عن الفصحى وباتجاه اللهجة (ات) العامية.

وفي باقي هذا الفصل سأقدم الأدلة على كيفية تغيير مهاجري بحثنا كلامهم اللافصيح نحو اللهجة (اللافصيحة أيضا) لمخاطبيهم المحليين. وسأحاول مساندة أدلتي هذه بغيرها من الدراسات مشيراً إلى الفروقات بينها.

2.1.2.7 المتغير (ق) والثقافة في هذا البحث

1.2.1.2.7 عرض النتائج ووصفها بالثقافة

في الجدول 4.7 أدناه نعرض تـوزيع (ق) بالثقافة والأسلوب.

الجدول 4.7. نسب (ق) بالثقافة والأسلوب

	١. أ م م					٢. أ م ن				
	[ق]	[ء]	[ك]	[ج]	ع	[ق]	[ء]	[ك]	[ج]	ع
أ	١١.١٢	١.٠٤	٨٢.٣٦	٥.٤٨	٦٧٤	١٧.٦٢	٥٠.٠٠	٣٠.٢٤	٢.٠٤	٤٨٨
ب	٩.٧٨	١.٠٢	٨٣.٧٢	٥.٤٨	٥٨٤	٢٩.٣٤	٦٢.١٤	٨.٥٢	٠٠٠٠	٣٧٥
ث	٢٦.٦٦	٢.٩٦	٦٥.٤٤	٤.٩٤	٤٠٥	٧٠.١٢	٢٩.٣٢	٠.٢٨	٠.٢٨	٣٤٨
ج	٢٨.٦٨	٠.٤٤	٦٦.٤٠	٤.٤٨	٨٩٣	٤٠.٥٦	٥٨.٥٨	٠.٨٦	٠٠٠٠	٤٦٦
خ م						٢٣.٧٦	٧٥.٧٠	٠.١٨	٠.٣٦	٥٤٤
	٣. أ ق ك					٤. أتق				
أ	–	–	–	–	–	١٠٠.٠٠	...	...	...	
ب	١٠٠.٠٠	...	...	...	...					
ث	١٠٠.٠٠	...	...	...	...					
ج	١٠٠.٠٠	...	...	...	...					

المفتاح: أ م م =أسلوب المهاجر والمهاجر، أ م ن = أسلوب المهاجر والمواطن، أ ق ك = أسلوب قائمة الكلمات، أ ت ق = أسلوب تلاوة القرآن، أ = أمي، ب = ابتدائي، ث = ثانوي، ج = جامعي، ج م = جامعي محلي

يبين الجدول 4.7 تباين توزع البدائل الصوتية الأربع عبر الأساليب والفئات الإجتماعية. ففي أ م يكون المستغير المهجري المميز [ڭ] أكثر المستغيرات إستخداما عند كل الفئات الإجتماعية. وفي المرتبة الثانية تأتي البديلة الفصيحة [ق] رغم كونها أقل من سابقتها بكثير. وأقل البديلات إستعمالا [ج]، وهي البديلة المهجرية الفرعية الثانية، و [ء]، وهي البديلة الدمشقية المحلية، وهي شبه معدومة ولا تتجاوز ٣ % في أقصاها. وهكذا فإن [ڭ] و [ق] هما الصيغتان الوحيدتان اللتان تشيران إلى المنزلة الإجتماعية والتفريق بين الفئات الثقافية ولاقيمة للجيم والهمزة هنا. وعلى العموم تنقسم الفئات الثقافية إلى ثنتين: فئة دنيا وفئة وسطى. وتشمل الأولى الأميين والإبتدائيين والأخرى الثانويين والجامعيين. ويتوافق هذا التقسيم مع تكرار المستغيرات العامية في كلامات المجموعتين إذ تستعمل الفئة الدنيا [ڭ] أكثر مراراً من الوسطى.

وفي أ م ن تنعكس نسب البديلات اللغوية. فيصبح أقل المستغيرات تداولاً فيما سبق – أي [ء] – أكثرها وروداً ههنا عموماً. وتختفي [ج] أو تنعدم كما كانت [ء] في أ م م. كما يختفي المستغير المهجري المميز [ڭ]، وهو صورة معكوسة عن [ق] في أ م م ، سيما عند الفئة الدنيا. وأما الصيغة الفصيحة [ق] فتزداد عند كل الفئات الإجتماعية. وهكذا فبالرغم من إمكانية اتخاذ البدائل الثلاثة لتحديد الفئات الإجتماعية لكن التفاريق اللغوية الإجتماعية الناجمة عنها تختلف من مستغير لآخر. فالمستغير المهجري [ڭ] يفصل الموصول الإجتماعي إلى قسمين: فئة دنيا وفئة وسطى. ولكن البديلة المحلية [ء] تعيد تقسيم الفئات الثقافية إذ هنالك تحديد واضح لما لا يقل عن ثلاث فئات – الثانوية، والأمية، والإبتدائية

والجامعية. ولكن الفروقات بين الفئات الثلاث الأخيرة تافهة (حوالي ١٢ %) وتتراوح بين ٥٠ - ٦٢ %.والطرفان المضادان في استعمال [ء] هما الثانوية والإبتدائية؛ فالأولى أقلها والثانية أكثرهما استخداما لها. وتحتل نهايتا السلم الثقافي موقعا وسطاً أقرب إلى الإبتدائية منه إلى الثانوية. ولعل البديلة الفصيحة [ق] أوثق ما يميز بين الفئات الثقافية بمفردها. وعلى العموم ينسجم هذا الناظم الإجتماعي مع الحقيقة القائلة بتدني المنزلة الإجتماعية بتناقص تكرار الصيغ الفصحى. ولا يكون [ق] مستحبا إلا عند ثانى أعلى الفئات الثقافية منزلة. (وسلوك هذه الفئة الثانوية متميز وإليه نعود في القسم التالي).

ولكن قد يجوز القول بعدم إمكانية التمييز بين الفئات الثقافية بإستخدام مستغير منفرد بل بعدة مستغيرات. وهذا هو الواجب تصويره في كل تعريف لغوي إجتماعي للفئات تلك. وربما كان ذلك صحيحاً أيضا. فمثلا تستعمل الأمية كل البديلات الأربع، ولو على تفاوت فيما بينها؛ والثانوية صورة مقلوبة عن الإبتدائية في تداول [ق وء]، وأما الجامعية فوسط من حيث استعمالها للفصيحة [ق] والمحلية [ء].

وأخيراً الفئة الجامعية المحلية. وفي كلامهم ترد [ء] و[ق] ويفضلون الأولى على الأخرى. وسنعود إليهم في القسم التالي.

وأما في النهايات العليا للموصول الأسلوبي فيعاد ترتيب الصيغ اللغوية ترتيباً نهائياً. ففي أ ق ك و أ ت ق يكون ورود البديلة الفصيحة [ق] قطعيا عند مختلف الفئات الإجتماعية. ولم ترد أ ي الصيغ العامية، مهجرية كانت أ م محليه، عند أحد ما خلا حالتين في أ ق ك، وكانت هاتان لعروسين جديدين من الفئة الوسطى وجرى

استبعادهما من مادتنا لأنهما قرأا الكلمات با للهجة العامية عمداً. وفيما سوى هذه الإستثناءة الصغيرة فهذان الأسلوبان نظاميان ولا نرى فيهما أية فروقات إجتماعية بين الفئات الثقافية.

2.2.1.2.7 مناقشة النتائج وتفسيرها

وهنا نناقش ما تنطوي عليه نتائجنا في ضوء الأبحاث اللغوية الإجتماعية العربية والغربية. وعلى نحو أدق سنعنى بصورة رئيسية بطبيعـة التمييز الإجتماعي من ناحية والتغيير الأسلوبي من ناحية أخرى. وستلقى عنايتنا قضايا أخرى أيضا ومنها السلوك الكلامي للفئة الجامعية بنت البلد.

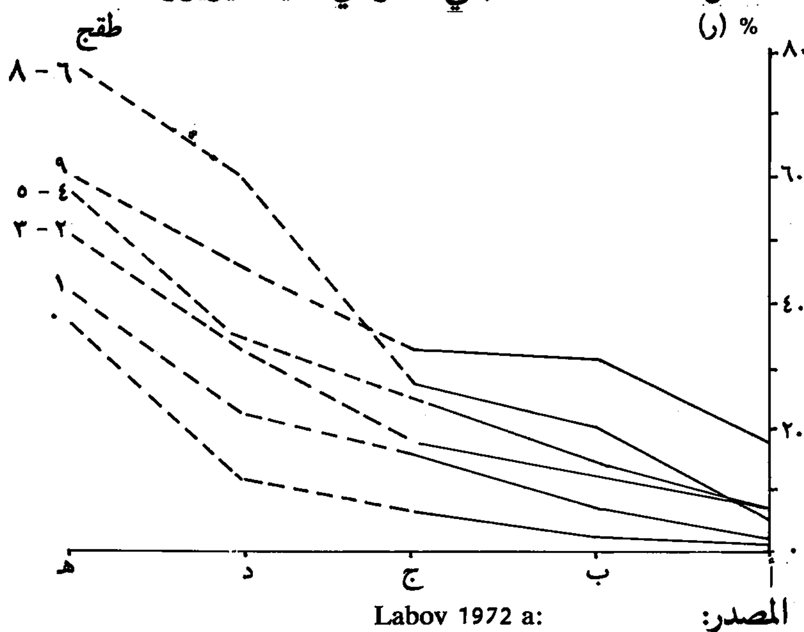
أولاً، التمايز الإجتماعي بين الفئات الثقافية. يتبع الهرم الإجتماعي للفئـات الثقافية طبيعة الموقف الكلامي على الدوام. وعموماً يرتبط أسلوبا المحادثة – أي أ م م و أ م ن – بشكل أو بآخر من أشكال التـمايز الإجتـماعي عادة، وأمـا أسلوبـا القـراءة – أ ق ك وأ ت ق – فلا. وفي أسلوبي المحادثة تبرز الفروقات الإجتماعية على نحو أوضح وأكمل لما يتكلم المهاجرون مع الغرباء أبناء البلد وليس مع بعضهم بعضا (كدخلاء). ولهذ لا نجد إنقساماً للسلم الإجتماعي في أ م م إلى فئـة دنيا ووسـطى فحسب دون أية فوارق ضمن كل مجمـوعـة منهما بل كذلك عدم تجاوز الفجوة الفاصلة بين الفرقتين الإجتماعيتين ١٨ ٪ في أقصاها، وهذا قليل جـدا حقا.

وفي أ م ن تبلغ التفـاريق الإجتـماعية ذروتهـا. فمواضع الزمر الثقافية وعلاقاتها السابقة على السلم الإجتماعي تغيرت جذريا، ولا سيما الفئتين المتوسطتين أو المتجاورتين – ث و ب – فلهما دور كبير ههنا. فمن النـاحية الأولى نرى أن الفئــة ب تفصـل نفسهـا عن الفئــة

السفلى أو تقرب نفسها من العليا ج. وهكذا تستعمل ب الهمزة أكثر من كل الفئات وتليها مباشرة ج، ومقدار الفجوة بينهما ٤ % . ومن الناحية الأخرى تفترق ثاني أعلى فئة – وهي ث – عن ج، كما تحيد عن أية فئة إجتماعية أخرى بتفضيلها الكاسح للمستغير الفصيح [ق] على المحلي [ء]. وبمعنى آخر استخدمت الفئة الثانية العليا الصيغة الفصحى أكثر من الفئة العليا.

وعلى هذه الظاهرة أطلق لابوف (9-124: 1972 a) مايسمى بناظم التجاوز أو فرط الإستصواب. وتعني التجاوزات وفروط الإستصواب شيئاً واحداً. فيعنى الأول أن فئة ذات منزلة أدنى تتخطى في نسبة إستخدامها لأحد المتغيرات النسبة التي حصلت عليها الفئة الأعلى. وأما فرط الإستصواب فيتضمن مغالاة ثاني أعلى فئة في استعمال الصيغ الصحيحة والصائبة والرفيعة حتى تتعدى وتفوق الفئة العليا بهذا الشأن. ومن بين المتغيرات الصوتية الخمسة في دراسة لابوف عن نيويورك (1966 ،1972 a) ارتبطت ثلاثة منها بناظم فرط الإستصواب – وهي الراء (r)، والفتح (eh) والواو (oh). وفي الشكل 2.7 أدناه نعطي نتائجه عن الراء.


الشكل 2.7 التراصف الطبقي لـ (ر) في مدينة نيويورك



المصدر: Labov 1972 a:

في لهجة نيويورك للراء نطقان: أحدهما رفيع [ر] والآخر وضيع Ø. ويبـين الشكل 2.7 أن استخدام كافة الطبقات الإجتماعية للصيغة الـرفعية [ر] في الكلام العفوي مهملة، فهي دون ا لـ ٢٠ % عند الطبقة الوسطى العليا (٩)؛ والطبقة الوسطى الدنيا غير مميزه كلياً عن الطبقة العاملة (٠-٥). وفي الكلام الحريص (أسلوب ب)تبدأ الفـروقـات بالظهور بين الطبقة الوسطى الدنيا والطبقات العمالية الأخرى. وفي أساليب القراءة يزداد استعمال [ر] باطراد عند جميع الطبقات الاجتماعية. وهنا تبالغ الطبقة الوسطى الدنيا أو ثاني أعلى الفئـات في أسلوب قائمـة الكلمات والأزواج الصغـرى باستعـمال المستغـير الـرفيع [ر] لدرجة تتجاوز فيها القيم التي حصلت عليها الـطبقـة الـوسطى العليا فيه. ويبلغ ذلك حوالي ٢٠ % في الأزواج

الصغرى وحدها. ويدعى استخدام الطبقة الوسطى الدنيا للصيغة الفصيحة والرفيعة [ر] عندما تتعدى الطبقة العليا في ذلك بفرط الإستصواب.

ومن هذا الدور للفئة الثانية العليا أو الطبقة الوسطى الدنيا في فرط الإستصواب بوجه عام استخرج لابوف (1972 a) نتائج عامة. وأهم هذه النتائج إتخاذ فرط الإستصواب لدى الطبقة الوسطى الدنيا دليلا على وجود التغيير الصوتي المتواصل الذي أثبته فيما بعد بدلائل زمنية حقيقية (تاريخية) وزمنية ظاهرة (جيلية أو عمرية). وكما يقول لابوف (1972 a:141):

> تم لنا إثبات وجود ناظم فرط الإستصواب في نيويورك دون أدنى ريب. وأما الدور الذي يلعبه فرط الإستصواب، فهو تسريع التغيير اللغوي الذي نعرضه هنا، ونتوقع إمكانية توكيده أو رفضه في الدراسات التجريبية المقبلة.

وقد يشير ناظم فرط الإستصواب كذلك إلى عدم إحساس تلك الفئة بالأمن اللغوي. ويظهر ذلك خصوصا في التنوع الكبير لأساليبها نتيجة لتفاديها استخدام الصيغ الطعينة. وكما يقول لابوف : (1972 a: 172)

> إن التموج العظيم في الإختلاف الأسلوبي الذي تبديه الطبقة الوسطى الدنيا وحساسيتها المفرطة للصيغ المطعونة التي يستخدمونها بأنفسهم وإدراكها المغلوط لكلامها الخاص إنما تدل كلها على درجة عالية من القلق اللغوي عند هؤلاء المتكلمين.

(ولمزيد من التفاصيل حول القلق اللغوي ومؤشراته، راجع لابوف .(1972 a :17-8)

وأخيراً إن الغرض من استخدام ثاني أعلى الفئات أو الطبقة الوسطى الدنيا لناظم فرط الإستصواب هو تحري الصواب، وينطوي ذلك بالتالي على كرههم لكلامهم بالذات. ويدل ذلك بكلمات لا بوف (1972 a: 117) إلى:

...جدهم الواعي نحو الإستصواب؛ و... موقفهم السلبي جداً من شكل لهجتهم البلدية.

ومن الجدير بالذكر أن نواظم فرط الإستصواب هي المستثنى والشاذ عموماً: أي أنها نادرة نسبياً وتقتصر على تبيان أشكال منحرفة للتراصف الإجتماعي. ولم يرد هذا النوع من فرط الإستصواب كما وصفه لابوف سابقا إلا في القليل جداً من الدراسات، ومنها دراسة (Winford 1978) عن سلسلة اللهجات المولدة في الانكليزية الترينيدادية. وجرى فيها تحديد ثلاث طبقات إجتماعية–الطبقة العاملة، الطبقة العاملة العليا، والطبقة الوسطى. وكان المتغير (ث) ينطوي على فرط الاستصواب فيها. وعلى نحو أدق، تجاوزت ثاني أعلى الطبقات الإجتماعية، وهي العالية العليا، أعلى الطبقات منزلة – الطبقة الوسطى – في استخدامها للمستغير الفصيح الرفيع [ث] في أسلوب قائمة الكلمات فقط، بحوالي ٢٠ % . وفي الأساليب الأخرى – بما فيها العفوي والحريص والقراءة – كان الإرتصاف الإجتماعي بين الطبقات الثلاث نظاميا. (ولأمثلة غيرها عن فرط إستصواب ثاني أعلى الفئات انظر Bell 1984).

وأما في بحثنا فإن السلوك الكلامي للفئة الثانوية إنما يقع فعلا ضمن إطار فرط الإستصواب هذا. ولكن المتغير (ق) أكثر تعقيداً في تفسيره من (ر) في نيويورك أو (ث) في ترنيداد نظراً لإشكاليات ومناهج البحث المستخدمة في هاتيك الحالات. فهناك ما لا يقل عن

ثلاث نقــاط تميز بين ناظم لابــوف ونــاظمنـا. أولا حدث فرط الإستصواب عند لابوف في أشد أساليبه رسمية: وهما قائمة الكلمات والأزواج الصغرى. وفي دراستنا ينعدم فرط الإستصواب لدى جميع الفئـات الإجتماعية في أشد الأساليب رسمية، وهما قائمة الكلمات وتلاوة القرآن. فكان إستصواب الجميع من الدرجة ذاتها.ولكن فرط الإستصــواب جاء في موقف كلامي كان ينغمس فيه المهـاجـرون (الدخلاء) في محادثات طبيعية مع المواطنين (الخوارج) ممن لهم خلفية لهجوية مختلفة. ومن الصعب تحديد مقدار رسمية ذلك ولكنه بالتأكيد ليس بقـدر رسمية أسلوبي قائمة الكلمات والأزواج الصغرى عند لابــوف. وأمــا عن ظهــور نواظـم الـتـجــاوز في أســاليب المحادثة – كالكلام العفوي والحريص – فهذا مما سبق أن أكده 1986:37-8 ؛ Horvath 1985:83-88,91,125-6 ، Trudgill 1974:104-12) Guy et al). وذلــك فإن دراســتــنــا تزيد من توكــيد نتــيجــه لابوف السابقة بسحبها لتشمل تلك المواقف الكلامية للتواصل بين الناطقين بلهجات متباينة.

ثـانيا، خـلافـاً للفئـة الثانية العليا عـند لابوف، فـإن فئتنـا ليســت بالــوحــيدة الــتــي يتــعــدى التغــيير في كلامهــا جــميع الفئـات. ويبـين الجـدول 4.7 أن الجامعية والثانوية تغيران بالمقدار ذاته، ويظهر ذلك من تساويهم في إعتزال الصيغة لجولانية [ك]. غير أن الفارق الرئيسي يكمن في اختيار الثانوية للسمة الصائبة والفصحى [ق] والجـامعية للمحلية [ء]. ويبلغ تفضيل الثانوية لـ [ق] ٧٠ % إزاء ٤٠ % للجامعية – وهذه فجوة فارقة ملموسة وقدرها ٣٠ % ، وهي أكبر من فجوة الطبقة الوسطى الدنيا في نيويورك.

ثالثا، إن المتغير (ق) أعقد من (ر) في نيويورك. وفيها كان الخيار

الذي يواجه النيويوركين هو بين التحدث بطريقتهم المألوفة - أي باللفظ السـاكت اللافصيح للراء بشكل رئيسي - و/أو الجمع بين الراء وØ. أي أن الخيار ذو بعدين: نطق فصيح وآخر عامي. وفـى بحثنا كان على رواتنا أن يختاروا فيما بين الإستمرار في (١) المحافظة على لهجتهم المهجرية الأصلية أو الجولانية (أي استخدام [ك وج]، (٢) الإنتقـال الكامل أو الجزئي إلى اللهجة المواطنة المستقبلة الدمشقية (أي استخدام [ء])، (٣) الإنتقـال كلية أو جزئيا إلى اللهجة المسيطرة العليا الفصحى (أي استخدام [ق])، (٤) جمع وخلط بعض هذه اللهج أو كلها. فالخيار إذن ثلاثي اللهجات والأبعاد، وهذا مما يؤثر فعلاً في نسب الطعن والرفعة إلى المستغيرات العامية بالذات. ولهذا لايتضمن اختيار الفئة الثانوية لـ [ق] مثلا أن [ء] سمة مطعونة بالضرورة. وفي الحقيقـة هنـاك عدة دلائـل معـاكسـة، ومنها استخدام المهاجرين والمحليين لها على نحو كبير وساحق في أ م ن كما بيناه في الجدول 4.7 أعلاه. ولكن تفضيل الثانويين للقاف على الهمزة جلي جداً ويشير بوضوح إلى كون الأولى هي السمة الوحيدة المتفردة بالمنزلة العليا.

ولعله يجوز لنـا التسـاؤل في هذه المرحلة عما إذا كان السلوك الكـلامي للثـانـويين المتميز بفرط الإستصواب ليس إلا تكيفا أو إنعكاساً مباشـرا وبسيطا للمستويات الكلامية لمخاطبيهم أبناء البلد الذين ربما فاقوهم في مجاميع [ق] لديهم؛ الأمر الذي يجعل تصرفهم الكلامي بلا دوافع ذاتية. وسنقدم الأدلة على بطلان هذا الزعم فيما بعد.

ويمكن تفسـير السلوك اللغوي الشاذ للثانوية بأنه مؤشر على تواصل التغير الصوتي، كما كان الأمر عند لابوف أعلاه. (وسنقوم فيما بعد بتقديم الدليل التاريخي على ذلك). وينطوى تواصل التغيير هذا

على التسابق بين مستغيرين هما [ق و ء]، ودعك من إنحسار تأثير المتغير الثالث [ك]. وأما تبني السمة الفصيحة [ق] فيقودها القسم الأدنى من المجتمع، سيما ثاني أعلى الفئات منزلة، في حين يتولى القسم الأ من المجتمع، وخصوصاً الفئة العليا الدنيا، إتخاذ [ء]. ونحن في غنى عن القـول بإستعمال كافة الشرائح الإجتماعية للقاف والهمزة والكاف والجيم بالتنـاوب فيما بينهـا، والتي يتبـاين استخـدامها بنتاين الفئات الاجتماعية والمواقف الكلامية.

وأما عن فرط الإستصواب في الدراساتْ اللغوية الاجتماعية العربية فلم يرد فيهـا، ولذلك لا يمكن اسناد نتائجنا بها. ولكن وجود ناظم التجاوز أو فرط الإستصواب أمر واقع وثابت في بحثنا هذا. وسنصادف في غير موضع فيما بقي من كتابنا أشكالا أخرى تتصل به. ونأمل أن يعطي تحليلنا الآتي للمتغيرات الأخرى في الفصلين ٨ و ٩ مزيدا من التوكيد لفرط الإستصواب السابق وصفه.

وفي خاتمـة هذا القسم لنا ملحوظة واحدة عن تمايز الإرتصاف الإجتماعي. كتب تزدكل (1974) في غير موضع من بحثه عن نورج بأن طبقاته الإجتماعية منفصلة كما ينعكس من مجاميعها عن المتغيرات اللغوية المعينة. وكما يقول هو (1974:91):

> ...يعـطي مؤشـر الطبقة الإجتماعية أساساً ناجحاً لإثبات طبقات إجتماعية متمايزة من خلال انعكاس هذه الطبقات في سلوكها اللغوي ، وذلك لأن المجاميع ترتفع باطراد واتساق فى كل أسلوب من الـطبقـة الـوسطى الوسطى إلى الطبقة العاملة السفلى.

وهـذا تعميم مبـالغ ولا طائل وراءه فعلاً–فهنالك متغيرات لغوية

كثـيرة ينتفـي منهـا التـمايز على السلم الـطبقي الإجتماعي (انظر Petyt 1985:210). والمتغير (ق) مما يثير الشكوك حول هذا الزعم أيضـا. ففي أ م م مثـلا لاتنفصل الفئتان الدنيتان عن بعضهما ولا العليتان كذلك. وفوق ذلك فهناك فجوة قدرها ١٢ % فقط بين ثلاث فئـات - أ ، ث ، ج - بخـوصـوص نسبهـا على [ء] في أ م ن. وسنشير إلى مسألة الإنفصال في الإرتصاف الإجتماعي هنا وهناك في مواقع شتى من هذا الكتاب.

ثانيا ، تغيير الأساليب واتجاه التغيير اللغوي. أظهرت دراستنا أثر المخاطب وحسبته بوضوح (Bell 1984). ومما يدل على ذلك بقـوة النسب المئـوية للبديلات اللغوية التي حصلت عليها مختلف الفئات الثقافية في أسلوبي المحادثة. فقد بينا في الجدول 4.7 أعلاه أن الإحتفـاظ بالمستغـيرات الجـولانية عال جداً لما يكـون المتكلم والمخـاطب مهـاجرين أو ممن ينطق أصلا بالجولانية نطق اللهجة الأولى أو كان ابنهـا. وكـان الحفـاظ على السمتـين المهجـريتـين [ك،ج] في أ م م يتراوح بين ٧٠ % لدى الفئـة الوسطى و ٩٠ % للفئة الـدنيا بالمقارنة مع السمة الدمشقية [ء] التي كانت منعدمة فعلياً والصيغة الفصحى [ق] التي بلغت ٣٠ % في أقصاها.

ولعل طغيان السمات المهجرية في أ م م دالة على الولاء اللغوي والإنتسـاب للجماعة. فالإستخدام الهائل للكاف والجيم إنما يشابه تزايد إستعمال ظاهرة التوسط أو التمركز في جزيرة مارثز ڤينيارد التي تدل على الإحساس بإنتماء أهل الجزيرة لجزيرتهم. وكما يقول لابوف (1972 a :36):

يتضح أن المعنى المباشر لهذه السمات الصوتية هو الكرمي (Vineyarder). ولـما يقـول المرء [رَيت] ' صحيح ' أو

[هَوس] 'بيت' فإنما يثبت بلا وعي منه حقيقة إنتمائه إلى الجزيرة: أي أنه أحد أبناء البلد الذين تنتمي الجزيرة لهم حقاً. وفي هذا الصدد لا يختلف التمركز عن السمات اللاصوتية الأخرى في غيرها من المناطق المعروفة بلهجاتها المحلية.

وبالطريقة ذاتها يمكننا القول بأن إصرار المهاجرين على التحدث بسماتهم الأصلية المميزة إنما يؤكدون حقيقة أنهم مهاجرون وغير محليين، وهكذا ترمز [ء] إلى الهوية المحلية و [ڬ] إلى الهوية المهجرية. ويساوي استخدام [ڬ] قولي إني مهاجر.

ولكن لما يبتدل الموقف الكلامي ويختلف المتكلم ومن يخاطبه بخصوص الخلفية اللهجوية لهما تتناقص الصيغ لجولانية المميزة أو تنعدم كلية. ويظهر الجدول 4.7 نشوء ما لا يقل عن شيئين عن حضور المتحدث المحلي مع المتكلم المهاجر في أ م ن:وأولهما إختفاء الصيغتين المهجريتين [ڬ،ج] في كلامات الفئة الوسطى وتناقصهما الحاد جدا عند الفئة الدنيا، سيما الإبتدائية؛ وثانيهما وأهمهما إستبدالهما بصيغتين بديلتين منافستين لهما: المحلية [ء] والفصيحة [ق]. ويطغى المستغير المحالي على الفصيح عند جميع الفئات الثقافية فيما عدا الثانوية منها.

ويسهل إيضاح تفضيل معظم الفئات الثقافية للهجة المحلية على الفصحى في المبادلات الكلامية بين المهاجرين وأبناء البلد (أي أ م ن) بالإستناد على مقدار التحول الأسلوبي كما يظهر في السلوك الكلامي للفئتين المتضادتين جداً في الجدول 4.7. فمثلاً ازدادت علامات الثانوية في [ق] من حوالى ٣٠ % في أ م م إلى ٧٠ % في أ م ن–أي بفارق ٤٠ %. ومن الناحية الأخرى زادت الإبتدائية مجاميعها على [ء] بمعدل

٦٢٪ في الأسلوبين ذاتها. أي أن الإبتدائية تضاعف تغييرها لأسلوبيها بمرة ونصف مقابل الثانوية. وسنقدم المزيد من الدلائل من المتغيرات الأخرى فى كتابنا التي نتوخى منها زيادة توكيد الحقيقة القائلة بإمكانية حصول إتجاه التغيير اللغوي في حالات التماس اللهجوي المنطوي على فصحى وعاميتين كما في حالتنا هذه بعيداً عن الأولى ونحو المعايير العامية لإحدى هذه اللهجات المتماسة.

وبالرغم من انسجام نتائجنا مع ناظم المخاطب (الإعداد للجمهور) حيث يعد المتكلمون أحاديثهم لتتلاءم مع مستمعيهم الخاصين (Bell 1974) ، فهي تتناقض معها في طبيعة التحول الأسلوبي واتجاهه فقط. ففي جميع تلك الدراسات كان اتجاه التغير اللغوي إما نحو الفصحى أو العامية. ومهما كانت الأساليب المقارنة الأسلوب الجماعي إزاء المقابلة (Labov 1972 b) ، الأسلوب التلقائي إزاء المقابلة (L. Milroy 1980) ، أسلوب الملعب والمدرسة (Cheshire 1982) ، أسلوب المحادثة والمقابلة (Gal 1984) ؛ أو الأساليب الدائرة حول المخاطب (Douglas-Cowie 1978 ، 1980 Coupland 1980 ، 1984 ؛ Bickerton) - بقيت النتيجة النهائية هي هي دوماً. فالقطبان المتقارنان للتحول الأسلوبي فيها كلها هما الفصحى والعامية - أي العامية الوحيدة التي يكون الإنتقال لها في المقابلات قليلاً ، الخ. وكي نزيد من إيضاح هذه النقطة سنقوم بفحص ثنتين من هذه الدراسات. فالأولى لدكلاس - كاوي (1978) التي قامت بتسجيل ١٠ متكلمين قرويين ايرلنديين شماليين في موقفين كلاميين أو تجربتين: كانت الأولى مع أحد أبناء القرية (الدخيل) وهي المؤلفة نفسها ، والأخرى مع غريب لهجته انكليزية

فصيحة. ومن بين متغيراتها (ng) التي لا يختلف لفظها عن معظم اللهجات البريطانية إذ تأتي طبقية أنفية أو لثوية أنفية مع كون الأولى أفصحها والثانية العامية منها. وفي الجدول 5.7 تعطى نتائجها عن هذا المتغير.

الجدول 5.7 المتغير (ng) لـ ١٠ ايرلنديين شماليين في تجربتين

اسم الراوي	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ر	ز
مع الدخيل	١٥	٢٥	٤٩	٧٥	٨٤	٩١	٩٤	٩٨	١٠٠	١٠٠
ء الغريب	٤	٥	٥	٣٥	٧٥	٤٢	٧٥	٨٤	٩٧	١٠٠

المصدر: Douglas-Cowie 1978: 41

يبين الجدول 5.7 إختلاف سلوك الرواة الذين أعطيت علاماتهم فرادى إزاء استخدام المستغيرين في كلتا التجربتين. فعند بعض المتكلمين إما أن ينعدم الإنتقال الأسلوبي تماما نحو الغريب كما عند ر وز أو يقل جدا كما عند خ و د، وهذا يظهر من نسبة الصيغة اللافصيحة العالية جدا. والمتكلم أ لا ينقل كلامه إلا قليلا جدا إذ تكاد الفصاحة تكتسح أسلوبيه. وأما الآخرون فيبدون درجات متفاوتة من الإنتقال الأسلوبي إزاء الغريب.

وأما الثانية فدراسة كوبلاند (1984، 1980) التي بحثت في التحول الأسلوبي لدى أمينة وكالة سفريات على خمس متغيرات صوتية في الانكليزية الويلزية بكاردف. وأظهرت كيف اسطاعت وكيلة السفريات من تكييف كلامها بطريقة تتناسب مع المنزلة الإجتماعية لزبائنها وتماثلها وتعكسها. ومن بين المتغيرات (التاء بين العلات) التي قد يأتي لفظها لفظا مهموسا لثويا كما في الفصحى أو كناقرة مجهورة كما في العامية.

وفي الجدول 6.7 أدناه نقارن استخدام الأمينة للمستغير الفصيح مع زبائنها من الطبقات الخمس.

الجدول 6.7 (تاء بين العلات): درجة الفصاحة في كلام الزبائن مقارنة مع الأمينة في لهجة كاردف ، انكلترا.

	الطبقات					
	١	٢	٣	٤	٥	٦
استخدام الزبائن	٠٠٠	١٢.٨٠	٤١.١٠	٥٨.٧٠	٧٧.٦٠	٨٠.٠٠
ء الوكيلة	٢٦.١٠	١٢.٠٠	٢٧.١٠	٣٧.٨٠	٥٠.٠٠	٦٦.٧٠

المصدر: بتصرف عن Coupland 1984:63

يبين الجدول 6.7 كيف تستطيع وكيلة الأسفار التقريب بين مستوى أسلوبها وزبائنها. وعلى العموم كلما تدنى ورود المستغير العامي في كلام الزبائن قل في كلامها والعكس بالعكس. ولم يتواز كلام الوكيلة مع كلامات زبائنها تقريباً إلا في حالة واحدة فقط - الطبقة ٢ . وفي الحالات الأخرى كلها تعكس الوكيلة عموماً المرتبة الإجتماعية لمخاطبيها في كلامها.

وهكذا تؤكد كلتا دراستى كوبلاند ودكلاس-كاوي البعد المثنوي للتغير على مداد الفصحى والعامية الواحدة.

وهنالك - على علمي - دراستان تصدتا فيما مضى لمسألة التنقل بين اللهجات العامية بالتفصيل. وأولاهما(Payne 1976 , 1980) حيث بينت كيف يتم اكتساب النظام الصوتي للهجة فلادلفيا بأمريكا لدى الأولاد المهاجرين إليها من ثمان مناطق لهجوية وتتراوح أعمارهم حتى السن ١٤ . درست الباحثة أنماط اكتساب ٨ متغيرات صوتية التي يبين الجدول 7.7 أدناه نتائج بعضها.

الجدول 7.7 نسبة اكتساب

المتغيرات الصوتية في الكلام الطبيعي للولدان المهاجرين بفلادلفيا.

النمط	المتغيرات				
	أي	أو	أُوي	أو:	أُو
مكتسب	٥٠	٤٠	٦٠	٥٢	٦٨
« جزئيا	٤٤.١	٤٠	٣٠	٤٨	٣٢
غير مكتسب	٥,٩	٢٠	١٠	٠٠	٠٠
عدد الأطفال الواجب عليهم تعلم المتغير	٣٤	٢٠	٢٠	٢٥	٢٥

المصدر: Payne 1980:151

يبين الجدول 7.7 اكتساب غالبية الولدان المهاجرين لنظام العلات الفلادلفية بالكامل أو جزئيا. ولم يكتسب بعض الأطفال بعد إلا ثلاثة من المتغيرات الصوتية الخمسة ، ولكن بين لم تبين لنا فيما إذا كان أولادها قادرين على تحويل أساليبهم فيما لو تكلموا مع صدقانهم من ذوي اللهجة المهجرية التي هم عليها أو مع أولئك ذوي اللهجة الفلادلفية المحلية. (بخصوص تغيير الأساليب عند الولدان انظر Romaine 1978 ,1984). ويعود النقص في تحليلها من حيث المبدأ إلى مناهجها في جمع مادتها المبنية على منهج لابوف (1972a, 1980) والتي كونت الإستبيانات المبوبة المصدر الرئيسي لإستنباط الكلام فيها.

والدراسة الثانية قام بها (Kerswill 1985) لتقصي كيفية اكتساب لهجة برغن المحلية بالنرويج عند ٣٨ مهاجراً بالغاً ريفياً من منطقة لهجة ستريل وهم من مختلف المستويات الثقافية والفئات

المهنية. وفي برغن الـموقف اللغـوي معقـد جداً ويتضمن لهجتـين فصيحتين هما بوكمال، وهي الفصحى التي يشيع تداولها في النرويج وبرغن ، ونينروسك، وهي الفصحى المقتصره على المناطق الريفية. وأما اللهجة المهجرية الريفية ستريل فأقرب إلى نينروسك في حين أن اللهجة المحلاوية في برغن فأقرب إلى بوكمال. وكلتا ستريل وبرغن عاميتان (ولمزيد من التفاصيل راجع (Kerswill 1985:136). وعزل كرزويل ثلاثة متغيرات – صرفي ، وصوتي ، وتنغيمي. وهذا الأخير مجرد تجربة سمعية لاعلاقة لها بالإخراج الصوتي الأصيل. ويعرف المتغير الصرفي بالصرفي المعجمي ، والصوتي بخفض العلة الوسطى.

أظهرت النتائج العامة لدراسته مقدرة المهاجرين القرويين على اكتساب لهجة برغن والإنتقال لها. وكان اكتساب هذه اللهجة المحلية مقيداً بعوامل إجتماعية كثيرة فعلاً. وعلى العموم كان تداول مهاجري المنـــزلـــة العليا للهجـــة المحلية أكثـر من ذوي المنـزلـة الـدنيا (1985:152).ومن بين العوامل المهمة جداً في اكتساب لهجة برغن عند المهاجرين المرتبة الوظيفية والمستوى التعليمي على الرغم من تبـاين تطابقهما مع التغيير اللغـوي. وعـلى نحو أدق، بينت نتائجه (1985:142) أن التعليم والمهنة لم يخلقا أثراً واحداً في جميع المتغيرات اللغوية. فمثلاً كانت المرتبة الوظيفية والمستوى التعليمي مهمين في خفض العلة الوسطى ولم يكونا كذلك في المؤشر الصرفي المعجمي.

إلا أن كرزويل – كما الأمر عند بين أعلاه – لم يبين فيما إذا كان مهاجروه قادرين على تغيير أساليبهم بحسب الفرد الذي كانوا معه يتحدثون كما اتضح من دراستنا هذه. وسبب هذا النقص اعتماده في جمع مادته على الإستبيانات المبوبة. ويستثنى من ذلك حالة واحدة فقط لإحدى نسائه جرى تسجيلها في أربعة مواقع كلامية: المقابلة ،

الحديث الجماعي مع الأصدقاء، في العمل ، وفي بيتها بالمنطقة الريفية التي جاءت منها (178 : 1985). وأظهرت النتائج الحاصلة أنها كانت قادرة جداً على تغيير أساليبها تبعا لذلك. ففي بيتها كانت تتكلم ستريلي ، وبرغني في عملها.

ولذلك فإن دراستنا مختلفة عن دراستي پين وكرزويل من خلال حسابها لأثر المخاطب ولكنها تتفق معهما في مقدرة المهاجرين على اكتساب اللهجة المحلية والإنتقال إليها. وفي الحقيقة لولا أننا قمنا بحساب دور المخاطب فيها لانطمست الصورة اللغوية الإجتماعية لاكتساب اللهجة المحلية من قبل المهاجرين ولضاعت بأكملها. فشاهدنا في الجدول 4.7 كيف أن [ء] لم تظهر إلا في أ م ن فقط حيث كان المهاجرون منغمسين في التحدث مع المحليين. وسنؤكد إنتظام هذا السلوك الكلامي وإتساقه بفحص متغيرات أخرى فيما بقي من هذا السفر.

ولايقتصر التحول فيما بين اللهجات العامية على الدراسات المهجرية. فمن الدراسات الجديرة بالذكر الدراسة التي أجراها كرزويل (1987) عن المسح اللغوي الإجتماعي لبعض القرى المحيطة بمدينة درم بانكلترا ، تحت إشراف الأستاذ تشارلز جونز. وفيها سرد نتائج دراسة ميدانية سابقة له احتوت على خمسة صبيان وثلاث بنات ومنجمي مسن ، جرى تسجيلهم في موقفين كلاميين اثنين: في مقابلة مع الباحث وفي جلسات جماعية مع الرفقان. وميز لهجتين ، هما لهجة درم العامية ولهجة درم الفصحى ؛ وممن يستخدم الأخرى معاونو الباعة ، والأمناء ، والباعة ؛ وهي لهجة فصحى ثانوية يتم تعلمها بعد البلوغ (1987:28). وتختلف فصحى درم عن الانكليزية الفصحى (ر.پ) أو الفصحى القومية، في كونها صيغة وسطى بين

الانـكـليزية الـفـصحى وعـــامية درم. فمثـــلا تلفظ كلمات going to make, talk, told, ك / mak, tak, telt, gane / في عامـــية درم و ك / me:k, to:k, to:ld, go:ne في فصيحتها. وبينت الدراسة عدم إنتقال الرواة في المقابلات إلى الانكليزية الفصحى بل إلى فصحى درم وإلى عاميتها في الجلسات الجماعية مع الرفقان. وكان ذلك في عدة متغيرات لغوية من الأصوات والصرف والمفردات والكلام المتصل.

ومن الدراسات العربية ثلاث تستحق الذكر بهذا الصدد علما أنها جميعا كانت تعنى أساساً بموضوع التغيير الذي يحصل بين الفصحى والعـامية. ففي دراسـة سلام (1980:93) ذات العينـة من المثقفين العـــرب من خمس بلدان - الأردن ، سوريا ، فلسـطين ، لبنـان ، ومصـــر - الـــذين سجلوا في موقف كلامي واحـد - المحـادثـات الجـماعية - كان للمتغير (ق) صيغتان محبوبتان جداً، هما الفصيحة [ق] والمدنية [ء] بهذا الترتيب. ولكن العلاقة بينهما انعكست في حالتين: ففي الأولى إستحب الأردنيون [ق] على [ء] على نحو كبير وبنسبة ٦٦% في حين فضل اللبنانيون [ء] عليها وبنسبة ٧٧% . وأما السوريون والفلسطينيون والمصريون فاستخدموهما مناصفة تقريبا.

والثـانية عن اللهجـة الفلسطينية في المنفى الأمريكي وجرى التمييز فيها بين ثلاث فئات إجتماعية: المدن والفلح والبدو (شراب 1981). ولفظ (ق) مختلف عندها جميعاً ، فهو [ء] لدى المدن ، و [ك] عند الفلح ، و[گ] عند البدو؛ وتبقى الفصحى [ق] صيغة محايدة إذ لا ترتبط بأي فئة منها. وعلى الرغم من أن هذا الموقع مثالي لبحث التنقل بين اللهجات العامية ، اقتصر شراب كما فعل لابوف (1972 a) وتـردكـل (1974) على رسم صورة الإنتقـال نحـو

الفصحى ، مهما كانت هذه الصورة باهتة. وكان وصفه للتماس بين اللهجات العامية وصفا كيفيا ، وعلى نحو يشتم منه رائحة الإنعزال دون الإتصال اللهجوى : أي أن التماس بين اللهجات العامية قليل.

أو كما يقول (1981:152):

أثبت المستجيبون البدو أنهم أشد ولاء إلى لهجتهم المحكية من الفلاحين إذ لم يقم أي منهم بتداول المستغير المدني [ء]. وما كانوا يستخدمونه إما الصيغة الفصحى [ق] أو الخاصة بهم [ڭ].

(وسنشير إلى التنقل بين اللهجات العامية عند الفلح في موضع آخر من هذا الفصل).

وأخيرًا دراسة عبدالجواد (1981) عن اللهجة الأردنية التي ميز فيها بين ثلاث فئات اجتماعية كما فعل شراب أعلاه. وعلى نحو أدق ، يكون نطق (ق) همزة عند المدن ، وكافا عند الفلح ، وڭافا عند البدو. ولا ترد قافاً إلا في الفصحى. ويبين الجدول 8.7 توزيع (ق) بين هذه الفئات.

الجدول 8.7 توزيع صيغ (ق) لدى ثلاث فئات اجتماعية بعمان

	[ق]	[ء]	[ڭ]	[ك]	العدد
الفئة المدنية	٣٤	٦١.٥٠	٤.٥٠	٠٠	٤٤٤٢
الفئة البدوية	٢٩.٥٠	٢٥	٤٥.٥٠	٠٠	٢٠٢٠
الفئة الفلاحية	٤٣.٥٠	١٣.٥٠	٥.٥٠	٣٧.٥٠	٤.٥٥

المصدر: بتصرف عن عبدالجواد (77–175 , 22–1981:321)

يبين الجدول 8.7 أن التحول بين اللهجات العامية وارد فعلاً ولكنه محدود جداً.وتستخدم كل الفئات الإجتماعية الصيغة الفصحى [ق] في المرتبة الثانية بعد مستغيراتها الأصلية العامية. فيما عدا الفلاحين الذين يكثرون استخدامها ؛ وأما الصيغة المدنية المميزة [ء] والبدوية [گ] فتردان بالتناوب كذلك. ولكن ما من فئة واحدة تحولت إلى [ك] سوى الفلاحين ، ناطقيها الأصلاء. وتفضل الهمزة على الكاف في التنقل بين اللهجات العامية ولكن [ق] تفضل عليهما معاً. (وهناك دراسة مماثلة لعبد الجواد (1986) عن الأردنية وبتركيز أشد على التماس بين اللهجات العامية).

وأما القدر القليل للتنقل بين اللهجات العامية - سيما المدنية-في دراستي عبد الجواد وشراب، فمرده إلى تجاهلهما ونسيانهما لدور المخاطب المستمع الذي تؤثر بالتأكيد خلفيته اللهجوية المختلفة على المنحى الذي يغير فيه المتكلم حديثه.

أثبتنا فيما مضى حصول التغيير اللغوي نحو العامية المحلية في أساليب المحادثة في الدراسات المهجرية. وفي أساليب القراءة إنما يحدث التغيير كله نحو الفصحى بوجه عام.

وتتفق نتائجنا عن أقك التي تكون فيها الصيغة الفصيحة قطعية عند الجميع مع نتائج لابوف (1972 a) وتردكل (1974) بخصوص غلبة السمات الفصيحة في أشد الأساليب رسمية كقراءة المقطع وقائمة الكلمات. ولعل أحد أوجه الجدة لهذه الدراسة بهذا الصدد استخدام أسلوب الترتيل القرآني أ ت ق الذي أعطي خصيصاً للأميين ؛ وفيه كانت السمة الفصيحة [ق] قطعية عندهم جميعاً.

ولكن ارتباط السمات الفصيحة بأشد الأساليب رسمية ليس بالثابت دوماً . فكثير من الحالات (مثلاً العمادهي 1985) تشذ عن

هذه القاعدة لعدة عوامل. ومما يشكك في صحة هذا الزعم الأدلة المستمدة من المتغيرات الأخرى في دراستنا هذه كما سنرى فيما بعد.

وباختصار كان سير الإرتصاف الأسلوبي للمتغير (ق) كالآتي.

وردت الصيغ العامية [ك،ج،ء] في أساليب المحادثة على نحو رئيسي. وارتبط تفضيل [ء] على [ك] بمسألة المخاطب عموماً. فالصيغتان المهجريتان الأصليتان [ك ، ج] مستحبتان في أ م م في حين تفضل المحلية [ء] في أ م ن. وفي أسلوب القراءة اختفت جميع المستغيرات العامية لصالح [ق] ذات الثبوت القطعي فيه.

وأخيراً نأتي إلى موضوع الفئة الجامعية المحلية وتصرفهم الكلامي في أ م ن. ولا تفضل هذه الصيغة الفصيحة [ق] على عاميتها الأصلية [ء]. ومع العلم أن سلوكهم اللغوي مشابه للفئة المهجرية الوسطى في أ م م بخصوص استعمالهم للفصحى ، ففي أ م ن يكون تداولهم للصيغة الفصيحة أقل من نظرائهم المهاجرين من المنزلة نفسها. ومما يتضح من الجدول 4.7 أعلاه أن سلوكهم في (ق) صورة معكوسة عن سلوك ثاني أعلى الفئات المهجرية ، إذ يساوي استخدام السمة الفصحية [ق] عند الأخيرة استعمال الأولى للصيغة المحلية [ء] في أ م ن.

وهذه النتيجة مهمة جداً لأنها تودي بنا إلى الإستنتاج بإنعدام أثر المحلاويين أبداً في سلوك فرط الإستصواب السابق عند ثاني أعلى الفئات المهجرية. وتتقوى هذه النتيجة أكثر إذا ما أخذنا في الحسبان تسجيل راويتين ثانويين مع شيخ عجوز محلي أمي (+ ٧٠ سنة) ، والذين لم تتجاوز علاماته على [ق] ٥ % في حين تعدت ٩١ % على [ء]. وبهذا نثبت بجلاء أن الفئة الثانوية المهجرية لا تنحرف عن المعايير الكلامية للفئات المهاجرة فحسب بل عن مخاطبيهم المحليين أيضاً.

وأخـيراً يجدر بنـا أن نذكـر أن المحليين لم يتحـولوا إلى لهجة المهاجرين ، ولايظهر الجدول 4.7 أعلاه أي أثر للمهجرية [ݣ] في كلامهم. ولا يقتصر هذا على الفئة الجامعية المثقفة بل يسري أيضا على جميع المحليين مهما كانت مستوياتهم التعليمية عموماً. فلم ينطق أي من المحليين العشرين المسجلين مع مهاجري بحثنا بأية صيغة مهجرية أبداً. ومما يبدو أيضا أن هذا الموقف عام في مناطق أخرى مماثلة من العالم. فلم يورد كرزويل (1985) وبورتوني - ريكاردو (1985) في دراستيهما عن أنماط أحاديث المهاجرين في النرويج والبرازيل لكل منهما أية حالات انتقل فيها المحلاويون إلى اللهجات المهاجرة. ويظهر أن العامل المهم في هذا القبيل سيطرة المجتمع المحلي أرضاً وإقتصاديا واجتماعيا، الخ. ويرتبط افتقار الصيغ المهجرية في كلام المحليين في بحثنا بالسطوة فعلاً. ولاحظ شراب (3-1981:152) عدم استعـمال المـدنيين المتسيدين للمستغـير الفـلاحي المـطعـون [ك] إلا سخـرية وهـزوا. كما توصـل عبـدالجـواد (2-1981:321) المذكور في الجدول 8.7 أعلاه إلى النتيجة عينها بخصوص عدم تداول رواته المدينيين للسمة الفلاحية [ك].

2.2.7 المقياس الإجتماعي للعمر

1.2.2.7 تقدمة

تأتي أهمية العمـر من دوره في تحديد التغيير الصوتي المتواصل والإستدلال عليه. وقد يحصل التغيير الصوتي المتواصل عند تلاقي مجمـوعـة عوامـل مع الدليل الزمني وتأييدها به. ويربط اللغويون الإجتـماعيون شواذ الإرتصـاف الإجتـماعي ، والتـمايز الأسلوبي ، والأدوار الجنسية بالتغيير اللغوي المتواصل عادة (1972 a: ch. 9

Guy et 1986 ; Romaine 1978 ; Chambers & Trudgill 1980 ; Labov al). كما تشير بنية النواظم الشبكية (1982 ، 1985 ; L. Milroy 1980 Milroy & Milroy) إلى التغيير اللغوي، ولا سيما لما تكون الشبكات متراخية ومتموجة. وثمة آخرون (من مثل Bailey 1973) أقحموا السياق اللغوي في عملية التغيير اللغوي المتواصل. ولسنا بحاجة إلى التصدي لكل هذه الأبعاد في هذه المرحلة ولكنا سنشير إليها أنى وأيان ظهرت في باقي هذا الكتاب. وفيما يلي سنتولى مسألة العمر.

في مناقشته لمسألة الزمن ميز لابوف (83 - 6,274 - 1972 a:133) بين بعدين: الـزمن الحقيقي والـزمن الظاهر. ويعني الثاني ببساطة التدرج العمري: أي توزع السمة الكلامية عبر زمرتين عمريتين أو أكثر. ويتضمن الزمن الحقيقي السجل/ (ات) التاريخية للهجة المعنية في برهة/ (ات) معينة من الزمن. وحين التثبت من إختلاف الزمر العمـرية المتعـددة في استخـدامها للمتغير اللغوي المعين وإسناده بالدليل التاريخي ، ولنقل من سجل سبق إجراؤه قبل عشرين سنة أو أكثر ، فعندها يمكن التحقق من أن التغيير اللغوي متواصل. ولما ينعـدم الدليل التاريخي فلا يكون الوضع الفعلي آنئذ تغييراً لغويا متواصلاً بل تدرجا عمريًا.

وفي مدينـة نيويورك تم التحقق من التغيير الصوتي المتواصل بخصوص البعد الزمني بمقارنة مادة الزمن الظاهر مع أربعة سجلات تاريخية للزمن الحقيقي ترجـع حتى عام ١٨٩٦ . وفي مارثز فينيارد جرى ذلك بمقارنتها مع دراسة قبلها بحواي ٣٠ عاماً. ولإيضاح هذه النقطة يبين الجدول 9.7 أدناه تمركز (أي) و (أو) في مارثز فينيارد.

الجدول 9.7 نسب تمركز (أي) و (أو) بالعمر فى مارثز فينيارد

	(أي)	(أو)
أ ١. فوق ٧٥ سنة	٢٥	٢٢
٢. ٦١ - ٧٥ سنة	٣٥	٣٧
ب ١. ٤٦ - ٦٠ سنة	٦٢	٤٤
٢. ٣١ - ٤٥ سنة	٨١	٨٨
ج ١٤ - ٣٠ سنة	٣٧	٤٦

المصدر: Labov 1972 a :279

يبين الجدول 9.7 أن التمركز - [أي ، أو] - يزداد اضطراداً مع العمـر الصغير. ويبلغ أقصاه عند الزمرة العمرية ، ب. ولما لم يكن هنالك ذِكر للتمركز في السجل التاريخي لمارثز فينيارد قبل ٣٠ سنة، وبمقـارنـة هاتين النقطتين من الزمان - أي دراسته ذاته والسابقة لها - أكد لابوف استنتاجه بشأن حصول التغيير الصوتي المتواصل في لهجة الكروميين فيما يتعلق بذينك المتغيرين.

وأدخلت كافة الدراسات تقريباً التي اتبعت لابوف (1972 a ، 1966 ، 1963) العمـر من بين مقـاييسها الإجتماعية (ومنها تردكل 1974 ؛ ماكـولي 1977 ؛ ل. ملروي 1980 ؛ هاريس 1985 ؛ العـمادهي 1985 ؛ الـخ). ولكن لم توفق جميعهـا في إيجـاد السجلات التاريخية اللازمة لتدوين التغيير الصوتي المتواصل أو الحصول عليه.

2.2.2.7 المتغير (ق) والعمر في دراستنا

1.2.2.2.7 الغرض من التحليل ومداه

يرمي تحليل القاف بالعمر إلى إدراك غايتين. ففي إحداهما نبغي،

كما الحـال عند لابوف (1972a)، تبيان امكانية حصول التغيير المتواصل، ويمكن إحراز هذه الغاية بمقابلة نتائجنا العمرية مع وصف كانتنو (1936) للجولانية قبل الهجرة في مرتفعات الجولان لنصف قرن خلى. وثانيا نريد أن نرى فيما إذا كانت الفئة العمرية الكبيرة تمتلك الطيف الكامل للتغيير الأسلوبي كالفئة الصغرى، ولا سيما تكيفها مع مختلف مخاطبيها.

2.2.2.2.7 عرض النتائج عمريا ووصفها

يبين الجدول 10.7 المتغير (ق) بالعمر والأسلوب.

الجدول 10.7. نسب المتغير (ق) بالعمر والأسلوب

	أ م م		أ م ن		أقك		أتق	
	كبار	شباب	كبار	شباب	كبار	شباب	كبار	شباب
[ق]	٦.٦٠	١٩.٤٠	٦.٠٠	٣٧.٥٠	١٠٠	١٠٠	٩٥.٦٦	١٠٠
[ء]	٠.٤٠	١.١٤	٢.٦٤	٥٠.٨٠	...	...	...	...
[ك]	٧٧	٧٤.٤٦	٧٩.٢٠	١١.٠٠	...	...	٤.٣٤	...
[ج]	١٦	٥.٠٠	١٢.١٦	٠.٧٠	...	...	...	...
مجموع	١٤٨٣	٢٥٥٦	١١٧٧	١٦٧٧				

يبين الجدول 10.7 بوضوح تمايز الزمرتين العمريتين في أسلوبي المحـادثـة دون القراءة. ففي أ م م يفترق الشبان عن الكبار على مستغيرين ويتشابهون على اثنين غيرهما. والمستغير الفصيح [ق] صورة مقلوبة عن المهجري العامي [ج] بخصوص تقاطعهما مع العمر: فيستخدم الصغار [ق] بقدر ما يستخدم الكبار [ج]، ويصح

العكس من حيث تساوي استخدام الصغار لـ [ج] مع [ق] عند الكبار. والصيغة الوحيدة المرغوب بها هي المهجرية [ڭ] ، ولا فرق بين الزمرتين في هذا الشأن. وأما الصيغة المحلية [ء] فمهملة عند الجميع. ولكن الصغار يتميزون عن الكبار في أ م ن على جميع البدائل. فيفضل الكبار [ڭ و ج] على [ق و ء] تفضيلاً ساحقا في حين ينقلب الـوضـع لدى الصغار باستحبـابهم [ء] و [ق] بهذا الـترتيب. وبمعنى آخر، حافظ الكبار على سلوكهم الكلامي في أ م م و أ م ن دون تعيير، وأما الصغار فلا. وأخيراً أ ق ك وأت ق، ففيهما تتسبب رسمية هذين المـوقفـين بقطعية استعمال الصيغة الفصيحة [ق]، وهنا تتساوي الـزمرتان بهذا الشأن فيماخلا ما نسبته ٤ % ، من استخدام الصيغة العامية المهجرية [ڭ] عند الكبار.

3.2.2.7 مناقشة النتائج وتفسيرها

في هذا القسم تسترعي اهتمامنا نقطتين: وهما (١) مسألة التغيير الصوتي المتواصل و (٢) طبيعة التغيير الأسلوبي ومداه.

فبالنسبة للأولى، تبين المادة الملخصة في الجدول 10.7 أعلاه ازدياد ظاهـرة اللهـونه (أي ورود [ق]) والهمزنة (أي ورود [ء]) عند الصغار في أسلوبي المحادثة أ م م وأ م ن مقارنة مع الكبار. ويتضمن هذا أيضا أن تطبيق الاستحناك (أي ورود [ڭ]) والإصطكاك (أي ورود [ج]) أكثـر تكرارا عند الزمرة الكبرى من الصغرى. وإذا ما قارنا صورة الزمان الظاهر هذه مع عبارة كانتنو (8-1936:27) التالية:

> لا نعثر للقاف أثراً ... في لهجات البدو، التى تخرج القاف فيها (وفي الواقع هي كاف) من المخرج الحنكي للكاف ذاته،

ويشكل هذان العاكنان زوجاً واحداً.

كان الـدليل على التغيير المتـواصل ثابتا وقاطعا. ويتجلى ذلك بظهور الصيغتين المجهولتين سابقا في الجولانية وهما الفصيحة [ق] والمحلية [ء]. ويمكننا الإطمئنان بالقول بتحاين دخـول [ق] في الجولانية مع افتتاح المـدارس الحكـومية منـذ ١٩٥١ فصـاعداً لما كان الناس يعيشون في مرتفعات الجولان وأما دخول [ء] فظاهرة حصلت بعد الهجرة حتما ونشأت نتيجـة للتماس اللهجوي بين اللهجة المهجرية والمحلية منـذ حزيران ١٩٦٧ أو بعده.

والآن إلى بعض التعليقـات التي تستـدعيهـا منـزلـة البدائل المهجـرية الأصلية. أولا المستغـير المهجري الفرعي [ج] : وهذا سيختفي في وقت غير بعيد إذ يستخدمه الصغار أقل من الكبار بكثير. كما أن وروده عند بعض المهاجرين من الثانويين والجامعيين كان إما منعدماً أو أقل من ١ % . وأما عند صغار المهاجرين الباقين فكان تكـراره أقـل من [ق] و [ك] في الـكلمات ذاتهـا رغم تنـاوبـه معهما فيها. ولقد قمت بتدقيق جميع الكلمات التي تحوي [ج] في مادتنا ووجدت أن الزمرة الصغرى كانت تفضل في كل حالة الألفاظ الأخرى بـ (ق) و [ك] على [ج] أو لم تكن لتستخدمه أبداً . وكـان الكبار على العكس إذ فضلوا لفظ [ج] على غيره فيها. ولكن هنالك كلمة واحدة كانت تلفظ بـ [ج] على نحو شبه قطعي عند جميع الأفراد – وهي [جاسم] ومقابلتها الفصيحة [قاسم].

وبـالنسبـة لاستخدام [ك] ، فسيستمر ، خلافا للجيم ، إلى جانب [ق] و [ء]. ومن الصعب التنبؤ بطول مدة بقاء [ك] في موقف التـماس اللهجـوي الجـديد ولكن من المؤكـد استخـدامها كمستغير أسلوبي فيما يتعلق بالشبان. وبمعنى آخر سيقتصر استعمال

[ك] عموماً على المواقف الكلامية بين المهاجرين أنفسهم في حين أن [ء] بين المهاجرين والمحليين. كما سيستمر استعمال [ق] معهما في كلا الموقفين.

والنقطة الثانية التي ينبغي ذكرها في هذا القسم هي توكيد ودعم وجود التغيير الصوتي المتواصل وتثبيته على مستوى الزمن بخصوص. ناظم فرط الإستصواب الظاهر في السلوك الكلامي للفئة الثانية العليا التي صادفناها آنفا ، وكانت مؤشراً على الظاهرة ذاتها أيضا.

وأما عن طبيعة التغير الأسلوبي ومداه من حيث تقاطعه مع العمر ، فيظهر الجدول 10.7 أعلاه بجلاء أن المدى الأسلوبي للزمرة الكبيرة أضيق من الصغيرة. ففي أسلوبي المحادثة لا تميز الكبرى في استعمالها للبدائل الصوتية الملائمة بين التكيف مع محادثيهم من المهاجرين أو المحليين. فلم يتغير سلوكهم الكلامي في أ م ن عن أ م م أبداً ، أي أنهم لا يحسون بأثر المخاطب. وأما الصغرى فعلى العكس ، فيختلف تصرفهم في كلا الأسلوبين كما يبدو من مجاميع نسبهم: فالصيغتان المهجريتان [ك] و[ج] ذاتا ورود ساحق عندهم في أ م م ولكنهما تستبدلان بالمحلية [ء] والفصيحة [ق] في أ م ن. والفروقات بين الأسلوبين ذات قيمة كبيرة جداً فعلاً.

وهنالك العديد من الأبحاث اللغوية الإجتماعية التي أثبتت عجز الكبار مقابل الصغار عن تكييف عاداتهم الكلامية العامية أو اكتساب اللهجة المضيفة الجديدة. ففي بحثه عن المهاجرين الفلاحين في برغن بالنرويج ، وجد كرزويل (1985:132) أن العمر تفاعل تفاعلا كبيراً مع الضغط اللهجوي على تكييف المرء لكلامه. وعلى نحو أدق ، قام المهاجرون الشبان الذين أتوا إلى برغن وهم صغار بتكييف كلامهم بدرجة أكبر من القادمين إليها وهم كبار. وكما يقول:

ربما كان المهاجرون الستريليون الذين وصلوها وعمرهم صغير نسبياً (حتى ١٦ - ١٧) يشعرون بضغط قوي جداً عليهم لتكييف كلامهم باتجاه لهجة برغن ... ولذلك كانوا يستجيبون بتعديل كلامهم تعديلا أكبر من أولئك الذين انتقلوا إليها فيما بعد بكثير.

وأضحت بورتوني - ركاردو (1985: Ch. 8) في بحثها عن اكتساب مهاجري القرى للهجة مدينة برازيلانديا في البرازيل ، التي قامت فيها بتحليل أربعة متغيرات لغوية، كيف كان الشباب (١٥ - ٢٥ عاما) الذين انتقلوا إلى المنطقة وهم طفالى يبدون مهارة أعلى من البالغين بكثير في إتقان السمات الكلامية المدنية الفصيحة. وكانت نسبة الصيغ المدنية التي حصل الشبان عليها في كل متغير لغوي أعلى من الكبار.

وللعمر أهميته أيضا عند الأطفال في اكتسابهم للهجات الجديدة. فأظهرت دراسة (Payne 1976 , 1980:154 - 6) عن الأطفال المهاجرين إلى فلادلفيا مقدرتهم على تعلم نظام علل لهجة فلادلفيا حتى السن ١٤ . وعلى الرغم من عدم وجود فروق مهمة بين الزمر العمرية المختلفة لأولادها، فقد اعتبرت السن ٨ الحد الفاصل في هذا الشأن.

وهنالك دراسة عن نشوء اللهجات في برترسك - إحدى المجتمعات الكلامية بشمالي السويد - أجرتها (Thelander 1982) ، وكانت عينتها مكونة من ٥٦ فرداً جرى تسجيلهم في ثلاثة مواقف كلامية: المقابلة والجلسات الجماعية مع الغريب وبدونه. ووجدت أنهم كانوا يخالفون استعمالهم للصيغ الفصيحة والعامية للمتغيرات الإثني عشرة على نحو لايمكن وصفه بالفصيحة البحتة أو العامية البحته ،

بل كان خليطاً بينهما. وعلى ذلك أطلقت اسم الفصحى الإقليمية ، وهي مزيج بين الصيغ العـامية والفصيحة على نحو تضميني. فمثلاً تكون الصيغة الفصيحة للضمير (هم) في برترسك هي dằmm والعامية dämm ولأداة النفي (لا) inte بالفصحى و int بالعامية. والآن يكون الاستعمال الفصيح بجمع الصيغ الفصحى معاً في حين أن الإستخدام العامي بالصيغ العامية. وأما الاستعمال الفصيح الإقليمي فوسط ويجمع الفصيحة dằmm والعامية int ، وهكذا. وكان للعمر أثر بارز في استخدام أية لهجة منها. فوجدت ثلاندر (3 - 80 :1982) أن الزمرة الكبيرة ممن يتجاوزون ٥٠ عاماً كانت تستخدم اللهجة العامية دوماً في الأساليب الثلاثة ، وكانت الزمرة الصغرى ممن لهم ٢٠ عاماً من العمر والمكونة من ٨ طلاب تستعمل الفصحى الإقليمية دوماً ، وأما من هم دون ٤٠ من العمـر فكـانـوا يخالفون اللهجتين الفصحى والفصحى الإقليمية في كلامهم. (وعموماً لم يكن الأسلوب مهما بهذا الشأن عند جميع الأعمار).

وأما الأبحاث اللغوية الإجتماعية العربية فالدليل منها على أثر العمر خصوصاً في التكيف بين اللهجات معدوم فعلاً. ولكن هنالك إشـــارة وجيزة في دراســـة شراب (3 - 142 :1981) عن اللهجـــة الفلسطينية بشأن عدم تحويل الكبار لكلامهم نحو اللهجة المدنية. وكما يقول:

... لم يحـاول الـرواة الفلاحون الكبار استخدام المستغير المدني [ء] أو ما سواه من سمات اللهجة المدنية.

وهذا لاينطبق على الصغار منهم الذين تحولوا إلى اللهجة المدنية ، وسنشير إليهم في أحد الأقسام التالية من هذا الفصل.

وبـالرغم من تراكم الأدلة من دراستنا وغيرها بخصوص تمايز

سلوك الصغار والكبار في اكتساب الصيغ العامية الجديدة أو تكيفهم نحوها. فإننا لا نستطيع في دراستنا على الأقل تحديد العمر الفاصل الذي ينقطع بعده تعلم المهاجرين للهجة الدمشقية المستضيفة بدقة. فاقتصرت دراستنا في عينتها على أولئك الذين انتقلوا إلى المجتمع المضيف من ذوي السن الصغير أو الكبير. فليس لدينا معلومات عمن أعمارهم بين ١٣ و ٤٠ عاما. ولكن أدلتنا توحي بأن السن ١٢ ليس بعائق أمام إكتساب الجديد من العادات الكلامية. كما أننا لم نجد فروقا بين الواصلين في سن الثالثة أو الثانية عشرة من العمر. ووجد كرزويل أن المهاجرين الذين وصلوا برغن في سن ١٨ استطاعوا اكتساب اللهجة الجديدة أو المضيفة. وأخيراً ينبغي الإشارة إلى أن العمر بذاته ليس العامل الوحيد المسؤول عن اكتساب الصيغ الكلامية الجديدة عند الكبار (ولنقد هذا الموضوع انظر (Fudge 1987)

والآن نأتي إلى المسألة الثانية التي ننظر فيها بخصوص طبيعة ومدى التغيير الأسلوبي وعلاقتها بالعمر في بحثنا ، وهي أسلوبا القراءة. فخلافا لعجز الكبار عن الإنتقال إلى اللهجة المحلية مع المحادثين المحليين في أ م ن ، استطاعوا في أ ق ك وأت ق من التحول إلى الفصحى. وفي هذا الخصوص تساوى الكبار والصغار في قطعية استخدام الصيغة الفصيحة [ق] . وتحقق لنا من استخدام أتق فائدة كبيرة: ففي العديد من الدراسات اللغوية الإجتماعية كان يترتب عن مشكلة الأمية عند كبار الرواة عدم إعطاء إختبارات القراءة لهذه الشريحة من الناس (Al-Amadihi 1985 ; L. Milroy 1980:100). وعلى الرغم من حل هذه الإشكالية في دراستنا هذه فينبغي التنويه إلى أن ذلك حل جزئي لأنه كان هنالك من الكبار من لم يكن قادراً على ترتيل وإستظهار أي شيء.

3.2.7 المقياس الإجتماعي للجنس

1.3.2.7 تقدمة

من أمتع أوجه البحث اللغوي الإجتماعي انعكاس الفروقات الجنسية في الإستخدام اللغوي. ومنذ أطلق لابوف (1966 ، 1972 a) دراسته الرائدة عن لهجة نيويورك تكاثرت الأبحاث عن الجنس لدرجة أنه ليس بمقدور عمل وحيد – ودعك من عملنا هذا – مراجعتها جميعاً. ولذلك فما سأقوم به هنا هو اصطفاء النزعات والنواظم العامة التي جرى اكتشافها فيما مضى بهذا الصدد.

فالمسألة المركزية في تمايز كلام الجنسين تكمن في استعمال الصيغ الفصحى والعامية. والإعتقاد الشائع هو تفضيل النسوة للأولى على الأخرى. وكما يقول لابوف (1972 a :243):

> إن للتراصف الإجتماعي للمتغيرات الثابتة منحى منتظماً... ففي الكلام الحريص تستعمل الإناث الصيغ المطعونة أقل من الرجال... فهن أشد حساسية منهم بأنماط الرفعة... وتأكدت هذه الملحوظة ما لا يحصى من المرات.

والدراسات اللغوية الإجتماعية التي أيدت هذا المبدأ كثيرة. فمثلاً وجد (Wolfram 1969) – وهو من أوائل اللغويين الإجتماعيين الذين أعادوا دراسة لابوف في البيئة الأمريكية أن النساء في دترويت كن يستخدمن اللفظ الرفيع للراء أكثر من الرجال، وهذا مانبينه في الجدول 11.7 أدناه.

الجدول 11.7 نسبة انعدام [ر] بالطبقة والجنس في درويت.

الطبقة الإجتماعية	الرجال	النساء
متوسطة عليا	٣٣ . ٣٣	١٠ . ٠٠

متوسطة دنيا	٤٧.٥٠	٣٠.٠٠
عمالية عليا	٨٠.٠٠	٥٥.٨٠
عمالية دنيا	٧٥.٠٠	٦٨.٢٠

المصدر: Wolfram 1969:117

يبين الجدول 11.7 أن النساء يلفظن في كل حالة الصيغة الوضيعة للراء أقـل من الرجال. وبمعنى آخر ، فهن أشد إحساساً بالكلام الرفيع من الرجال.

وفي دراستـه عن لهجـة نورج بانكلترا وجد تردكل (1974) النمط العام ذاته للتمايز الجنسي في معظم المتغيرات اللغوية التى قام بفحصها. وهاكم المثال التالي الذي يبين نتائجه على المتغير (ng) في الجدول 12.7 أدناه.

الجدول 12.7 نسب (ng) بالطبقة والأسلوب والجنس بنورج.

		أقك	أقم	أر	أع
طمو	ر	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٤	٠٣١
	ن	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠
طمد	ر	٠٠٠	٠٢٠	٠٢٧	٠١٧
	ن	٠٠٠	٠١٨	٠٠٣	٠٦٧
طعع	ر	٠٠٠	٠١٢	٠٨١	٠٩٥
	ن	٠١١		٠٦٨	٠٧٧
طعو	ر	٠٢٤	٠٤٢	٠٩١	٠٩٧
	ن	٠٢٠	٠٤٦	٠٨١	٠٨٨
طعد	ر	٠٦٦	١٠٠	١٠٠	١٠٠
	ن	٠١٧	٠٥٤	٠٩٧	١٠٠

المصدر: تردكل 1974:94

يبين الجدول 12.7 أن النساء النورجيات عموماً يستعملن الصيغ المطعونة أو العامية أقل من الرجال. ويستثنى من ذلك نساء الطبقة الوسطى الدنيا اللاتي يستخدمن الصيغة اللارفيعة [ن] في أع أكثر من الرجال ، وينبغي العكس. وغض تردكل من قيمة هذا الفرق لكـونه لا يمثل الأمر تمثيلاً سلبياً إذ لم ترد إلا كلمات قليلة في هذا الأسلوب. ويفسر هذا أيضا زيادة الصيغة العامية [ن] عما يتوقع لها في أقم وأر مقابل أع في كلام الذكران من الطبقة نفسها.

وفي تفسـيره لتفضيل النســاء النورجيات للكلام الفصيح على العامي أورد تردكل (95-94 :1974) سببين ، يمكن ايجازهما بمايلي: أولا النســاء أوعى بالمنـزلـة الإجتـماعية وأدرك للأهمية الإجتماعية للإستعمال اللغوي نظراً (١) لوضعهن الإجتماعي القلق والتابع للرجـال و (٢) لتحديد مراتب الرجال بوظائفهم والنساء بمظاهرهن. ولذلك فالكلام هو أحد الوسائل المعوضة للإشارة إلى المرتبة الإجتماعية عنـدهن. وثـانيا إن ارتبـاط الكـلام العامي بثقافة الطبقة العمالية التي تشتهر بخشونتها وغلظتها كصفات ذكرية محبوبة مما يجعل النساء يبحثن عن بدائـل لها فيفضلن الرفعة والنعومة التي تصطحب قيم الطبقة الوسطى. ومن الطبيعي ألا ينفي أي من هذين السببين أو يستنفـد ، كما أقر بذلك تردكل ذاته ، مختلف الإحتمالات الأخرى أيضا. (ولحلول واقتراحات أخرى انظر Wardhaugh 1986: 308-12).

وتكـررت حساسية النسوان بالكلام المطعون في كثير من الأبحاث الـلغــوية الإجـتــماعـية في المــدن الــبريطانـية متــل غلاسكـــو (Macaulay 1977). وبلفاست (L.Milroy 1980 ; Milroy & Milroy 1978 ; Harris 1985)، وغــرب يوكـــشـــر بما فيهـــا هدرسـفـيلد وبـــراد فرد وهـــالـفـــاكس (Petyt 1985) وردنـــغ (Cheshire 1982)، الـــخ. ففـــي

جميعها كان الرجال يستحبون الكلام العامي أكثر من النساء.

وهنالك مناطق من العالم لم يكن فيها للتمايز بين الجنسين في الإستخدام اللغوي أهمية أبداً. ففي البلدان الاسكندنافية كان هذا هو الموقف عموما. فمثلا لم تجد (Thelander 1982) في دراستها عن برترسك - إحدى المجتمعات السويدية الشمالية - أية فروقات جنسية مهمة على ١٢ متغيراً وفي ثلاثة أساليب. وكما تقول (1982: 83) : 'وأما جنس المرء... فذو أهمية فرعية فيما يتعلق باستخدام اللغة'. وفي بحث كرزويل (1985:-132 - 8 , 151 - 2 , 160) عن كلام المهاجرين الريفيين في برغن بالنرويج تكرر النمط ذاته ؛ فلم يجد أية فوارق جنسية قيمة في جميع متغيراته اللغوية الثلاثة التي استمدها من الصرف والأصوات المفردة (خفض العلة الوسطى) والتنغيم (إدراك النغيمة). وكان المتغير الصرفي يشتمل على ٢٣ متغيراً فرعياً دمجت كلها معا تحت اسم (المؤشر الصرفي المعجمي). ولا ندري أمرد هذه المسألة إلى الطبيعة التكافؤية للمجتمعات الاسكندنافية. وهذا الإحتمال مما لم يذكره أي منهما.

وفي أجزاء أخرى من العالم الصورة مختلفة تماماً. فمثلاً كانت نواظم التمايز الجنسي مقلوبة بالكامل في البرازيل كما تبين من بحث بورتوني - ركاردو (1985) عن المهاجرين القرويين الذين انتقلوا إلى المركز المدني المسمى ببرازيلانديا والذي يبعد ٤٣ كم عن برازيليا حيث تنحى الكلام العامي الأصلي أمام الكلام المدني الفصيح. ووجدت في تحليلها لأربعة متغيرات لغوية أن الرجال كانوا في الريادة بخصوص اكتساب أشكال الكلام المدني الجديد. وأوجزت هذا الموقف بقولها (1985:213) :

كنا نجادل في هذا البحث... أن المهاجرين الذكران هم رواد عملية التلاؤم مع المحيط المدني الجديد ، بالإضافة إلى كونهم أكثـر تعرضاً إلى الثقافة الرئيسية من النساء المهاجرات. ويمكن اعتبار قاعدة ت ف ف – ا (توافق الفاعل والفعل في جمع المتكلم) أحسن المتغيرات اللغـوية الأربعـة التي أدخلناها في دراستنا هذه تصويراً وتشخيصاً لهذه المسألة.

وبالنسبة لأدلة التمايز الجنسي من الأبحاث اللغوية الإجتماعية العربية،فهذه يمكن القول عنها بأنها غير محسومة في أحسن أحوالها ومضللة في أسوإها. وأحد الأسباب الرئيسية لذلك هو أنه على الرغم من ظهور سبع (والآن أكثر حتماً) دراسات عن المجتمعات العربية في هذا المـيدان إلا أن ثنـتـين منهـا تجاهـلتـا الجـنس كلية (Al-Amadihi 1985; Holes 1980,1981,1983,1987). ولم يدخـل العـمادهي إمـرأة واحـدة في عينتـه. وأمـا الـدراسـات الخمس الأخـرى–وهـي شمـت (1974)، الحسن (1978)، سلام (1980)، شراب (1981) وعبد الجواد (1981) – فلم تفلح في رأيي في التدليل على الـدور الـدقيق للنسـاء استخـدام اللغـة وتغييرهـا في بلاد العربان. ولئن كنت سأنتهز الفرصة كلما أتيحت لي في الإشاره إلى هذه الأبحاث فيما بعد ، فإني سأقتصر هنا على مثال واحد من الحسن (1978).

وعالجت هذه مشكلة الإختلاف اللغوي في إسم الإشارة بالعربية من منظوري نظريتي التضمين والإختلاف. وفي عينة البحث المكونة من ٩٠ فرداً مثقفـا من خمس بلاد عربية- سوريا وفلسطين ولبنان والأردن ومصر- لم يكن تمثيل الجنسين متساوياً إذ كان عدد النسوة فيها ١٧ فقط. ونلخص في الجـدول 13.7 أدنـاه توزيع الصيغ الفصيحة

والعامية لضمير الإشارة (هذا) بحسب الجنس والأسلوب والجنسية.

الجدول 13.7 نسب (هذا) بالجنس والأسلوب والجنسية

		مع أبناء البلد المثقفين			مع غير أبناء البلد المثقفين		
		ف	ع	م	ف	ع	م
الأردن	ر	٨٢.٩٦	١٧.٠٤	١٣٥	٨٢.٩٨	١٧.٠٢	٤٧
	ن	١٠.٠٠	٩٠.٠٠	١٠	....	١٠٠.٠٠	١١
مصر	ر	١٧.١٢	٨٢.٨٨	١٢٢	٩.٠٠	٩١.٠٠	١٠٠
	ن	١٠.٥٢	٨٩.٤٨	١٩	...	١٠٠.٠٠	٣٣
سوريا	ر	...	...	..	٦٥.٠٠	٣٥.٠٠	٨٠
	ن	...	...	..	١٢.١٢	٨٧.٨٨	٢٣
لبنان	ر	...	...	..	١٤.٨٦	٨٥.١٤	٧٤
	ن	...	...	..	...	١٠٠.٠٠	٣

المصدر: بتصرف عن (El-Hassan 1978). والأرقام من الجداول 1،3،13،15،25، و 31 .

يبين الجدول 13.7 أن العربيات المثقفات يستعملن الصيغة الفصيحة لإسم الإشارة أقل من الرجال في كل حالة. وهذا مما حدا بالحسن (53 :1978) إلى الإستنتاج الآتي:

بينما توجد فروقات لغوية بين الجنسين في العالم العربي ، إلا أن الدليل المعروض أعلاه يوحي بأن المثقفات العربيات لسن بمن يبتدىء التغير اللغوي. ففي كل حالة تقريبا كان الرجال- وليس النساء- هم الذين يستعملون الصيغ الفصحى ويقتربون من الطرف العلوي للموصول اللغوي

(اللهجة الفصحي) بحدة أكثر.

وأخيراً بم تسهم ما تتضمنه أنماط التمايز الجنسي للإستخدام اللغوي؟ في مسألة التغيير اللغوي مباشرة. وأغلب الظن أن النسوان هن البوادي والرائدات فيه (1980:97; Labov 1972 a :301-4 Chambers & Trudgill). ففي نيويورك مثلاً يبدو أن المتغير (eh) –أو ببساطة العلة القصيرة المشتدة/ aeh / كما في pass '' يمر '' و aunt '' عمة، خالة ''، الخ-واقع تحت تأثير عملية الرفع ، وله عدة مستغيرات صوتية تتراوح على سلم الإرتفاع من أعلاها [i] إلى أوطاها [:a] (1972 a: 75). ولما قام لابوف (1972 a: 302) بمقارنة نسب الرجال والنساء على ذاك المتغير، وجد أن أعلى الصيغ الواردة في الكلام العفوي كانت تستخدمها النساء ولكنهن تحولن في أسلوب قائمة الكلمات تحولا أكثر من الرجال إلى الطرف العالي للموصول اللغوي (أي الصيغ الواطية).وكما يقول لابوف (1972 a: 301):

> تستعمل النساء أشد الصيغ ارتفاعاً في كلامهن العفوي بالذات. وأما في الرسمي فتزداد حدة تصحيحهن نحو الطرف الآخر.

ولكن لا ينبغي أن تكون النساء دوماً هن الرائدات عموماً في كل حالة من حالات التغيير الغوي. وقد جادل في ذلك لابوف (1972 a:303) جدالاً صادقاً بقوله:

> إن سن مبدأ عام عن قيادة النساء لعملية التغيير اللغوي دوماً مغالطة كبيرة.... والتعميم السليم هو أن النساء لا يقدن التغير اللغوي... بل أن إختلاف الجنسين في كلامهما ذو دور كبير في آلية التطور اللغوي على الأغلب.

وفي مارثــز فينيارد مثـلا (1972a: 303) كان الـرجـال – وليس

النسـوان – هم الذين قادوا على نحو رئيسي عملية تمركز العنصر الأول للمـزدوجين/ أي/أي/و/أو/. وتزخر الأدبيات بحالات مماثلة كثيرة وسنشير إلى بعضها فيما بعد.

والآن بعد هذا العرض الوجيز يمكننا السير لتحليل القاف في اللهجة المهجرية.

2.3.2.7 المتغير (ق) والجنس

1.2.3.2.7 غرضه ومجاله

يرمي تحليل القاف جنسياً في دراستنا إلى إنجاز عدة أغراض. فأولاً استكشاف الفروقات اللغوية بين الجنسين من المهاجرين. وثانيا للتـأكـد في حال وجـود الفوارق هذه من: من الذي يحول سلوكه اللغـوي أكثـر – الـرجـال أم النساء؟ وثالثا لمعرفة أهمية الفروق الجنسية في كلام المهاجرين عموماً في تصعيدها للتغير اللغوي نظراً لتناقض نتائج الفوارق بين الجنسين في الأبحاث المهجرية (Bortoni-Ricarado 1985; Kerswill 1985; Payne 1980). وأخـيراً لرؤية إمكانية تأييد نتائج مادتنا للدراسات اللغوية الإجتماعية العربية.

ولسنا بحاجة إلى القول بعدم كفاية النتائج المستمدة من هذا المتغير وحده لحسم الأمور السابقة. ولذلك فكثير من المزاعم التي سندلي بها فيما يلي ستعتمد، في تقويتها وإضعافها سواء، على مختلف الدلائل التي سنتوصل إليها في تحليل المتغيرات الأخرى في الفصول الآتية.

2.2.3.2.7 الجنس والثقافة

1.2.2.3.2.7 عرض النتائج ووصفها

يعرض الجدول 14.7 أدناه نتائج (ق) بالثقافة والأسلوب والجنس.

الجدول 14.7. نتائج (ق) بالثقافة والأسلوب والجسن

	١. أ م م				٢. أ م ن			
	[ق]	[ء]	[ک]	[ج]	[ق]	[ء]	[ک]	[ج]
أ ر	١٧.٤٠	٠٠٠	٧٥.٩٢	٦.٦٨	٢٤.٥٢	٣.٧٨	٦٧.٠٠	٤.٧٠
ن	٦.١٤	١.٨٦	٨٧.٥٦	٤.٤٤	١٢.٣٢	٨٥.٥٠	٢.١٨	٠٠٠
ب ر	١١.٦٢	١.١٠	٧٩.٧٨	٧.٥٠	٤١.١٢	٥١.٥٢	٧.٣٦	٠٠٠
ن	٨.٢٠	٠.٩٢	٨٧.٠٨	٣.٨٠	١٠.٤٢	٧٩.١٨	١٠.٤٠	٠٠٠
ث ر	٢٧.٢٢	٣.٦٠	٦٥.٥٨	٣.٦٠	٨١.٩٤	١٧.٣٤	٠.٣٦	٠.٣٦
ن	٢٣.٩٤	٠٠٠	٦٤.٨٠	١١.٢٦	٢٣.٩٤	٧٦.٠٦	٠٠٠	٠٠٠
ج ر	٣٠.٣٨	٠.٤٢	٦٣.٠٠	٦.٢٠	٥٥.٤٤	٤٣.٠٦	١.٥٠	٠٠٠
ن	٢٦.٦٨	٠.٤٨	٧٠.٤٠	٢.٤٤	٢٩.١٦	٧٠.٤٦	٠.٣٨	٠٠٠
ج م ر	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٢٤.٣٠	٧٤.٠٢	٠.٥٦	١.١٢
ن	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٢٥.٣٤	٧٤.٦٦	٠٠٠	٠٠٠

	٣. أقك				٤. أتق			
أ ر	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
ن	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
ب ر	١٠٠	٠٠	٠٠	٠٠				
ن	١٠٠	٠٠	٠٠	٠٠				

ث ر	١٠٠	··	··	··	
ن	١٠٠	··	··	··	
ج ر	١٠٠	··	··	··	
ن	١٠٠	··	··	··	

يبين الجدول 14.7 بجلاء إختلاف المستغيرات اللغوية في توزعها بحسب الجنس عبر الفئات الإجتماعية والأساليب الكلامية. ففي أ م م تفضل [ك] على [ق]، وهذه الأخرى على [ج] في حين تكون [ء] مهملة عند الجميع. وهنالك إنشقاق في الفئات الإجتماعية إلى ثنتين: فئة دنيا (الأمية والإبتدائية) ووسطى (الثانوية والجامعية) وتكون الفوراق بين الجنسين ضمن كل فئة من هذين التجمعين الكبيرين قليلة جداً لدرجة أنها لا تصلح لإستخلص النتائج منها بخصوص فيما إذا كان الجنس س يفضل السمة ع. وأما الفرق الكيفي بين نسب الرجال والنساء على الصيغة الفصيحة [ق] لصالح الذكور فتعوضه النساء باستعمالهن للمستغير المهجري الفرعي [ج] استعمالاً أقل من الرجال، ويستثنى منهن الثانويات اللاتي يعود ارتفاع [ج] عندهن إلى قلة الكلمات المستنبطة منهن. وعلى العموم يتساوى الرجال والنسوان باستحبابهم للسمتين اللافصيحتين اللتين تتميز بهما الفضيلية (أي [ك] و [ج]) واستكراههم للسمة المحلاوية [ء] وقلة تداولهم للفصيحة [ق].

وأما في أ م ن ، فتنقلب الصورة السابقة فيما يتعلق بسواد أي المستغيرات وارتباطها بالجنس. فأكثرها تداولاً البديلة المحلية [ء] إلا عند الذكور الأميين والثانويين الذين يفضلون [ك] و [ق] لكل منهم. واستعمال [ج] قليل جداً ويقتصر على الأميين وحدهم. ويبلغ تفضيل [ء] أقصاه عند نسوة جميع الفئات الثقافية وبما لا يقل

عن ٧٠ ٪ في كل حالـة. وأكثـرهن تفضيلا لها ذوات المنـزلـة الـدنيا وأقلهن ذوات المنزلة العليا. ورغم بقاء [ق] ثابتة عند جميعهن ، إلا أن [ڭ] و [ج] تسقطان تماماً ما خلا نسبة ضئيلة للكاف عند ذوات الفئة الدنيا.

وبالنسبة للرجال فهم على عكس النسوان إذ لا يتفقون فيما بينهم على ما يرمـــون إليه من المستغـيرات. فلا يزال الأميون يفضلون الصيغة المهجرية [ڭ] كما أنهم أقل من يستخدم المحلية [ء]. وبخـلافهم يكون الثانويون .الذين يستوون مع الجامعيين في كبت الكـاف ولكنهم يفضلون الفصيحة [ق] على [ء]. والإبتدائيون صورة معكوسة للجامعيين: فهؤلاء يحبون البديلة المحلية [ء] بقدر ما يحب أولئك الفصيحة [ق].

وهكذا يتفاوت الرجال والنسوان في تراصفهم. فعند الذكور تتميز كافة الفئات الإجتماعية ، فكلما دنت المنزلة الإجتماعية ازداد تداول السـمات الجـولانية وكلما علت المنـزلـة ازداد استخدام الفصحى. ويستثنى من ذلك الثانويون الذين هم أكثر من يتداول [ق]. وأما النساء فبالعكس فلا يظهر تراصفهن الإجتماعي إلا باهتا وقليلا. ولا زال إنقسامهن إلى فئتين كبيرتين – دنيا وعليا – في أ م م هو هو في أ م ن دون تعديل.

وأما الفئة المحلية ، فلا تظهر فوارق جنسية بينها إذ يغلب على جميعهم استخدام الصيغة [ء]. وعلى هذا النحو فهم يتشابهون مع المهاجرين في أ م م أعلاه.

وأخـيراً أ ق ك وأ ت ق. وهنا يتساوى الرجال والنساء من حيث إستعـمالهم للبديلة الفصيحة [ق) على اطلاقها. وهكذا يتكافأ الجنسان فيما يخص اندام التراصف الإجتماعي أو تداول الصيغة الفصحى.

2.2.2.3.2.7 تفسير النتائج ومناقشتها

لدينـا نقطتان أهل لمزيد من النقاش ، وهما عن طبيعة الأدوار الجنسية من زاوية (١) الـتراصف الإجتـاعي و (٢) التحـول الأسلوبي. وفيها يلي سنتناولـهما الواحدة تلو الأخرى.

أولا التراصف الإجتماعي والجنس. في الجدول 14.7 أعلاه يتبين إختلاف التراصف الجنسي على السلم التعليمي في أسلوبي المحادثة دون القـــراءة. فتحتفظ النســـاء في كلا أ م م وأ م ن بإنقسـامهن الإجتماعي إلى فئتين: دنيا وعليا ، وبفجوة ضيقة جداً تبلغ حوالي ٢٠ % بين طرفي الموصول الثقافي. وأما الرجال ، فعلماً أنهم ينقسمـــون إلى فئـــة دنيا وعليا في أ م م لكنهم يغيرون مواقعهم الإجتماعية في أ م ن بحدة أكثر، وهكذا يتسنى لنا تمييز الفئات الثقافية الأربع. ويكون مقدار الفرق بين فئات الرجال بخصوص نسبهم على أي المستغيرات كبيراً جداً بعكس النساء – ولا سيما عند نهايتي السلم الاجتماعي.

وهكـذا تتعـارض نتـائجنـا تعـارضـا شيقا مع النتائج اللغوية الإجتماعية الأوربية والأمريكية بما لا يقل عن وجهين. أولاً كان مثل النســاء في نورج بانكلترا (Trudgill 1974:94) ودتـرويت بأمريكا (Wolfram 1969:117) المذكورة في (1.3.2.7) أعلاه مثل الرجال في زيادتهن للفـوارق بين منـازلـهن الإجتماعية. ففي حالة ولفرم من الممكن تمييز جميع الطبقات الإجتماعية الأربع. وفي دراستنا رأينا كيف قام الرجال بزيادة فوارقهم الإجتماعية والإبقاء على فصلها في حين كانت النسوة تحتفظ بها دون تغيير أو تنقصها. ثانيا كان ناظم فرط الإستصـواب يرتبط بالجنس عند ثاني أعلى الفئات في أ م ن التي واجهنـاهـا في (2.1.2.7) أعـلاه. أي أن الـرجـال وحـدهم- دون

النســاء- هم الذين يفرطون في فصاحتهم. وهذا مما يعاكس مزاعم لابوف (1972 a: 243) القائلة بأن ناظم التقاطع أو فرط الإستصواب عند الطبقة الوسطى الدنيا إنما يكون مميزا خصوصاً عند النسوان اللاتي يكن أكثر من يتداول الصيغ الفصحى.

وفي الأبحاث اللغوية الإجتماعية العربية الأدلة قليلة جداً على الـتراصف الإجتــماعي ودور الجنس فيه. فكان عبدالجواد (1981) الوحيد الذي قسم عينته الأردنية طبقياً إلى ثلاث مجموعات ثقافية وهي الجـامعية والثـانـوية والأمية. ولئن لم يكن ليعلق على التمايز الإجتــماعي ونـواظمه بين الجنسين، فهنالك تشابه بين بعض مادته والصورة المرسومة في دراستنا هذه. فمثلاً يظهر تحليله للمتغير (ق) (الملخص في ص ٢٤٢، ٣١٨) قلة تداول النسوة للصيغة الفصيحة مقـارنـة مع الـرجـال وإنقسامهن في ثلاثة أساليب إلى مجموعتين: الجـامعية والثانوية من جهة والأمية من الجهة الأخرى. ولم يتجاوز الفـرق بين طرفي السلم التعليمي عند النساء ٣١ % في الأسلوب الرسمي و ١٢ % في العفوي. وعند الرجال كانت الفئات الإجتماعية الثلاث متميزة: ففي الأسلوب الرسمي كان الأميون ينفصلون عن الجـامعيين بـ ٨٤ % وعن الثانـويين بـ ٦٠ %. وبلغت الفجوة الفاصلة بين الجامعيين والثانويين ٢٠ %

ولا يعني ميل نساء العرب – سيما المهاجرات السوريات منهن – نحـو إفتقـارهن إلى التمايز الإجتماعي الحاد والقاطع كما يبدو من إستخدامهن للغة أن ذلك ينطوي على ' ظهورهن ' جميعاً بمظهر متشـابـه ومتساو في كل مجال ، على حد تعبير تردكل. والإصطلاح الأصح هو أن للمرأة اليعربية وظيفة مختلفة: أي أنه لعل مشاغلهن وأنـشـــطتهن الإجتـماعية – وليس مظاهـرهن – داخـل البيت

وخـارجـه سواء ، أو في العمل ، الخ ، والتي تربطهن بطرق شتى بمحيطهن المباشر (كالعائلة والأولاد والبيت) ، أفضل دلالة من اللغة على منـزلتهن ، الإجتـماعيُة. وهاكم المثال التالي من دراسة حسن (5 - 82 : 1983) عن مشـاكـل القراءة بالإنكليزية كلغة أجنبية، التي تواجه الأطفال (١٢ سنة) من كلا الجنسين في الصف الأول الإعدادي في ثمان مدارس حكوميت بدمشق بسوريا. وفيها وجد أن الولدان ذوي الأمهـات الأميات ذوات المهن الدنيا كانت مصاعب القراءة في تعلم الانكليزية عنـدهم أكبر من أولئك الذين أمهاتهم مهنيات وجامعيات مثقفات. وأما مهنة الأب وثقافته فلم يكن لها آثار مهمة على تعليم الأولاد. أي أن نسوة يعرب يعكسن مواقعهن الإجتماعية بالقيام بدورهن كمر بيات سيما لأولادهن.

وبالرغم من اتفاقي التام مع تردكْل في تفسيره بأنْ تقدير الرجال إنـما يكـون بأعمالهم وأشغالهم، فلا أجد في مادتنا ما يسند مذهبه بخصـوص اعتبار النساء بمظاهرهن. وتثير الفروقات الزهيدة في كلامـات النسـاء وانقساماتهن الإجتماعية الباهتة الشكوكات على زعمه ، كما هو مبين في الجدول 14.7 أعلاه. فالنساء اليعربيات - علماً أنهن قد يختلفن بمظاهرهن - إنما يأتي تقديـرهن ليس من الخارج في وظائفهن بقدر ما هو في الداخل وفي بيوتهن كتربية أبنائهن.

ثانيا طبيعـة تحويل الأسـاليب والجنسان. إن إشتراك الذكران والإنـاث من كافـة الفئـات الثقافية في التحـول الأسلوبي عبر المستويات الأسلوبية الأربعة واضح جداً ، كما هو مبين في الجدول 14.7 أعـلاه. والإستثنـاءة الـوحيدة لذلك هي عدم تغيير الأميين لكلامهم في أ م ن بقدر كاف.

ويتحدد الإتجاه الذي يتخذه التغير اللغوي عموماً بإعتبارات

ترتبط بالمخاطب والقراءة. ففي أسلوبي القراءة يحدث التغيير نحو الفصحى دون أية فوارق بين الجنسين. ولكن الموقف يتعقد في أسلوبي المحادثة لأنه ينبغي على الرواة الإختيار بين الصيغة المهجرية [ك] والفصيحة [ق] في أ م م إضافة إلى المحلية [ء] في أ م ن. فمن الطبيعي أن يفضل المهاجرون في أ م م سماتهم الأصلية ، ولا سيما [كَ] ، على البدائل الأخرى ، وذلك لكون الراوي ومستعمه في هذا الموقف الكلامي مهاجرين ولأن المواضيع المناقشة من النوع اليومي.

ولكن الموقف اللغوي في أ م ن يزداد تعقيداً لتوافر ما لا يقل عن لهجتين يجوز للمهاجرين الإختيار بينهما: وهما الدمشقية [ء] والفصحى [ق]. وكان ذلك الخيار مقيداً إجتماعيا من حيث الجنس. فالنساء جميعاً فضلن المستغير المحلي [ء] على الفصيح [ق] والمهجري [ك] تفضيلاً عظيماً. وأما الرجال ، فتفاوتوا فيما بينهم فيما يتعلق بتداول [ق]و[ء]و[ك]. وكان تفضيل إحداها يستند على المنزلة الإجتماعية للرواة. فاستحب الأميون [ك] والإبتدائيون [ء] والثانويون [ق] والجامعيون [ق و ء] معاً. وبعبارة أخرى فالنساء هن الرائدات في تكييف كلامهن بعيداً عن الجولانية والفصحى وباتجاه لهجة محادثيهن المحليين على نحو رئيسي في حين تخلف الرجال عنهن في هذا الصدد على الرغم من كونهم رواداً بطرق شتى أيضا ، سيما نحو الفصحى كما الحال مع الثانويين.

والآن ماذا يعني التنافس بين تداول الصيغة الفصيحة [ق] خصوصاً والمحلية [ء] لدى الجنسين؟ أو علام تدل نواظم التكيف المختلفة بين الجنسين في أ م ن؟ ببساطة على التغيير الصوتي المتواصل (أنظر 1.3.2.7). ولا يصعب علينا العثور على حالات مماثلة في

الأبحاث اللغوية الإجتماعية التي كان يختلف الرجال والنساء فيها من حيث اختيارهم بين البدائل المتنافسة. ومنها دراسة (1978 Romaine) عن الـــراء الـــواردة بعــد العــلات في لهجــة أدنبره باسكتلندا ؛ وللراء فيها ثلاثة أنواع لفظية: منقورة ومكرورة وساكتة، والأخـيرة هي الصيغة الفصيحة القومية في حين أن الأولى والثانية بخاصة بديلتان اسكتلنديتان. وعلماً أن نتائجها أظهرت أن الصبيان والصبايا كانوا رائيين غالباً، لكن البنات فضلن المكرورة (٥١ %) والصبيان الناقرة (٥٤ %).وفسرت ذلك بالاستبداع الذي ينغمس فيه الجنسان. وكما تقول (1978:156):

> يبـدو أن الـذكران والإناث يقومان كلاهما بالإستبداع.. واستبـداع الإنـاث في الصيغة الرفيعة واضح تماماً. والأمر المثير جداً هو أن يستبدع الذكران في الإتجاه الذي يبعدهم عن اللهجة الاسكتلندية الرفيعة المثقفة المحلية ولكن تداولهم لإسقـاط الـراء وقبـولهم بها يتـلاقي مع اللهجة القومية الكبرى... وأمـا الإناث فيتضح أنهن أكثر اهتماما بالضغط الـذي تمارسـه المعايير المحلية عليهن وبتأكيد منزلتهن في التركيبة الإجتماعية بأدنبره.

وذكر تردكل (1974:108-9 ، 110 ، 1986:42) حالة مماثلة تلف المتغير (٥) في نورج. وهنا اختارت نساء الطبقة العاملة الصيغة الفصيحة اختياراً أقل من رجالهن في حين استخدمت نساء الطبقة الوسطى الصيغة الفصيحة أكثر من رجالهن. وفسر ذلك بالتغيير الصوتي المتواصل.

وبإيجاز يشابه المتغير (ق) (ر) في الاسكتلندية في نمطه الجنسي المثير والشاذ حيث يبتدع الرجال والنسوان في اتجاهين: فالرجال باتجاه

المعيار الفصيح القـومي [ق] عمـوماً والنساء نحو المحلي العامي [ء]. ولذلك فكلا المعيارين رفيعان ، ولو أن رفعة أحدهما ظاهرية والأخرى خفاوية. ولكن هنالك فرقا بين فتيات رومين اللاتي يتبنين صيغتهن المحلية الخاصة ، وهي المكرورة ، بدلا عن المعيار القومي الفصيح، أي الصيغة الصامتة. ودراستنا هذه إذ يبتعد الرجال والنساء خصوصاً عن صيغتهم المهجرية الأصلية الخاصة [ڭ] نحو الصيغة المحلية.

والآن نعود إلى مقارنة نتائجنا مع ما سبقها من الدراسات اللغوية الإجتماعية العربية.

كان دور النساء في معظم – إن لم يكن جميع – الدراسات العربية سواء في استخدام الصيغ الفصيحة أو التغيير اللغوي تابعاً للرجال. وإليكم هذه الـدراسات واحدة واحدة. ففي اللهجة المصرية وجد شمت (1974:86) أن الـطالبـات بالجـامعـة الأمـريكية بالقاهرة استخـدمن الصيغة العامية [ء] في الأسلوبين العفوي والحريص ليس أكثـر من زملائهن الطلاب فحسب بل الشباب اللاجامعيين المجندين من إحدى مقاهي الأحياء العمالية بالقاهرة. ولكن كانت [ق] قطعية عند الجميع في أساليب القراءة. وأظهرت دراسة سلام (1980:95) للمتغير (ق) ذات العينة المكونة من ٢٠ مثقفاً عربياً من خمسة بلدان تفضيل النسوان للصيغة المدنية [ء] (٥٤ %) على الفصيحة [ق] (٤٤ %) والريفيتين [ك] (٢ %) و[ڭ] (٠ %) مقابل رغبة الرجال بـ [ق] (٦٥ %) وعن [ء] (٢٨ %) و [ك] (٢ %) و[ڭ] (٥ %). كما وجد شراب (1981:14) أن الرجال في لهجة فلسطين قاموا باستخدام الفصيحة [ق] أكثـر من النساء اللواتي أحببن المدنية [ء] في أسلوبي المحادثة.

ولكن كان المستغير [ق] قطعياً عندهم جميعا في أساليب القراءة.

ورغم اتساق هذه النواظم الجنسية في الدراسات اللغوية الإجتماعية العربية، فقد جاء تفسيرها تفسيراً سيئا جداً. وسبق لنا أن شاهدنا وصف الحسن (1978:53) لنساء يعرب بالعجز عن القيام بدورهن في ريادة التغيير اللغوي والإستصواب نحو الفصحى. كما قام عبدالجواد (1981) بتخصيص أحد فصول أطروحته للجنس إذ توصل فيه إلى نتيجة مشابهة ، لخصها بقوله (1981:332):

في مجتمعات الشرق الأوسط عموماً لاتقوم النساء بريادة التغير اللغوي نحو اللهجة الفصحى. فالصيغ الفصحية مرتبطة بالمظاهر الرسمية والحياة العامة والعالم الخارجي ، وهي ليست من مواطن المرأة. فهن يبحثن عن الرفعة الإجتماعية التي ينلنها بتبني البدائل المدنية... التي تتحلى قيمها عند المجتمع اللغوي بصفات النعومة واللطف والخفة والأنوثة.

وفيما يلي سأبين لم حدث سوء هذا التفسير وكيف نشأ في المكان الأول. ولنبدأ بتحليل الحسن الذي يمكن نقده من عدة جوانب. أولا ليس الجنسان ممثلين تمثيلا متساويا في عينته التي لا تحوي إلا على ١٧ امرأة من أصل ٩٠ راو. ثانيا ليس بالصحيح دوماً أن الرجال العرب يتداولون الصيغة الصائبة لإسم الإشارة أكثر من النساء. ففي الحالتين المصرية والأردنية مثلا، تكافأ الرجال والنساء في شبه قطعية استعمالهم تقريباً للصيغ العامية (الجدول 13.7 أعلاه). ثالثاً طريقة استنباط الكلمات من النساء في بعض الحالات هي الآتية: فهنالك حالات معدومة بتاتا ، وحالات بكلمة واحدة ، كما أنه لم يحصل في جميع الحالات على أكثر من ١١ كلمة (انظر مثلا جداوله

١ (ص. ٣٤) و ٣ (ص. ٣٨)). رابعا تجاهله لإحدى الحالات على أنها غير ممثلة ، وهذه كانت لإمرأة أخذ منها ٤ كلمات كلها فصيحة (انظر جدوله ٢٥ ص ٤٤). وأخيراً كون المتغيرات النحوية بعكس الصوتية ، أقل حساسية بالفروقات الإجتماعية وحتى الأسلوبية منها ، وهكذا فهي تميل إلى الإرتباط بالفوارق الكيفية غير الكمية (Cheshire 1987 , Wolfram 1969:204).(وفي الفصل الثامن سنصادف المتغير الصرفي الذي سيسلط المزيد من الأضواء على هذه المسألة الأخيرة).

وأما تحليل عبدالجواد (1981) فغير سليم ومغلوط أيضاً لجملة أسباب. أولاً فهو تعميم مبالغ لا داعي له عن الشرق الأوسط بالكامل ، وكان ذلك في وقت ينعدم فيه الدليل الحاسم والصادق عن الموقف اللغوي الإجتماعي في المنطقة. فلم تجر قبله إلا ثلاث دراسات فقط (Schmidt 1974 ; El-Hassan 1978 ; Sallam 1980). وكانت كلها مهتمة بالشريحة المثقفة من المجتمع، ولذلك فهي لا تمثله بصدق. ثانيا ليس صحيحاً أن استخدام الصيغة الفصيحة [ق] عند النساء أقل من الرجال. ففي أساليب القراءة مثلاً تساوى الرجال والنساء في تداولهم القطعي لها في الفلسطينية (Shorrab1981:138) والمصرية (Schmidt 1974:86) وفي هذه الدراسة عن المهاجرين السوريين. وفي الكلام العفوي وجد الجنسان في كل هذه الأبحاث يستحبان السمات العامية على الفصيحة منها ؛ كما كانت الصيغ العامية مفضلة لدى الجنسين في الكلام الرسمي. وأما الفوارق بين كلام الجنسين فكانت قليلة ولم تتجاوز ١٠ % كما هو الحال في تحليل القاف عند شراب وشمت. وعليه فكيما تصح التعميمات فيجب بناؤها على نواظم متساوقة مكرورة وليس على ما

تقطع من الأدلة كما فعل عبد الجواد.

وتكمن المشكلة الرئيسية في تحليلي عبدالجواد والحسن في ضلالهما عن المسار السليم للتغير اللغوي في بلاد العرب. ولذلك أخطأا في نسبهما دوراً سلبيا للمرأة فيه. فلا يلزم أن يكون التغير اللغوي نحو الفصحي دوماً. ففي العالم العربي قد يحصل ذلك نحو الفصحى، وتعززه غالبا المؤسسات الثقافية والسياسية. وقد يحصل بالمثل نحو اللهجات العامية الأخرى سواء بالإشتراك مع الفصحى وبدونها، كما يحدث عادة بين الناس وهم يتحدثون بلهجات شتى في محادثاتهم اليومية. وقد رأينا في هذه الدراسة كيف فضلت اللهجة الفصيحة في أسلوبي القراءة في حين كان تفضيل العاميتين في أسلوبي المحادثة: المحلية في أ م ن والمهجرية في أ م م مع العلم أن جميع اللهجات هذه كانت ممتزجة ببعضها بعضا في أسلوبي المحادثة.

وكانت الأدوار الجنسية مهمة جداً في هذا الشأن سيما في أ م ن حيث استحبت النساء كافة المستغير المحلي على الفصيح والمهجري. وأما الرجال فاختلفوا ، وكان اختيارهم للمستغيرات خاضعاً لمنزلاتهم. أي أن كلا الجنسين استبدعا في اتجاهين مختلفين ، كلاهما يبتعدان عن اللهجة الجولانية الأصلية ، أحدهما نحو اللهجة المحلية في حال النساء ، والآخر نحو الفصحى في حال الرجال. ولولا تطويرنا للمناهج اللغوية الإجتماعية المبنية على المخاطب أساساً وليس على الاستبيانات لعدمنا دقة وتعقيد هذا الموقف اللغوي الإجتماعي للتحول بين اللهجات العامية لدى مهاجرينا ؛ ولولا دور المخاطب المحلي في هذا الخصوص لما تمكنا من ملاحظة وتسجيل الإستخدام الشيق للبديلة المحلية [ء].

وقد يمكن ملاحظة التنقل بين اللهجات العامية وتسجيله في

المقـــابـــلات العـــادية (Bortoni; Kerswill 1985;Payne 1980 Ricardo) إذ أظهرت جميع هذه الدراسات كيفية اكتساب مهاجري فلادلفيا وبرغن وبرازيلانديا للهجات المحلية. وهنالك أدلة أيضا من دراستي شراب (1981) وعبدالجواد (1981) على حدوث الإنتقال بين اللهجات العربية العامية والتي كان للنساء الدور الأكبر فيها. فوجد شراب (1981:145) أنه لم يتحول إلى اللهجة المدنية من بين الفئـات الفلسـطينية الثـلاث - وهي المـدن والفلح والبـدو- إلا الفلاحات وبلغت نسبة ذلك ٩٥ ٪ في الكلامين العفوي والحريص. ومـا من أحـد سواهن غير كلامـه الأصلي على مستوى اللهجات العامية. وكما أظهرت دراسة عبدالجواد (2 - 1981:321) عن عمان بالأردن:

(١) عدم تحول المدنيات إلى اللهجة البدوية أو الفلاحية أبداً بعكس المدنيين الذين تحولوا إلى البدوية [ك] بنسبة ٩ % . وكان كلا الجنسين يفضلان صيغتهما الأصلية [ء] مع كون النساء أكثر استعمالاً لها (٧٧ %) من الرجال (٤٦ %).

(٢) تحولت البدويات إلى اللهجة المدنية بمقدار ٤٦ % بخلاف البـــدويين (٤ % فقط). واستخـدمت البـدويات أيضـا بديلتهن الأصلية [ك] بنسبة ٣٠ % ، وكن في ذلك أقل من ذكورهن (٦١ %). وأما الفلاحية فلم يتحول أحد إليها.

(٣) تحولت الفـلاحات إلى المدنية بمقدار ٢٦ % والفلاحون بمقدار ١ % . وكذلك تحول الفلاحون إلى البدوية بمقدار ١١ % . وفضـلا عن ذلك سبقت الفلاحات الفلاحين في تداولهن لبديلتهن الأصلية وكان مقدارها ٢٩ % .

(٤) فضـل الرجال التحول إلى الفصحى أكثر من النساء.

وكانت نسبة [ق] عند المدنيات ٢٣٪ والبدويات ٢٤٪، والفلاحات ٢٨٪ وأما لدى رجالهن ٤٥٪، ٣٥٪، و ٥٩٪ لكل منهم.

فهـذا ما يحدث فعـلا في المجتمعـات الكلامية العربية. فالتغير اللغوي ما هو إلا محصلة للتماس بين اللهجات (العامية) في الأحاديث العـادية. وفيما مضى لم يسـطع اللغـويون الإجتماعيون العرب أن يشـيروا إلى أهمية هذا الضـرب من التغـير اللغوي ، وذلك نتيجة لخنوعهم في تطبيق المناهج اللابوفيانية المعيارية ، سيما في جمع المادة وتصـوير الإختـلاف اللغـوي وتغيره بأنه يحصل بين عامية وحيدة وفصحى وحيدة. ففى الحقيقـة ما يصح على نيورك قد لا يصح في غيرها من أصقاع الدنيا.

وفي الختـام تبـين من وصفنا للموقف اللغوي الإجتماعي بشأن التحول الأسلوبي في هذه الدراسة أن المهاجرين السوريين رجالاً ونساء:

(١) كانـوا متسـاوين في حدة استصوابهم نحو الفصحى في أ ق ك وأتق ،

(٢)كانوا سواسية تقريباً بخصوص قلة استخدامهم النسبي للصيغة الفصيحة [ق] في أ م م ،

(٣) كانـوا يستبـدعون في اتجاهين مختلفين ، ففضلت النساء اللهجـة المحلية تفضيلا كثـيراً في أ م ن، في حين تفاوت الرجال في تد اولاتهم للهجات الثلاث كلها تبعاً لمنازلهم الثقافية والاجتماعية.

ولكن إذا ما أردنا الخلوص إلى مبدأ عام من هذه الصورة ، فيجوز لنا القول بأن النسوان هن اللائي ردن مسار التغيير اللغوي نحو اللهجة المحلية خصوصاً.

3.2.3.2.7 الجنس والزمرة الكبيرة

كانت المناقشة السابقة تستند على نحو رئيسي على كلام المهاجرين الصغار لأن المنزلة التعليمية لا تنطبق إلا عليهم حصراً. والآن سننظر بإيجاز في النواظم الجنسية عند الزمرة الكبرى.

1.3.2.3.2.7 عرض النتائج ووصفها لدى الكبار

تعطى نسب (ق) بالأسلوب والجنس لدى الكبار في الجدول 15.7 أدناه.

الجدول 15.7 نسب (ق) بالأسلوب والجنس لدى الكبار

	أ م م		أ م ن		أ ق ك		أتق	
	ر	ن	ر	ن	ر	ن	ر	ن
[ق]	٩.٢٨	١.٠٤	٩.٥٨	٠.٤٤	١٠٠	٠٠	٩٣.٧٥	١٠٠
[ء]	٠.٥٨	٠٠٠	٣.٦٠	٠.٢٢	٠٠	٠٠	٠٠٠	٠٠
[ڬ]	٧٣.٤٨	٨٤.٢٠	٧٥.٥٦	٨٥.٦٨	٠٠	٠٠	٦.٢٥	٠٠
[ج]	١٦.٦٦	١٤.٧٦	١١.٢٦	١٣.٦٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
مجموع	١٠٠٣	٤٨١	٧٢٠	٤٥٤				

يبين الجدول 15.7 أن الجنسين لا يتميزان بخصوص تكيفهم مع مخاطبيهم المختلفين في أسلوبي المحادثة. أي أن نسب متغيراتهم اللغوية تبقى ثابتة في أ م م وأ م ن كليهما. وأما الزيادة الطفيفة في نسبة الصيغة الفصيحة [ق] عند الرجال بالمقارنة مع النساء فغير مهمة وتعود إلى عوامل التعليم. فمن الذكور اثنان شبه متعلمين (أي قادرين على القراءة والكتابة) ومنهما جاءت جميع علامات [ق] تقريباً. ولما حذفت هاتين الحالتين لم تتعد كلمات [ق] ١٠ في مجموعها ، وكانت

معظمها للنساء.

وفي أسلوبي القراءة يتساوى الرجال والنساء فيما يخص لفظهم القطعي للسمة الفصيحة [ق] ، ما عدا حالة صغيرة استخدم فيها الرجال المستغير المهجري [ك] في أتق قليلاً.

وهـذه الحقائق إنما تودي بنا إلى الاستنتاج - لما تستوى جميع الأمور - بتساوي الرجال والنساء الكبار فيما يتعلق بدرجة استخدامهم للتحول بين الفصحى واللهجتين العاميتين. وهذا دليل ملزم آخر ، ومما يضاد نتائج الحسن (1978) وعبدالجواد (1981) التي سبق طرحها. كما أنه يزيد في دعم موقفنا بالذات الذي اتخذناه في القسم السابق . وبتحليل المتغيرات الأخرى في بقية الكتاب نأمل أن نؤكد هذه النتائج التي توصلنا إليها من ناحية النواظم الجنسية المعروضة في هذا القسم والذي قبله.

4.2.7 المقياس الإجتماعي للمنطقه

1.4.2.7 تقدمة

قد ينتشر الإختلاف اللغوي جغرافيا أو إقليميا. وبالرغم من كون هذا هو الموضوع الأصلي لعلم اللهجات التقليدي أو الريفي (Kurath 1939 ; Orton and Dieth 1962 - 71) ، فقد قام لابوف (1963 ,1972 a:Ch.1) باستعمال الفروقات الجغرافية في بحثه عن ظاهرة التمركز في مارثز فينيارد وباختبارها إحصائيا. ومنذئذ شرع لغويون إجتماعيون كثيرون بتناول هذا المقياس الإجتماعي للمنطقة في دراساتهم، ومنهم (L. Milroy1980 ، Milroy & Milroy 1985 ، 1985 Harris 1985 Petyt ، Fraser 1983 ، الخ). وفي جميعها كان الغرض من

بحث الإختلاف جغرافيا ومنطقياً هو التأكد من مدى تأثير إختلاف المناطق على امتداد الإختلاف والتغيير اللغوي.

وهاكم المثال التالي من (Petyt 1985) ، وهذا دراسة منتظمة للإختلافات الجغرافية في لهجة غرب يوكشر ومدنها الثلاث - برادفرد، هالفكس ، وهدرسفيلد. ومن بين المتغيرات الصوتية والنحوية المطروقة ما يسمى بإختصار الأفعال المساعدة لما تليها أداة النفي كما في الكلمة Can't /Ka:nt/ ، حيث تختصر إلى /Ka:t/ ، وهذا مما رمز إليه بـ (XV:nt) ← (XV:t). وفي الجدول 16.7 أدناه نعطي نتائجه عن إختصارات الأفعال المساعدة بالمنطقة والأسلوب.

الجدول 16.7. نسب اختصارات الأفعال المساعدة (XV:t--XV:nt) بالمنطقة والأسلوب في غرب يوركشر.

	عفوي	حريص	قراءة
برادفرد	٧٦	٤٦	٧
هالفكس	٤٧	٣٣	٨
هدرسفيلد	٤٦	٣١	٩

المصدر: Petyt 1985:-88 ، 1978:-98

يبين الجدول 16.7 إشتراك المدن الثلاث في اختصارات الصيغ المساعدة وتفاوتها بين البلاد والأساليب. فالإختصار أغلب في برادفرد من كلا هالفكس وهدر سفيلد اللتلين لا تتميزان عن بعضهما بعضاً. كما أنه يرد في الكلام العفوي أكثر منه في الحريص، وأما في القراءة فمهمل.

وبالنسبة للدراسات اللغوية الإجتماعية بالعربية ، فتصدت

معظمها لفحص أثر المنطقة على الإختلاف اللغوي. ففي دراستي سلام (1980) والحسن (1978)، المنطقة متلازمة مع بلد المنشأ أو الجنسية كسوريا وفلسطين ولبنان والأردن ومصر. وربما كانت تدل على نحو غير مباشر أيضا على الأصل الإجتماعي لبعض الفئات كالمدنيين (أهل المدن) والفلاحين (أهل القرى) والبدو (أهل البادية) في دراستي شراب (1981) وعبدالجواد (1981) عن اللهجتين الفلسطينية والأردنية لكل منهما. وقد تعني ببساطة التقسيم بين الحضر والمدر (Holes 1981, 1983). وإليكم المثال التالي عن انتشار المتغير (ق) من دراسة هذا الأخير عن البحارنة التي قد ترد فيها القاف [قافا] بالفصحى و [كافا] بالعامية الدارجة بين الحضريين والقرويين الشيعة في البحرين. وفي الجدول 17.7 أدناه نعرض نتائجه عن الإحتفاظ بالبديلة العامية [ك] عند شيعة الحضر والقرى.

الجدول 17.7. نسب الإحتفاظ بـ [ك] لدى شيعة الحضر والقرى في البحرين

	أمي	متعلم
شيعي حضري	٧٧	٤٨
شيعي قروي	٩٧	٣٩

المصدر: Holes 1983:449

يبين الجدول 17.7 أن الإحتفاظ بالصيغة العامية في القرى أعلى من المدن. وأثر التعليم في ذلك جلي: فالإختلاف الظاهر عند المتعلمين أقل مما عند الأميين وزيادة على ذلك يفاجئنا المتعلمون الريفيون بقلة استعمالهم للكاف نسبياً مقارنة مع المتعلمين الحضريين.

2.4.2.7 (ق) والمنطقة في دراستنا

1.2.4.2.7 غرض التحليل ومداه

إن الغرض من هذا القسم التعرف على احتمال تميز المهاجرين الصغار المقيمين في مدينة دمشق (المهاجرين المتمدنين أو دواخل المدينة) عمن يقيم خارجها أو قريبا منها (المهاجرين الريفيين أو خوارج المدينة) بخصوص محافظتهم على لغتهم وتغييرها. ونحن في غنى عن القول بأن دمشق مدينة وريفاً منطقة واحدة من حيث اللهجة كما سبق تبيان ذلك في وصفنا الصوتي لكلام المنطقة في (الفصل 5).

2.2.4.2.7 عرض النتائج ووصفها

ندرج في الجدول 18.7 أدناه توزع القاف بالمنطقة والأسلوب.

الجدول 18.7. نسب المتغير (ق) بالمنطقة والأسلوب

	١ . أ م م		٢ . أ م ن		٣ . أقك		٤ . أتق	
	مدينة	ريف	مدينة	ريف	مدينة	ريف	مدينة	ريف
[ق]	٢٣	١٧.٨٤	٣٩.٦٤	٣٦.٦٤	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
[ء]	٠.٩٠	١.٢٤	٥٤.٢٦	٤٩.٣٦	٠٠	٠	٠٠	٠٠
[ڭ]	٧١.٥٠	٧٥.٦٧	٦.١٠	١٣.٠٨	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
[ج]	٤.٦٠	٥.٢٤	٠٠٠	٠.٩٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
مجموع	٧٧٩	١٧٧٧	٤٩٢	١١٨٥				

يبين الجدول 18.7 وجود اختلافات قليلة وزهيدة جداً بين مهاجري المدينة والريف في أسلوبي المحادثة وخلو أسلوبي القراءة منها تماماً. ففي أ م م يفضلون كلهم الصيغة العامية المهجرية الأصلية

[ک] على الفصيحــة [ق] وقلما استعملوا المحلية [ء]. ولكن الأخيرة تفضل في أ م ن على [ق] في حين تصبح [ک] مهملة.

وبالنسبة للفئة المحلية فلم تظهر أية فوارق بينها عند تفريعها إلى مدينة وريف. فكانوا كلهم يستحبون بديلتهم المحلاوية [ء] (بنسبة ٨٤ , ٧٤ % للمـدينة و ٦٤ , ٧٥ % للريف) على الفصيحة [ق] (أبناء المدينة = ٥٢ , ٢٥ % والريف = ١٠ , ٢٢ %).

3.2.4.2.7 مناقشة النتائج وتفسيرها

تعزى ضآلة المقياس الإجتماعي للمنطقة في التفريق بين كلام مهاجري المدينة والريف إلى اشتراك داخل المدينة ومنطقتها الخارجية في لهجة واحدة ، بخصوص القاف على الأقل.

3.7 الخلاصة

عنينا في هذا الفصل بوصف موقف التماس بين اللهجات الثلاث فيما يتعلق بالمتغير (ق) الذي يميز بين الكلام المهجري العامي من خلال استعـمال [ک و ج] والمحـلي من خلال [ء] والفصيح من خلال [ق]. ووجدنا أن تداول (أحد) هذه المستغيرات دون غيره كان يختلف باختـلاف جملة من المقـاييس الإجتـماعية والأسيقـة الأسلوبية. ويمكن ايجاز النقاط الرئيسية في هذا الشأن بما يلي.

١. الثقـافـة والتـمايز الإجتـماعي. وكان هذا يتفاوت بتفاوت الأسلوب. ففي أ م م كانت الفئات تنقسم إلى فئتين كبيرتين: دنيا ووسطى ولكن الفئات الأربع أمكن تعريفها في أ م ن. وانعدمت هذه التقـاسيم الإجتـماعية بينهـا في أ ق ك وأتق. ولا حظنا ناظم فرط الإستصواب عند ثاني أعلى الفئات منزلة في أ م ن ، وكان ذلك مؤشراً

على التغيير الصوتي المتواصل.

٢. الزمن الظاهري والحقيقي. أظهرت نتائجنا دلالة اختلاف السلوك الكـلامي بين الصغـار والكبـار بخصـوص المحافظة على السمتين المهجريتين الأصليتين [ک و ج] والتحول عنها إلى الصيغة الفصيحـة [ق] والمحلية [ء] واللتـان كانتا تنعدمان في الوصف السابق للجولانية قبل هجرتها على التغير الصوتي المتواصل.

٣. الجنس. وجدنا تفاوتا بين ارتصاف الرجال والنساء في أسلوبي المحادثة. فأما الرجال فزادوا فوارقهم الإجتماعية في أ م ن حتى أمكن تمييز فئاتهم الأربع في حين احتفظت النساء بانقسامهن إلى فئتين في أ م م وأ م ن سواء. كما أن نسـاء الفئة الثانية العليا لم يشتركن في منـظومـة فرط الإستصواب السالفة الذكر. وفيما يتعلق باستعمالهم اللغوي ، فهنا تساوى الرجال والنساء في التصحيح نحو الفصحى كما يتبـين من سلوكهم في أ ق ك وأتق ، وفي استحبـابهم للسمتـين المهجريتين كما في أ م م. ولكن الإناث رغبن في بديلة محادثيهن المحلية [ء] في أ م ن بينما كان الرجال يتفرقون بين المستغير الفصيح [ق] والمحلي [ء]. وكان تفسيرنا لذلك دليلاً على التغيير الصوتي المتواصل.

٤. تحويل الأساليب. ورد التغير الأسلوبي نتيجة لآثار ترتبط بالمخـاطب واعتبارات تعود إلى القراءة. ففي الحالة الأخيرة فضل جميع المهـاجـرين اللفظ الفصيح [ق] في أ ق ك وأتق كليهـما. وبـالنسبـة للحـالة الأولى فكان استعمال الصيغة الفصيحة [ق] والمهجرية [ک] والمحلية [ء] تابعاً للموقف الكلامي حيث كانوا جميعاً يستحبون مستغيريهم الأصليين [ک و ج] على [ق و ء] في أ م م بالرغم من وجود فوارق طفيفة تعود للعمر والمستوى الثقافى

للرواة. وكانت العينة في أشد انقسامها في أ م ن: فالكبار والكبيرات والأميون بدرجة أقل ممن حافظوا على سماتهم المهجرية إما سليمة أو شبه ذلك. وأما الشابات من مختلف المستويات الثقافية فتحولن جميعاً إلى صيغة مخاطبيهن المحلية [ء] وفضلنهن تفضيلا كبيراً. وبالنسبة للفئات الرجالية الثلاث الباقية ، فهؤلاء تحولوا في اتجاهات متباينة حيث فضلت الفئتان العليتان الصيغة الفصيحة [ق] علماً أن الثانية منهما فاقت أولاهما استعمالا لها على نحو ملحوظ ، وبينما كانت الفئة الثانية الدنيا تفضل الصيغة المحلية [ء].

٥.. المنطقة. لم يكن لمقياس المنطقة أهمية في التفريق بين المهاجرين في داخل المدينة وخارجها.

وفي الفصلين القادمين سنتناول متغيرات تختلف طبيعتها اللغوية الإجتماعية عن (ق) بشأن علائقها على السلم اللهجوي الثلاثي. فلن تكون العلاقة بينها بعد الآن ثلاثية بل ثنائية. أي أن كل متغير منها إما أن يتوافق لفظه ونطقه بين الفصحى واحدى العاميتين المهجرية أو المحلية. ففي الفصل الثامن سنقوم بفحص ثلاثة متغيرات تفصل اللهجة الفصحى والمحلاوية من جهة عن المهجرية من الجهة الأخري. وفي الفصل التاسع هنالك أربعة متغيرات هي نقيض ذلك تماما.

الفصل الثامن
الاستخطاء والاستصواب

0.8 استهلال

في هذا الفصل سنقوم بتمحيص ثلاثة متغيرات تمحيصاً لغويا اجتماعيا، وهي (ك)، و (-ك)، و (ض). ولهذه المتغيرات أنطاق خاطئة غير فصيحة في الجولانية ولكنها صائبة في الدمشقية. ومن هنا جاءت تسمية هذا الفصل. وهكذا فإن تأثير الإستفصاح على الجولانية المنحرفة في هذا الشأن إنما يأتي من اتجاهين متلاقيين: أحدهما العامية المحلية والآخر اللهجة الفصحى. وسنفحص مدى ذلك التأثير والإختلاف اللغوي الناجم عنه بوساطة المقاييس الإجتماعية والأسلوبية في الفصل السابق ذاتها: أي الثقافة والعمر والجنس والأسلوب والمنطقة.

وباستقصاء هذه المتغيرات سنتمكن من رؤية كيف يتفاعل الأثر المثنوي للإستصواب والاستفصاح التابعين للهجة الفصحى والمحلية مع اللهجة المهجرية بطرق شتى. ففي موضع أو اثنين سنرى كيف تتحقق الإصابة بالتأثير الانفرادي لإحدى اللهجتين في حين يتحقق ذلك في موضع آخر بتأثير لهجة دمشق على نحو رئيسي وحيث تعجز

الفصحى عن إنجاز ذلك. أي أن اللهجة المحلية ذات أثر أكبر من الفصحى في خلق التغير اللغوي. وهذه مسألة مثيرة إذا ما أخذنا بحسباننا أغلب أدبيات علم اللغة الإجتماعي السابقة التي تقول بأن استجذاب الإستفصاح في مواقف التماس اللغوي إنما يكون بفضل اللهجة الفصيحة بالذات، كما في نورج (Trudgill 1974) وغرب يوركشر (Petyt 1985)، الخ؛ وأما الدراسات التي قامت بتوضيح إمكانية حدوث ذلك بفضل اللهجة العامية ذات المنزلة الفصيحة، فقليلة ومثالها (Bortoni - Ricardo 1985).

1.8 المتغير الصوتي (ك)

1.1.8 تقدمة

لم تقم بمعالجة (ك) فيما سبق إلا ثلاث دراسات لغوية اجتماعية في العربية، وهي عن البحرانية لهولز (1987، 1983، 1981) والأردنية لعبد الجواد (1981) والفلسطينية في المنفى بأمريكا لشراب (1981). وللكاف فيها كلها مستغيران: فصيح هو [ك] وعامي هو [تش]، وأولهما مهموس طبقي حبيس والثاني مهموس غاري مصطك. وإليكم ملخص بعض النتائج الملائمة لنا ههنا.

كان هولز مهتما في البحث عن الحفاظ على العامية البحرانية على نحو خاص حيث وجد أن الاحتفاظ بالصيغة العامية المطعونة [تش] يتفاوت تبعاً لعوامل تعليمية وطائفية وإقليمية. وأظهرت نتائجه (1983:444) محافظة الأميين، سواء كانوا من السنة أو الشيعة بحضرهم ومدرهم، عليها في كافة المحيطات القابلة لها. وأما المتعلمون فكان تداولهم لها تداولا اختلافيا. وبدقة أكثر لم يكن استعمال السنيين وشيعة المدن لها متساويا فحسب (٩١ % و ٩٨ % لكل

منهم) بل تجاوزوا كذلك استخدام المتعلمين من شيعة القرى لها (٦١ %)، وهذا أمر غير متوقع منهم.

وفي الفلسطينية ينحصر اختلاف [ك وتش] في لهجة الفلح، وهم إحدى الفئات الثلاث المدروسة. وبينت نتائج شراب (1981:155) قطعية ورود [ك] لدى الطلبة وأبناء الجالية في أسلوبي القراءة وقائمة الكلمات (١٠٠ %). وفي أسلوبي المحادثة كانت [ك] تتناوب مع [تش]، وكان الطلبة أقل استخداماً للثانية من أفراد الجالية. وعلى نحو أدق، كانت نسبة ورود [تش] في الأسلوب العفوي للطلاب ٨١.٥٠ % والحريص ٤٢.٥٠ % - في حين كانت شبه قطعية عند أفراد الجالية (٩٢.٥٠ % - في العفوي و ٩٨.٥٠ % - في الحريص).

وأما الأردنية، ففيها يكون تداول الصيغة الطعينة [تش] ضئيلاً، ولا ترد إلا في كلام الفلاحين على نحو رئيسي، وهؤلاء إحدى الفئات الإجتماعية الثلاث التي درسها. فمن بين الفلاحين البالغ عددهم ٥٣ راو ٢٨ فرداً استخدموا الصيغة الفصيحة [ك] استخداما قطعياً في حين وردت في كلام الآخرين (٢٥) وروداً اختلافيا. وعدا عن ذلك فقد تفاوت استخدامهم لها بحسب الأسلوب الكلامي. ففي الرسمي كانت [ك] قطعية لدى الكل (علما أن عددهم ٦ أفراد فقط)، وفي العفوي ٤٤ %، وفي اللارسمي كانت نسبتها ضعيفة (1981:292).

وينبغي التنويه إلى سكوت شراب وعبد الجواد عن التعليق على التأثير الإستفصاحي للهجتين الفصيحتين البدوية والمدنية على الفلاحية اللافصيحة على الرغم من انطواء موقف التماس اللغوي في الأردنية والفلسطينية على ثلاث عاميات، هي المدنية والبدوية والفلاحية، وزعمها بحدوث الإستفصاح والإستصواب تحت تأثير الفصحى وحدها. وفي تحليلنا اللاحق سنبين كيف يتم التفاعل بين

اللهجات 'الفصيحة' المختلفة وهذا الإستصواب. وبالتحديد سنبين كيف تتخطى اللهجة المحلية الصحيحة اللهجة الفصيحة العليا في أثرها في فعل الإستصواب تخطياً كثيراً.

2.1.8 المتغير (ك) في هذا البحث

1.2.1.8 المتغير (ك) والثقافة

1.1.2.1.8 عرض النتائج بالثقافة ووصفها

يعرض الجدول 1.8 أدناه توزيع (ك) بالثقافة والأسلوب في الكلام المهجري.

الجدول 1.8. نسب (ك) بالثقافة والأسلوب

	أ م م			أ م ن			أقك/أتق
	[ك]	[تش]	عدد	[ك]	[تش]	عدد	[ك]
أ	٧٢.٩٢	٢٧.٠٨	٦٧٢	٩٧.٢٦	٢.٧٤	٤٣٨	١٠٠
ب	٧٥.٤٠	٢٤.٦٠	٦٢٦	٩٩.٧٥	٠.٢٥	٣٩٤	١٠٠
ث	٧٦.٥٦	٢٣.٤٤	٤٤٨	١٠٠	٠٠	٣٢٧	١٠٠
ج	٨٠.١٢	١٩.٨٨	٩٧١	١٠٠	٠٠	٥٨٦	١٠٠

يوضح الجدول 1.8 قطعية استعمال البديلة الفصيحة [ك] عند كل الفئات الإجتماعية وفي جميع الأساليب الكلامية ما خلا أولها. ومع ذلك فلا تزال [ك] مفضلة تفضيلا ساحقا في أ م م لدى مختلف الفئات الثقافية من دون فوارق مهمة بينها إذا ما نظرنا في النسب التي حصلت عليها المجموعتان الثقافيتان المطرفتان اللتان لا تنفصلان عن بعضهما بعضا إلا بـ ٧% فقط.

2.1.2.1.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

ليس لدينا دليلا قاطعا من المتغير الصوتي (ك) على التراصف الإجتماعي بين الفئات الثقافية إذ تسلك جميعها المسلك عينه من حيث احتفاظها بالمستغير العامي المهجري الأصلي [تش] واجتنابها له تبعا للموقف الكلامي. وهذا يعني أن اللفظ الإصطكاكي للمتغير (ك) ما هو إلا بقايا لصيغة قديمة-أي بقايا بمعنى أن لفظ [تش] سيندثر ويختفي من اللهجة المهجرية قريبا. وفي دراسة تردكُل (1974:112-5) عن نورج ثلاثة متغيرات من ضرب البقايا هذه التي كانت تتاوت فيها، وكان التفريق الإجتماعي عليها قليلا جداً أو منعدما. وفي الحقيقة أن انعدام التفاوت الإجتماعي غير مقصور على المتغيرات المتهاوتة وحدها. فهذا كرزول(1985:124) يبين ضآلة آثار الثقافة والوظيفة على اكتساب المهاجرين للصيغة المحلية لأحد متغيرات دراسته عن أنماط كلام مهاجري برغن بالنروج.

ولكن (ك) تنطوي على التفريق الأسلوبي. وتعود نسبة ورود [تش] في أ م م، ومهما كان مقدارها، إلى كون الراوي ومستمعه مهاجرين. ولما تبدل الموقف الكلامي بحضور المخاطب ابن البلد بدلا عن المهاجر أو بقراءة قائمة الكلمات واستظهار القرآن الكريم اختفت الصيغة العامية [تش] من كلامات كافة الفئات الإجتماعية بالكامل.

ومن انعدام التراصف الإجتماعي ووجود التنوع الأسلوبي معاً في المتغير (ك) نحصل على مثال مضاد لمزاعم تردكُل (1974:103) بأن الإختلاف الأسلوبي والإجتماعي إنما يحدثان مع المتغيرات التي تتضمن (١) التغير اللغوي، (٢) وقوعها تحت تأثير الضواغط الظاهرة للإستصواب، (٣) فوارق صوتية سطحية، و (٤) وضوح

تميزها عن نظائرها في اللهجة الرفيعة. ولقد توصل تردكَل إلى هذه المقولة حقا بناء على تمحيصه لأربعة متغيرات صوتية في لهجة نورج كانت تظهر كلها انتظام أشكال الإختلاف الإجتماعي ولكنها تفتقر إلى التنوع الأسلوبي افتقارا كاملا تقريبا، كما الحال مع المتغير (a:) مثلا (١٩٧٤ : ٩٨). فبالرغم من استيفاء الكاف في بحثنا لمعظم تلك المعايير نجد الصورة مقلوبة بالكامل. فليست [تش] مطعونة فحسب بل موصومة، بمعنى أنها مثار تعليق وسخرية المهاجرين أنفسهم إذ كان بعض الشبان ينتقدونها ويضيقون بها ذرعا. كما أن البديلة [تش] تختلف صوتيا عن الصيغة الفصيحة الرفيعة والمحلية [ك]، وهنالك فرق صوتي سطحي بينهما. وفوق ذلك ينغمس المتغير (ك) في التغير اللغوي كذلك كما سنرى فيها (2.2.1.8) ولكنه يظهر اختلافا أسلوبياً بدلا من الإجتماعي. وفي القسم (2.8) من هذا الفصل سنقدم مثالا آخر على هذه المسألة بالذات.

والآن يتبين لنا بوضوح أن أثر العامية الدمشقية في تفصيح المهجرية إنما يعادل ويساوي أثر الفصحى. والأثران كلاهما واضحان في مختلف الأساليب المدروسة. وعلى نحو أدق يرى أثر الدمشقية في أ م ن والفصحى في أ ق ك وأتق. وهذا الموقف اللغوي لا ينشأ مع جميع المتغيرات الإجتماعية كما سنرى في متغير العمر في القسم التالي.

وأخيراً لنعد إلى مقارنة (ك) مع (ق) في الفصل السابق. وهنا يمكن ذكر بعض الفروقات بينهما في هذا المجال. أولاً نجم عن توافق الفصحى والدمشقية في وحدة تحقيق الكاف صوتيا فيهما تسهيل تكييف المهاجرين مع مخاطبيهم المحليين لأقصى مدى، كما يتضح من علاماتهم في أ م ن في الجدول 1.8 أعلاه. ومما يسر ذلك أيضا ورود الصيغة الفصيحة [ك] في أغلبية الكلمات ٧٠ % في

أدناها) واقتصار البديلة العامية [تش] على الجزء القليل المتبقي منها. وينطوي هذا على أن المهاجرين لا يلزمهم تعلم مستغير جديد عليهم تماماً بل أن يتوسعوا في إعمال مستغيرهم الأصلي [ك] في كافة المحيطات الممكنة. وأما الأمر مع القاف فكان أصعب. فكان على المهاجرين تعلم [ء]، وهي الصيغة المحلية الجديدة عليهم تماماً، كما كان عليهم أن يقرروا كيف يستعملونها بحكم القيود الأسلوبية: أبالإنفراد أم بالجمع بينها وبين البديلة الفصيحة [ق]، ودعك من المهجرية [ك] هنا. ولقد سبق لنا أن شاهدنا كيف اختار الجنسان حلولا متباينة بهذا الصدد حيث فضلت النسوة [ء] في حين أن الرجال تفرقوا بين [ق] و [ء]، الخ. ثانيا كان اكتساب السمة المحلية [ء] مقيداً بالأسلوب وما كانت لترد إلا في المواقف الكلامية بين المهاجرين واللامهاجرين، ولم يكن استعمالها مرغوبا به بين المهاجرين أنفسهم كما يظهر من نسب أ م م في الجدول 4.7 أعلاه. وأما [ك] فبخلافها، فكان تداولها مقبولا في أي أسلوب. وأخيراً السلوك اللغوي لأدنى الفئات الثقافية في كلا المتغيرين، وهذا شيق جداً. لماذا؟ لأنهم استطاعوا في حال (ك) من تعديل كلامهم نحو مستمعيهم المحليين في أ م ن كما هو مبين في الجدول 1.8 أعلاه ولكنهم عجزوا عن ذلك في حال (ق) عموماً (وبالأخص الرجال). وهذه النقطة الأخيرة نتيجة طبيعية للنقطتين السابقتين أعلاه.

2.2.1.8 المتغير (ك) والعمر

1.2.2.1.8 عرض النتائج ووصفها

إن توزيع (ك) بالعمر والأسلوب مبين في الجدول 2.8 أدناه.

الجدول 2.8. نسب (ك) بالعمر والأسلوب

	أ م م			أ م ن			أقك/ أتق
	[ك]	[تش]	عدد	[ك]	[تش]	عدد	[ك]
كبار	٦٤.٣٦	٣٥.٦٤	١١١٠	٧١.٢٨	٢٨.٧٢	٨٦٥	١٠٠
شباب	٧٦.٦٦	٢٣.٣٤	٢٧١٥	٩٩.٢٥	٠.٧٥	١٧٤٣	١٠٠

يبين الجدول 2.8 افتراق الزمرتين العمريتين في أسلوبي المحادثة دون القراءة. فمع أن الصغار والكبار يفضلون الصيغة الفصيحة [ك] على المطعونة [تش]، فالأولون أشد تفضيلا لها من الآخرين. وفي أ م ن تنفصل الزمرتان بوضوح أكبر: فيجتنب الصغار البديلة الطعينة [تش] بالكامل بينما يحافظ الكبار على النسبة ذاتها تقريباً الواردة في الأسلوب السابق. وأما في أ ق ك وأتق فـ [ك] قطعية عند الكل.

2.2.2.1.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

يبدو أن المتغير (ك) يمر في حالة التغيير الصوتي المتواصل، علما أن ذلك في مراحله الأخيرة. ولدينا دليلان على هذا التفسير. أولا استكراه البديلة المطعونة [تش] عند الصغار والكبار، سيما الأوائل الذين يكون تناقص تداولهم لها منتظماً في أسلوبي المحادثة، كما بينا في الجدول 2.8 أعلاه. ففي أ م ن مثلا كانت منعدمة ألبتة عند الصغار. وثانيا الدليل التاريخي المستند على وصف كانتنو (1936:28) القائل باقتصار ورود [تش] إلى جانب العلات الأمامية والسواكن المرققة. وهذا مما لم يؤيده تحليلنا اللغوي للمادة في الفصل السادس حيث وجدنا أن عمل [تش] غير مقيد صوتيا فلم يكن لها أي أثر في

السياقـات الصـوتية القـابلة لها، بل كان ورودهـا محكوماً بعوامل معجمية. كما كان لفظ [ك] هو المستحب عند الصغار في تلك الحالات.

وثمة نقطة أخرى أهل للذكر في هذا القسم، وهي ضيق مدى تغير الأساليب ومحدوديتها عند الكبار. فخلافاً للصغار لم يكونوا ليقووا على التكيف مع محادثيهم المحليين مع العلم أن ذلك لم يستلزم منهم تعلم مستغيراً جديداً كما الأمر مع (ق). فللكاف في الجولانية بديلتان، هما الفصيحة [ك]، وهذه ترد في معظم الأحيان، والعامية [تش]، وهذه ذات استعمال محدود. ورغم ذلك فلم يقدر الكبار على نبذها في أ م ن بل احتفظوا بالمقدار ذاته الذي حصلوا عليه في أ م م بشأنها. ولكنهم أظهروا مقدرتهم على التحول إلى الفصحى في أ ق ك وأتق. وهذا يعني أن الكبـار متمكنـون من أسلوبين وهما التنقل بين عاميتهم وبين الفصحى. وأما الصغار فمتمكنون من ثلاثة أبعاد أسلوبية، ويتعلق الثالث باللهجة المحلية. وهذا ما حدث مع القاف كذلك.

3.2.1.8 المتغير (ك) والجنس

1.3.2.1.8 الجنس والثقافة

1.1.3.2.1.8 عرض النتائج ووصفها

يعطي الجدول 3.8 أدناه توزيع (ك) بالثقافة والجنس والأسلوب.

الجدول 3.8. نسب (ك) بالثقافة والجنس والأسلوب

	أ م م			أ م ن			أقك/ أتق
	[ك]	[تش]	عدد	[ك]	[تش]	عدد	[ك]
أ ر	٧٥.٥٢	٢٤.٤٨	٢٨٦	٩٤.٤٢	٥.٥٨	١٩٧	١٠٠.٠٠

ن	٧١.٠٠	٢٩.٠٠	٣٨٦	٩٩.٨٥	٠.٤٢	٢٤١	١٠٠.٠٠
ب ر	٧٧.٧٤	٢٢.٢٦	٣١٠	١٠٠.٠٠	٠٠	٢٥٥	١٠٠.٠٠
ن	٧٣.٠٨	٢٦.٩٢	٣١٦	٩٩.٢٨	٠.٧٨	١٣٩	١٠٠.٠٠
ث ر	٧٦.٩٠	٢٣.١٠	٣٦٨	١٠٠.٠٠	٠٠	٢٦٠	١٠٠.٠٠
ن	٧٥.٠٠	٢٥.٠٠	٨٠	١٠٠.٠٠	٠٠	٧٦	١٠٠.٠٠
ج ر	٧٨.٠٨	٢١.٩٢	٥٢٩	١٠٠.٠٠	٠٠	٢٩١	١٠٠.٠٠
ن	٨٢.٨٥	١٧.٤٢	٤٤٢	١٠٠.٠٠	٠٠	٢٩٥	١٠٠.٠٠

يبين الجدول 3.8 ضآلة الجنس عند مختلف الفئات الثقافية في الأساليب الأربعة كلها. ولكن هنالك فروقات قليلة بين نقاط الرجال والنساء، وهذه لاتتجاوز ٥ %- في أقصاها. ففي أحد المواضع مثلاً كانت النقاط التي أحرزتها النسوان على الصيغة الفصيحة [ك] أعلى من الرجال كما الحال عند الجامعيات في أ م م. وفي موضع آخر تفوق علامات الرجال النساء في أ م م إلا أن ذلك ليس بالأمر المتساوق حيث ينقلب في أ م ن لصالح الإناث كما الحال مع الأميات.

2.1.3.2.1.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

إن الكاف هي أحد متغيرين في هذه الدراسة يفتقران إلى التمايز الجنسي كليا. وليس انعدام ذلك بالظاهرة اللغوية الإجتماعية الشاذة، فهنالك جملة من الأبحاث (3.2.7) ورد ذلك فيها حقيقة. ومنها مثلا دراسة كرزول (1985) عن مهاجري الأرياف في برغن بالنروج، والتي لم يكن فيها أية فوارق مهمة بين الرجال والنساء على جميع المتغيرات اللغوية الثلاثة المدروسة.

وينطوي تحليلنا للنواظم الجنسية على (ك) على بعدين. أولا

تتـوافق هذه النتـائج عموماً مع ما أثبتناه بشأن القاف في الفصل السـابق. ففي حالتهـا البسيطة تشـير هاتيك النتائج إلى تساوي الـرجـال والنساء بخصوص وعيهم للأهمية الإجتماعية للمتغيرات اللغوية. وتدل في الحالة القوية على أن النسوة هن رائدات عملية التغيير اللغوي. ودليل هذا السلوك الكلامي لإناث المنزلة العليا في أ م وذوات المنـزلة الدنيا في أ م و أ م ن. ففي أحد المواضع بلغ استخدام الصيغة الفصيحة [ك] أقصاه عند ذوات المنزلة العليا وفي المـوضـع الآخـر سبقت ذوات المنزلة الدنيا رجالهن في التكيف مع المستمعين المحليين باستخدامهن القطعي لـ [ك] رغم أنهن كن أقل استعمالاً لها من الرجال بدرجة أقل في أ م م. والشيء الثاني الذي تتضمنـه نتـائجنا هو بخصوص الموقف اللغوي الإجتماعي للمرأة العـربية بعـامـة. ويمكن النظر في ذلك بمقارنة نتائجنا مع دراسة عبدالجواد (1981) للهجة الأردنية وشراب (1981) للهجة الفلسطينية. فقال الأول (1981:293): ' على العموم تكون نسب فصاحة الرجال على (ك) أعلى من النساء '. ولكن تخلف المرأة الأردنية عن الرجال في عملية الفصاحة ينقلب عند المرأة الفلسطينية. وخصوصاً الطالبات الـلائي يتـداولن المستغير الطعين [تش] تداولاً أقل من الرجال. وإليكم تلخيص شراب (981:159ـ) لهذا الموقف فيما يلي:

> في الأسلوبين العفوي والحريص كانت الطالبات الفلاحات أقل استعمالا للمستغير المطعون [تش] من بقية الراويات الفلاحات.. وهذا مما يؤكد مجدداً ملاحظتنا بأن الإناث هن أشد حساسية في تداولهن للصيغ الرفيعة.

ومما يزيد في قوة موقف شراب النتائج الحالية لدراستنا المهجرية هذه.

والآن نأتي إلى فحص الفوارق بين الذكور والإناث من الزمرة الكبيرة.

2.3.2.1.8 الجنس والزمرة الكبيرة

1.2.3.2.1.8 عرض النتائج ووصفها

في الجـدول 4.8 أدنـاه مبين توزيع (ك) بالجنس والأسلوب عند الكبار.

الجدول 4.8 نسب (ك) بالجنس والأسلوب لدى الكبار

	أ م م			أ م ن			أقك/ أتق
	[ك]	[تش]	عدد	[ك]	[تش]	عدد	[ك]
ذ	٦٧.٤٠	٣٢.٦٠	٧٣٦	٨٠.٢٤	١٩.٧٦	٥١٦	١٠٠.٠٠
ن	٥٨.٥٠	٤١.٥٠	٣٧٨	٥٨.١٢	٤١.٨٨	٣١٥	١٠٠.٠٠

يبين الجدول 4.8 تساوق قلة استخدام الذكور بالمقارنة مع الإناث، للبديلة المطعونة [تش] في الأسلوبين الأوليين. ولكن الجنسين متساويان في أ ق ك وأتق حيث تختفي فيهما [تش] تماماً.

2.2.3.2.1.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

ربما كان تفسير ارتفاع تكرارات السمة الفصيحة [ك] في أسلوبي المحـادثـة وليس القـراءة لدى الرجال من دون النساء دليلاً على استعـمال الكبـار لها استعـمالاً أكثر من الكبيرات؛ وعلى هذا فهم يقودون عملية التغيير اللغوي. ومما يؤيد ذلك دليلان، وكلاهما ظاهران في الجدول 4.8 أعلاه. وأولهما استخدام الرجال لـ [ك] في أ م م أكثر من النساء؛ وثانيهما تكيف الرجال مع محادثيهم المحليين لدرجة ما في

أ م ن وعدم فعل النساء لذلك، كما هو بائن من علاماتهم في أ م م وأ م ن.

ولكن هذا التفسير مردود لجملة أسباب نورد بعضها فيما يلي. أولا لايعود الإرتفاع البسيط في نسبة السمة الرفيعة [ك] عند الرجال إلى الجنس بل إلى عوامل اجتماعية غيره، والتعليم واحد منها. فاثنان من الكبار كانا شبه متعلمين ويستطيعان القراءة والكتابة وهناك آخران منهم سنحت لهما الفرصة في التعرض إلى اللهجة الفصحى في أول عمرهما من خلال التعليم اللارسمي للقرآن الكريم الذي كانوا يتلقونه من الشيوخ المحليين أو علماء الدين. والثاني هو الشبكة الإجتماعية؛ فشبكات الرجال أكثر انفتاحاً وتمددًا داخل المجتمع المهاجر وخارجه في حين كانت الكبيرات يفتقرن إلى التعليم، مهما كان نوعه، افتقارا كاملاً، وكما كانت شبكاتهن مغلقة. والآن إذا ما أخذنا هذه الفوارق بحسابنا وقارنا بين كلام الكبار والكبيرات من ذوي الخصائص الإجتماعية عينها كالثقافة وما سواها وجدنا الفوارق بينهم منعدمة. ففي أ م م مثلا بلغ ما أحرزه الرجلان الكبيران على [ك] ٧٦ . ٥٤ مقابل ٦٤ . ٥١ % للنساء الكبيرات، وهذا يعنى أن الجنسين متساويان؛ وثانيا إن تلاقي مجموعة عوامل لما يعطينا مزيداً من الأدلة على عدم افتراق كلام الرجال عن النساء. ومن الأمثلة المؤيدة لهذا التعليل سلوكهم على المتغير (ق) في الفصل السابق. وستؤدي بنا جميع المتغيرات الأخرى إلى النتيجة ذاتها كما سنرى في المتغير الذي نتناوله في القسم الآتي، والذي يرتبط به جداً.

4.2.1.8 المتغير (ك) والمنطقة

1.4.2.1.8 عرض النتائج ووصفها

نعرض في الجدول 5.8 أدناه نسب (ك) بالمنطقة والأسلوب.

الجدول 5.8 نسب (ك) بالمنطقة والأسلوب

	أ م م			أ م ن			أقك/ أتق
	[ك]	[تش]	عدد	[ك]	[تش]	عدد	[ك]
مدينة	٧٧.١٠	٢٢.٩٠	٩٦٥	٩٩.٨٠	٠.٢٠	٤٩٢	١٠٠.٠٠
ريف	٧٦.٤٢	٢٣.٥٨	١٧٥٢	٩٩.٠٤	٠.٩٦	١٢٥٣	١٠٠.٠٠

يبـين الجدول 5.8 ضآلة المنطقة بتشابه سلوك مهاجري المدينة والريف سواء باستخدامهم الساحق للصيغة الفصيحة [ك] في أ م م أو قطعيتها في الأساليب الثلاثة الأخرى. وهذا مما يثبت النمط ذاته الذي وجدناه في المتغير (ق) في الفصل السابق.

5.1.8 الملخص

إن (ك) إحـــدى المتغــيرات التي تفصــل اللهجـة المهجـرية الـلافصيحة عن الفصحى والدمشقية فصلا جزئيا. وقد رأينا كيف جرى تنفيذ ميل الجولانية نحو الإستصواب والإستفصاح باشتراك اللهجتــين الفصحى والمحلية. ويمكن تلخيص النقــاط الكـبرى للتحليل اللغوي الإجتماعي لهذا المتغير بما يلي.

١. الثقافة والتمييز الإجتماعي. كان التمايز الإجتماعي بين الفئات الثقافية منعدما عموماً.

٢. الزمن الظاهر والحقيقي. كان استخدام الكبار للسمة الفصيحة

[ك] أقل من الصغار في أسلوبي المحادثة. وكان ذلك يشير، إذا ما أضفنا الدليل التاريخي إلى التغيير الصوتي المتواصل، رغم كون ذلك في مراحله الأخيره عند الصغار خصوصاً.

٣. الجنس. كانت الفوارق الجنسية ضئيلة عموماً ولكن استعمال الأميات والجامعيات لـ [ك] في أ م ن و أ م م لكل على انفراد كان أعلى من رجالهن قليلا. وأما الفروقات بين الكبار فرفضناها لضآلتها أيضا.

٤. التحول الأسلوبي. حصل اتجاه التغير الأسلوبي نحو الفصحى نتيجة لإشتراك الفصحى والدمشقية في تأثيرهما على الجولانية. وكان ترتيب الأساليب الأربعة كالآتي: نجم عن تأثير المخاطب المهجري استعمال المستغير العامي [تش] في أ م م على نحو رئيسي عند جميع الفئات الثقافية، والصغار والكبار رغم استكراههم له وتفاوتهم في ذلك. وفي أ م ن استطاع الصغار أن يتكيفوا مع المستمعين المحليين من خلال لفظهم الجازم لـ [ك] في حين كان تكيف الكبار ضئيلا جداً أو معدوماً. ولكن الجميع تحولوا إلى الصيغة الفصحى في أ ق ك وأتق.

٥. المنطقة. لم تكن لها أهمية مطلقا.

2.8 المتغير الصرفي (- ك)

1.2.8 تقدمة

لم يظهر فيما مضى أي تحليل لغوي اجتماعي للعلامة الصرفية، ضمير المؤنث المخاطب، في العربية. وهذا أمر غريب جداً لأن جميع اللهجات العربية التي تتبادل فيها [ك]و [تش]على المستوى الصوتي إنما تستعمل الصيغة الثانية للدلالة القاطعة على ضمير المونث

المخاطب المتصل بالمفرد والجمع. ومن بين الدراسات الثلاث (شراب 1981؛ هولز 1983، 1981، عبدالجواد 1981) التي قامت بتناول مسألة الإختلاف اللغوي بين [ك] و [تش] على المستوى الصوتي، لم تجر الإشارة له إلا في عبدالجواد (1981:298)، وكانت تلك اشارة عابرة وفيها دعا إلى القيام بالمزيد من البحوث عنها. وعلى نحْو أدق، قام بمقارنة ورود الكاف كعلامة صرفية وكصوت لغوي ووجد أن الصيغة الفصيحة مستكرهة (٣٠ ٪) في حال الضمير ومستحبة (٦٣ ٪) في حال الصوت (1981:296).

2.2.8 (-ك) في هذا البحث

1.2.2.8 المشاكل المنهجية

من الإشكاليات العويصة للبحث اللغوي الإجتماعي استنباط المتغيرات الصرفية والنحوية، وذلك لندرة تكرارها كما الحال في المقابلات الوجاهية العادية. (انظر Wolfson 1976, Cheshire 1982 بخصوص إجراءات تخطي هذه المشاكل). وهذا ما يصح على علامتنا الصرفية في درسنا هذا (وينطبق كذلك على عبد الجواد (1981:296) السالفة الذكر والتي لم ترد فيها العلامة إلا ١٨٧ مرة مقابل ١٤٩٦ كمتغير صوتي في أحاديث ٢٦ راو). وبلغ المجموع الكلي للحالات المستنبطة لـ (-ك) عندنا ٥٦٤ وردت في أسلوبين - أ م م وأ م ن. وهذا قليل جداً بالنظر إلى حجم العينة المكون من ٣٨ راو. وهناك بعض الرواة (ع= ٦) لم نستخرج منهم أية كلمات أبداً في الأسلوبين، وآخرون ممن لم نحصل منهم إلا على ما يتراوح بين ٢ - ٦ كلمات، وأما الباقون فبين ٣٠ - ٥٠ حالة.

وبالإضافة إلى الإعتبارات المتعلقة بالمقابلات، هناك عدة أسباب

لقلة تكـرار المتغير الصرفي في مادتنا. ومنها (١) انعدام المستمعة الأنثى للـراوي، وكـان هذا ذكراً في معظم المواجهات. (٢) عدم ورود المـوضـوعـات المتصلة بالمرأة: (٢) عدم مخاطبة المتحادثين بعضهم على نحـو يستلزم تداول الضمـير السـابق. والحقيقـة أنه لايضمن ورود هذا المتغير كون المرء يتحدث مثلا مع امرأة. ففي حال الراويات ينبغي أن تكون المتكلمة ومستمعتها أنثيين كي نضمن استنباط العلامة الصرفية من الراوية المطلوبة. والوفاء بهذا الشرط في ايجاد امرأتين-احداهما متكلمة والأخرى مستمعة-أمر صعب جداً إن لم يكن محالاً.

ولتبيان انعدام ضمان العـلامة الصرفية حتى لو استوفيت هذه الشروط جميعا، قمنا بفحص المادة لنرى أثر جنس المستمع في هذا الشأن. وفي الجدول 6.8 أدناه نعرض هذه النتائج.

الجـدول 6.8 تكـرار العـلامة الصرفية (- ك) بحسب جنس المستمع والأسلوب.

	المستمع	المستمعة	المجموع
أ م م	٧٢ . ٦٨ (١٤٥)	٢٨ . ٣١ (٦٦)	٢١١
أ م ن	٢٨ . ٣٤ (١٢١)	٧٢ . ٦٥ (٢٣٢)	٣٥٣

يبين الجدول 6.8 أن جنس المستمع ليس مؤشراً أكيداً على ورود العلامة الصرفية (ك) أو ضامناً لها. فالنتائج المعطاة في الأسلوبين مقلوبة: ففي أ م م ترد العلامة الصرفية على نحو رئيسي عندما يكون المتحادثان ذكرين كليهما ولكن ذلك ينقلب في أ م ن انقلابا كاملا لصالح الإناث.

وكذلك لا يمكننا استنباط المتغيرات الصرفية بالمادة المقروءة. ومرد ذلك إلى سببين، وأولهما ميل المتكلمين لقراءة ما هو أمامهم وعزفهم عن التكلم من حالهم. وهذا يعني انحياز النص ذي المتغيرات النحوية نحو الفصحى دون العامية (انظر Petyt 1985 لموقف مشابه). وثانيهما كون الحرف أو الرمز [تش] بلا رسم في الكتابة العربية بالمرة.

وفي قائمة الكلمات أدرجنا كلمتين تحتويان على العلامة الصرفية، قرأت كلاهما قراءة فصيحة. ونظراً إلى تلك الاعتبارات السابقة، فلن نقوم بالاشارة إلى منزلة (–ك) في أقك وأتق في تحليلنا التالي.

2.2.2.8 تحليل (– ك) بالثقافة

1.2.2.2.8 عرض النتائج بالثقافة ووصفها

يعرض الجدول 7.8 أدناه نسب (– ك) بالثقافة والأسلوب.

الجدول 7.8 نسب (– ك) بالثقافة والأسلوب

	أ م م			أ م ن		
	[– ك]	[تش]	عدد	[– ك]	[تش]	عدد
أ	٦،٢٥	٩٣،٧٥	٣٢	٩٧،٨٨	٢،١٢	٤٧
ب	١٢،٨٢	٨٧،١٨	٣٩	١٠٠،٠٠	-	٤٧
ث	—	١٠٠،٠٠	١٨	١٠٠،٠٠	-	٦١
ج	—	١٠٠،٠٠	٤١	١٠٠،٠٠	-	١٣٣

يبين الجدول 7.8 انعدام التمييز الإجتماعي بين الفئات الثقافية جميعاً. ففي أ م م ينعدم استعمال البديلة الفصيحة [– ك] سيما عند

أعلى فئتين منزلة ولكن الموقف ينقلب لصالحها بالكامل في أ م ن. وأما الورودات القليلة للصيغة الفصيحة في كلام الفئتين الدنيين دون العليين في أ م م فمردها لأنها قيلت تقليداً للناطقين المحليين، ولهذا يجوز التغاضي عنها وإسقاطها لضآلتها، وبالأخص إذا نظرنا في المجموع الكلي للكلمات المستنبطة، وهي تتحدث عن نفسها في هذا الشأن.

2.2.2.2.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

تعطينا نتائج العلامة الصرفية في الجدول 7.8 أعلاه مثالاً مضاداً آخر لمزاعم تردكل (1974:103) المذكورة أعلاه (2.1.2.1.8) بشأن توارد الإختلاف الإجتماعي والأسلوبي. فهنا لدنيا حالة واضحة جداً على الإختلاف الأسلوبي وانعدام أدنى الإشارات إلى التراصف الإجتماعي رغم وقوع [– تش] تحت أثر التعليق الظاهري، وتقابلها الصوتي مع [– ك]، واختلافها عن اللهجة الرفيعة، الخ.

وهذه المتغيرات مما أطلق عليها (Bell 1984:154-6) اسم متغيرات فرط الأسلوب.والمتغير ذو الأسلوب المفرط، عند بل، هو ذلك المتغير ذو الإختلاف الإجتماعي المتدني والإختلاف الأسلوبي الهائل. ومن الأدلة التي استشهد بها على تلك المتغيرات ذات الأساليب المفرطة ثلاث دراسات، ثنتان منها عن اللهجة الطهرانية الفارسية (1978 (Jahangiri and Hudson 1982 ; Jahangiri 1980; Modaressi-Tehrani وواحدة عن الانكليزية الكندية بأوتاوا (Woods 1979). ففي تحليل مدرسي – طهراني ذكر بل (1984:155) مثلاً أحد المتغيرات المنطوي على قدر كبير من التنوع الأسلوبي (٨٢ ٪) إزاء ١٧ ٪ من الإختلاف الإجتماعي. ولشرح تلك الظاهرة في الفارسية تقدم بل (1984:156) بثلاثة أسباب محتملة. وأولها ورود هذا النوع من التغير

الأسلوبي بين الكلام الحر (أي العفوي الحريص) وأساليب القراءة (قراءة المقطع، قائمة الكلمات، والأزواج الصغرى)؛ فالصيغ العامية لذلك تتكرر تكراراً عاليا جداً في الكلام الحر وعند جميع لطبقات الإجتماعية ولكنها تكون مهملة في أساليب القراءة. وثانيها تهذيب المجتمع الإيراني : أي أن الفرس يقومون باستعمال صيغاً فعلية وضمائر مختلفة، الخ، إشارة لتأدبهم مع مستمعيهم واحتراما لهم، وما الإستخدام اللغوي أو التغير الإسلوبي إلا إحدى وسائط الدلالة على هذه الخطة التهذيبية للإحترام بين الإيرانيين. وأخيراً قد يجوز أن تكون متغيرات فرط الأسلوب فقدت الإختلاف الإجتماعي بالمرة، والتى يصطحبها غالبا انقلاب النواظم العمرية؛ وأما تنوع أساليبها فإما أنها احتفظت به أو طورته على نحو مستقل. واعترف بل بأن هذه الاسباب ليست تفسر هذه الظاهرة بمفردها تفسيراً دقيقا في الفارسية.

وإذا حاولنا تفسير المتغير (-ك) بأسباب بل لوجدناها لا تنطبق عليه أبداً. فكما شاهدنا في الجدول 7.8 أعلاه لم يرد التغير الأسلوبي مثلاً بين الكلام الحر والقراءة بل في الكلام الحر ذاته. أي على الرغم من ارتباط ورود العامية [- تش] بأ م م والفصيحة [-ك] بأ م ن فهذان كلاهما أسلوبا محادثة أو كلام حر ببساطة. وفضلا عن ذلك لا تستعمل اللهجة المهجرية ولا غيرها من لهجات العربية خطط التأدب تلك. وأخيراً سنرى فيما بعد أن النمط العمري لـ (-ك) منتظم وغير مقلوب.

وقد يكون انعدام الإختلاف الإجتماعي على (- ك) مجتمعي نفسي إذ يمثل الإستعمال القطعي لـ [-تش] في أ م م الهوية المهجرية للمهجريين والولاء اللغوي لهم في حين أن عدم تداولها يعني

الهوية اللامهجرية والخيانة اللغوية. ولهذا السبب تعرِّف جميع الفئات الإجتماعية نفسها بأنها مهاجرة باستخدامها لـ [- تش] في أ م م. وبـالـرغم من استطعان الآخرين لها فليس تداولها ضمن المجتمع المهجري ذاته باللامقبول. وفي الحقيقة فالمهاجر الذي لايستعملها في هذا الحال إنما يعرض نفسة لا نتقاد أصاحيبه المهاجرين بعنف. ومن الناحية الأخرى لا يعني استخدام كل الفئات الإجتماعية للمستغير الفصيح و/أو المحلى [-ك] فقدان المهاجرين لهويتهم المهجرية أو إعراضهم عن ولائهم للغتهم بالضرورة. بل يمكننا القول بصدق بأن للمهاجرين هويتين أو أكثر ينتسبون إليها في آن واحد ويعرفون بها مباشرة: هوية مهجرية تتمثل بتداول [-تش] وهوية محلاوية ممثلة بـ [ك]. وهاتان الهويتان متمازجتان في الوعي اللغوي لدى المهاجرين. وفي الـواقـع اللغوي، إنما تستدعا هاتان الهويتان على هيئة بدائل أسلوبية تستعمل في أحوال إجتماعية ومواقف كلامية مختلفة. وربما كان تعليلنا هذا افتراضيا ولا يستنفذ جوانب القصة كلها.

والآن ماذا عن متغيرات فرط الأساليب في الدراسات اللغوية الإجتـماعية العـربية من غير بحثنا هذا؟ لم تقم أية دراسة عربية بالتحدث عن وجودها ولكن إلقاء نظرة على بعضها عن كثب يوحي بحقيقـة اصـطدافها فيها. ففي اللهجة الفلسطينية (شراب 1981) هنالك متغيران من هذا النوع، وهما (ق) و (ث). فعلى الأول بلغ الفرق الفاصل بين الفئات الإجتماعية الأربع في الأسلوبين العفوي والحريص ١٠ % وانعدم بأكمله في أسلوب القراءة وقائمة الكلمات. وكان مقدار التحول الأسلوبي بين أسلوبي المحادثة والقراءة مالا يقل عن ٨٣ % (انظر شكله في ص. ١٧٠) وتكرر هذا النمط ذاته على المتغير الثاني بالضبط (1981:165). وهنا ينبغي أنوه إلى أن هذا هو

تفسيري الخاص لمادة شراب وأما المؤلف الأصلي فلم يقم بالإشارة إلى فرط الأسلوب ألبتة.

3.2.2.8 المتغير (– ك) والعمر

1.3.2.2.8 عرض النتائج ووصفها

إن توزع (– ك) بالعمر والأسلوب مبين في الجدول 8.8 أدناه.

الجدول 8.8 نسب (– ك) بالعمر والأسلوب

	أ م م			أ م ن		
	[– ك]	[– تش]	عدد	[– ك]	[– تش]	عدد
كبار	٢.٤٦	٩٧.٥٤	٨١	–	١٠٠.٠٠	٦٥
شباب	٥.٣٨	٩٤.٦٢	١٣٠	٩٩.٦٦	٠.٣٤	٢٨٨

يبين الجدول 8.8 أن الكبار والصغار شبه قطعيين في تداولهم للصيغة العامية [–تش] في أ م م. وفي أ م ن يحتفظ الكبار باللفظ القطعي لها في حين يسقطها الصغار بالكامل.

2.3.2.2.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

إن النمط العمري منتظم كما يتبين من الجدول 8.8 إذ يقل تداول الصغار لـ [– تش] عن الكبار، ولا سيما في أ م ن. وإذا أخذنا بحسباننا تنويه كانتنو (١٩٣٦ : ٣٣ ، ٧٢ ، ٧٦) إلى قطعية ورود [– تش] في الجولانية قبل هجرتها لما تستخدم في حالة الضمير المتصل المؤنث المخاطب كان دليلا الزمان الظاهر والحقيقي مؤشرين على التغيير الصوتي المتواصل. ويشير اشتراك الزمرة الشابة في هذه العملية إلى بدء استفصاح [– ك] منذ ١٩٦٧ بعدما تماس الكلام

المهجري والمحلي تماساً يوميا.

وتختلف الـزمرتان العمريتان في تمكن الصغرى من التكيف مع المستمعين المحليين وعجز الكبرى عن ذلك. وهذا مما يثبت تفسيرنا لسلوكهم على (ك) في (2.2.1.8) أعـلاه حيث وجـدنـاهم (الكبار) عاجزين عن تعديل كلامهم نحو مستمعيهم المحليين.

4.2.2.8 المتغير (– ك) والجنس

1.4.2.2.8 الجنس والثقافة

1.1.4.2.2.8 عرض النتائج ووصفها

إليكم نسب (– ك) بالثقافة والجنس والأسلوب في الجدول 9.8 أدناه.

الجدول 9.8. نسب (– ك) بالثقافة والجنس والأسلوب

	أ م م			أ م ن		
	[– ك]	[– تش]	عدد	[– ك]	[– تش]	عدد
أر	–	١٠٠.٠٠	١٥	٨٥.٧٢	١٤.٢٨	٧
ن	١١.٧٦	٨٨.٢٤	١٧	١٠٠.٠٠	–	٤٠
ب ر	٢٨.٥٨	٧١.٤٢	٧	١٠٠.٠٠	–	٢٤
ن	٩.٣٨	٩٠.٦٢	٣٢	١٠٠.٠٠	–	٢٣
ث ر	–	١٠٠.٠٠	١٧	١٠٠.٠٠	–	٧
ن	–	١٠٠.٠٠	١	١٠٠.٠٠	–	٥٤
ج ر	–	١٠٠.٠٠	٤٧	١٠٠.٠٠	–	١٢
ن	–	–	–	١٠٠.٠٠	–	١٢١

يبين الجدول 9.8 أن الجنسين لايتميزان أبداً سوى بعض الاستثناءات التي لايصعب رفضهـــا. فأمـــا أن مجمـوع الإبتـدائيين أعـلى من الإبتـدائيات في أ م م فغير مهم ومرده إلى قلة الكلمات المستنبطة. والواقع أن نسب الصيغة الفصيحة [- ك] في هذا الأسلوب استثنائية كلهـا بطريقة أو بأخرى احتكاما بالأخص إلى شكل التراصف الإجتماعي ككل. ويعزى انخفاض مجاميع الأميين على [-ك] في أ م ن بالمقارنة مع الأميات خصوصاً إلى قلة الكلمات المستخرجة منهم كذلك. ويمكن أن نلاحظ أيضا أن الجامعيات لم يعطين ولو كلمة واحدة على (-ك) في أ م م ولكنهن أعـطين الكمية الكبرى من الكلمات في أ م ن حيث كانت مستمعاتهن إناثا. ويسري الأمر ذاته على الثانويات التي لم ترد لهن إلا كلمة واحدة في أ م م مقابل ١٢ كلمة في أ م ن . وكما لاحظنا سابقا لم يكن جنس المستمع هو العامل الوحيد في هذا الموضوع.

2.1.4.2.2.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

إن ضالّة الجنس في التمييز بين لغة الذكور والإناث المهاجرين بخصـوص العلامة الصرفية إنما تزيد من قوة وتوكيد نتائجنا التي توصلنا إليها في تحليل المتغير الصوتي (ك) أعلاه (3.2.1.8) والمرتبط بها ارتباطا وثيقا. وهناك لم يكن للجنس أهمية في هذا الشأن.

وزيادة على ذلك تسلط هذه النتائج الضوء على وصف الحسن (١٩٧٨) لإسم الإشـارة المشـار إليه في عدة مواضع من الفصل السابق. وما هذا إلا لأن للعلامة الصرفية وضمير الإشارة خصائص لغوية متشابهة إذ كلاهما نحويان وليس صوتيين. كما تتناقض نتائجنا مع الحسن من وجهـين. وأولهـا لم يفلح هو في استنبط الإختـلاف

الأسلوبي كما ظهر من تحليل مادته للعينتين المصرية والأردنية. وثانيهما وأسوأهما هو خطأه في تفسيره لدور المرأة في مسيرة الإستفصاح التي لم يرغب بها الجنسان كلاهما عموما. ولكن ذلك تم اسنباطه واحصاءه في دراستنا بنجاح وجرى تقدير دور النسوة بالعدل حيث وجدناهن يتساوين مع الرجال في هذه الحالة الخاصة. وفي الحقيقة إذا ما كنا نبتغي اطلاق التعميمات من وراء ذلك تجدنا ميالين إلى القول بريادة النساء لمسيرة الإستفصاح والتغير اللغوي في دمشق.

2.4.2.2.8 الجنس والزمرة الكبرى

1.2.4.2.2.8 عرض النتائج ووصفها

في الجدول 10.8 نعطي توزيع (– ك) بالجنس والأسلوب لدى الكبار.

الجدول 10.8. نسب (– ك) بالجنس والأسلوب عند الكبار

	أ م م			أ م ن		
	[– ك]	[– تش]	عدد	[– ك]	[– تش]	عدد
ر	–	١٠٠,٠٠	٢٦	-	١٠٠,٠٠	١٤
ن	٣,٦٤	٩٦,٢٦	٥٥	-	١٠٠,٠٠	٥١

يبين الجدول 10.8 أن العلامات التي حصتل عليها الكبار والكبيرات هي ذاتها في كل مجال وحيث يتداولون المستغير العامي [– تش] تداولا قطعيا في أ م م وأ م ن. وأما العلامة القليلة للنساء على [– ك] فلا تذكر.

2.2.4.2.2.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

تقوي المادة الملخصة في الجدول 10.8 تفسيرنا القائل بأن للجنس عند الكبار – عند تكافؤ جميع الأشياء – دوراً ضئيلا وتافها وأن كلام الرجال لايفترق عن النساء.

5.2.2.8 المتغير (– ك) والمنطقة

توفيراً للمساحة لن نقوم بعرض توزيع (– ك) بالمنطقة إذ لم نجد فوارق بين كلام مهاجري المدينة والريف في هذا الشأن.

6.2.8 الملخص

إن المتغير الصرفي (– ك) هو أحد متغيرات فرط الأساليب ويمكن تلخيص خصائصه الرئيسية بما يلي.

١. الثقافة والتمايز الإجتماعي. وهنا لم تتميز كل الفئات عن بعضها.

٢. الزمن الظاهري والزمن الفعلي. يشير تلاقي أدلة الناظم العمري والسجل التاريخي للجولانية إلى التغيير الصوتي المتواصل الذي ينطوي على التناوب بين المستغير العامي [– تش] – وهو الذي كانت تقتصر عليه اللهجة فيما سبق – والفصيح [–ك] المأخوذ عن العامية المحلية.

٣. الجنس. كان التمايز الجنسي منعدماً عند الفئات الثقافية والزمرة الكبيرة سواء.

٤. التحول الأسلوبي. وكانت هذه هي الخاصة الكبرى المميزة لـ (–ك) والتي لا يعرف إلا بها، أي أن (–ك) تنغمس في التنوع الأسلوبي على نحو رئيسي. وكان الصغار و/أو الفئات

الثقافية هم الذين غيروا أساليبهم تبعا للطبيعة اللغوية لمستمعيهم: ففي المبادلات الكلامية بين المهاجرين كانت [- تش] قطعية في حين أنها انعدمت تماما في مبادلات المهاجر والمحلي، وذلك لصالح [- ك]. وأما الكبار فكانت [- تش] الصيغة الوحيدة المستخدمة في أسلوبيهم، ولذلك فليس لهم تحول أسلوبي.

ه. المنطقة. وهذه لم تكن مهمة أبداً.

3.8 المتغير (ض)

1.3.8 تقدمة

رغم تطور الصوت/ض/- وهو لثوي - محلقن حبيس مجهور - إلى/ظ/- وهو مستسن - محلقن رخو مجهور - واندماجه معه في كثير من اللهجات العربية الحديثة التي يتوفر لدينا عنها بعض الأوصاف اللغوية الإجتماعية كالبحرانية (هولز ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٧) والأردنية (عبدالجواد ١٩٨١) والقطرية (العمادهي ١٩٨٥) والفلسطينية (شراب ١٩٨١). لكن وصفه لغويا إجتماعيا لم يجرى إلا في الأخيرة. والموقف اللغوي للضاد فيها كما يلي: في لهجة الفلح والبدو- وهما لهجتان فلسطينيتان - أصبحت/ض//ظ/ واندمجت معها كليا، وفي اللهجة الثالثة - المدنية - ظلت/ض/ على حالها. وإليكم تبيان الوضع اللغوي الإجتماعي للضاد في الفلسطينية من خلال الفئة الإجتماعية والأسلوب في الجدول 11.8 أدناه.

الجدول 11.8 نسب فقدان/ض/ بالأسلوب عند الفلح والبدو الفلسطينيين.

	الفلح	البدو
الأسلوب العفوي	٩٢.٥٠	٩٤.٥٠
الأسلوب الرسمي	٨٩.٠٠	٩٣.٢٥
أسلوب القراءة	٠٠.٠٠	٢١.٧٥
أسلوب قائمة الكلمات	٠٠.٠٠	١٥.٧٥

المصدر: بتصرف عن شراب ١٩٨١ : ١٧٠ ، ١٧٢.

يبين الجدول 11.8 شبه قطعية استعمال الفلح والبدوان للمستغير العامي المدموج [ظ] في أسلوبي المحادثة – العفوي والرسمي. ولكن تغيراً أسلوبيا هائلا ينشأ عند الفئتين في أسلوبي القراءة والقائمة، وهذا لصالح الصيغة الفصيحة مع أن الفلاحين هم الذين يتداولونها تداولاً قطعيا، والبدو أقل منهم بقليل.

2.3.8 المتغير (ض) في هذا البحث

1.2.3.8 تحليل (ض) بالثقافة

1.1.2.3.8 عرض النتائج ووصفها

يعطي الجدول 12.8 أدناه العلامات المئوية لـ (ض) بالثقافة والأسلوب.

الجدول 12.8. نسب (ض) بالثقافة والأسلوب

	أ م م		أ م ن		أقك/أتق
	[ض]/[ظ]	عدد	[ض]/[ظ]	عدد	[ض]/[ظ]
أ	٩٨.٣٨/١.٦٢	١٢٤	٤٣.٤٠/٥٦.٦٠	١٠٦	٤٥.٤٥/٥٤.٥٥

ب	٩٧.٩٠ / ٢.١٠	١٤٣	٢٦.٩٢ / ٧٣.٠٨	١٠٤	٨٥.١٠ / ١٤.٩٠
ث	٩٧.٠٨ / ٢.٩٢	١٠٣	٥٠.٠٠ / ٥٠.٠٠	١٠١	٧٦.٢٦ / ٢٣.٧٤
ج	٩٢.٩٦ / ٧.٠٤	٢١٣	١٢.٥٠ / ٨٧.٥٠	١٤٤	٣٥.١٤ / ٦٤.٨٦

يبين الجدول 12.8 إختلاف توزيع المستغيرات بالأسلوب والفئة الإجتماعية. ففي أ م م ترد السمة المهجـرية اللافصيحة [ظ] وروداً شبه قطعي عند كل الفئات الإجتماعية. ولكن هذه الصورة تتبدل كليا في أ م ن حيث تفضل البديلة الفصيحة والمحلية الرفيعة إلا عند ثاني أعلى الفئات التي تتداول المستغيرين بالمناصفة ٥٠ - ٥٠ . وفيما خلا الفئة هذه تتراصف جميع الفئات الإجتـماعية تراصفا منتظما إذ كلما علت المنـزلـة الإجتـماعية ازداد تكرار المستغير الفصيح والعكس بالعكس. وأخـيراً أ ق ك وأتق لدرجـة أقل، وفيهما لا تسير الصيغة الفصيحة المسار ولا تتكرر بالطريقة المتوقعة لها بل تتناقص نسبتها بحدة عند كل الفئات الثقافية مقارنة مغ أ م ن.

2.1.2.3.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

يتضح من النتائج السابقة أن المتغير (ض) معقد لغويا إجتماعيا. ومـرد ذلـك إلى الانـدمـاج الصـوتي بين [ض] و [ظ] في الكلام المهجـري من ناحية؛ ومن الناحية الأخرى والأهم شذوذ نواظمه اللغوية الإجتماعية التي سنكشف الحجاب عنها في مسار هذا النقاش والذي يليه.

فأما الناظم الأول فيتعلق بتقاطع الثقافة والتمايز الإجتماعي. وهـذا يختلف باختلاف الأسلوب. ففي أ م م يمكننا الإطمئنان إلى القـول بانعدام التمايز الإجتماعي كليا لأن تداول المستغير العامي

[ظ] لايقل عن ٩٣ % في أدناه. وليس بالعسير إيجاد تفسير لذلك ويمكن طرح سببين لذلك على الأقل. وأولها هو الأدلة المستمدة من المتغيرين السابقين في هذا الفصل اللذين افتقرا كلاهما إلى التنوع الإجتماعي بالمرة. فالبديلات [تش] [- تش] و [ظ] جميعها تمثل الهوية المهجرية والولاء اللغوي والانتساب الى الجماعة وترمز لها. وهكذا فليس بالمستبعد أبداً ورودها بتكرارات عالية في كلام المهاجرين كافة وفي المواقف الكلامية التي تتميز بمهجريتها ووديتها وبيتيتها وقرابيتها وعائليتها. فليس استعمال السمات الفصيحة و/أو المحلية الرفيعة بغير المرغوب فيها في تلك المواقف فحسب بل أنها تستغرب المهاجر عن زملائه المباشرين وأصحابه وأقربائه وأبويه وتبعده عنهم وتفصله منهم. ولذلك فلن يكون أي من المهاجرين راغبا ومستعدا لإدخال ميزات لغوية في المكان اللامناسب لها والتي قد تخرجه في النهاية عن مجتمعه الكلامي.

ثانيا افتقار أ م م إلى التميز الإجتماعي عموما. ففي تحليلنا للمتغير (ق) في الفصل السابع أعلاه شاهدنا كيف انشقت الفئات الثقافية الأربع فيه إلى فئتين وهما الدنيا والوسطى وبفجوة فاصلة بينهما تقارب ٢٠ %.ولعل الشبه الأكبر بين (ق) و (ض) في أ م م هو عدم تداول البديلتين المحليتين [ء] و [ض] على نحو ملموس مع العلم أن الثانية أغلب تكرارا من الأولى. ولكن إذا قارنا بين البديلة الفصيحة [ق] مع البديلة الفصيحة والمحلية الرفيعة [ض] نجد أن الأولى أشد تفضيلا من الثانية, وما ذلك ببساطة إلا لأنها محايدة لهجويا, أي أنها لا ترتبط أصلا بالدمشقية والمهجرية أو أنها تستبدل فيهما بصيغ منفصلة. ولذلك فاستخدام [ق] أمر محايد ولا يطرد الراوي من مجتمعه الكلامي المهجري.

وأما الأسلوب الثاني ففيه تراصف إجتماعي إذ ينقسم الموصول الإجتماعي بوضوح إلى ثلاث فئات على الأقل: الثانوية، والأمية، والإبتدائيه والجامعية. ولكن الشيء العجيب في هذا الشأن هو شذوذ السلوك الكلامي للفئة الثانية العليا: ويقصد بشذوذها كون ستخدامها للمستغير الفصيح و/أو المحلي [ض] أدنى الفئات الثقافية كلها في حين أن العجبة في ذلك تعني تناقض هذا النمط من التصرف الكلامي مع فرط إستصوابهم على (ق) في الفصل السابع أعلاه تناقضاً حاداًَ وقلبه له. وعلى نحو أدق، اتضح لنا في حالة (ق) بجلاء كيف أن الفئة الثـانـوية لم تستحب البـديلة الفصيحة [ق] على المحلية [ء] فحسب بل تخطت الجامعية كذلك باستعمالها للأولى مع العلم أن كلا الفئتين أسقطتا السمة المهجرية [كٓ] بالكامل. وبالرغم من ظهور سلوكها الكلامي على [ض] بمظهر المثال المضاد لسلوكها على (ق)، فليس هذا كذلك لسببين على الأقل. وأولها كون [ض] و [ء] مستغيرين محليين، ولذلك فالتكيف الجزئى للفئة الثانوية على [ض] عائد إلى المعـايير ذاتهـا التي أوجبت عليهـا الإبتعاد عن [ء] لصالح [ق]. أي أن السمة ذات الصبغة المحلية غير مرغوب بها عندهم، سواء اتفقت مع الفصحى ا م لا. (وفي الفصل التاسع سنواجه متغيرات أخرى من الطبيعة ذاتها).

ويمكن للمرء التساؤل في هذا الصدد لم كان تداول الفئة الثانوية للبـديلتـين الفصيحتـين و/أو المحليتـين [ك] و [-ك] للمتغـيرين (ك) و (- ك) السالفي الذكر في هذا الفصل (1.8. و 2.8. لكل منهما) مثل جميع الناس في أ م ن؟ والسبب في ذلك جد بسيط ويكمن في الطعن الـظاهـري لـ [تش] في الفضلية، وهي سمـة مثـيرة للإستفهـام والهـزل والنقد حتى لدى المهاجرين بالذات. وأما البديلة المدموجة [ظ] فعلى

العكس، فهي رفيعة على نحو خفي ولا تثير أية تعاليق إطلاقا. ولذلك فليس عجبا أن نجد المهاجرين يتحاشون [تش] في أ م ن بالكامل بينما لايزالوان يستعملون [ظ]، ولو أن ذلك بالإختلاف.

وأما السبب الثاني فهو افتقار الدمشقية إلى صوت /ظ/ تماما. وهذا مما يمكن الثانوين بالذات من تفادي الإستطغام الإجتماعي وإصرارهم على الإستعمال الفصيح رغم تطبيقهم إياه في سياقاته الخاطئة. ولا يشرح هذا السبب انحراف سلوكهم إلا شرحا غير مباشر. (ولتحليل (ظ) لغويا إجتماعيا انظر الفصل ٩ أدناه).

وإذا صحت حججنا ذه تمكنا من ربط انحراف السلوك اللغوي للثانويين في هذه الحالة الخاصة بناظمة فرط الإستصواب المواجهة في الفصل السابع أعلاه. وفي حالة (ض) يمكن تسمية سلوكهم على نحو أدق 'بتدني الإستصواب' إشارة لكون إصابتهم وتداولهم للبديلة الفصيحة [ض] أقل من أي فئة أخرى. ويشبه تدني الإستصواب نواظم الطبقة الإجتماعية كلها (كتردكل ١٩٧٤ : ١٠٥) في دلالتها على التغيير الصوتي المتواصل.

وفي الأدبيات أمثلة وافرة عن إحراز فئات المنازل الدنيا علامات أعلى من الفئات العليا. ففي لهجة نورج مثلاً بين ترد كل (١٩٧٤ : ١٠٥) كيف أن الطبقة العاملة العليا والوسطى فاقتا الطبقة العاملة الدنيا في تداول البدائل العامية (أي ازدياد التوسط) للمتغير (eh) في كل الأساليب السياقية. وهذا ما فسره بالإستبداع في نورج، وكان رأس الحربة فيه الأعضاء العلى للطبقة العاملة على الرغم من مشاركة الطبقات الأخرى في ذلك أيضا. وهنالك حالة أخرى للمتغير (يو) إذ لم يكن استعمال الطبقة المتوسطة الدنيا أقل من العاملة العليا فحسب بل كانت متساوية مع العاملة الدنيا، وهذا لم يحدث إلا في

الأسلوب العفوي وحده (انظر تردكل ١٩٧٤ : ١٠٢). ورغم كون التجاوز في الحالة الثانية واضحا جداً فلم يجر ربطه بالتغير الصوتي المتواصل.

والآن إلى دور أ ق ك وأتق.

إن التمايز الإجتماعي في أ ق ك منتظم ولكن الطبيعة الشاذة لهذا الأسلوب ككل تدفعنا لمناقشتة ليس بالإشارة إلى هذه المسألة بل إلى التغير الأسلوبي الذي نتناوله فيما يلي.

ثانيا طبيعة التحول الأسلوبي. يسير تأثير المستمع كما هو متوقع له في أسلوبي المحادثة أ م و أ م ن. أي أن تداول الصيغة المهجرية العامية [ظ] تفضل تفضيلا ساحقا في المبادلات الكلامية بين المهاجرين ذاتهم في حين تطغى الفصيحة و/أو المحلية [ض] في تلك التي تحوي المستمع المحلي. ولكن المنظومة الأسلوبية بأكملها تنقلب عند جميع الفئات الإجتماعية في أ ق ك وأتق حيث تتناقص نسبة السمة الفصيحة [ض] ولا تزداد. ويعني هذا أن أثر المستمع المحلي في ورود الصيغة الفصيحة أو التسبب في التغيير الأسلوبي في هذه الحالة الخاصة إنما هو أكبر من أثر المادة المقروءة واختباراتها التي تقدم عادة لإستنباط السمات الفصيحة.

إن انقلاب منظومات الأساليب أمر شائع جدًا في الأدبيات. ففي لهجة بلفاست وجدت ل. ملروي (١٩٨٠ : ١٠٢) أن الصيغ العامية للمتغير (a) كانت في قائمة الكلمات أعلى منها في المقابلة والأسلوب التلقائي لدى معظم رواتها الـ ١٣ من باليمكارت. كما كان للمتغير (Ook) في لهجة غرب يوركشر (بيتيت ١٩٨٥ : ١٦٩)، كما في كلمتي/ مُون 'قمر' وبلُود 'دم'/، ناظمة أسلوبية مقلوبة تماما حيث كانت الصيغ العامية تزداد باضطراد في أساليب القراءة (المقطع وقائمة

الكلمات والأزواج الصغـرى) في حين أنها كانت مهملة في أسلوبي المحادثة (أي العفوي والحريص). وحصل ذلك عند كافة الطبقات الإجتماعية بلا استثناء.

ترتبط نواظم الأسـاليب المنقلبـة بالتغـير الصـوتي المتـواصل (رومـين ١٩٧٨ : ١٥ ; تشمـبرز وتـردكـل ١٩٨٠ : ٩٥ - ٩٧). ولعل متغيرات الإختلاف الأسلوبي الشاذ ذات رفعة خفائية. وشاهدنا على ذلك/ رْ/ ما بعد العلات في الإنكليزية الإسكتلندية (رومين ١٩٧٨). وبالتحديد وجدت رومين أن الراء المكرورة كانت تزداد ولا تتناقص في أسلوب القراءة عند طلبة مدارس أدنبرة.

وبـالمثـل ينـطوي المتغير (ض) على التغير الصوتي المتواصل بخصـوص ناظمة التنوع الأسلوبي المقلوب. وأما أن [ظ] خفاوية الرفعة فأمر واضح أيضا ونرى ذلك من (١) تكرارها العالي جداً جداً في أ م م، (٢) تفاوت محافظة كل الفئات الإجتماعية عليها في أ م ن، و (٣) كثرة وردانها في أ ق ك و أتق. وهذه الحقائق مما تدعم تفسـيرنـا لنمط تدني استصواب الفئة الثانية العليا أعلاه برفعتها الخفاوية ومدلوليتها على التغيير الصوتي المتواصل.

والآن، بعد استمدادنا الدليل فيما سبق على انغماس (ض) في التغـير الصوتي المتواصل من (١) تدني الإستصواب لدى الفئة الثانوية و (٢) الإختلاف الأسلوبي، نعود إلى استكشاف الفوارق الجيلية لتثبيت ذينك الناظمين.

3.3.8 المتغير (ض) والعمر

1.3.3.8 عرض النتائج ووصفها

يعرض الجدول 13.8 أدناه توزيع (ض) بالعمر والأسلوب.

الجدول 13.8. نسب (ض) بالعمر والأسلوب

	أ م م		أ م ن		أقك/أتق
	[ض]/[ظ]	عدد	[ض]/[ظ]	عدد	[ض]/[ظ]
كبار	٩٩.٧٢ / ٠.٢٨	٣٤٧	٩٨.٩٦ / ١.٠٤	٢٩٠	٧٥.٠٠ / ٢٥.٠٠
شباب	٩٦.٠٦ / ٣.٩٤	٥٨٣	٣١.٤٢ / ٦٨.٥٨	٤٥٥	٤٥.٤٥ / ٥٤.٥٥

يبين الجدول 13.8 بلغان افتراق الكبار والشباب أقصاه في أ م ن إذ يقوم الأواخر باستعمال السمة الفصيحة [ض] أكثر من الأوائل. وفي أ م م يستعمل الجميع السمة العامية [ظ] استعمالا شبه قطعي رغم أن الصغار أقل فعلا لذلك من الكبار. وفي أقك يفضلون [ظ] كلهم. وأما مجاميع أتق فلا تمثل الواقع لأنه لم تستنبط إلا ١١ حالة فقط من ٤ شباب و ٨ غيرها من ٢ كبار.

2.3.3.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

لتوزع (ض) عبر الزمرتين العمريتين نمط متسق في أسلوبي المحادثة. وفي كل حالة يستعمل الشبان الصيغة الفصيحة و/ أو المحلية أكثر من الكبار. وبمقارنة هذا الناظم بعبارة كانتنو (١٩٣٦ : ١٨) القائلة بأن 'الضاد القديمة... مندمجة مع الظاء القديمة اندماجا كاملا في لفظ وحيد هو ظ' يمكن القول بأن هذا مؤشر على التغيير الصوتي المتواصل الذي يلعب الشبان الدور الأكبر فيه. وحصل هذا الموقف نتيجة للتماس اللهجوي بين الفضلية والدمشقية منذ ١٩٦٧ على نحو رئيسي. ولذلك فهذه النتيجة تثبت ناظمتي التغيير الصوتي المتواصل اللتين واجهناهما أعلاه، وهما تدني الإستصواب لدى الثانويين وانقلاب أ ق ك.

وبالنسبة لمدى الإختلاف الأسلوبي بين الزمرتين العمريتين، فهما مفترقتان، وكما اتضح ذلك مرارا في السابق حيث كانت الزمرة الكبيرة، بخلاف الشابة، عاجزة عن التكيف مع المستمعين المحليين كما يظهر من مقارنة علاماتهم في أ م م وأ م ن، ولكنها تمكنت، لحد ما، من التحول للفصحى في أ ق ك وأتق. وبالرغم من تقارب علامات الزمرتين العمريتين في أ ق ك يكون تنوع أساليب الكبار نظاميا بخلاف الصغار الذي يكون مقلوبا.

4.3.8 المتغير (ض) والجنس

1.4.3.8 الثقافة والجنس

1.1.4.3.8 عرض النتائج ووصفها

يظهر الجدول 14.8 أدناه العلامات التكرارية لـ (ض) بالثقافة والجنس والأسلوب.

الجدول 14.8 نسب (ض) بالثقافة والأسلوب والجنس

	أ م م [ض]/ [ظ]	عدد	أ م ن [ض]/ [ظ]	عدد	أقك/ أتق [ض]/ [ظ]
أر	١٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	٥٠	١٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	٣٧	١٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ن	٩٧.٣٠ / ٢.٧٠	٧٤	٧.٢٤ / ٩٢.٧٦	٦٩	٣٣.٣٤ / ٦٦.٦٦
ب ر	٩٨.٥٢ / ١.٤٨	٦٨	٣٠.١٦ / ٦٩.٨٤	٦٣	٨٧.٧٦ / ١٢.٢٤
ن	٩٧.٣٤ / ٢.٦٦	٧٥	١٧.٠٦ / ٨٢.٩٤	٤١	٨٢.٢٢ / ١٧.٧٨
ث ر	٩٨.٧٥ / ١.٢٥	٨٠	٥٩.٧٢ / ٤٠.٢٨	٧٢	٧٧.٧٨ / ٢٢.٢٢
ن	٩١.٣٠ / ٨.٧٠	٢٣	٢٧.٥٨ / ٧٢.٤٢	٢٩	٧١.٤٢ / ٢٨.٥٥

ج ر	٩٣.٢٦/٦.٧٤	١٠٤	٢١.٨٠/٧٨.٢٠	٧٨	٦١.٥٤/٣٨.٤٦
ن	٩٢.٦٦/٧.٣٤	١٠٩	٣.٠٠/٩٧.٠٠	٦٧	١١.٨٦/٨٨.١٤

يبين الجدول 14.8 تباين تداول السمة الفصيحة أو المحلية [ض] بتباين الأسلوب والجنس. وفي كل حالة تقوم النسوان بتداولها أكثر من الرجال.

2.1.4.3.8 مناقشة النتائج وتفسيرها

يشتد وضوح تباين تراصف الجنسين في أ م ن في حين أنه إما أن ينعدم بالمرة في أ م م أو يبهت في أقك نظراً للطبيعة الشاذة للإختلاف الأسلوبي فيهما. ولذلك سنقتصر في مناقشتنا للتميز الإجتماعي على أ م ن وحده.

في تحليلنا للمتغير (ق) بالجنس (في الفصل السابع أعلاه) وجدنا أن النساء كن يملن إلى تقليل فوارقهن الإجتماعية وأحرزن ذلك بانقسامهن في أسلوبي المحادثة إلى مجموعتين كبيرتين، دنيا ووسطى. ومن الناحية الأخرى كان الرجال يزيدون فروقاتهم الإجتماعية ويكبرونها بانقسامهم إلى أربع فئات: فكان الإبتدائيون أقرب إلى الجامعيين في تصرفهم الكلامي بينما كان الثانويون الوحيدين المسؤولين عن فرط الإستصواب. وأخيرا جاء أقصى التمييز بين الجنسين في النهاية الدنيا للممتد الإجتماعي وكان تكيف الأميات مع المستمعين المحليين كاملاً، وأما الأميون فقليل جداً.

وهنا تتكرر هذه الفوراق الجنسية وبحدة أكثر. فلا تمايز بين إناث كافة الفئات الثقافية إذ لا تنفصل الأميات عن الجامعيات إلا بأقل من ٥ % . وأما أن الأميات أعلى علامة على [ض] من الإبتدائيات

والثانويات. فأمر تفيه. وسببه الملابسات المحيطة بموقف المستمع وإشكالياته. فهنالك ابتدائيتان سجلتا وأولادهما في أحضانهما وكانتا تتكلمان معهم بين الفينة والفينة. وهذا مما نشأ عنه انخفاض علاماتهن على [ض]. وأما المرأة الثانوية الوحيدة. فهذا لأنه لم يمض على زواجها أسبوعان بعد عند تسجيلها. ولعل فرحتها بزفافها الجديد وكثافته الوجدانية في الشرق الأوسط خصوصاً أثرت على تغييرها وولائها اللغويين.

وأما الرجال فعلى عكسهن. وينقسمون بجلاء إلى أربع فئات إجتماعية. فهنالك الأميون الذين يحافظون على [ظ] محافظة قطعية إزاء الجامعيين الذين يفوق تداولهم لـ [ض] كافة الفئات في حين تأتي الفئتان المتجاورتان في الوسط: وهنا يكون الإبتدائيون قريبين جدا من الجامعيين. وأما الثانويون فشواذ لكون استعمالهم لـ [ض] أقل من الإبتدائيين. ومما يميز الثانويين أيضا ارتكاز ناظمة تدني لاستصواب عليهم، ومثلها مثل فرط الإستصواب. وهكذا يتأكد ترابط الجنس المذكر مع هذه المنظومات الشاذة وسنعطي المزيد من الأدلة على ذلك في الفصل التاسع أدناه.

وبالنسبة لمدى التغيير الأسلوبي ومجاله فمختلف عند الجنسين. وفيما خلا الأميين فالجنسان كلاهما واعيان للمغزى الإجتماعي للمستغير الرفيع [ض] سيما في اتصالاتهم مع المحليين. وفي كل حالة يكون مقدار التكيف مع هؤلاء عند النساء أكبر من الرجال. ويتضح لنا من الجدول 1.4.8 أيضا أن تكيف الأميات أكبر من الجامعيين الذكران. وأخيراً بالرغم من انعكاس علامات الأناثي والذكران في آ ق ك وأتق بشأن استعمال الصيغة الفصيحة [ض] فإن النساء هن اللائي يستصوبن أكثر من الرجال في كل حالة، ورائداتهن في العملية

ته الجامعيات.

وفي نهاية هذا القسم يجدر بنا مقارنة نتائجنا مع نتائج شراب (١٩٨١) عن الـرواة الفلسـطينيين التي خلص فيهـا إلى القول (١٩٨١ : ١٧٢) بوردان السمة اللافصيحة [ظ] وردانا شبه قطعي في الكـلامين العفوي والحريص دون أية فوارق بين الرجال والنساء. وهذا مما يتناقض مع بحثنا هذا إذن حيث للمرأة فيه دور كبير بريادتها عموما لمسيرة الإستفصاح الناشئة عن أثر اللهجة المحلية الدمشقية.

2.4.3.8 الجنس والزمرة الكبيرة

1.2.4.3.8 عرض النتائج ووصفها

في الجـدول 15.8 أدناه تعطى العلامات المئوية للضاد بالأسلوب والجنس عند الزمرة الكبيرة.

الجدول 15.8. نسب (ض) بالأسلوب والجنس عند الزمرة الكبيرة

	أ م م [ض]/[ظ]	عدد	أ م ن [ض]/[ظ]	عدد	أقك [ض]/[ظ]	أتق [ض]/[ظ]
ر	٠.٤٦ / ٩٩.٥٤	٢٢٠	١.٦٨ / ٩٨.٣٢	١٧٨	٣٣.٣٤ / ٦٦.٦٦	٠٠.٠٠ / ١٠٠.٠٠
ن	٠٠.٠٠ / ١٠٠.٠٠	١٢٧	٠٠.٠٠ / ١٠٠.٠٠	١١٢	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	٦٦.٦٦ / ٣٣.٣٤

يبين الجدول 15.8 انتفاء التفريق بين الكبار والكبيرات بتاتا. وأما العـلامـة العليا للنساء على [ض] في أ ق ك فلا تمثل شيئا لأنه لم يستنبط إلا ٨ كلمات في الأسلوب كله، كانت ٣ منها لإحداهن و ٥ لرجلين. وهكذا فجميع هذه النتائج نظامية وتتطابق مع المنظومة التي حصلنا عليها سابقا في هذا الخصوص. ولهذا فلن نزيدها مناقشة هنا.

5.3.8 المتغير (ض) والمنطقة

1.5.3.8 عرض النتائج ووصفها

يعرض الجدول 16.8 أدناه العلامات التكرارية لـ (ض) بالمنطقة والأسلوب.

الجدول 16.8. نسب (ض) بالمنطقة والأسلوب

	أ م م		أ م ن		أقك	أتق
	[ض]/[ظ]	عدد	[ض]/[ظ]	عدد	[ض]/[ظ]	[ض]/[ظ]
مدينة	٩٣.٨٦ / ٦.١٤	١٧٩	٢٥.٠٠ / ٧٥.٠٠	١٣٦	٥٦.٨٢ / ٤٣.١٨	٠٠.٠٠ / ١٠٠.٠٠
ريف	٩٦.٧٨ / ٣.٢٢	٤٠٤	٣٢.٢٨ / ٦٧.٧٢	٣١٩	٦٤.٧٢ / ٣٥.٢٨	٦٢.٥٠ / ٣٧.٥٠

يبين الجدول 16.8 أن تداول مهاجري المدينة لـ [ض] أكثر من الريفيين في الأساليب الثلاثة الأولى ولكن الفروقات المنطقية هذه كيفية برغم ذلك ولا تتجاوز ٨ % في أقصاها. وأما علامات أتق فلا تمثل الحالة المدنية في شيء لأنها مبنية على ٣ كلمات فقط من رواية وحيد.

6.3.8 الملخص

يمكن ايجاز البنود الرئيسية المتمخضة عن التحليل اللغوي الإجتماعي للضاد بما يلي.

١. الثقافة والتمايز الإجتماعي. لم تتميز الفئات الإجتماعية عن بعضها بعضا إلا في أسلوب واحد، وهو أ م ن. وكانت الفروقات في أ ق ك وأتق تفيهة نظراً للطبيعة الشاذة للأسلوبين ككل. وعلى العموم فالمنظومة الإجتماعية متساوقة:

فكلما ارتفع المقام الإجتماعي علا تكرار الصيغة الرفيعة [ض]. ولم ينحرف عن هذا الناظم إلا الفئة الثانية العليا التي كانت أقل الفئات تداولا لـ [ض]. وهذا الإنحراف أطلقنا عليه اسم تدني الإستصواب الذي فسرناه تفسيرنا لفرط الإستصواب، أي أنه دالة على التغيير الصوتي المتواصل.

٢. الزمن الظاهر والزمن الحقيقي. دل تزايد استعمال الشبان لـ [ض] في أسلوبي المحادثة بالمقارنة مع الكبار وانعدامها من السجل التاريخي للفضلية قبل رحيلها القسري على التغيير الصوتي المتواصل.

٣. الجنس. كان ارتصاف الجنسين في أ م ن متفاوتا. فأما النسوة فلم يظهر أي تمييز اجتماعي بينهن: أي لا يمكننا بالاستخدام اللغوي وحده معرفة المرأة الأمية مثلا من الجامعية. وأما الرجال فكان التراصف الإجتماعي ظاهرا بينهم من خلال انشقاتهم إلى أربع فئات اجتماعية علما أن الإبتدائيين اقتربوا من الجامعين في سلوكهم الكلامي جداً. وفيما يخص ظاهرة تدني الإستصواب، فوجدناها تتمركز على الذكران، ومثلها في ذلك مثل فرط الإستصواب. وأخيراً وجدنا النسوان يتداولن الصيغة الفصيحة [ض] أكثر من الرجال. وهكذا فهن القائمات بريادة التغيير اللغوي (وأما الكبار والكبيرات فكانوا سواسية في هذا الأمر).

٤. التحول الأسلوبي. وفيه كان تأثير المستمع بارزا حيث كان استعمال السمة العامية [ظ] شبه قطعي لدى المهاجرين جميعا، صغارا وكبارا، في المبادلات الدائرة بين المهاجرين أنفسهم. وفي مبادلاتهم مع المحليين ظل الكبار والشبان الأميون

يرغبــون بها في حين كان الآخرون كلهم راغبين بالفصيحة [ض]، ولا سيما النساء. وأما أ ق ك وأتق فكانا منقلبين عند كافة الفئات الثقافية، وكان شرحنا لذلك إشارة على التغيير الصوتي المتواصل.

ه. المنطقة. وهذه كانت ضئيلة على العموم.

4.8 الخلاصة العامة

كانت المتغيرات العامية الثلاثة في المهجرية التي ناقشناها في هذا الفصـل – وهي (ك)، والعـلامـة الصرفية (–ك)، و (ض) – تتفاوت في نواظم التمايز الإجتماعي والتنوع الأسلوبي لها. ويمكن تلخيص ذلك بايجاز كما يلي.

وجـدنا المتغير (ك) في مراحل الإستفصاح الأخيرة، سيما عند الفئات الثقافية و/أو الشبان. وهكذا كان يقتصر على إظهار التنوع الأسلوبي دون الإختـلاف الإجتـماعي. وأمـا (–ك) فكانت حالة متطرفة من حالات الإختلاف الأسلوبي: أي فرط الأسلوب. وكانت الفـوراق الإجتـماعية الـوحيدة بين الشباب والكبـار حيث كان الأوائـل قادرين على التكيف مع المستمعين المحليين في حين عجز الكبار عنه. وهكذا تتشابه (ك) و (–ك).

وبالنسبة للمتغير (ض)، فكان معقداً نظراً إلى طبيعته الصوتية الإنـدمـاجية ونـواظمـه الإجتماعية والأسلوبية. ولم يستبن التمايز الإجتـماعي بين الفئات الثقافية إلا في أ م ن. ولاحظنا نمط تدني الاستصـواب عنـد الفئة الثانية العليا. وكانت النساء لم تشارك في التمييز الإجتـماعي ولكنهن كن على رأس التغيير اللغوي. وكانت منظومة الإختلاف الأسلوبي في أ ق ك وأتق منقلبة إذ تناقصت فيها

نسبـة الصيغـة الفصيحـة [ض] ولم تزدد. وهـذا مما يودي بنـا إلى الإستنتاج بفوق اللهجة العامية المحلية للفصحى في أثرها في نواظم كلام المهاجرين.

وفي الفصل التاسع نتناول أربعة متغيرات لغوية أخرى، ولجميعها أصل فصيح في الكلام المهجري. وبالرغم من ذلك فهي تمر في عملية انتزاع فصاحتها بتأثير الدمشقية.

الفصل التاسع
الاستصواب والاستغلاط

0.9 استهلال

في هذا الفصل نقوم بفحص أربعة متغيرات صوتية، وهي (ج)، و (ث)، و (ذ)، و (ظ). ولكلها تحقيقات صوتية فصيحة صائبة في الجولانية كما في الفصحى ولكن ألفاظها لاصائبة ولافصيحة في الدمشقية. ومن هنا جاءت التسمية. وبالتحديد نود فحص مدى تأثير العامية المحلية الدمشقية في انتزاع فصاحة اللهجة المهجرية الجولانية الفضيلة.

ففيما مضى عنيت معظم الأبحاث اللغوية الإجتماعية (كلابوف ١٩٦٦، ١٩٧٢ (١)؛ تردكْل ١٩٧٤ ؛ مكولي ١٩٧٧ ؛ ملروي ١٩٨٠ ؛ بتيت ١٩٨٥ ؛ الخ) بدراسة الإستفصاح والإستصواب للمتغيرات العامية اللارفيعة. وكانت كافة الأبحاث اللغوية الإجتماعية العربية من هذا الضرب بلا استثناء. وأما عملية نزع الإستفصاح التي تتأثر بها المتغيرات الفصيحة والصائبة، فلم تتناولها إلا القلة القليلة جداً من الأبحاث، وإحداها دراسة كرزويل (١٩٨٥) للهجة برغن بالنرويج واكتساب مهاجري القرى

الـراشدين لها. ومن بين متغيراتها الثلاثة المدروسة كان المتغير المسمى بـ (انخفاض العلة الوسطى) يمر في حالة نزع فصاحته وإصابته منه تحت تأثير لهجة برغن.

1.9 المتغير (ج)

1.1.9 تقدمة

لم ينـدرس المتغـير (ج) فيما سبق إلا في ثلاث دراسات لغوية اجتماعية عربية، وهي الفلسـطينية (شـراب ١٩٨١)، والبحـارنـة (هـولـز ١٩٨٠ ، ١٨٩١ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧)، والـقـطرية (العمادهي ١٩٨٥). وكان المتغير هذا في أوصاف جميع الأبحاث له يمر في مرحلة استفصاحه. وهاكم تلخيصا لهذه الدراسات.

كان تحليل شراب كيفيا حيث أشار إلى إن المستغير الفصيح [ج] في اللهجـة الفلسطينية المدنية إنما يلفظ دوما [چ]، وهذا هو المستغير العامي، في أسلوبي المحادثة في حين تتخالف [ج] و [چ] في أساليب القراءة في اللهجتين الفلسطينيتين الباقيتين-البدوية والفلاحية. ولفظ [ج] عند الناطقين بهما جازم. وينشأ سبب هذا السلوك الكلامي عن احتفاظ اللهجتين الأخيرتين بالصوت/ج/ سليما واستبدال الأولى له ب [چ] (انظر شراب ١٩٨١ : ١٣٥ - ١٣٧).

وفي البحرانية تقسم/ج/ المجتمع إلى سنة-وهم الطبقة الحاكمة سياسيا- وشيعة، وهم المحكومون. ولفظ/ج/ مطعون عند الأوائل وينطق [ي] ولكنه فصيح عند الأواخر وينطق [ج]. وأظهرت نتائج هولز (١٩٨٣ : ٤٤٥ ، ٤٤٨) المحافظة الجازمة على [ج] لدى الأميين من الشيعة بحضرهم وريفهم وأما المتعلمون المدينون منهم فتداولوا [ي] بنسبة ١٨ % وتشابه الريفيون مع الأميين في قطعية استخدامهم

لـ [ج]. وبـالنسبـة للسنـة فكـان تكـرار [ى] عاليا جداً في كلامهم إذ استعملها المتعلمون منهم بنسبة ٨٨ % والأميون ٩٦ % .

وأخـيراً القطرية. وللجيم فيها ثلاث بدائل صوتية، وهي [ج]، [چ]، و [ي]. فالأولى فصيحة والأخيرة مطعونة والوسطى محايدة أو بين بين. ووجدت/ج/ منغمسة في الإختلاف الإجتماعي والأسلوبي. فمـثـلاً أظـهـرت نتـائـجـه بالـثـقـافـة والأسـلوب (العـمادهي ١٩٨٥ : ٣٣٧ - ٣٣٨) انعـدام الـرغبـة بتداول البديلة الفصيحة [ج] لدى الفئات الثقافية الثلاث في الأسلوب اللارسمي ولكنها كانت مفضلة في الأسلوب الرسمي بنسبة ٦٦ % عند الجامعيين و ٥٨ % عنـد الثـانويين و ٥٣ % عند الإبتدائيين. ولم يتجاوز مقدار الفرق بين طرفي السلم التعليمي ١٥ % في الأسلوب اللارسمي و ١٣ % في الرسمي–-وهذا فرق ضيق حقا.

2.1.9 هذه الدراسة

1.2.1.9 المتغير (ج) والثقافة

1.1.2.1.9 عرض النتائج ووصفها

في الجدول 1.9. أدناه نعرض العلامات التكرارية لـ (ج) بالثقافة والأسلوب.

الجدول 1.9. نسب (ج) بالثقافة والأسلوب.

	أ م م [ج]/[چ]	عدد	أ م ن [ج]/[چ]	عدد	أقك/أتق [ج]/[چ]
أ	١٠.٢٢ / ٨٩.٧٨	٣٥٢	٤٧, ١٤ / ٥٢.٨٦	٢٩٧	٢٠.٠٠ / ٨٠.٠٠
ب	١٤.٨٤ / ٨٥.١٦	٣٥٧	٣٤.٢٨ / ٦٥.٧٢	٣١٥	١٠.١٦ / ٨٩.٨٤
ث	٢٢.٧٤ / ٧٧.٢٦	٢١١	٣٨.٠٦ / ٦١.٩٤	٢٢٦	٩.٥٠ / ٩٠.٥٠
ج	٤١.٥٤ / ٥٨.٤٦	٥٩٧	٧٣.٣٤ / ٢٦.٦٦	٣٤٥	٣٩.١٨ / ٦٠.٨٢

يبين الجدول 1.9 تباين تكرار الصيغة المحلية المغلوطة [چ] بتباين الفئة الإجتماعية ولأسلوب. ففي أ م م تفضل جميع الفئات الصيغة الفصيحة و/أو المهجرية [ج] علما أن أقل الفئات استعمالا لها هي العليا. ولكن نسبة الصيغة المحلية تزداد في أ م ن عند كل الفئات رغم أنه لا يفضلها إلا الفئة العليا. ويمكن أن نلاحظ أيضا أن نقاط الفئتين المتوسطتين على [چ] أقل من الفئة الدنيا، وهو خلاف ما ينبغي لها. وأخيرًا أقك وفيه ترتفع نقاط [ج] ثانية. كما يمكن ملاحظة مفاجأة الفئة العليا لنا بتدا ولها للسمة الفصيحة [ج] أقل الفئات. وأما علامات أتق فلا تمثل شيئا لأنها لاتستند إلا على ه كلمات.

2.2.1.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

في الجدول 1.9 دليل واضح على التميز الإجتماعي ولكنه غير متسق لأن الفئات الثقافية قامت بتغيير منازلها الإجتماعية على السلم التعليمي من أسلوب لآخر. ويمكننا الإطمئنان إلى القول بانقسام الموصول الإجتماعي في أ م م وأ ق ك وأتق إلى الجامعيين من طرف وجميع الفئات الباقية من الطرف الآخر. ويكون الإنقسام أوضحه في أ م م بين الأميين والجامعيين.

ويكثر الإختلاف الإجتماعي بين الفئات الثقافية في أ م ن حيث تنقسم عموما إلى ثلاث. وأوضح الفصل هو ما بين الجامعيين والأميين. وبالنسبة للفئتين المتجاورتين، فلا تتساوى علاماتهما فحسب بل أن تكيفهما مع المستمعين المحليين هو أقل من الفئة الدنيا بقليل. ولعل ناظم التجاوز لدى الفئة الدنيا هذه بتعديها قيم [ج] للفئتين المتوسطتين - أي في تكيفهم مع مستمعيهم المحليين - يرتبط بالتغيير الصوتي المتواصل. والأدبيات ملأى بالحالات الكثيرة التي تحتوي على

أنـماط شاذة للتراصف الاجتماعي كانت الطبقة العاملة تنغمس فيها. ففي لهجـة نورج وجـد تردكـل (١٩٧٤ : ١٠٤ - ١١٢) بعض المتغـيرات التي تخطت فيهـا الـطبقـة العاملة الدنيا قيم الطبقتين العاملتين الوسطى والعليا.

ولكن أشيق ما في أ م ن هو ليس سلوك الفئة الدنيا للأميين بل الفئة الثـانية العليا للثـانـويين. وسبق أن شاهـدنـا حالَتـين من انحـراف الثانويين عن الآخرين في تكيفهم الكلامي مع المستمعين المحليين: احـداهمـا تدعى فرط الإستصـواب كما في حال (ق) (2.2.2.7) والأخرى تدني الإستصواب على (ض) (2.2.3.8). والعمليتان كلتاهما مشتركتان في شيء واحد : وهو الانحراف عن المستمعين المحليين وقلة استعمال الصيغ العامة المحلية أو الدمشقية. وينسجم سلوكهم الكلامي على (ج) مع العملية عينها رغم اختلاف نوعه عنها. وهذا السلوك الشاذ لهم على (ج) يمكن تسميته بتدني الإستغلاط. والمقصود بذلك هو أنه مع العلم أن الفئة الثانوية تشترك في مسيرة التغيير اللغوي بتبنيها للصيغة المحلية الدارجة المغلوطة [ج] كما يتبين من علاماتها في أ م م وأمن، فهي أقل من يستخدم ذلك. أي أن تداولها للصيغة المحلية الخاطئة أقل من الفئات الأخرى بدرجة ملموسة. ومما يثبت هذه المقولة مقارنة التحول الأسلوبي الذين حصلت عليه الفئة الثانوية في أ م م وأم ن بالجدول 1.9 أعلاه إذ لم يتحولوا نحو مستمعيهم المحليين إلا بمقدار ١٥ % في حين تعدت جميع الفئات الأخرى هذه النسبة.

كما تتـأكـد منظومة تدني الإستغلاط عند الثانويين في أقك. وهنا يتجاوزون الفئة العليا في تداولهم للسمة الفصحى [ج].وتلك حالة واضحة من حالات فرط الإستصواب. والواقع أن أقل العلامات في هذا الأسلوب إنما هي للجامعيين. ويشير الناظم الشاذ للفئات الإجتماعية في أ ق ك إلى

التغيير الصوتي المتواصل. وتكون الفئة العليا رأس الحربـة في تبني المعيار اللغوي المحلي، وأما الفئة الثانية العليا ففي المحافظة على المعيار الفصيح و/أو المهجري.

ويعني تداول الصيغة الدارجة المحلية [ج] البالغ أقصاه لدى الفئة العليا ووردانها في أسلوبي القراءة أنها رفيعة بالمخفي. كما أن الفئة الجامعية المحلية ذاتها استخدمتها استخداما شبه قطعي (٩٦.٥٠ %).

وأورد كرزول (١٩٨٥ : ١٥٢) حالـة مشـابهة من دراسته عن اكتساب مهاجري القرى للهجة برغن بالنروج. وعلى نحو أدق وجد أن استعمال المتغير المسمى (بهبوط العلة الوسطى) كان تكراره يعلو بارتفاع المرتبة المهنية للمهاجرين رغم استطعانه في برغن.

والآن نأتي إلى التحول الأسلوبي حيث يتبين لنا من الجدول 1.9 أن للمستمـع أثـراً ملمـوسـاً. ففي المبـادلات اللغوية الدائرة بين المهـاجـرين ذاتهم تفضـل السمـة الأصلية الفصيحة [ج] إلا أنها تتنـاقص في كلامهم تناقصا ملحوظا حينما يتكلمون مع أبناء البلد المحليين، وقد تكون مستكرهة كما الحال مع الفئة العليا خصوصاً. ومما يظهـر من الجـدول 1.9 أيضـا عدم ورود أعـلى التكرارات للبديلة الفصيحة و/أو المهجرية في أسلوبي القراءة. فمعظم الرواة متشابهون في نقاطهم في أ ق ك وأتق. وسبق لنا أن رأينا في الفصل الثامن نمطا أسلوبيا مقلوبا للضاد.

وإذا قارنا بين المتغير (ج) و(ق) (7.2.2) والعلامة الصرفية (-ك) (2.2.2.8) و(ض) (2.3.8) وجدنا عدة مفارقات شيقة جداً من حيث تقاطعها مع الثقافة. ففي أسلوبي المحادثة كان تكرار الصيغ المحلية

والمهجـرية لكـافـة المتغيرات تابعا للأسلوب إذ لم يرد المستغيران المحليان [ء] و [-ك] في أ م م أبدا بخلاف [ض] التي وردت فعلا ولكنها لم تزد عن ٨ % في أقصاها. وأما أ م ن فعكسه، وكان فيه تحول هائـل نحو هذه المستغيرات رغم تفاوتها في ذلك. وبالنسبة للبديلة المحلية [چ] فهي ذات سلوك مختلف نوعاً ما علماً أن هنالك تشابهات عديدة أيضـا. فيتبـين من الجدول 1.9 أنها كانت ترد وروداً لا بأس به في أ م ن، سيما عند الفئة العليا. كما أن نسبة التحول من أ م م إلى أ م ن لم تتجاوز ٣٨ % في حال الفئة الأمية، وهي أكثر الفئات تحولا. وهذه النسبة واطية جداً نسبيا بالمقارنة مع ما مقداره ١٠٠ % من التحول في حال العلامة الصرفية (-ك) والمقادير العالية للتحول الأسلوبي على [ء] و [ض].

وأمـا شرح ذلـك فبسيط جداً. أولا يرمز الحفاظ على السمات الخـاطئة المهجرية كـ [ڬ] و [-تش] و [ظ] وورودها بتكرارات عالية في المحـادثـات المحصورة بين المهاجرين إلى الولاء اللغوي والإنتساب إلى الجماعة والهوية المهجرية. وما ذلك إلا لأن السمات المهجرية المغلوطة إنما هي الخصائص المميزة للكلام المهجري والهوية المهجرية. ويشير استبدالها بالسمات المحلية كـ [ء] و [-ك] و[ض] لكـل منهـا إشـارة بينـة على غربـة المتحـدثين أو أنهم ليسوا من المهـاجـرين. وأما تداول السمات الفصيحة المهجرية مثل [ج] أو استبدالها بالسمات المحلية الغلط مثل [چ] في هذه الحالة فلا يمثل الهوية المهجرية، الخ. ولعل السبب يعود إلى إشتهار هذه اللهجات عادة بسماتها اللافصيحة والمغلوطة والتي تكون عادة محطاً للإنتقاد والضحـك والهـزء. وهـذا هو بالضبط وضع لهجات مدينة نيويورك (لابـوف ١٩٧٢ (١))، ونـورج (تـردكـل ١٩٧٤)، وغـلاسكـو

(مكولي ١٩٧٧)، الخ. وتتعرف جميع هذه اللهجات بمقدار انحرافها عن الفصحى وليس بتلاقيها معها.

وثانيا يعود القدر الضئيل للتحول الأسلوبي بين أ م م وأ م ن في حالـة (ج) إلى قلة الضغـط الملمـوس على المهاجرين كيما يقوموا بتعديل كلامهم في اتجاه العامية المحلية لأن [ج] لا زالت صيغة رفيعة من صيغ كلامهم المهجري. فالمسؤول عن التحول الأسلوبي الهائل في أ م ن إذن هو المنزلة اللارفيعة للبديلات المهجرية الأخرى، وهي [−ك]، و[ظ]، و[ڭ].

وفي ضوء هذا التعليل تنجلي حقيقة استخدام المهاجرين للبديلة المحلية [چ] في كافة أساليب كلامهم رغم تباين ذلك عندهم. ومن المتغيرات المتبقية والمتناولة في الجزء التالي من هذا الفصل اثنان تظهر لهما أنماط شبيهة بالمتغير (ج).

3.1.9 المتغير (ج) والعمر

1.3.1.9 عرض النتائج ووصفها

يعرض الجدول 2.9 أدناه نسب تكرار (ج) بالعمر والأسلوب.

الجدول 2.9. نسب (ج) بالعمر والأسلوب.

	أ م م [ج]/[چ]	عدد	أ م ن [ج]/[چ]	- عدد	أقك [ج]/[چ]	أتق [ج]/[چ]
كبار	١.٢٢ / ٩٨.٧٨	٧٠٣	٣.١٤ / ٩٦.٨٦	٦٠٠	٦.٢٤ / ٩٣.٧٦	٠٠.٠٠ / ١٠٠.٠٠
شباب	٢٥.٣٨ / ٧٤.٦٢	١٥١٧	٤٩.٥٤ / ٥٠.٤٦	١١٨١	٢٢.٢٨ / ٧٧.٧٢	٢٠.٠٠ / ٨٠.٠٠

يبين الجدول 2.9 انفصال الزمرتين العمريتين عن بعضهما بوضوح في جميع المستويات الأسلوبية. ففي كل أسلوب يقل تداول الشبان

للسمة المهجرية الأصلية [ج] عن الكبار الذين يكون تداولهم لها شبه قطعي. وأما علامات أتق فلا تمثل شَيئاً لأنها غير مبنية إلا على ٤ كلمات للكبار و ٥ للشباب.

2.1.3.1.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

يستدل من الإستخدام المتزايد للبديلة العامية المحلية [چ] عند الشبان مقارنة مع الكبار على التغيير الصوتي المتواصل. ومما يؤيد هذا التفسير الدليل التاريخي. ففي الفضيلة قبل هجرتها لاحظ كانتنو (١٩٣٦ : ٢٤) إحتفاظها بـ [ج] سليمة كما هي في الفصحى ولم يذكر [چ] إطلاقا. ولهذا يمكننا الركون إلى القول بأن البداية الفعلية لدخول [چ] في اللهجة المهجرية كانت عام ١٩٦٧ بعد طرد المهاجرين من مرتفعات الجولان واستيطانهم في المناطق الجديدة بدمشق.

كما تختلف الـزمـرتـان العمـريتان في مجال أساليبها وتراوحها. فللكبار أسلوب أحادي بينما الصغار فلهم اثنان. أي أن الآخرين قادرون على الـتكيف بمختلف الــطرق مع المستمعــين المحليين والمهجريين من خلال تباين استخدامهم لـ [چ] و [ج]؛ وأما الكبار فلا.

وفي تحليلنا لبعض المتغيرات السابقة ك (ق) في الفصل السابع و(ك) في الثـامن، وجدنا الكبار قادرين على التمكن من أسلوبين، أحدهما مهجري كما في أ م م والآخر فصيح كما في أقك وأتق في حين كان الشبان متمكنين من كل الأساليب.الكلامية- أ م م وأ م ن وأقك وأتق. وأما تدني المجال الأسلوبي عند الكبار إلى أسلوب وحيد في حالـة المتغير (ج) فناجم عن كون هذا المتغير فصيحاً في كلامهم أصــلاً، ولهــذا كانـوا يحتفـظون به دومـا. ولكن الفـرق الأسـاسي بين

الشباب والكبار هو عجز الآخرين عن اكتساب الكلام الدمشقي المحلي وعاداته. وكانت هذه الحقيقة اللغوية الإجتماعية تتكرر في كل حالة من الحالات التي واجهتنا فيما مضى.

وأخيراً بالنسبة إلى كون المستغير الفصيح [ج] أعلى تكراراً في كلام الكبار في أقك مقارنة مع الشباب، فهذا غير مهم. وفي الواقع لا الكبار ولا الشباب قاموا بالتحول نحو النهاية الفصحى للموصول اللغوي. وكانوا جميعا يحتفظون عموماً بعلاماتهم على [ج] في أقك كما هي في أ م م.

4.1.9 المتغير (ج) والجنس

1.4.1.9 الثقافة والجنس

1.1.4.1.9 عرض النتائج ووصفها

في الجدول 3.9 الجدول أدناه تعطى العلامات المئوية لـ (ج) بالثقافة والجنس والأسلوب.

الجدول 3.9. نسب (ج) بالثقافة والجنس والأسلوب

	أ م م [ج]/[چ]	عدد	أ م ن [ج]/[چ]	عدد	أقك/أتق [ج]/[چ]
أر	٠٠.٧٦/٩٩.٢٤	١٣٣	٣.٢٨/٩٦.٧٢	١٢٢	٠٠.٠٠/١٠٠.٠٠
ن	١٦.٠٠/٨٤.٠٠	٢١٩	٧٧.٧٢/٢٢.٢٨	١٧٥	٢٥.٠٠/٧٥.٠٠
ب ر	٨.٢٨/٩١.٧٢	١٥٧	٢١.٠٠/٧٩.٠٠	١٨٦	٠٠.٠٠/١٠٠.٠٠
ن	٢٠.٠٠/٨٠.٠٠	٢٠٠	٥٣.٥٠/٤٦.٥٠	١٢٩	٢٠.٠٠/٨٠.٠٠

ث ر	١٦.٢٦ / ٨٣.٧٤	١٦٥	١٩.٥٠ / ٨٠.٥٠	١٦٤	٩.٣٨ / ٩٠.٦٢
ن	٤٥.٦٦ / ٥٤.٣٤	٤٦	٨٧.١٠ / ١٢.٩٠	٦٢	١٠.٠٠ / ٩٠.٠٠
ج ر	٣٨.٨٦ / ٦١.١٤	٣٣٢	٥٧.٦٦ / ٤٢.٣٤	١٦٣	٢٥.٦٤ / ٧٤.٣٦
ن	٤٩.٩٠ / ٥٥.١٠	٢٦٥	٨٧.٣٠ / ١٢.٧٠	١٨١	٥٤.٢٨ / ٤٥.٧٢

يتضح من الجدول 3.9 بجلاء سلوك الجنسين مسلكين مختلفين فيما يتعلق بتبني الصيغة المحلية الخاطئة [چ] وتحولهم إليها. ففي أ م م يتداول الرجال الصيغة المهجرية الفصيحة [ج] تداولا أكثر من النساء بالرغم من تفضيلهم إياها جميعاً. ولكن النسوة يستحببن [چ] استحبابا ساحقا في أ م ن بينما لا يفعل الرجال ذلك فيما خلا أهل الفئة العليا منهم. وأخير أقك وأتق، وهنا يفضل الرجال والنساء مهما كانت فئاتهم الثقافية [ج] كما أن النساء يفاجئننا تماما بأنهن أقل استعمالا لها من الرجال. (ولا تمثل علامات أتق شيئا لأنها لا تقوم إلا على كلمة واحدة لأحد الذكور و ٤ كلمات للإناث.)

2.1.4.1.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

سبق أن رأينا في تحليلنا اللغوي الإجتماعي، ولا سيما للمتغيرين (ق) و(ض) من الفصلين السابع والثامن أعلاه تباين نواظم التراصف الإجتماعي عند الجنسين. ففي حالة القاف كانت النسوة يحتفظن بانقسامهن اجتماعياً إلى مجموعتين – دنيا ووسطى – في أسلوبي المحادثة أ م م وأ م ن. وعلى (ض) لم يكن عملياً منقسمات إجتماعياً في ذينك الأسلوبين أيضا إذا ما طرحنا الإستثناءات جانبا. وأما الرجال فوجدناهم في كلتا الحالتين هاتين يكبرون فوارقهم الإجتماعية، ولا سيما في أ م ن إذ تمكنا من تمييز أربع أو ثلاث فئات. كما وجدنا أيضا

قيام النسوة في كل حالة بتبني البديلات اللغوية لمستمعيهن المحليين وتكيفهن نحوها أكثر من الرجال.

وعلى هذا المتغير تعمل هذه المبادىء عملها أيضا على العموم. فيظهر من الجدول 3.9 بجلاء اختلاف الجنسين في تراصفهما. ويتبين كذلك ميل النساء إلى تضييق التمييز الإجتماعي لديهن بوضوح، وذلك بمقارنة نقاطهن في أ م م وأ م ن. ففي الأول ينقسمن إلى مجموعتين كبيرتين: الأميات والإبتدائيات من ناحية والثانويات والجامعيات من الناحية الأخرى. وتبلغ الفجوة الفاصلة بينهما ٣٠ % ولا توجد أية فروقات ضمن كل مجموعة. وتنزل هذه الفجوة في أ م ن من ٣٠ % إلى ١٠ % كما الحال بين الأميات من طرف والثانويات والجامعيات من الطرف الآخر؛ وأما أن الإبتدائيات أقل نقاطا من الأميات فمسألة لا تذكر وتعود إلى هوية المستمع وقيوده المذكورة أعلاه (3.8).

وبالمقابل فالرجال مختلفون عنهن اختلافا حادا. فهم ينقسمون في أ م م إلى أربع فئات وفي أ م ن إلى ثلاث. وفوق ذلك ينفصل الجامعيون في الأسلوبين كليهما عن الفئات الباقية التي تتقارب نقاطها فيما بينها. ففي أ م ن يتماثل استخدام الثانويين والإبتدائيين للصيغة الشامية [چ].

وبالنسبة للتحول الأسلوبي، فالجنسان متميزان بوضوح أيضا. والذي يبدو لنا أن أثر المستمع المحلي مبني على الجنس كما يتبين من مقارنة علامات الرجال والنساء في أ م م وأ م ن بالجدول 3.9 أعلاه حيث أن الأخيرات مهما كانت فئاتهن الثقافية قمن بزيادة تداولهن للصيغة المحلية [چ] في الأسلوب الثاني على نحو ملموس. وكانت النساء أكثر تحولاً نحو المستمعين المحليين الأميات منهن (٦٢ %).

وأما الرجال، فلم يظهروا، باستثناء الجامعيين منهم، أية دلالات على التكيف مع المستمعين المحليين. وكان ذلك قليلاً جداً ولم يتعد ٢٠ % إزاء ٤٣ % عند الجامعيات.

والآن نأتي إلى السلوك الكلامي لذكران الفئة الثانية العليا - الثانوية. وهو سلوك شيق. فقد وجدناهم في حالتين سابقتين، وهما المتغير (ق) و (ضـ)، يفرطون في استصوابهم ويتدنون فيه لكل منهما. أي أنهم كانوا ينحرفون عن المعايير الكلامية المحلية لمستمعيهم. ويعطي المتغير (ج) المزيد من التوكيد لمنظومتي فرط الإستصواب وتدنيه لدى الفئة الثانوية. فكلها مرتكزة على الذكور. وفي الواقع تقوم منظومة تدني الإستغلاط للفئة الثانوية المشار إليها سابقا (2.1.9) على الذكور. ففي الجدول 3.9 أعلاه يتبين عدم مشاركتهم في تعديل كلامهم مع مستمعيهم المحليين ومحافظتهم على [چ] بالعلامات ذاتها في أ م م وأ م ن.

ولذلك فإن النساء بجلاء هن طليعة التغيير اللغوي في هذه الحالة الخاصة. وهذا التغيير يسير باتجاه اللهجة المحلية الدمشقية. وتقف على رأس هذا التغير اللغوي النساء العلياوات اللاتي يبدو التزامهن بهذا الدور الطليعي في أ ق ك خصوصاً. ولا يتضمن كونهن أقل الناس تداولا للصيغة الفصيحة [ج] أنهن أقل حساسية من غيرهن بالمعايير الرفيعة. فسبق لنا أن رأينا في حالة (ض) كيف فاقت أعلى النساء منزلة الآخرين جميعاً في تفضيلهن للصيغة الرفيعة [ض] في أ ق ك ولم يفضلها غيرهن أحد. وفي الحقيقة إن ارتباط الصيغة العامية المحلية [چ] بالفئة العليا عموماً والنساء خصوصاً إضافة إلى ورودها في أ ق ك مؤشر مبين على رفعتها الخفاوية. ويستدل من انقلاب ناظمة الجنس في أ ق ك وأتق أيضا على التغيير الصوتي المتواصل عموماً

حيث تبتعد النسوة عن سمتهن المهجرية الفصيحة [ج] ونحو البديلة المحلية المغلوطة والرفيعة بالمخفي [چ] ابتعادا أسرع وأعظم وأكثر من الرجال الذين يتخلفون عنهن بعامة. (قارن تردكل ١٩٧٤: ١٠٨ - ١٠٩؛ ١٩٨٦: ٤٢ - ٤٣.)

2.4.1.9 الجنس والزمرة الكبيرة

1.2.4.1.9 عرض النتائج ووصفها

في الجدول 4.9 نعرض توزيع (ج) بالجنس والأسلوب لدى الزمرة الكبيرة.

الجدول 4.9. نسب (ج) بالجنس والأسلوب عند الكبار

	أ م م [ج]/[چ]	عدد	أ م ن [ج]/[چ]	عدد	أقك [ج]/[چ]	أتق [ج]/[چ]
ر	١.٠٠/٩٩.٠٠	٤٦١	٣.٠٠/٩٧.٠٠	٣٦٠	٦.٢٤/٩٣.٧٦	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠
ن	١.٦٦/٩٨.٣٤	٢٤٢	٣.٣٤/٩٦.٦٦	٢٤٠	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠	٠٠.٠٠/١٠٠.٠٠

يتضح من الجدول 4.9 عدم التمييز بين الكبار والكبيرات وتساويهم بخصوص احتفاظهم بالصيغة المهجرية [ج] احتفاظا دائما وشبه قطعي.

وسبق لنا توكيد ضآلة عامل الجنس لدى الزمرة الكبيرة في كافة المتغيرات الآنفة الذكر. ولذلك لن نقوم بزيادة أي تعاليق عليه هنا.

5.1.9 المتغير (ج) والمنطقة

1.5.1.9 عرض النتائج ووصفها

يقدم الجدول 5.9 أدناه عرض نتائج توزع (ج) بالمنطقة والأسلوب.

الجدول 5.9. نسب (ج) بالمنطقة والأسلوب

	أ م م [ج]/[چ]	عدد	أ م ن [ج]/[چ]	عدد	أقك [ج]/[چ]	أتق [ج]/[چ]
مدينة	٦١.٦٢ / ٣٨.٢٨	٥١٦	٢٩.٨٤ / ٧٠.١٦	٣٦٢	٧٠.٢٨ / ٢٩.٦٢	٠٠.٠٠ / ١٠٠.٠٠
ريف	٨١.٣٢ / ١٨.٦٨	١٠٠١	٥٩.٥٢ / ٤٠.٤٨	٨٢٠	٨١.٠٠ / ١٩.٠٠	٨٣.٠٠ / ١٧.٠٠

يبين الجدول 5.9 افتراق المنطقتين عن بعضهما بوضوح. ففي كل الأساليب الكلامية يقوم المهاجرون المدنيون بتداول الصيغة الشامية [چ] أكثر من الريفيين. وتتميز المنطقتان في أ م ن (٣٠ %) أكثر مما تفعلان في أ م م (٢٠ %). وبالنسبة لأرقام أتق، فلا تمثل حاجة لأنها لم تبن إلا على كلمة وحيدة للمدنيين وست كلمات للريفيين.

2.5.1.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

هذا أول متغير تبدو فيه أهمية للمقياس الإجتماعي للمنطقة، في التفـريق بين مهـاجري المدينة والريف من حيث استعمال الأولين للبديلة المحلية [چ] أكثر من الثانين. وعلى جميع المتغيرات السابقة لم يحدث أن تفاوت المهاجرون في تناولهم للمستغيرات المحلية بحسب منطقتهم. وكانت الفروقات بينهم في كل الحالات معدومة أو مهملة أو نوعية. وفي هذه الحالة أيضا يمكن رفض هذا التمييز الواضح لعدم أهميته، ولا سيما لدى النساء. ولو أعدنا تفصيل العلامات السابقة

المعـروضـة في الجـدول 5.9 بالجنس لتبـين لنا أن المدنيات يسبقن الريفيات في تداول البديلة المحلية [چ] بحوالي ١٧ % في أ م م و ٩ % في أ م ن إلا أن تلك الصـورة تنقلب في أقـك لصالح الأخيرات اللائي يتقدمنهن بمقدار ١٢ % في الإتجاه ذاته. وأما الرجال فظلوا أو أصبحوا أكثر انفصالا فيما بينهم: فكانت نسبة [چ] عند أهل المدينة ٣٥.٤ % في أ م م و ٥٧.٥٤ % في أ م ن و ٣١ % في أقك إزاء ١٤.٢٤ % و ١٤.٤٨ % و ٤٨.٥ % عنـد أبنـاء الـريف لكل أسلوب على حدة. ولعل استخدام المدنيين المتزايد لـ [چ] عائد إلى عددهم البالغ أربعة رواة فقط مقابل عشرة من الريفيين.

6.1.9 الملخص

يمكن تلخيص النقاط الأساسية للتحليل اللغوي الإجتماعي لـ (ج) كما يلي.

١. الثقـافـة والتمييز الإجتـماعي. شقت الثقـافـة المـوصـول الإجتماعي شقا واضحاً جداً إلى فئتين في مختلف الأساليب الكـلامية. وهمـا الجـامعية إزاء كل من سواهم. وكان تفرق الفئات الإجتماعية الأخرى إما مهملاً كالأمية والإبتدائية في أ م م أو الإبتـدائية والثانوية في أ م ن أو مندمجاً كالإبتدائية والثانوية في أقك. كما لوحظت هناك منظومتان شاذتان للتميز الإجتماعي: ففي أ م ن كانت النقاط التي أحرزتها الفئة الدنيا على [چ] أعلى من الفئتين الوسطيين وكانت نقاط الفئة العليا على [ج] في أقك هي الأدنى. واتسم السلوك اللغوي للفئة الثانية العليا في أ م م وأ م ن بخاصة مشوقة تشويقا ملموساً أسميت في الأسلوب الأول بتدني الإستغلاط وفي الثاني بفرط

الإستصواب. ويشير النوعان كلاهما إلى التغيير الصوتي المتواصل.

٢. العمر. ينخرط المتغير (ج) في تغيير صوتي متواصل كما يتبين من مقارنة مادتي الزمرتين العمريتين مع المادة التاريخية لكانتنو. واتجاه التغيير هذا نحو الصيغة العامية المحلية الشامية [ج]، وقد بدأ ذلك منذ ١٩٦٧ حكماً بارتباطه بالشبان على نحو رئيسي. وإذ ما قارنا بين مدى تطبيق هذا التغيير اللغوي مع مداه على المتغيرات (ق) و (-ك) و (ضَ) وجدناه أكثر مما هو فيها بكثير. وفي جميع تلك المتغيرات كان تداول الصيغ المحلية يتوضع في أ م ن توضعاً رئيسيا. وتم شرح ذلك بالرجوع إلى الطبيعة التشخيصية للمتغيرات المعنية. فالبديلات المغلوطة والمستطعنة في الكلام المهجري كـ [كْ] و [-تش] و [ظ] أشد مقاومة للتغير من الفصيحة كـ [ج] لأنها ترمز إلى الهوية المهجرية، والولاء اللغوي، والإنتساب إلى الجماعة في حين لا تمتلك الأخرى هاتيك الخواص.

٣. الجنس. كانت النساء تختلف في تراصفهن عن الرجال بتقليصهن لإنقساماتهن الإجتماعية من ثنتين في أ م م إلى واحدة تقريبا في أ م ن سوى استثناءة طفيفة لذلك. وكان ناظم تدني الإستغلاط مرتكزًا على الرجال في الفئة الثانوية. وأما عن التغيير اللغوي، فوجدنا أن النساء، رغم مشاركة الجنسين من كل الفئات الثقافية فيه، هن اللاتي كن طليعة تبني الصيغة العامية الدمشقية.

٤. التحول الأسلوبي. كان تكرار الصيغة المحلية الدمشقية [ج] يعتمد على عوامل كثيرة. فلم تنجم أية استجابات عن أثر

المستمع المحلي من طرف الزمرة الكبيرة وجميع ذكور الفئات الثقـافية ما عدا أعـلاهـا. وأمـا النسوة، فكان تكيفهن مع المستمعين المحليين غزيرا، ومهما كانت فئتهن الثقافية. وكان ذلـــك وراء وصفنـــا للمتغـــير ذا بينيانـه على الجنس على نحـو رئيسي. وأخـــيرا كان نمط أقـــك وأتق مقلوبـــا جنسيا عمـومـاً بتفضيل النسياء لـ [ج] أقل من الرجال، واستدللنا بذلك على التغيير الصـوتي المتـواصـل. كما كان فرط الإستصواب في أ ق ك أقصاه عند الفئة الثانوية.
٥. المنطقة. ولم تكن هذه هامة، ولا سيما عند النسوان.

2.9 المتغير (ظ)

1.2.9 تقدمة

لم تقم فيما مضى أية دراسة لغوية إجتماعية بمعالجة المتغير (ظ) في العـربية. ولكن هنالك دراستان - إحداهما عن اللهجة القاهرية (شمت ١٩٧٤) والأخرى عن الفلسطينية (شراب ١٩٨١)- أشارتا إليه إشارة عاجلة مجملة في معرض تحليلهما للأصوات المستسنة ككل، وهي/ث/،/ذ/، و/ظ/. وبالنظر لجمع هذه السواكن الثلاثة تحت متغـير واحـد فمن الصعب جداً معرفة مقدار إسهام الظاء في تلك الصورة الإجمالية. وإليكم ملخصاً لهاتين الدراستين واحدة واحدة فيما يأتي.

في اللهجـــة المصـــرية تنقسم الأصـــوات الصـــادرة من بين الأسنـان-/ ث، ذ،وظ/-إلى حبائس لثوية ورخوات. أي أن/ث/ تنفصل إلى [ت وس]، و/ذ/ إلى [د وز] و/ظ/ إلى [ض و ژ]. ووجد شمت (١٩٧٤ : ٩٥- ٩٦) أن تكـرار الـرخوات [س، ز،و ژ] كان

أعـلى في أسلوب القراءة (٦١ %) وقائمة الكلمات (٥٩ %). من الأسلوب الحـريص (٤٥ %) والعفـوي (٢٢ %). كما وجـد أن المتكلمين المثقفين استعملوا البديلات الفصيحة [ث، ذ وظ] أكثر من اللامثقفين.

وتتفاوت اللهجات الفلسطينية في توزع تلك الأصوات الأسنانية فيها. فحفظت حفظا سليما في البدوية والفلاحية ولكنها انقسمت في كلام المدن إلى حبائس لثوية ورخوات كما في اللهجة المصرية أعلاه. وأظهـرت نتائج شراب (١٩٨١ : ١٦٥) شبه قطعية تداول الرواة المـدنيين للحبائس في الأسلوبين العفوي والحريص. وكانت الصيغ الفصيحـة [ث،ذ،وظ] قطعية الـورود في أسلوبي القـراءة وقـائمـة الكلمات عند كافة المتكلمين المدنيين.

2.2.9 هذه الدراسة

1.2.2.9 تحليل (ظ) بالثقافة

1.1.2.2.9 عرض النتائج ووصفها

يعطي الجدول 6.9 أدناه تفريق (ظ) بالثقافة والأسلوب.

الجدول 6.9. نسب (ظ) بالثقافة والأسلوب

	أ م م [ث]/[ض]	عدد	أ م ن [ث]/[ض]	عدد	أقك/أتق [ث]/[ض]
أ	٠٠,٠٠/٣,٢٨	٦١	٣٠.٢٦/١٧.٨٦	٥٦	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠
ب	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠	٥٠	٢٦.٩٢/٤٢.٣٢	٥٦	١.٤٠/٢.١٠
ث	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠	٥٥	١٠.٥٢/٢.٦٤	٤٠	٠٠.٠٠/١.٩٦
ج	١.٧٦/١١.٤٠	١٠٩	١٩.٣٦/٦٤.٥٢	٦٦	٠.٩٠/٩.١٠
ج م	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠	٠٠.٠٠	٣٠.٧٨/٦٧.٣٠		٠٠/٠٠/٠٠.٠٠

ملحوظة: حذفت نسبة [ظ] من الجدول توفيراً للمكان واختصارا للمساحة. وتقدير نسبتها المئوية أمر واضح.

يبين الجدول 6.9 تباين تفريق المستغيرات الصوتية بحسب الفئة الإجتماعية وأسلوب الكلام. فالصيغة المهجرية الفصيحة [ظ] قطعية تقريبا عند جميع الفئات الإجتماعية ما عدا العليا منها في أ م م، أ ق ك وأتق (رغم ورود كلمتين فقط في أتق). وفي أ م ن تفضل الصيغتان العاميتان المحليتان [ض] و [ز] لدى الفئات الإجتماعية كافة ما خلا أعلاها. وأما الفئة الجامعية المحلية فتفتقر إلى [ظ] في كلامها افتقارا قطعياً.

2.1.2.2.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

يرتبط المتغير (ظ) بـ (ض) (3.8) ارتباطا صوتيا ولغويا إجتماعيا. فمن ناحية هناك اندماج/ض/ مع/ظ/- وهذه موضوع تحليلنا الحالي- في الجولانية قبل هجرتها. ومن الناحية الأخرى هناك تفصيح المتغير (ض) بتأثير اللهجة الدمشقية ويقابله تغليط (ظ) نظراً لإنعدامها الكلي من الدمشقية واستبدالها لها بـ [ث وض]. وهكذا يضع هذان المتغيران الجولانية المهجرية والدمشقية المحلية في موضعين متضادين بخصوص منزلتيهما من جهة الفصاحة والخطأ.

ويمكن سرد النتائج اللغوية الإجتماعية السابقة لـ (ض) من حيث تقاطعها بالثقافة والأسلوب سردا موجزا كما يلي. وجدنا التمييز الإجتماعي بين الفئات الثقافية الأربع يحدث في أ م ن على نحو رئيسي حيث كان الموصول الإجتماعي ينقسم إلى الجامعيين، والإبتدائيين، والأميين والثانويين. وشكلت الفئتان الأخيرتان فئة

واحدة تقريبا وكانت الفئة الإبتدائية أقرب إلى الجامعية من أية فئة غيرها. ومما لا حظناه كذلك ناظمة تدني الإستصواب التي كانت الفئة الثانية العليا تنغمس فيها إذ تداولت المستغير الفصيح [ض] أقل مما فعلته حتى الفئة الدنيا أو الأمية. وفيما يخص الأسلوب كان المستغير المهجري المدموج الخاطىء [ظ] مفضلا تفضيلا شبه قطعي في أ م م في حين كان المستغير المحلي الفصيح [ض] مستحبا في أ م ن. وأما أ ق ك وأتق، فاتسما بالنمط الأسلوبي المقلوب إذ تناقصت [ض] عند كل الفئات. (ولمزيد من التفاصيل انظر 2.3.8 أعلاه).

وتصح معظم هذه المعلومات على المتغير الحالي (ظ) كما يلخصه الجدول 6.9 أعلاه. أولاً قلما كان التمييز الإجتماعي موجوداً في أ م م وأقك/أتق فيما سوى انفصام الفئة العليا عما عداها من الفئات وذلك بفارق بسيط قدره ١٠ % (وفي أقك يمكن تجاهل هذا الفرق لأن جميع حالات [زو ض] جاءت من راو واحد، وأما باقي الأفراد فتداولوا جميعا [ظ] تداولا قطعياً.) وفي أ م ن تتميز كافة الفئات الإجتماعية بوضوح، فكلما ارتفعت المنزلة الإجتماعية إزداد تكرار الصيغ المحلية المغلوطة (أي [ز و ض]). كما يمكن التنويه إلى شيئين، وهما (١) أن الإبتدائيين أقرب إلى الجامعيين من أي فئة غيرهم، و(٢) أن أقل من يستخدم [ز و ض] هم الثانويون – الفئة الثانوية العليا.

ومما يثير اهتمامنا جداً السلوك الكلامي للفئة الثانية العليا هذه. وذلك ليس لأنهم لم يتحولوا نحو البديلتين المحليتين الخاطئتين [ز و ض] إلا بمقدار ١٣ % مقابل ٧٠ % لكل من الجامعيين والإبتدائيين فحسب بل لأن ذلك أيضا جزء من النمط العام السابق تكراره على متغيرات عدة مرات كثيرة. فواجهناه أولا في تحليل

المتغير (ق) من الفصل السابع (2.2.2.7) حيث اختارت الفئة الثانوية المستغـير الفصيح [ق] على نحـو ساحق بدلا عن المستغـير المحـلي المغلوط [ء]. وهذا ما وصفناه بفرط الإستصواب. وصدفناه في تحليل (ض) من الفصـل الثامن (2.2.3.8). وهنا لم تفضل هذه الفئة الثانوية استخدام البديلة المحلية الفصيحة [ض] في أ م ن أيضا بل كانت تبادله بالمناصفة مع صيغتهـا المهجـرية المغلوطـة والـرفيعة بالمخفي [ظ]. وأسمينا ذلك بتدني الإستصواب. ولا قيناه أخيراً في تحليل (ج) من هذا الفصل (1.2.1.9) وهنا وجدنا في أ م ن أيضا ضربا ثالثا من ضروب السلوك الكلامي لتلك الفئة الثانوية والذي أطلقنا عليه تسمية تدني الإستغلاط وقصدنا بذلك أن أقل الفئات الثقافية جمعاء استعمالا للسمة المحلية اللافصيحة واللاصائبة المعادلة للسمة المهجرية الفصيحة هي الفئة الثانوية. وكانت تشترك هذه الأنماط الثلاثة كلها بشيء واحد، وهو البعاد عن المعايير الكلامية للمستمعين المحليين الدمشقيين ومقاومتها.

وأمـا السلوك الكلامي للفئة الثانية العليا بخصوص (ظ) فذو استغـلاط متـدن حتـما إذ أن أقل الرواة تداولا للبديلات المحلية اللافصيحة هم أفرادها. وهكذا فهذا مما يؤيد ناظمة (ج) المشار إليها سابقـا. وفضلا عن ذلك فهنالك صلتها بناظمة تدني الإستصواب للمتغـير (ض) السالفة الذكر، التي لايمكن تجاهلها نظراً للترابط الصوتي واللغوي الإجتماعي بين (ض) و (ظ). وفي الواقع لو كانت منظومة (ظ) لدى الفئة الثانوية خلافا لما هي عليه الآن لصعب علينا جداً تسويغ وجود منظومة تدني الإستصواب وتعليلها أبداً. ويستدل من نمط تدني الإستغـلاط، كما الحـال مع النواظم الأخرى، على التغيير الصـوتي المتواصل الذي ينطوي على الحفاظ على البديلة المهجرية [ظ] والتحول إلى المستغيرين المحليين [ژ و ض].

وفي أقك يتأكد لنا سلوك تدني الإستغلاط لدى الفئة الثانوية حيث تتجاوز علاماتها على المستغير الفصيح [ظ] قيم الفئة العليا: أي أن ذلك من فرط الإستصواب. وتكررت هذه المنظومة تكراراً مماثلاً على (ج) أيضا (1.2.1.9).

ثانيا، بالنسبة إلى التنوع الأسلوبي. فيسلك المتغير (ظ) مسلكا مشابها للمتغير المرتبط به صوتيا- وهو (ض)- في أسلوبي المحادثة. وفي كلتا الحالتين يجري تداول السمات المهجرية تداولاً شبه قطعي في أ م م إلا أن جميع الفئات الإجتماعية تستكرهها في أ م ن. ولكن المتغيرين ينفصلان في أسلوبي القراءة: فـ (ض) ذات شكل أسلوبي مقلوب في أقك وأتق في حين تكون (ظ) عكسها تماما في انتظامها. والسبب في ذلك بسيط جداً لأن المتغير الثاني محفوظ في كلام المهاجرين عموماً بينما لم يكتسب الأول منهما إلا مؤخراً، ويعود الفضل في ذلك إلى أثر الدمشقية في الفضلية المهجرية على نحو رئيسي.

3.2.9 المتغير (ظ) والعمر

1.3.2.9 عرض النتائج ووصفها

يعطي الجدول 7.9 أدناه العلامات التكرارية ل (ظ) بالعمر والأسلوب.

الجدول 9 7. نسب (ظ) بالعمر والأسلوب

	أ م م [ث]/[ض]	أ م م عدد	أ م ن [ث]/[ض]	أ م ن عدد	أقك [ث]/[ض]	أتق [ث]/[ض]
كبار	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠	١٠٥	٣.٩٢/٠.٩٨	١٠٦	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠
شباب	٠.٧٢/٥.٣٦	٢٧٥	٢٠.٨٢/٣٣.٠٠	٢١٨	١.٩٤/٤.٢٤	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠

يبين الجدول 7.9 احتفاظ الزمرة الكبيرة باستعمالها القاطع للسمة المهجـرية الفصيحة [ظ] في كافة الأحايين. (وينبغي ملاحظة بناء علامـاتهم في أتق على ٣ كلمات فقط). وأمـا الصغار فيتفاوتون في استخــدامهم لـ (ظ) بتفـاوت الأسلوب. ففي أ م م وأقـك وأتق (وعلامات هذا الأخير قائمة على كلمتين فقط) ترد [ظ] ورودا شبه قطعي ولكن تداول البديلتين المحليتين المغلوطتين [ث و ض] مفضل عليها في أ م ن رغم كون ذلك هامشيا.

2.3.2.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

لما كانت/ظ/ في اللهجـة الفضلية قبل هجرتها محفوظة حفظا سليماً مثـل جميع المستسنات-/ث،ذ، ظ/- ومن دون أية آثار على تحولها إلى أصـوات الحبس أو الصفير كما جاء في وصف كانتنـو (١٩٣٦ : ١٨) لها، ولما تبين لنا من مادة الأحاديث الكلامية المعطاة في الجدول 7.9 أعلاه دخول [ث و ض] في الكلام المهجري، كان ذلك كله يدل دلالـة واضحـة على التغيير الصوتي المتواصل. وإن تمركز المستغيرين المحليين [ث و ض] في كلام الزمرة الصغرى على نحو أساسي دالة قوية على حدوث ذلك منذ ١٩٦٧ تحت تأثير الدمشقية على الجولانية المهجرية.

وأخيرا نأتي إلى تكيف الزمرة الكبرى مع المحليين مستمعيهم، وعجـزهم عن ذلـك جلي مبين في الجدول 7.9 أعلاه. وهذه النتيجة متوافقة مع جميع نواظم المتغيرات السالفة الذكر في هذا المجال.

4.2.9 المتغير (ظ) والجنس

1.4.2.9 الجنس والثقافة

1.1.4.2.9 عرض النتائج ووصفها

إليكم بيان العلامات المئوية لـ (ظ) بالثقافة والجنس والأسلوب في الجدول 8.9 أدناه.

الجدول 8.9. نسب (ظ) بالثقافة والجنس والأسلوب

	أ م م		أ م ن		أقك/أتق
	[ژ]/[ض]	عدد	[ژ]/[ض]	عدد	[ژ]/[ض]
أر	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	١٩	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	٢٠	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ن	٠٠.٠٠ / ٤.٧٦	٤٢	٤٧.٢٢ / ٢٧.٧٨	٣٦	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ب ر	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	٢٥	٢٨.١٢ / ٤٦.٨٨	٣٢	٤.١٦ / ٠٠.٠٠
ن	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	٢٥	٢٥.٠٠ / ٣٥.٠٠	٢٤	٠٠.٠٠ / ٢.١٢
ث ر	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	٤٥	١٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	٣٢	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ن	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠	١٠	١٢.٥٠ / ١٢.٥٠	٨	٨.٣٤ / ٠٠.٠٠
ج ر	٣.٣٤ / ١١.٦٦	٥٥	١٤.٢٨ / ٦٥.٧٢	٣٥	١.٨٢ / ١٨.١٨
ن	٠٠.٠٠ / ١١.١٢	٥٤	٢٥.٩٢ / ٦٢.٩٦	٣١	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠

يبين الجدول 8.9 أن الجنسين لا يتميزان في استخدامها لـ [ظ] في أ م م وأقك. (وأما قلة علامات الجامعيين على [ظ] في أقك مقارنة مع الجامعيات فأمر غير مهم لأن جميعهم كانوا قطعيين في استخدامها فيها خلا أحدهم. ويسري الشيء ذاته على المرأة الثانوية التي كانت نقاطها أقل من الرجال وربما كان ذلك يعود إلى قلة انتباهها لتماثل رسم الصوتين (الحرفين) / ض / و / ظ / في العربية). ولكن النساء يتميزن عن الرجال في أ م ن بتكيفهن مع

المستمعين المحليين تكيفا أكثر منهم عدا حالة واحدة، وهي للإبتدائيات.

2.1.4.2.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

إن النتائج التي حصلنا عليها للمتغير (ض) بالثقافة والجنس والأسلوب (4.3.8) تتكرر عموما على هذا المتغير أيضا. فهناك وجدنا أن النســوان لم يستعملن الصيغـة المحلية الفصيحـة [ض] في أ م ن أكثر من الرجال فحسب بل كن يتراصفن على نحو مختلف عنهم بإنقاصهن لفروقاتهن الإجتماعية إلى ما دون ٥ % كما الحال بين الفئتـين العليا والسفـلى. وأما الرجال ، فكانوا يحتفظون بانفصالهم حيث انشقوا إلى أربع فئات: فكان الإبتدائيون أقرب إلى الجامعيين من غيرهم (بفارق ٩%)، والثانويون أدنى الذكور استصوابا والأميون لم يتحولوا أبداً.

ويظهر المتغير (ظ) نظاما مماثلا له تماما. فيتضح من الجدول 8.9 أعـلاه قلة تميز المســاء عن بعضهن بعضا ومقدار الفجوة الصغيرة الفاصلة بين الجامعيات والأميات في أ م ن (١٤ %). (وأما كون الفئتان يتداولن البديلتين المحليتين بطرق مختلفة فلا يهم.) وبالنسبة للفجوة العليا اللامتوقعة بين الإبتدائيات والثانويات فليست بذات قيمة وتعود فى الحـالة الأولى. إلى تسجيل بعض أولئك الأناثي وأولادهن على أيديهن (انظر 8.). وخلافا للنساء نجد الفوارق بين الذكور تتوسع فينقسمون إلى ثلاث فئات: الأميون الذين لم يتحولو عن [ظ] أبداً وهؤلاء ينفصلون بفجوة كبيرة (٧٥ - ٨٠ %) عن الإبتدائيين والجامعيين الذين لا يتميزون عن بعضهم بعضا إلا تميزًا متدنيا ومهملاً (قدره ٥ % فقط).

والثانويون هم الفئة الثالثة الذين يبلغ تدني استغلاطهم ١٠ % فقط. وهكذا يكون نمط تدني الإستغلاط مرتكزا على الذكور في جوهره. (ولا يمكننا تسمية العلامة العالية الواضحة للثانويات على [ظ] بتدني الاستغلاط نظراً إلى عدد الكلمات القليلة المستنبطة منهن).

وفيما يتعلق بالتحـول الأسلوبي، أظهر الرجال والنساء جميعا، ومهما كانت فئاتهم الثقافية ، مقدرة على تحويل الأساليب ويستثنى من ذلك الأميون الذين ظلوا على قطعية استعمالهم لـ [ظ] في كل الأحوال. ومما نشأ عن أثر المستمع المحلي إزدياد وردان المستغيرين المحليين [ژوض] رغم كون ذلـك في كلام النسـاء باستثنـاء الإبتـدائيات منهن أكثـر مما هو في كلام الرجال. فمثلاً بلغ مقدار تحويل الجامعيين لكلامهم من أ م م إلى أ م ن ٦٠ % ولكنه وصل إلى ٧٧ % عند الإناث في السياقين ذاتهما. كما أن الفرق في مدى التحول الأسلوبي بين أ م م و أ م ن عند الرجال والنساء من أقصى طرفي السـلم الإجتـماعي ضيق جداً (أي ٧٠ - ٧٧ %) لدى الأخيرات وكبير جداً (أي .- ٦٥ %) لدى الأولين.

وخـلاصـة الأمر هي أن النسوة - رغم تكافؤهن مع الرجال عمـومـاً في أ م م وأقـك وأتق - هن اللواتي يأتـين في طليعة تبني البديلات المحلية وتكييف كلامهن نحو مستمعيهن المحليين. وعلى رأس هذا التغيير تقف الجـامعيات على الأخص والفئة الإجتماعية العليا عموما.

2.4.2.9 الجنس والزمرة الكبرى

1.2.4.2.9 عرض النتائج ووصفها

يعرض الجدول 9.9 أدناه العلائم المئوية لـ (ظ) بالجنس والأسلوب لدى الزمرة الكبيرة.

الجدول 9.9 نسب (ظ) بالجنس والأسلوب عند الكبار

	أ م م [ژ] / [ض]	عدد	أ م ن [ژ] / [ض]	عدد	أقك / أتق [ژ] / [ض]
ر	٠٠ / ٠٠	٧٣	١،٧٦ / ٧،٠٠	٥٧٧	٠٠ / ٠٠
ن	٠٠ / ٠٠	٣٠	٠٠ / ٠٠	٤٩	٠٠ / ٠٠

يبين الجدول 9.9 أن الجنس غير مهم عند الكبار في جميع أساليبهم. وأما العلامات الوضيحة للكبار على [ژوض] فليست بذات قيمة أيضا ولا ينبغي اتخاذها كي تعني تحولهم إلى مستمعيهم المحليين أكثر من النساء لأن هذه الأرقام غير قائمة إلا على ٥ كلمات تقريبا قيلت تقليداً للمتكلمين المحليين ورددها وراءهم الراويتان نصف المتعلمين الذين واجهناهما في مناقشتنا للمتغير (ق) أعلاه (2.2.3.7).

5.2.9 المتغير (ظ) والمنطقة

1.5.2.9 عرض النتائج ووصفها

يعطي الجدول 10.9 أدناه توزيع (ظ) بالمنطقة والأسلوب.

الجدول 10.9 نسب (ظ) بالمنطقة والأسلوب

	أ م م [ژ]/[ض] عدد	أ م ن [ژ] / [ض] عدد	أقك أتق [ژ] / [ض]	[ژ]/[ض]
مدينة	٢/١٣ ٠٠	٢١.٨٠/٣٩.٧٤ ٨٠	٠٠/١١.٢٢	٠٠/ ٠٠
ريف	٠٠/١.١٢ ١٧٥	٢٠.٦٨/٢٨.٩٦ ١٣٨	٢.٥٤/ ٠٠	غير متوفرة

يبـين الجدول 10.9 قيام المهاجرين المدنيين باستعمال الصيغتين العاميتين المحليتين [ژ وض] أكثر من الريفيين. ويبلغ الفرق بينهما في أسلوبي المحادثة ١٣ %.

2.5.2.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

إن الفروقات المنطقوية عند النساء، كما كانت الحال على المتغير (ج) أعلاه، ضئيلة. وعلى نحو أدق، بينما كانت علامة النساء من كلتا المنطقتين تبلغ ٩٨ % على [ظ] في أقك، نجد أن الفروقات بينهن في أسلوبي المحادثة غير متسقة برغم كيفيتها، وحيث تكون المدنيات قادة تبني الصيغتين المحليتين في أ م م بنسبة ١٠ % ولكن ذلك ينقلب لصالح الريفيات في أ م ن وبنسبة ٢ %. وأما الرجال، فالفوارق بينهم على اتساق: إذ يسبق المدنيون الريفيين في استعمالهم للصيغتين الدمشقيتين [ز و ض] بما مقداره ١٤ % في أ م م، ٢ % في أ م ن (و ١٧% في أقك).

6.2.9 الملخص

يمكن تلخيص النقـاط الرئيسية للتحليل اللغوي الإجتماعي للمتغير (ظ) بما يلي.

١. الثقـافة والتمييز الإجتماعي. كان الموصول الإجتماعي ينقسم بحسب الأسلوب. ففي أ م م وأقك / أتق كان انقسامه إلى الفئة العليا مقابل الباقين رغم أن الفجوة الفاصلة بينهم هامشية ولا تتجاوز ١٠ % في أقصاها. ولكن أمكن تمييز الفئات الأربع جميعا في أ م ن إذ كلما علت المنـزلـة الإجتـماعية ازداد تداول السمتـين المحليتين اللافصيحتين [ژ و ض] ويستثنى من ذلك الفئة الثانية العليا، وهي أقـل الفئـات استعـمالا لهما (١٣ %). وهذا ما دعوناه بتدني الإستفلا وكان ذلك ينسجم مع فرط وتدني الإستصواب لديهم على المتغيرات الآنفة الذكر كـ (ق) ، و (ض)، و (ج) التي تنحرف كلها عن معايير كلام المستمعين المحليين وتشير إلى التغيير الصوتي المتواصل.

٢ . العمـر. مما يؤكد لنا التغيير الصوتي المتواصل على (ظ) مقارنة نتائجنا عن الزمرتين العمريتين مع السجل التاريخي للفضلية قبل هجرتها. ففي الأخيرة كانت [ظ] محفوظة حفظا سليما ولكنها الآن يجري تبـادلهـا مع [ز وض] تحت تأثـير الـدمشقية عليهـا (أي المهجـرية). والـذين يقـومـون باستخدام الصيغتين الشاميتين هم الشباب على نحو أساسي.

٣ . الجنس. وجدنا تقليل النساء لفوار قهن الإجتماعية وتكبير الرجال لها. فمثلاً كانت الفجوة الفاصلة بين الأميات والجامعيات في أ م ن ١٤٣ % إزاء ٨٠ % لنظرائهن من الذكور. ومختصر القول أن الإناث، بعد طرح الشذوذات جانبا، انقسمن إلى فئتين هامشيتي الإنفصال ، وهما الأميات من جهة والجامعيات من جهة أخرى ؛ وأما الرجال فانشقوا إلي مجموعتين (أو ثلاث) واسعتي الإنفصال ، وهما الإبتدائية والجامعية من طرف والثانوية والأمية من الطرف الآخر. كما كانت ناظمـة تدني الإستغـلاط مركـزة على الـرجـال أسـاساً. وخـيراً من

حيث التغيير الكـلامي، كانت النسوة تتصدر عملية تبني السمات العامية المحلية.

٤ . التحول الأسلوبي. كانت السمة المهجرية الفصيحة [ظ] ترد وروداً قطعياً أو شبيهها به في أ م م، وأقك / أتق عند كل الفئات الثقافية، والشباب والكبار. ومن الذين لم يغيروا كلامهم مع المحليين أبـداً الأميون والكبار. وأما الآخرون فتفاوتوا في تكيفهم: وكان ذلك عند النساء من مختلف الفئات الثقافية أعلى مما هو عند الرجال الذين كثر تباينهم في ذلك وكانت الفئة الثانية العليا أقل الفئات تعديلا لكلامها.

٥ . المنطقة. لم تكن هناك فوارق هامة بين المدنيات والريفيات. وأما الرجال ، فكان المدنيون يتداولون السمتين العاميتين المحليتين [ژ و ض] في كلامهم أعلى مما كان يتداولهما الريفيون.

3.9 المتغير (ذ)

1.3.9 تقدمة

جري وصف المتغير (ذ) وصفا لغويا إجتماعيا في اللهجة البحرانية (هولز ١٩٨١ ، ١٩٨٣ بالإضافة إلى معالجته معالجة عامة في القاهرية (شمت ١٩٧٤) والفلسطينية (شراب ١٩٨١) المشار إليهما سابقا (1.2.9). وفي كلام السنة ترد الصيغة الفصيحة [ذ] على نحو قطعي ولكنها تتخالف مع [د] في كلام الشيعة. ومما يحكم الحفظ على المستغير اللافصيح في لهجة الشيعة درجة تعليم المتكلم على نحـو رئيسي ومكـان إقـامته لدرجة أقل: فكان الشيعة الأميون الـريفيون (٩٧ %) والمـدنيون (٨٢ %) يحافـظون على [د] محافظة أعلى بكثير من المتعلمين الريفيين (١٤ %) والمدينيين (١٤ %). وتـظهـر الأرقام أن للمنطقة دوراً بسيطا، وعلى العموم يستعمل المتعلمون الـريفيون [د] أقـل من المتعلمـين المدنيين خلافاً للفئة الأمية تماما حيث يستعملها الأميون الريفون أكثر من الأميين المدنيين.

ولا يمكننا تحديد تناقص تداول البديلة الأسنانية الحبيسة [د] لدى متعلمي الشيعة بخاصة: أمردها إلى تأثير الكلام السني أم إلى التعليم. فنحن نعدم المقابلات الكلامية المحكمة بين الشيعة والسنة من ناحية والشيعة والشيعة من الناحية الأخرى. ولكن انخفاض استعمال [د] عند الفئة المتعلمة عامة والمتعلمين الريفيين بخاصة يوحي لنا بقوة على أن مرد ذلك[1] إلى التعليم دون سواه.

وفي تحليلنا القادم سنبين كيف تؤثر اللهجة الدمشقية المحلية اللافصيحةعلى اللهجة المهجرية الفصيحة تأثيراً مباشراً والدور الذي يلعبه مختلف المستمعين في هذه المسألة.

2.3.9 هذه الدراسة

1.2.3.9 تحليل (ذ) بالثقافة

1.1.2.3.9 عرض النتائج ووصفها

في الجدول 11.9 أدناه نعرض العلامات المئوية لـ (ذ) بالثقافة والأسلوب.

الجدول 11.9 نسب (ذ) بالثقافة والأسلوب

	أ م م		أ م ن		أقك/أتق
	*[ز]/[د]	عدد	[ز]/[د]	عدد	[زْ]/[د]
أ	٠٠/١٢.٦٦	١٥٨	٣٠.٤٤/٢٣.٤٨	١١٥	٠٠ /٠٠
ب	٢.٦٠/١٥.٤٠	١٥٥	٤٨.٤٨/٢٤.٢٤	٩٩	٠٠ /٠٠
ث	٢.٢٠/١٢.٠٨	٩١	٢٠/١٧.٦٤	٨٥	غير متوفرة
ج	٣٠/٢١.٨٠	٢١١	٤٢.١٠/٤٢.٧٦	١٥٢	٠٠ /٠٠
ج م			٣٤.٧٨/٦٥.٢٢		

*ملحوظة: حذفت علامات [ذ] للأسباب الملخصة للظاء أعلاه.

يبين الجدول 11.9 تبدل تكرار المستغير المهجري الفصيح [ذ] بتبدل الأسلوب والفئة الإجتماعية إذ يفضل تفضيلا ساحقا في أ م م وقطعيا في أقك وأتق (رغم عدم توفر المادة عنه في أقك) ولكنه لا يفضل في أ م ن إلا عند الفئة الثانية العليا. كما نرى أيضا أن أقل الفئات استخداما له في أسلوبي المحادثة - أ م م وأم ن - هي العليا. وأخيراً يجري استعمال المستغير المحلي اللافصيح [ز] أكثر من [د] في أ م م سيما في كلام الجامعيين بالرغم من تساوي توزيع هذين المستغيرين في أ م ن. وبالنسبة للفئة الجامعية المحلية فلا تقوم ، كما نرى ، باستخدام الصيغة المهجرية الفصيحة أبداً.

2.2.3.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

يقتصر الدليل على التمايز الإجتماعي على أسلوبي المحادثة وحدهما. ففي أ م م تنفصل الفئة العليا انفصالاً هامشياً عن الباقين بفجوة قدرها حوالي ١٠ % . ولكن الفروقات الإجتماعية تظهر بوضوح في أ م ن حيث يمكننا تمييز جميع الفئات الإجتماعية: فكلما علا المقام الإجتماعي هبط تداول البديلة المهجرية الفصيحة [ذ] وتزايد المستغيران المحليان [ز ود] إلا عند ثاني أعلى الفئات التي سنعلق على سلوكها الكلامي أدناه. ويتضح من الجدول 11.9 أيضا قرب الفئتين العليا والثانية الدنيا إلى بعضهما (بفارق ١٢ %) قرب الفئتين الثانية العليا والدنيا (١٦ ٪) من بعضهما كذلك في حين تكون المجموعتان الكبيرتان أوسع انفصالا فيما بينهما.

والآن إلى سلوك الفئة الثانية العليا في كلامها. وهذا واقع حتما ضمن ما أسميناه فيما مضي بتدني الإستغلاط. ففي تحليلنا للمتغيرين السابقين (ج) و (ظ) في هذا الفصل وأينا كيف كانت هذه الفئة

(الثانية العليا) أقل الفئات تحولا نحو المستمعين المحليين من خلال استعمال المستغيرات اللافصيحة حيث بلغ هذا التحول من أ م م إلى أ م ن ١٥ % على (ج) (انـظر الجـدول 1.9) و ١٤ % على (ظ) (الجدول 6.9)، ويتردد الشيء عينه على المتغير الذي بين أيدينا كما يظهر من الجدول 11.9 أعلاه إذ أن مقدار تغيير وتكييف الثانويين لكلامهم في أ م ن باتجاه مستمعيهم المحليين يبلغ ٢٣ % مقابل ٦٠ % للجـامعيين و ٥٤ % للإبتدائيين و ٤١ % للأميين. ويستدل من هذا النظام النافر للتمايز الإجتماعي (أي تدني الإستغلاط) على التغيير الصـوتي المتـواصـل المنـطوي على الإبقـاء على الصيغة المهجرية الفصحى [ذ] والحياد عنها إلى الصيغتين الدمشقيتين اللافصيحتين المكتسبتين [د وز]، وهو حياد تقوده الفئة الأعلى.

وأخـيرًا التنـوع الأسلوبي. وأمـره منتـظم عند كافة الفئات. فالمبادلات الكلامية بين المهاجرين مع بعضهم بعضا تتصف برجحان الصيغة المهجرية الفصحى [ذ] في حين أن التفاعلات التي ينغمس فيها المهــاجــرون مع أهــل البلد الـدمشقيين تشتهـر بغلبـة الصيغتـين المحليتين اللافصيحتين [ز ود] إلا لدى الفئة الثانوية. وفي أقك وأتق ترد السمة الفصحى [ذ] ورددانا قطعيا عند الكل.

3.3.9 المتغير (ذ) والعمر

1.3.3.9 عرض النتائج ووصفها

نقدم في الجدول 12.9 أدناه توزع (ذ) بالعمر والأسلوب.

الجدول 12.9 نسب (ذ) بالعمر والأسلوب

	أ م م	أ م ن	أقك	أتق
	[ز]/[د] عدد	[ز]/[د] عدد	[ز]/[د]	[ز]/[د]
كبار	٤٢٢ ٠ ٧٢/٦.٤٠	٣١٦ ٠.٣٢/٥.٤٢	غير متوفرة	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠
شباب	٦١٥ ٢.٢٨/١٦.١٠	٤٥١ ٣٦.٤٠/٢٩.٠٠	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠

يظهر الجدول 12.9 افتراق الزمرتين العمريتين افتراقا واضحا في أسلوبي المحادثة وليس القراءة. ففي الحالة الأولى يحتفظ الكبار بالمستغير المهجـري الفصيح [ذ] احتفـاظا شبيها بالقطعي بينما لا يتداوله الشباب أقل من الكبار فحسب بل يتدنون في ذلك تدنيا حادًا في أ م ن. ولكن استخدامه في الحالة الثانية قطعي عند الجميع (رغم افتقارنا لمادة الكبار في أقك).

2.3.3.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

إن ظهور [ز] و [د] في أسلوبي المحادثة للكبار والشباب خصوصا وعـدم إثـبـات كانـتـنـو (١٩٣٦ : ١٨) لهما في بحثـة حول اللهجة قبل هجرتها التي كانت تقتصر على ورود [ذ] فيها دالة على التغيير الصـوتي المتـواصـل. وأمـا التاريخ الدقيق لدخول هاتين الصيغتين في الكلام المهجري بالتأكيد. فلا يمكن تحديده خلافا لمعظم المتغـيرات الأخـرى. وقـد يجوز لنا اقتراح زمنا أبكر من ١٩٦٧ لدخول [ز و د] في اللهجة المهجرية ولعل ذلك تزامن مع افتتاح المـدارس الحكـومية في قراهم بالجولان منذ ١٩٥١ فصاعداً لأن إدارتهـا كانت قاصرة على المعلمين الذين جاؤوا من مناطق القطر

الأخـرى حيث خلفت عادات كلامهم المختلف بعض علاماتها في لهجتهم قبل هجرتها من الهضبة.

ومن بين الأدلة المؤيدة لهذا الإفتراض كلمة أستاذ، التي يأتي لفطها بالـزاي (أي أستـاز) على نحـو قطعي في محادثـات المتكلمـين المهاجرين أجمعين ومن دون استثناءة واحدة مخالفة لذلك. ومع ذلك فهذ لا ينفى الأثر الذي لا يضاهى للدمشقية في هذا المجال ، ومن دونها فمن الصعب جداً علينا تصور كيف كانت ستتم عملية التغيير اللغوي هذه أبداً.

وأما مسأله التحول الأسلوبي، فالذي يظهر لنا من الجدول 12.9 أعلاه عجز الكبار ، بالرغم من استخدامهم لـ [ز و د] في كلامهم لدرجة ما، عن التكيف مع المستمعين المحليين أبداً، خلافا للشباب. وفي كل مرة سلفت قمنا فيها بفحص أيا من المتغيرات اللغوية كانت هذه الناظمة تتكرر معنا، ولذا فلسنا بحاجة إلى مزيد من الإستفاضة فيها ههنا.

4.3.9 المتغير (ذ) والجنس

1.4.3.9 الثقافة والأسلوب

1.1.4.3.9 عرض النتائج ووصفها

في الجـدول 13.9 أدنـاه تعطى العلامات المئوية لـ (ذ) بالثقافة والجنس والأسلوب.

الجدول 13.9 نسب (ذ) بالثقافة والجنس والأسلوب

	[ز]/[د]	عدد	[ز]/[د]	عدد	[ز]/[د]
أر	٠٠,٠٠ / ١١,٤٠	٧٩	٠٠,٠٠ / ١٦,٦٦	٥٤	٠٠,٠٠ / ٠٠,٠٠
ن	٠٠,٠٠ / ١٤,٠٠	٧٩	٥٧,٣٨ / ٢٩,٥٠	٦١	٠٠,٠٠ / ٠٠,٠٠

ب ر	٢.٧٠/١٠.٨٢	٧٤	٤٤.٢٦/٢٤.٦٠	٦١	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠
ن	٢.٤٦/١٩.٧٦	٨١	٥٥.٢٦/٢٣.٦٨	٣٨	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠
ث ر	٢.٦٢/٧.٩٠	٧٦	١٤.٥٠/١٣.٠٠	٦٩	غير متوفرة
ن	٠٠.٠٠/٣٣.٣٤	١٥	٤٣.٥٦/٣٧.٥٠	١٦	غير متوفرة
ج ر	٣.٣٠/١٤.٨٨	١٢١	٣٧.١٨/٣٥.٩٠	٧٨	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠
ن	٤.٤٤/٣١.١٢	٩٠	٤٧.٣٠/٥٠.٠٠	٧٤	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠

يبين الجدول 12.9 تمايز الجنسين فى أسلوبي المحادثة بخصوص الحفـاظ على الصيغة المهجرية الفصيحة [ذ] والانتقال عنها إلى الصيغتين المحليتين اللافصيحتين [ز ود] اللتين تقوم النسوة من كل الفئات الثقافية بتداولهما أكثر من الرجال في أ م م و أ م ن كليهما. ولكن الجميع يتساوون باستعمال الصيغة الفصحى [ذ] في أقك وأتق استعمالا قطعياً.

2.1.4.3.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

وجـدنـا في مواضـع متفـرقـة من تحليلنـا اللغوي الإجتماعي للمتغـيرات الـواردة في الأقسـام السابقة من هذا السفركيف كان الذكور والأناثي يتخذون أنماطا مختلفة لتمايزهم الإجتماعي إذ كانت النسـاء تميل إلى تقليص فروقاتهن الإجتماعية تقليصا حاداً وبأدنى المقادير (٥ أو ١٠ %) سيما عند تحدثهن مع المستمعين المحليين في حين كان الرجال يضخمونها. ولا تكون هذه الصورة أوضح مما هي عليه مع هذا المتغير. فيتبين من الجدول 13.9 انشقاق النساء في أ م م إلى فئة دنيا من الأميات والإبتدائيات من الطرف الأول وفئة وسطى من الثـانويات والجامعيات من الطرف الآخر. وتصل الفوارق بين

المجموعتين الكبيرتين إلى حوالي ٢٠ % ولكنها تتضاءل كثيراً ضمن كل منهما. وفي أ م ن تنزل هذه الفوارق إلى ١٠ % كما بين الجامعيات والأميات. (وأمـا انحراف الفئتين المتوسطتين عن هذه النسبة فغير مهم.) ويودي بنا تساوق هذه الأنماط وانتظامها عند النساء اللاتي لا يتميزن تميزا إجتماعيا في العادة إلا بدرجة قليلة هامشية ضئيلة إلى الإفـتـراض بانعـدام الـتراصف الإجتماعي لديهن بالمعنى الشديد للكلمة. ففيما يخص استخدامهن للغة، فجميع المهاجرات من كافة المراتب الثقافية يتركن الإنطباع الخارجي ذاته على الغرباء من غير المهـاجـرين. وبـالمقـابل نجد الرجال على العكس منهن تماما. ففي حين لا يكـون الـدليل على تمايزهم الإجتـماعي واضحا في أ م م نظرا لتعادلهم جميعـا في تداول السمـة المجرية الفصيحة [إذ] نرى تعاظم الفوارق بينهم في أ م ن بانشقـاقهم إلى ما لا يقـل عن ثلاث فئـات: الإبتدائية والجامعية من النـاحية الأولى، وهـاتـان لا تتميزان عن بعضهـما بعضـا (٤ %)، والثانوية، والأمية من الناحية الثانية. ويبلغ مقدار انفصال الأميين عن الجامعيين ٧٥ % ، وهذا مما يتناقض بحدة مع ما كان يحصل لدى النساء من المرتبة ذاتها.

وبالنسبة إلى ناظم تدني الإستغلاط لدى الفئة الثانوية فمثله مثل غيره من النواظم المشابهة له التي واجهناها سابقا، إذ ترتكز كلها على الذكران بوضوح. ويتضح ذلك من مقاربة علاماتهم من علامات الأميين (بفارق ١١ %) وبعدها عن الإبتدائيين والجامعيين (بفارق ٤١ %) بالإضافة إلى علامات الإناث الثانويات الموازيات لهم (بفارق يزيد عن ٥٠ %).

والآن نعود إلى التحول الأسلوبي. ففي أقك وأتق يتكافأ الجنسان، مهما كانت فئاتهم الثقافية، بمشاركتهم بالاستعمال القطعي للصيغة الفصيحة [ذ]. وأما عن تكيفهم مع المستمعين المحليين، فالنساء جميعا مفضلات للصيغتين المحليتين [ز ـ د] على الصيغة المهجرية [ذ] تفضيلا قويا في حين أن الرجال لا يتفاوتون فيما بينهم من حيث أن الأميين لا يتحولون أبداً والثانويين إلا قليلا نسبياً فحسب بل من حيث المستوى الأعلى للتحول الأسلوبي. فمثلا تفوق الإناث الأميات الشبان الجامعيين في ذلك التكيف (أي بفارق قدره ١٤ %).

وهكذا تتولى النساء، فيما يخص استخدام اللغة عموما، قيادة تدخيل الصيغ العامية المحلية الدمشقية فى كلامهن أو الإبتعاد عن لهجتهن المهجرية نحو المحلية. وطليعة التغيير اللغوي هذا هن النساء ذوات المنازل العليا واللواتي يتداولن الصيغ المحلية في أ م ن تداولا جازما (٩٧ %).

2.4.3.9 الجنس والزمرة الكبيرة

1.2.4.3.9 عرض النتائج ووصفها

في الجدول 14.9 نعرض توزيع (ذ) بالجنس والأسلوب عند الزمرة الكبيرة.

الجدول 14.9. نسب (ذ) بالجنس والأسلوب عند الزمرة الكبيرة

	أ م م		أ م ن		أتق
	[ز]/[د]	عدد	[ز]/[د]	عدد	[ز]/[د]
ر	٠,٧٠/٨,٣٠	٢٨٩	٠,٥٦/٧,٠٠	١٨٥	٠٠,٠٠/٠٠,٠٠
ن	٠,٧٦/٢,٢٨	١٣٣	٠٠,٠٠/٣,١٠	١٣١	٠٠,٠٠/٠٠,٠٠

يبيين الجدول 14.9 ضآلة الفروقات الجنسية عند الكبار. ففي كافة الأحـايين يقـومان كلاهما باستعمال الصيغة المهجرية الفصيحة [ذ] استعمالا متساويا شبيهاً بالقطعي. (وه يوجد لدنيا مادة من الذكور على أقك.)

وكانت هذه الفوارق الجنسية الصغيرة تتكرر معنا على المتغيرات السابقة. ولذلك فليست بحاجة إلى مزيد من النقاش.

5.3.9 المتغير (ذ) والمنطقة

1.5.3.9 عرض النتائج ووصفها

هاكم بيان توزيع (ذ) بالمنطقة والأسلوب في الجدول 15.9 أدناه.

الجدول 15.9 نسب توزيع (ذ) بالمنطقة والأسلوب

	أ م م [ز]/[د]	عدد	أ م ن [ز]/[د]	عدد	أقك/أتق [ز]/[د]
مدينة	٤.١٦/٢٠.٢٨	٢١٦	٣٥.٣٠/٣٥,٣٠	١٥٣	٠٠.٠٠/٠٠,٠٠
ريف	١.٢٦/١٣.٧٨	٣٩٩	٣٦.٩٢/٢٥.٨٤	٢٩٨	٠٠.٠٠/٠٠,٠٠،

يظهـر الجدول 15.9 أن المهاجرين المدنيين مفترقون عن الريفيين في أسلوبي المحادثة إذ يستخدم الأولون السمة المهجرية الفصيحة أقل من الآخرين.

2.5.3.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

يمكننـا التغاضي عن الفروقات بين أهل المدينة والريف لعدم

أهميتهـا، ولاسيا عنـد تقسيمهـا بحسب الجـنس. فالفـروقات بين المدنيات والريفيات ، كما كانت الحال مع المتغير (ظ) أعلاه (5.2.9)، غير متساوقة : ففي أ م م تصدرت الأوائل تداول الصيغتين المحليتين بفارق قدره ١٠ % ولكن ذلك انقلب لصالح الأخيرات في أ م ن إذ بلغ ١٣ % . وأما المديتون، فحافظوا على تصدرهم للريفيين في تبني الصيغتين المحليتين بما قدره ١٠ ٪ في أ م م و ١٤ % في أ م ن. ومع ذلك فهذا الفرق نوعي.

6.3.9 الملخص

يمكن ايجاز النتائج الأساسية للتحليل اللغوي الإجتماعي للمتغير (ذ) بما يلي.

١. الثقـافـة والتمييز الإجتـماعي. كان انقسـام المـوصـول الإجتـماعي يتفـاوت بحسب الأسلوب. فبينـما كانت الفئـات الاجتماعية منقسمة في أ م م إلى الفئة العليا مقابل كل من سواها، أمكننا تمييز الـطيف الكـامـل للسلم التعليمي في أ م ن إذ كلما ارتفـع المقـام الإجتماعي كثر استخدام الصيغ العامية المحلية. ويستثنى من ذلك الفئـة الثـانية العليا التي كانت أقـل الفئـات استخـدامـا لها، وهـذا ما دعوناه بتدني الإستخطاء، وكنا فسرناه بأنه دالة على التغيير الصوتي المتـواصـل. وأخيراً في أقك وأتق لم تكن الفئات كلها لتتمييز عن بعضها بعضا.

٢. العمر. يؤشر دليلا الزمن الحقيقي والظاهري على انغماس المتغير (ذ) في التغيير الصوتي المتواصل إذ يتداول الشباب السمتين العاميتين المحليتين [ز] و [د] أكثر من الكبار.

٣. الجنس. اختلفت النســوة عن الــرجـال في تراصفهن

بتضييقهن للفجـوة التي تشقهما إلى مجموعتين في أ م م إلى مجموعة واحدة تقريبا في أ م ن؛ وبعكسهن كبر الرجال فروقاتهم الإجتماعية من فئة واحدة في أ م م إلى ثلاث في أ م ن: وهي الجامعية-الإبتدائية، والثـانـوية، والأمية. كما كانت منـظومـة تدني الإستغـلاط عنـد الفئـة الثـانـوية مرتكزة على الذكور. وأماعن دورهما في التغير اللغوي، فالنسـاء كن يتـولـين قيادة استخـدام الصيغ الأجد (أي المحلية الـدمشقية) في أسلوبي المحـادثة وكان رأس السهم في ذلك أولات المنزلة العليا. وفي أسلوبي القراءة تساوى الجنسان بخصوص تحري الإصابة أو الفصحى.

٤ . التحـول الأسلوبي. كان التنـوع الأسلوبي نظاميا. فكان تداول السمة المهجرية الفصيحة [ذ] غالبا في أ م م وجازما في أقك وأتق، ولكن السمتـين المحليتـين اللافصيحتين [ز] و [د] كانتا هما الغالبتين في أ م ن ولم يستكرهها كثيراً إلا الكبار والذكور الأميون، ولدرجة أقل منهم الثانويون؛ وأما الباقون جميعا، فاستحبوهما ولا سيما النساء.

٥ . المنطقة. وهذه لم تكن مهمة عند النساء بالذات إلا أنها كانت كيفية عنـد الـرجـال عمـومـا حيث استعمل المهاجرون المدنيون الصيغتين المحليتين أكثر من الريفيين.

4.9 المتغير (ث)

1.4.9 تقدمة

جرى وصف المتغـير (ث) وصفـا لغـويا اجتـماعيا في اللهجة البحرانية (هولز ١٩٨١ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٧). وعلى أساس تداول هذا المتغير ينقسم المجتمع اللغوي البحراني إلى طائفتين: السنة وللثاء

عندهم لفظ فصيح هو [ث] والشيعة الذين تستبدل الثاء في لهجتهم بالمستغير اللافصيح [ف] مع العلم أنها تتناوب مع [ث] في كلامهم أيضـا. وتختلف المحافظة على البديلة الشيعية [ف] بحسب المنطقة ودرجة التعليم. وما وجده هولز (١٩٨٣ : ٤٤٥) هو أن الرواة الأميين سواء كانوا من المدينة (٥٤ %) أم الريف (٨٤ %)، استحبوا الفاء على الثـاء في حين أن المتعلمـين (المدنيين= (٢٦ % ، والريفيين= (٣٢ %) استكـرهـوهـا. وكـان أشـد النـاس تفضيلا للصيغة اللافصيحة [ف] المتكلمون الريفيون، ولا سيما أمييهم.

وكما كان الأمر في تحليله للمتغير (ذ) المذكور أعلاه (.1.3.9)، فلا يمكننـا معـرفـة سبب تنـاقص استخـدام [ف]: أمردها إلى تأثير الفصحى من خلال التعليم، الخ، أم إلى الكلام السني ذي الصبغة الرفيعة محليا؟ ولكن لعل ذلك يعود أساسا إلى الثقافة إذا ما أخذنا بحسباننا معاودة تحليله لمادته على المتغير (ث) (هولز ١٩٨٦). وعلى نحو أدق، قام هولز (١٩٨٦ : ٤٤) بفصل رواته إلى ثلاث فئات: (١) ٢٣ مستعملا قطعيا لـ [ف]، (٢) ١٧ مستعملا متناوبا لـ [ف و ث]؛ و (٢) ١٣ مستعملا قطعيا لـ [ث]. وكان جميع المستعملين القطعيين لـ [ث] و ١٢ من الـ ١٧ مستعملا متناوبا لـ [ف و ث] من المتعلمين.

وفي تحليلنا لمادتنا المقدم فيما يلي، سنبين كيف يقوم المهاجرون باستغلاط (نزع فصاحة) كلامهم في هذه الحالة الخاصة بتأثير اللهجة المحلية الدمشقية.

2.4.9 هذه الدراسة

1.2.4.9 المتغير (ث) والثقافة

1.1.2.4.9 عرض النتائج ووصفها

إليكم تفصيل توزيع (ث) بالثقافة والأسلوب في الجدول 16.9 أدناه.

الجدول 16.9. نسب (ث) بالثقافة والأسلوب

	أ م م [س]/[ت]	عدد	أ م ن [س]/[ت]	عدد	أقك/أتق [س]/[ت]
أ	٠٠.٠٠ / ١٠.٧٤	١٤٩	١٢.٢٢ / ٣٦.٦٤	١٣١	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ب	٢.٦٤ / ١٢.٢٨	١١٤	١٣.٨٦ / ٦٦.٣٤	١٠١	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ث	٠.٩٦ / ١٠.٤٨	١٠٥	٣.١٢ / ٤٧.٨٨	٩٩	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ج	٥.٠٢ / ١٢.٥٦	٢٣٩	١٧.٠٠ / ٦٦.٠٠	١٧٦	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ج م			٣٤.٠٠ / ٦٦.٠٠	١٤٧	

يبين الجدول 16.9 تباين تكرار البديلة المهجرية الفصيحة [ث] والبديلتين العاميتين المحليتين [س و ت] من أسلوب لآخر ومن فئة لأخرى. فالأولى مفضلة على نحو ساحق في أ م م وقطعي في أقك وأتق. وأما الأخيرتان فمفضلتان في أ م ن ولدى كافة الفئات عموما والعليا خصوصا. ونلاحظ أيضا عدم استعمال الفئة الجامعية المحلية للثاء أبدا. كما يمكن أن نرى من الجدول أيضا أن المستغير المحلي [ت] أغلب تكراراً من الثاني [س].

2.1.2.4.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

إن التمايز الاجتماعي بين الفئات الثقافية منعدم في أ م م وأقك/أتق. ففي الأول تكون الصيغة المهجرية الفصيحة [ث] أغلب الصيغ لدى الجميع والوحيدة قطعاً في الثاني. وفي الأسلوب الكلامي الثاني أ م ن ينشق الموصول الاجتماعي إلى مجموعتين كبيرتين، وهما

الأمية-الثـانوية من ناحية والابتدائية-الجامعية من ناحية أخرى، ومن دون أية فوارق ضمن كل منهما (٢ % في كل حالة). وهكذا فكلما علت المنزلة الاجتماعية ازداد تداول المستغيرين المحليين اللافصيحين [س وت] إلا عند الفئة الثانية العليا التي تتجاوز علاماتها المئوية الفئة الثانية الدنيا أو الابتدائية.

وفي تحليلنا للمتغيرات الثلاثة السابقة من هذا الفصل (1.2.1.9، 1.2.2.9، 1.2.3.9) واجهنـا هذا السلوك الكـلامي الشاذ لدى الفئة الثانية العليا وكنا دعوناه بتدني الاستغلاط الذي يعني أن الثانويين هم أقل (تدني الاستغلاط واللااستفصاح) من يبتعد عن بديلاتهم المهجـرية و/أو الفصيحـة (اي الاستغـلاط واللااستفصاح) برغم مشـاركتهم في ذلـك. وفي هذه الحـالة الخاصة كان تكييف الثانوية لكلامها نحو المستمعين المحليين متساويا مع تكييف الأمية بالضبط (٣٨ % لكل منهما) مقابل ٦٥ % لكل من الجامعية والابتدائية. وكما كان الأمـر مع المتغيرات الأخرى فإن تدني الاستغلاط دالة على التغيير الصـوتي المتـواصـل الـذي يتضمن الحفاظ على المستغير المهجري الفصيح [ث] في وجه المستغيرين المحليين اللافصيحين [س وت].

ولئن كان التمييز الاجتماعي منحرفا في أ م ن أعلاه، فنمط التنوع الأسلوبي منتظم تماما. فالصيغة المهجرية الفصيحة [ث] مفضلة على نحو ساحق في أ م م وجازمة في أقك وأتق ولكنها مستكرهة على العموم في أ م ن إذ تتنحى جانبا أ ما م السمتـين المحليتـين الـلافضيحتـين [س وت]. وهذه الصورة اللغوية الاجتماعية للاختلاف الأسلوبي مظهر واضح من مظاهر تأثير المستمع في أسلوبي المحادثة بخاصة حيث يكـون تداول الصيغـة المهجـرية [ث] القاعدة فى محادثات

المهاجرين مع بعضهم بعضا بينما تسود الصيغتان المحليتان [س و ت] في تلك الجارية بينهم والمحليين.

3.4.9 المتغير (ث) والعمر

1.3.4.9 عرض النتائج ووصفها

هاكم عرض توزيع (ث) بالمعمر والأسلوب في الجدول 17.9 أدناه.

الجدول 17.9. نسب (ث) بالعمر والأسلوب

	أ م م [س]/[ت]	عدد	أ م ن [س]/[ت]	عدد	أقك/أتق [س]/[ت]
كبار	٠.٤٠ / ١.٦٦	٢٤٢	١.٨٠ / ١.٨٠	٢٢٣	٠٠٫٠٠ ٠٠.٠٠
شباب	١١.٧٠ / ٢.٦٤	٦٠٧	٥٥.٠٠ / ١٢.٥٤	٥٠٧	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠

يظهر الجدول 17.9 انفصال الكبار عن الشبان في أسلوبي المحادثة دون القراءة. ففي الأخيرين يستعملون المستغير المهجري الفصيح [ث] على نحو جا زم ولكن الشباب يقومون بتداول المستغيرين المحليين اللافصيحين أكثر من الكبار في الأسلوبين الأولين، سيما أ م ن. (وينبغي علينا أن ننوه إلى بنيان علامات أتق على كلمتين لكل حالة إلا أن انتظام شكله واضح مهما كان الأمر.)

2.3.4.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

تشير مقارنة النتائج الملخصة في الجدول 17.9 أعلاه والتي يتضح منها ابتعاد الشباب عن معيارهم الكلامي المهجري [ث] في أسلوبي المحادثة نحو المعيارين الكلاميين المحليين [ت] و [س] وسجل كانتنو (١٩٣٦ : ١٨) للجولانية قبل طردها حيث كانت [ث] محفوظة

فيها حفظا سليما إلى التغيير الصوتي المتواصل. وهكذا نتوصل بذلك إلى توكيد ناظمـة تدني الاستغـلاط للفئة الثانوية السالف ذكرها (2.4.9). كما أن ارتبـاط البديلتين المحليتين بالزمرة العمرية الشابة حصـراً تقـريبـا دالـة جازمـة على حصـول هذا التغـير اللغـوي منذ ١٩٦٧ بتأثير اللهجة الدمشقية.

وأخـيرًا نأتي إلى تكيف الزمرة الكبيرة مع المستمعين المحليين، فعجـزهم، خلافـا للشباب، ظاهر من علاماتهم في أ م م وأ م ن في الجدول 17.9 أعلاه. وتلك كانت حالتهم على جميع المتغيرات الأخرى في هذا الكتاب. وبذلك نتوصل إلى الاستنتاج بأن للفئة الكبرى، فيما يتعلق بالمتغيرات المهجرية الفصيحة، وهي (ث، ذ، ظ، و ج)، أسلوب وحيد حيث أنها تحتفظ بالسلوك الكـلامي ذاتـه تقـريبا عبر كافة المستويات الأسلوبية.

4.4.9 المتغير (ث) والجنس

1.4.4.9 الجنس والثقافة

1.1.4.4.9 عرض النتائج ووصفها

في الجـدول 18.9 أدنـاه نعـطيكم العـلامات التكرارية لـ (ث) بالثقافة والجنس والأسلوب.

الجدول 18.9. نسب (ث) بالثقافة والأسلوب والجنس

	أ م م [س]/[ت]	أ م م عدد	أ م ن [س]/[ت]	أ م ن عدد	أقك/أتق [س]/[ت]
أ ر	٦.١٦/٠٠.٠٠	٦٥	١٣.٥٠/٢.٧٠	٧٤	غير متوفرة
ن	١٤.٢٨/٠٠.٠٠	٨٤	٦٦.٦٦/٢٤.٥٦	٥٧	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠

ب ر	١٠.٥٢ / ٥.٢٦	٥٧	٦٧.٨٠ / ١١.٨٦	٥٩	٠٠,٠٠ / ٠٠,٠٠
ن	١٤.٠٠ / ٠٠.٠٠	٥٧	٦٤.٣٠ / ١٦.٧٠	٤٢	٠٠,٠٠ / ٠٠,٠٠
ث ر	١٢.٥٠ / ٠٠.٠٠	٨٠	٤٠.٥٠ / ٠٠.٠٠	٧٤	٠٠,٠٠ / ٠٠,٠٠
ن	٤.٠٠ / ٤.٠٠	٢٥	٧٠.٠٠ / ٢٠.٠٠	٢٥	٠٠,٠٠ / ٠٠,٠٠
ج ر	٨.١٠ / ٨.٩٠	١٢٦	٦٠.٨٢ / ١٤.٦٨	٧٤	٠٠,٠٠ / ٠٠,٠٠
ن	١٧.٢٠ / ٠.٨٠	١١٦	٦٩.٦٢ / ١٨.٦٢	١٠٢	٠٠,٠٠ / ٠٠,٠٠

يتضح من الجدول 18.9 اختلاف استخدام البديلة المهجرية الفصيحة [ث] والبديلتين المحليتين اللافصيحتين [س و ت] حسب جنس الراوي وعبر الأساليب الكلامية المختلفة. فعلى الرغم من التداول الساحق لـ [ث] عند الجنسين كليهما في أ م م، فهي أقل تكراراً في كلام النساء من الرجال ما عدا حالتين يكون فيهما استعمال الابتدائيات والثانويات لها أكثر من الرجال. ولكن يمكن الركون إلى القول بتكافؤ الرجال والنساء في هذه المسألة لأن الفرق الكلامي بينهما لايتعدى النقطة أو النقطتين المئويتين على نحو رئيسي. وفي أ م ن تتداول النسوة المستغيرين المحليين تداولا أكثر من الرجال في كل حالة مفردة. والكل سواء في أقك. (وليس لدينا معلومات للرجال في أتق).

2.1.4.4.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

لا تتميز الفئات الاجتماعية إلا في أ م ن فقط. وأما أن للجنسين مسالك متنافرة من حيث تراصفهما الطبقي، فما هو بأوضح مما هو عليه في هذه المرة أبدا. فالنساء غير متميزات بالكامل فيما بينهن، ومهما كانت فئاتهن الاجتماعية. وفضلا عن ذلك، فمما يثير العجب

التام عندنا هو أن الأميات هن رائدات عملية التكييف اللغوي نحو المستمعين المحليين التي كانت تتصدرها الجامعيات في كافة الحالات السابقة. (وليس بالمهم انفصال الابتدائيات عن بقية الإناث بقليل (٨ %) ومرد ذلك إلى تسجيل بعضهن وأولادهن في أحضانهن، وهذا شيء يؤثر على تحويل سلوكهن الكلامي كما سبقت الإشارة إليه في مواضع متعددة من هذا الكتاب.)

وبـالنسبة للرجال، نجدهم زادوا تراصفهم الاجتماعي في أ م ن بانقسـامهم إلى ثلاث فئات: الأمية، والثانوية والجامعية- الابتدائية بهذا الـترتيب حسب تكـرار المستغـيرين المحليين اللافصيحين في كلامهـا. ويمكن للمـرء أن يلاحظ من الجـدول 18.9 أعلاه سبق الابتدائيين للجامعيين في استعمال المستغيرين المحليين بحوالي ٤ %؛ كما يمكن ملاحظة ارتكاز نمط تدني الاستغلاط للفئة الثانوية المشار إليه أعلاه (3.4.9) على الذكران. ومقدار تدني الإستغلاط هذا ضئيل تماما عنـدهم (٢٧ %) لدى مقارنته بالتحول الأسلوبي للابتدائيين (وقدره ٦٤ %) والجامعيين (٦٠ %) كما يظهر من إحصاء علاماتهم المنفردة في أ م م وأ م ن بالجدول 18.9 أعلاه. وهكذا تعطينا منظومة تدني استغلاط الذكور مزيداً من السند إلى ناظمتي فرط الاستصواب وتدنيه التي سبقت لنا مواجهتها في مواضع متعددة في الفصول ٧ - ٩ من هذا الكتاب وتوكيدهما.

ومـاذا عن التحول الأسلوبي؟ فالجنسان كلاهما يشتركان فيه، ومهما كانت فئاتها الثقافية. ففي المحادثات الجارية بين المهاجرين مع بعضهم بعضـا يسـتحب الجميع مستغـيرهم المهجري [ث] إلا أن المستغيرين المحليين [س وت] يستحبان عليه في تلك الدائرة بينهم والمحليين. ويستثـنى من ذلـك الـذكـور الأميون والثانويون. وفي

أقك/ أتق يتساوى الجنسان في تداول الصيغة الفصيحة [ث].

ومـاذا عن الاستخدام اللغوي عموماً؟ وهنا تولت النساء أمر قيادة تبني واكتسـاب المستغـيرين المحليين [س و ت]. وكانت رأس الحربة في ذلك الأميات كما يبدو من علاماتهن في أ م ن بالجدول 18.9 أعلاه.

2.4.4.9 الجنس والزمرة الكبيرة

1.2.4.4.9 عرض النتائج ووصفها

يعرض الجدول 19.9 أدناه توزيع (ث) بالجنس والأسلوب عند الزمرة الكبيرة.

الجدول 19.9 نسب (ث) بالجنس والأسلوب لدى الكبار

	أ م م [س]/[ت]	عدد	أ م ن [س]/[ت]	عدد	أقك [س]/[ت]	أتق [س]/[ت]
ر	٠ ٧٠٠/٠.٧٠	١٤٤	٢.٦٤/٠٠.٠٠	١٥١	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠	غير متوفره
ن	٠٠.٠٠/٣.٠٠	٩٨	٠٠.٠٠/٥.٥٦	٧٢	غير متوفرة	٠٠.٠٠/٠٠.٠٠

يبـين الجـدول 19.9 تعادل الكبار والكبيرات في (شبه) قطعية استعـمالهم للسمـة المهجـرية الفصيحـة [ث] في أساليب المحادثة والقراءة. (ولا تتوفر لدينا معلومات للذكور في أقك.)

وتنسجم هذه النتائج مع ما سبقها من النتائج المماثلة حول دور الجنس في كلام الكبار.

5.4.9 المتغير (ث) والمنطقة

1.5.4.9 عرض النتائج ووصفها

في الجدول 20.9 أدناه نقدم العلامات المئوية لـ (ث) بالمنطقة والأسلوب.

الجدول 20.9. نسب (ث) بالمنطقة والأسلوب

	أ م م		أ م ن		أقك/أتق
	[س]/[ت]	عدد	[س]/[ت]	عدد	[س]/[ت]
مدينة	١٠.١٨ / ٥.١٠	٢١٦	٦٢.٢٦ / ١٣.٢٤	١٥١	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠
ريف	١٢.٥٤ / ١.٢٨	٣٩١	٥١.٨٤ / ١٢.٢٦	٣٥٦	٠٠.٠٠ / ٠٠.٠٠

يظهـر الجـدول 20.9 عدم وجود فوارق بين مهـاجري المدينة والـريف في كافـة أساليب الكلام سوى الثاني منها، وفيه يستعمل الأولون البديلة المهجرية الفصيحة [ث] أقل من الآخرين.

2.5.4.9 مناقشة النتائج وتفسيرها

ليس الفرق البالغ قدره ١١ % لصالح المدنيين مهما عند النساء، كما كانت الحال مع المتغيرات السابقة الأخرى. والحقيقة أنه لما حللنا النتائج السابقة في أ م م وأ م ن بالجنس، وجدنا الريفيات يتخلفن عن المدنيات بخصوص استعمالهن للصيغتين المحلتين [س و ت] بمقدار ٤ % في أول أسلوب ولكن الرقم انقلب لصالحهن في الأسلوب الثـاني. وأمـا الأمـر مع الرجال، فسبق المدنيون الريفيين في تبني الصيغتين تلك بما قدره ١٥ % في أ م ن ولكنهم تكافأوا في أ م م ([ث]= ٨٧ % للأوائل و ٨٦.١٢ % للأواخر).

6.4.9 الملخص

يمكن ايجاز النقاط الرئيسية للتحليل اللغوي الاجتماعي لـ (ث) بما يلي.

١ . الثقافة والتمييز الاجتماعي. لم يرد التراصف الاجتماعي لدى الفئات الثقافية إلا في أ م ن فقط حيث انفصلت بوضوح إلى مجموعتين دون أية فروقات ضمن كل منهما. وهاتان هما الدنيا والثانية العليا إزاء الثانية الدنيا والعليا. كما لاحظنا تدني الاستغلاط عند الفئة الثانية العليا وشرحنا هذا الشذوذ بأنه دال على التغيير الصوتي المتواصل الذي يتضمن المحافظة علي الصيغة المهجرية الفصيحة [ث] والإنتقال عنها إلى الصيغتين المحلتين اللافصيحتين [س و ت]. وكانت الفئة العليا هي التي ترود هذا التحول الأخير.

٢ . العمر. ينطوي المتغير (ث) على التغيير الصوتي المتواصل لما أن الشباب كانوا يقومون باستخدام المستغيرين المحليين اللافصيحين [س و ت] أكثر من الكبار في أسلوبي المحادثة. وهذان لم يثبت ورودهما في اللهجة الجولانية قبل الهجرة.

٣ . الجنس. أظهر تقسيم الثقافية بالجنس في أ م ن افتقار النساء الكامل إلى التراصف الاجتماعي، فكان مقدار تحول الأميات، مثلا، نحو المستمعين المحليين مقدار الجامعيات ذاته أو أكثر. وأما الرجال، فانقسموا إلى ثلاث فئات، وهي الأمية، والثانوية، والجامعية-الابتدائية. كما كانت منظومة تدني الاستغلاط ترتكز على الذكور أيضا. وبخصوص التحول اللغوي، كانت النساء هي التي تتولى قيادة اكتساب السمات المحلية اللافصيحة في أسلوبي المحادثة ولكنهن تساوين مع الرجال في أسلوبي القراءة والترتيل باقتصار استخدامهن على السمة الفصيحة [ث].

٤ . التحول الأسلوبي. وهذا كان منتظما. ففي أقك وأتق وردت الصيغة المهجرية الفصيحة [ث] ورودا قاطعاً، وساحقا في أ م ن، ولكن ذلك كان يختلف في أ م ن اختلافا كثيرا. فكان أكثر الرواة حباً لها الكبار ويليهم الأميون ثم الثانويون واستكرهها الآخرون جميعا ولا سيما النسوة منهم إذا استبدلوها فيه بالصيغتين المحليتين [س و ت]. وكان استعمال أياً من هذه المستغيرات اللهجوية يعتمد عموما على خلفية المستمع اللهجوية.

٥ . المنطقة. ولم تكن مهمة عند النساء على الأخص. وأما الرجال، فكان المدنيون أكثر تداولا للبديلتين المحليتين اللافصيحتين في أ م ن من الريفيين بقليل.

5.9 النتيجة

في هذا الفصل تبين لنا كيف كانت جميع المتغيرات الصوتية الأربعة المدروسة - وهي (ج،ظ،ذ،وث) - والتي تتوافق اللهجتان المهجرية الأصلية والفصحي في تحقيقاتها الصوتية لها منغمسة في اللاإستفصاح والإستغلاط بتأثير اللهجة المحلية الدمشقية. وبالرغم من اختلاف نسبة الاستغلاط من متغير لآخر في أسلوبي المحادثة، فإن النسبة الإجمالية لذلك أسرع وأكثف كثيراً على هذه المتغيرات مما كانت عليه مع المستغيرات السابقة في الفصلين السابع والثامن. فمثلا يتبين من مقارنة استعمال المستغيرات المحلية للمتغيرين (ق) (2.3.7) و (- ك) (2.2.2.8) مع المتغيرين (ج) 2.1.9) أو (ذ) (2.3.9) انعدام تداول الصيغ المحلية للمتغيرين الأولين أبداً في المحادثة الدائرة بين المهاجرين حصراً (أ م م) أو إهمالها بينما كان استخدامها لابأس به في حال المتغيرين الأخيرين. وهاكم هذا المثال من تحليلنا

لـ (ق) حيث لم تكن كافة الفئات الثقافية تقريبا لتستعمل البديلة المحلية [ء] في أ م م على الإطلاق في حين بلغ تداول المستغير المحلي [چ] في تحليلنا لـ (ج) حوالي ٤٢ % عند الجامعيين و ١٠ % عند الإبتدائيين في الأسلوب ذاته.

ولعـل السبب في تفـاوت هذه المتغيرات في سلوكها في أسلوب المحادثة الأول أ م م يعود إلى كون اللهجات إنما تعرف وتتميز غالبا بسماتها اللافصيحة، وبالتالي فهي تحتفظ بها زمنا أطول وتتمسك بها بقوة أكثر. وما ذلك إلا لأن المتغيرات المهجرية اللافصيحة ترمز إلى الهوية المهجرية، والولاء اللغوي المهجري، والإنتساب إلى الجماعة المهجرية. وأما المتغيرات المهجرية الفصيحة أصلا، فبالرغم من أنها لاتـزال تدل على الكلام المهجري والهوية المهجرية، الخ، فهي لا تماثل المتغيرات اللافصيحة في جودتها في الإشارة إلى الهوية المهجرية لأنها، بخـلاف الأخـرى، مشـتـركة بين اللهجـتين المهجرية والفصحى. كما أن الخواص المميزة لشيء ما ليست قابلة أصلاً لاشتراك طرفين فيها أو أكثر. وعليه لا يمكن تمييز الكلام المهجري ومعرفته إلا بتلك السمات التي تمثله وترمز إليه حصراً. ولذلك فإن أي استخدام ملموس للمستغـيرات المحلية مكـان المهجرية في حال المتغيرات المهجرية اللافصيحة في المبادلات الكلامية بين المهاجرين مع بعضهم بعضا إنما هو خرق لتلك المعايير التي لا يطيقها المجتمع الكلامي المهجري ويقـاومهـا. وأما استخدام المستغيرات المحلية للمتغيرات المهجرية الفصيحة أصلاً، فأقل ما يقال فيها بأنها ليست بالأمر الذي لا يطاق مثلها. والنتيجة أنه قد يصدق توقعنا بأن المتغيرات المهجرية الفصيحة الأصل هي أول ما يتغير وتفقد فصاحتها (تستغلط) بالكامل.

وبـالنسبـة لتقـاطـع المتغيرات اللغوية - (ج، ظ، ذ، و ث) - والمقـاييس الاجتـماعية للثقـافة والعمر والجنس والمنطقة والأسلوب، فملخصة في نهاية كل متغير منها. وما سأقوم به هنا هو إعطاء خلاصة عامة لها.

١ . الثقافة والتمييز الاجتماعي. وكان ذلك يختلف من متغير لمتغير وأسلوب لأسلوب. فلم يظهر التمييز الاجتماعي بين الفئات الثقافية إلا في أسلوبي المحادثة فقط. ففي أ م كان الموصول الاجتماعي ينفصل إلى الفئة العليا إزاء الباقين كما الحال مع (ج)، و (ظ)، و (ذ) في حين كان ذلك منتفيا على (ث) حيث كان التمييز الاجتماعي فيها منعـدمـا البتة. ولكن تمييز الفئات الاجتماعية كان أكثر وضوحاً في أ م ن، وهنا اختلفت تقسيماتها من متغير لآخر: فعلى (ج) انقسمت إلى الابـتـدائية-الثـانـوية، والأمية، والجـامعية، وعـلى (ث) إلى الأمية-والثـانـوية مقابل الجامعية-والابتدائية. وهنالك شذوذ كان يتكرر باتساق على جميع المتغيرات هاتيك أسميناه تدنى الإستغلاط، وكان مرتبطا بالفئة الثانية العليا في أ م ن حيث كانت أقل الفئات ابتعادا عن الصيغ المهجرية الفصيحة باتجاه المحلية اللافصيحة. وكان ذلك يدل على التغيير الصوتي المتواصل الطارىء نحو العامية المحلية الدمشقية بعيداً عن المهجرية الجولانية. وعلى رأسه كانت الفئة ذات المرتبة العليا.

٢ . العمـر. كانت جميع المتغـيرات الأربعـة تنخرط في التغيير الصوتي المتواصل. وكان الشباب هم الذين قاموا بتنفيذه نحو اللهجة الدمشقية على نحو أساسي.

٣. الجنس. اختلف ارتصاف النساء عن الرجال بتضييقهن لفوارقهن الاجتـماعـية إلى أدنى حد ممكن أو الافتقـار إليهـا بالمـرة. فمثـلا

بلغ قدر انفصال الأميات عن الجامعيات في أ م ن ١٠ % على (ج)، ١٤ % على (ظ)، ١١ % على (ذ)، و ٠ % على (ث). ولـــكـن الـرجـال كانـوا يكبرون تراصفهم الاجتماعي وانقسموا إلى ثلاث فئات، وهي الأمية، الابتدائية-الثانوية، والجامعية على (ج)، والأمية، والثانوية، والابتدائية-الجامعية على (ظ) و (ذ)، أو فئتين على (ث) وهمـا الأمية-الثانوية مقابل الجامعية-الابتدائية. وكان ناظم تدني الاستغلاظ لدى الفئة الثانوية محصورا بالذكور على كافة المتغيرات. وأما عن الاستخدام اللغوي عموما، فكانت النساء هن الرائدات في إدخال الصيغ المحلية لجميع المتغيرات الأربعة في كلامهن إلا أنهن تساوين مع الذكور في استصوابهن (تداول الفصحى) في أقك وأتق.

٤ . التحـول الأسلوبي. كان للمستمـع دوراً ملـموسـاً جداً في إحداث التنوع الأسلوبي على جميع المتغيرات الأربعة. ففي محادثات المهـاجرين كان استخدام السمات المهجرية الفصيحة هو القاعدة لدى كافـة الرواة ولكن السمات المحلية اللافصيحة كانت مفضلة في محادثات جميع الفئات الثقافية، سيما أعلاها، مع المحليين. ويستثنى من هذا الفئة الثانية العليا التي استكرهتها في كل الأحوال تقريبا؛ كما أن الذكور الأميين والكبار خصوصا لم يتكيفوا مع المستمعين المحليين. وكان تكيف النساء من جميع الفئات الثقافية مع المحليين أكثر من الـرجـال. وأخيراً كانت المستغيرات الفصيحة قاطعة أو شبهها في أسلوبي القراءة أقك وأتق عند كافة الرواة وعلى جميع المتغيرات.

٥ . المنطقة. وهي لم تكن هامة، سيما عند النساء. وأما الرجال، فكان أهل المدنية يقومون بتداول الصيغ المحلية اللافصيحة تداولاً تكراره أكثر من أبناء الريف عموما مع العلم أن ذلك الفرق كله كان نوعيا في معظم الحالات (حوالي ١٠ %).

الفصل العاشر
الخاتمة

0.10 استهلال

إن الهدف الأل لهذا الفصل هو شد حبال هذا الكتاب لبعضها بعضا. وباختصار سنلخص النتائج الرئيسية التي توصلنا لها في مسار هذا العمل. كما سنذكر بايجاز الإسهامات التي أدتها هذه الدراسة في حقل البحث اللغوي الاجتماعي، ولا سيما اللهجات العربية. وأخيرا سنشير إلى بعض التوجيهات للأبحاث المستقبلية.

1.10 خلاصة النتائج الرئيسية لهذا البحث

1.1.10 النتائج النظرية

على المستوى النظري ساندت هذه الدراسة نظرية الاختلاف في التحليل اللغوي التي أنشأها لابوف (١٩٦٣، ١٩٦٦) وطورها هو (١٩٧٢ (أ،ب)، ١٩٨٠) وتردكل (١٩٧٤)، الخ. وترى هذه النظرية أن الاختلاف اللغوي يأتي في صلب نظرية اللغة وتحليلها وتستند على الاعتقـاد بتفاوت أبناء اللغة في استخدامهم إياها واختلافهم فيه. وبـالرغم من الفروقات الواسعة بين الناس في استعمالهم للغتهم،

فليست هذه الفوارق بلا مبادىء أو قواعد تحكمها أو حرة عشوائية. فعلى العكس، أظهرت البحوث اللغوية الاجتماعية أن الاختلاف اللغوي ليس حقيقيا فحسب، تبعا لإجراءات ومبادىء منهجية وتحليلية معينة، بل له نظمه وقوانينه وقواعده التي تحكمه، وغالبا ما تتخذ هذه المبادىء والقواعد صيغة قيود اجتماعية وأسلوبية معينة كالطبقة الاجتماعية الاقتصادية، والعمر، والجنس، والأصل العرقي، والكلام العفوي/التلقائي، والرسمي/ الحريص، الخ. ولقد حاول لابوف (١٩٦٦، ١٩٧٢ (١)) صياغة الأوجه المتنوعة للاختلاف اللغوي صياغة قواعدية ودمجها في نظرية النحو التوليدي ولكن اللغويين الاجتماعيين لم يتلقوا ذلك بقبول حسن وانتقدوها من عدة نواح (انظر ج. ملروي ١٩٨٢). (وهناك محاولة تجريبية لدمج الاختلاف اللغوي في نظرية النحو الإرتصافي أو الطبقي - انظر هريك ١٩٨٤ ، وأخرى في نحو الكلمة - انظر هدسن ١٩٨٤ (ا،ب)).

وفي دراستنا هذه اتضح لنا كيف كان الرواة المهاجرون يقومون باستغلال الموصول اللغوي المتوافر لديهم استغلالا اختلافيا. ويتألف الموصول اللغوي المهجري، خلافاً لموصول مدينة نيويورك (لابوف ١٩٧٢ (١))ونورج (تردكل ١٩٧٤)، من ثلاث لهجات أو ثنتين في بعض الحالات، وهي اللهجة الجولانية الأصلية للمهاجرين التي جاؤوا بها معهم إلى المجتمع المحلي الدمشقي عقب إجلائهم عن مرتفعات الجولان عام ١٩٦٧ ، واللهجة المحلية الدمشقية التي اكتسبوها بعدما استوطنوا في المجتمع الجديد المضيف لهم وعاشوا فيه، واللهجة الفصحى التي تلتقي معها اللهجتان المهجرية والمحلية وتفترقان عنها. وإليكم فيما يلي مثالان يوضحان هذه النقطة. ففي

الأول منها تستغل اللهجات الثلاث جميعا وتستعمل اثنتان في ثانيها.

(آ) المتغـير (ق) ذو أربع بديلات تفرق اللهجات الثلاث عن بعضها بعضاً. فتحقيقه [ق] في الفصحى، و [ء] في المحلية الدمشقية، و[ك وج] في المهجـرية الأصلية. ففي محادثـاتهم اليومية يستعمل المهـاجرون اثنين أو كل هذه المستغيرات التابعة للهجات الثلاث استعمالا اختلافيا أو تبادليا. والأمثلة هي:

/قال: كَال، آل/ /قبل، كَبل، أبل/ /قرية، كَرية، جرية/

/قلت، كَلت، ألت/ /قلب، كَلب، ألب/ /قليل، كَليل، جليل، أليل/

ففي جميع الكلمات السابقة ترد [ق] بالتناوب مع [ء] و [ك]، الخ. وهكذا تتمازج اللهجات الثلاث كلها في الكلام المهجري.

(ب. ١) المتغير (ض) ذو صيغتين تفصلان اللهجة الفصحى والمحلية من ناحية عن المهجرية الأصلية من الناحية الأخرى. فلفظه [ض] في اللهجتين الأوليين و [ظ] في اللهجة الأخيرة. وهذان المستغيران اللهجـويان كلاهما يتداولها المهاجرون في أحاديثهم العادية كما في الأمثلة الآتية:

/ضهر-ظهر/، /ضو-ظو/، /ضحك-ظحك/، /ضمن-ظمن/.

(ب. ٢) المتغـير (ج) ذو مستغيرين يبعدان اللهجتين الفصحى والمهجرية الأصلية من ناحية عن اللهجة المحلية من ناحية أخري - فلفـظه [ج] في الـفـصـحـى والـمـهـجـرية و [چ] في المـحـلية الدمشقية. والصيغتان كلاهما يستعملها المهاجرون استعمالا متناوبا في كلامهم كما في الأمثلة:

/جيل-چيل/، /جبل-چبل/، /جنة-چنة/، /جار-چار/.

ففي (ب. ١) و (ب. ٢) يجرى تداول اللهجة المحلية بالتبادل مع المهجرية، سواء اتفقت مع الفصحى أم لا.

وهكذا فالطريقة التي يستغل فيها المهاجرون الموصول اللهجوي الثلاثي منسجمة انسجاما تاما مع ما أسماه لابوف (١٩٧٢ (١)؛ ٢٢٣ - ٢٢٥؛ ١٩٧٢ (ب)؛ ٨٢) بالاختلافية المتلازمة، وهي ليست ناجمة عن اختلاط اللهجات الشاذ، والاستعارة اللهجوية بل هي خاصة اللغة ذاتها. وتكمن الاختلافية الملازمة، كما جاء في وصف لابوف لها (١٩٧٢ (١)؛ ٢٢٥)، في كون ''الاختلاف ... ليس ناشئا عن الامتزاج الشاذ للهجات، بل هو خاصة منتظمة متأصلة بالنظام (اللغة) ملازمة له.'' وفي الحقيقة كانت هذه هي الطريقة بالتحديد التي يقوم فيها المتكلمون المهاجرون باستعمال الموصول اللغوي المتوافر لديهم. فكان استعمالها استعمالا انتظاميا، اختلافيا، ترتيبيا.

ومن الأوجه الشيقة لهذا البحث في هذا الشأن اكتساب المهاجرين للهجة المحلية كلهجة ثانية وطريقة استعمالهم لها. ووجدنا ذلك يحدث حدوثا اختلافيا ويتبع القواعد والمعايير التي تحكم استخدام اللغة الأولى أو الأم العادية (مثلاً لابوف ١٩٦٦، ١٩٧٢ (١)؛ تردكل ١٩٧٤). فكما يظهر من الأمثلة السابقة أعلاه، يجري اكتساب المستغيرات المحلية واستخدامها بالاختلاف والتناوب والتبادل مع المستغيرات المهجرية الأصلية والفصيحة. وتم التوصل إلى نتائج مماثلة لذلك في الأعمال التي عنيت بفحص كيفية تبني المهاجرين في أجزاء متفرقة من الدنيا لنواظم وأشكال كلام المجتمعات المضيفة لهم، سواء كانوا أطفالا (بين ١٩٧٦، ١٩٨٠) أم راشدين (بورتوني-ريكاردو ١٩٨٥ : ك ١٠؛ ١٩٨٥).

2.1.10 النتائج التحليلية

يمكن تلخيص النتائج التحليلية الرئيسية للدراسة المهجرية في هذا الكتاب بما يلي.

1.2.1.10 على المستوى اللغوي

أظهر التحليل اللغوي للمتغيرات الصوتية في هذا السفر أن القيود الصوتية والنحوية لا أثر لها أبداً في التناوب بين الصيغ أو المستغيرات اللغوية في ورودها. بل وجدنا أن الاختلاف اللغوي بين المستغيرات الصوتية معجمي بمعنى أن أغلبية الكلمات كانت ترد بلفظين أو أكثر بصرف النظر عن محطاتها الصوتية والنحوية التي جاءت المتغيرات فيها. ولذلك فهذا التحليل يؤيد نظرية الانتشار المعجمي(ونغ ١٩٦٩ ، ١٩٧٩ ، الخ) التي ترى أن التغيير اللغوي إنما يتم بهذه الطريقة. وكانت النتائج الرئيسية لهذه الدراسة بهذا الشأن ما يلي.

(١) كان نطق أغلبية المفردات الكلمية نطقا اختلافيا وعلى جميع المتغيرات الصوتية - (ق) ، (ض) ، (ج) ، (ظ) ، (ذ) ، و (ث). وتراوحت نسبة ذلك بين ٧٢ % - ٩٠ % وكانت الكلمات التي تغيرت صيغها وألفاظها تغيرا كاملا قليلة جداً في حين كانت الكلمات التي ما زالت لم تتأثر بالتغيير ضئيلة العدد (بين ١١ - ١٨ %). ولم يشذ عن هذه الصورة سوى المتغير (ك)، وهنا كانت أغلبية الكلمات (أقل من ثلثيها بقليل) متغيرة وكان ما يقارب من ثلثها مختلفا ولم يثبت منها إلا النادر.

(٢) كانت نسبة التغيير اللغوي على جميع المتغيرات الصوتية السابقة ما عدا (ك) أيضا، بطيئة عموماً. وتبين من التحليل التكراري استواء الكلمات الأكثر والأقل تكرارا في عدم استحبابها للصيغ

المتغيرة. ولكن المفردات الأقل تكراراً في حال المتغيرين (ق) و (ظ) كانت أميل إلى الألفاظ الأقل عفوية من ذوات التكرار الأكثر. وعلى المتغيرات الثلاثة الأخرى وهي (ج)، و(ض)، و(ذ). كانت جميع الكلمات مهما كانت زمرها التكرارية متماثلة في استكراه التغيير. كما تبين لنا من المتغير (ث) أن الكلمات الأقل تكرارا أكثر عفوية في لفظها من كافة المفردات الأخرى من جميع التكرارات.

وأما المتغير (ك)، فكان الحالة الوحيدة التي فضلت التغيير فيها كافة الكلمات. وفعلت ذلك الكلمات ذات التكرارا الأقل أكثر مما فعلته ذوات التكرارا الأكثر. وينبغي التنويه إلى أن هذا التحليل لا يقوم في هذه الحالة الخاصة إلا على الكلمات المختلفة فقط.

وأخيراً نأتي إلى المتغير الصرفي (-ك) . وكان هذا المتغير الوحيد في هذا الكتاب الذي لم يتأثر بأية قيود لغوية مهما كان نوعها. فكان الرواة المهاجرون يستعملونه إما بصيغته الفصحى والمحلية أو بصيغته المهجرية، وذلك تبعا للأسلوب الكلامي وحده. ولقلما ورد هذان المستغيران معاً في كلام أي راوٍ في أي من أسلوبي الكلام.

2.2.1.10 على المستوى اللغوي الاجتماعي

1.2.2.1.10 الفئة الاجتماعية أو الثقافية

كانت الفئات الثقافية الأربع التي عيناها لمتكلمينا المهجريين في هذا البحث تقوم بتغيير أشكال تميزها الاجتماعي من أسلوب لأسلوب ومن متغير لغوي لآخر. ففي أسلوبي القراءة أقك وأتق تساوت جميع الفئات تقريبا بخصوص سلوكها اللغوي، ولم تتميز إلا في أسلوبي المحادثة أ م م وأ ن. وهنا جاء تحديد المراتب الاجتماعية للفئات الثقافية أكثر وضوحا في أسلوب المهاجر والمحلي (أ م ن) مما

هو في أسلوب المهاجر والمهاجر (أ م م). ويمكن ذكر النتائج التي حصلنا عليها لكل متغير في هذا المجال بايجاز كما يلي.

(١) على المتغير (ق). انقسمت الفئات الثقافية في أ م م إلى مجموعتين كبيرتين: دنيا وتشمل الأمية والابتدائية ووسطى وتضم الثانوية والجامعية- وأربع في أ م ن حيث كان التميز الاجتماعي فيه شاذا من خلال استعمال الفئة الثانية العليا للصيغة الفصحى أكثر من العليا.

(٢) على المتغيرين (ك) و (– ك). وهنا تشابهت كافة الفئات الثقافية في كلامها. وبالتالي كانت تفتقر إلى التراصف الاجتماعي بينها.

(٣) على المتغيرين (ض) و (ث). لم تظهر أنماط التمايز الاجتماعي إلا في أ م ن وحده إذ انقسمت الفئات الثقافية إلى ثلاث (الثانوية–الأمية، الابتدائية، والجامعية) في حال الأول وثنتين (الأمية–الثانوية إزاء الابتدائية–الجامعية) في حال الثاني. وفي كلتا الحالتين كان ارتصاف الفئة الثانية العليا شاذا في أ م ن.

(٤) على المتغيرين (ظ) و (ذ). في أ م م كان هنالك انشقاق إلى فئتين حيث انشقت الفئة العليا عن الباقين بحوالي ١٠ %. وأما عن أ م ن، فبالرغم من انقسام الفئات الثقافية الأربع جميعا انقساما واضحا إلى الثانوية، الأمية، الابتدائية والجامعية، فكانت الفئتان السابقتان مفصولتين بجلاء عن الأخيرتين – أي أن الانقسام إلى فئتين. وكانت الفئة الثانية العليا ذات ارتصاف شاذ في كلتا الحالتين في أ م ن.

(٥) على المتغير (ج). جاء تراصف المهاجرين في ثلاث فئات اجتماعية في أ م م وأ م ن رغم اختلافهما بذلك. ففي الأول انشقوا إلى

الأمية-الابتدائية، الثانوية، والجامعية وإلى الابتدائية-الثانوية، الأمية، والجامعية في الآخر. وكان ارتصاف الفئة الثانية العليا في أ م ن شاذا أيضا.

2.2.2.1.10 العمر

كانت الزمرتات العمريتان، وهما الشباب (٢٠ - ٣٠ سنة) والكبار (فوق ٥٠ سنة) منفصلتين عن بعضهما بعضا على جميع المتغيرات اللغوية في أسلوبي المحادثة دون أسلوبي القراءة. وكان الفصام بينهما في أسلوبي المحادثة أوضح في أ م ن مما هو في أ م م. وعلى نحو أدق، قام الكبار بتداول الصيغ الفصيحة والمحلية أقل مما فعله الصغار بكثير جداً. والواقع أن استخدام الكبار للصيغ المحلية كان منعدما في معظم الحالات في حين كان الشباب هم الذين يستعملونها، رغم اختلافهم فيها. ولذلك كان الابتعاد عن اللهجة المهجرية الأصلية تجاه اللهجة المحلية بالذات متموضع ومتمركز في الزمرة العمرية الصغيرة.

3.2.2.1.10 الجنس

تفاوتت النواظم الجنسية في هذا الكتاب من أسلوب لأسلوب، ومن متغير لمتغير، ومن عمر لعمر، ومن فئة لفئة. وتموضعت الفروقات الجنسية في أسلوبي المحادثة على نحو رئيسي. ولم تكن هذه الفوارق مهمة إلا عند الشباب في حين كان الكبار متساوين تقريبا فيما بينهم على جميع المتغيرات. وكان التمايز الجنسي للشباب في أ م ن أوضح منه في أ م م. وفي مسار هذا العمل، برزت لدينا نقطتان فيما يتعلق بالتمييز الجنسي بالثقافة والأسلوب. وأولاهما اختلاف الرجال والنساء في تراصفهم، فكان الأوائل يوسعون فجواتهم الاجتماعية بينما

كانت الأواخر يصغرنها. وثانيتهما ريادة النساء لعملية تداول الصيغ العامية المحلية سواء اتفقت مع الفصحى أ م لا. ويمكن إيجاز النتائج الرئيسية للمتغيرات جميعا بهذا الشأن كما يلي.

(١) بخصوص التراصف الاجتماعي بالثقافة والأسلوب. كان البناء الهرمي لدى الرجال والنساء يختلف باختلاف المتغير اللغوي وأسلوب الكلام.

(أ) على المتغير (ق). تشابه الجنسان في أ م م حيث انقسموا إلى فئتين كبيرتين ولكنهما اختلفا في أ م ن إذ كبر الرجال فروقاتهم وانشقوا إلى أربع فئات في حين احتفظت النساء بتقسيمهن إلى فئتين كما في أ م م.

(ب) على المتغيرين (ك) و (– ك). لم يكن هناك أي دليل مهما كان على وجود التراصف الاجتماعي عند الجنسين وبين الفئات الثقافية كلها.

(ج) على المتغير (ض). اقتصر تراصف الجنسين على أ م ن. وهنا انقسم الرجال إلى أربع فئات اجتماعية في حين كانت النساء متساويات عمليا، ولا سيما أقصى طرفي الموصول الاجتماعي.

(د) على المتغير (ج). في أ م م انشق الرجال إلى أربع فئات وكان تميزها خفيفا. ولكنهم انشقوا إلى ثلاث ذات تمييز كبير في أ م ن. وأما النساء، فرغم احتفاظهن بانشقاقهن إلى فئتين في أ م م وأ م ن، إلا أنها صغرنها كثيراً أ م ن ، وعلى الأخص عند أقصى نقطتين للسلم الاجتماعي.

(هـ) على المتغير (ظ). كان اتساع التمايز الاجتماعي للرجال واضحا في أ م ن من خلال انفصالهم إلى ثلاث فئات انفصالا شديداً. وكان انقسام النسوة إلى فئتين هامشيا.

(و) على المتغير (ذ). انفصل الرجال إلى ثلاث فئات في أ م ن رغم تشابههم في أ م م. وشكلت الإناث فئة واحدة تقريبا بعد أن انشققن إلى ثنتين في أ م م.

(ز)وأخيرا على المتغير (ث). افتقر الجنسان إلى التراصف الاجتماعي في أ م م ولكن الرجال قاموا بتوسيع ذلك في أ م ن إذ انقسموا إلى ثلاث فئات في حين ظلت النساء متساويات أبداً.

(٢) وفيما يتعلق باستخدام اللغة. حصلنا على النواظم التالية.

(أ) على المتغير (ق). لم تكن الفوارق الجنسية مهمة في أ م م ولكن النساء من كافة الفئات الثقافية فضلن الصيغة العامية المحلية في أ م ن بينما تباين الرجال فيما بينهم إذ ذهب بعضهم إلى الصيغة الفصحى، وبعضهم إلى البديلة المهجرية، وبعضهم إلى السمة المحلية، وذلك تبعا لمنازلهم الاجتماعية.

(ب) على المتغيرين (ك) و (- ك). لم تكن الفوارق الجنسية مهمة على العموم.

(ج) على المتغير (ض). في أ م م كان الجنس ضئيلا وفي أ م ن كانت النساء من مختلف الفئات الثقافية تسبق الرجال في استخدام المستغير المحلي الفصيح.

(د) على المتغير (ج). تداولت النسوة من جميع الفئات الثقافية الصيغة المحلية تداولا كان تكراره أكثر مما عند الرجال في أ م م وأ م ن كليهما.

(هـ) على المتغير (ظ). كان الجنس ضئيلا في أ م م إلا أن النساء من كل الفئات الثقافية استخدمت الصيغة المحلية في أ م ن أكثر من الرجال.

(و) على المتغير (ذ). كان الجنس قليلا في أ م م. وفي أ م ن كانت النسـوة من الفئات الثقافية كلها طلائع عملية تبني الصيغ العامية المحلية وكان الذكور يتخلفون عنهن في كل حالة.

(ز) وأخيراً على المتغير (ث). لم يكن الجنس مهما في أ م م ولكن النسـاء من مختلف الفئـات الثقـافية كن طليعة عملية تبني الصيغ العامية المحلية في أ م ن وكان الرجال يتخلفون عنهن في كل حالة.

4.2.2.1.10 التحول الأسلوبي

انـطوت كافـة المتغـيرات اللغـوية المـدروسـة في هذا السفر على التـمايز الأسلوبي. ووجـدنـا ذلـك يتفـاوت من متغير لآخر، ومن فئـة لأخـرى. وعلى العموم كان أسلوبا المحادثة أ م م وأم ن مرتبـطين باستعـمال الصيغ العـامية، سواء كانت محلية أم مهجرية، وأسلوبا القراءة أقك وأتق بالصيغ الفصـحي. وعلى نحو أ د ق، كان المهـاجـرون يتفـاوتـون في استعمالـهم اللغوي في أسلوبي المحادثة بحسب الصبغة اللغوية والخلفية اللهجوية لمستمعيهم الذين كانوا يتفاعلون معهم: فجاءت الصيغ المميزة للكلام المهجري في المبادلات الكلامية بين المهاجرين مع بعضهم بعضا وجاءت الصيغ المحلية في تلك التي كانت تجري بينهم والمحليين. وفي أسلوبي القـراءة تحول المهاجرون إلى الفصحى.

ويمكن اختصار النقاط الرئيسية التي توصلنا إليها في التحليل اللغوي الاجتماعي للمتغيرات اللغوية كما يلي.

(١) على المتغير (ق). كان الاختلاف الأسلوبي نظاميا. فكانت الصيغ المهجـرية هي السـائـدة في أ م م لدى جميع الفئات الثقافية

والـزمـرتين العمريتين والجنسين. وفي أ م ن تحول المهاجرون تحولا متباينا إلى المستعيرات العامية المحلية، ويستثنى منهم الكبار والأميون الذكران الذين لم يتحولوا أبدا تقريبا. كما كان تحول النساء هنا أكثر من الرجال. وفي أقك وأتق تحول الجميع إلى الفصحى.

(٢) على التغيرين (ك) و(- ك). وردت الصيغ المهجرية في أ م م حصـرا لدى كافـة الفئـات الثقـافية من الجنسـين كليهما والزمرتين العمـريتـين. ولكن الصيغ العامية المحلية الفصيحة وردت على نحو قطعي في أ م ن وأقك وأتق ولدى جميع المهاجرين ما خلا الكبار الذين لم يتحولوا في أ م ن أبداً.

(٣) على المتغـير (ض). استعمـل جميع المهـاجرين من كل الفئات الثقافية من الجنسين والزمرتين العمريتين الصيغة المهجرية في أ م م على نحـو ساحق. وممن لم يستعمل المستغير المحلي في أ م ن الكبار والأميون الذكور في حين أن الباقين تحولوا إليه وحيث كانت النساء أكثر فعلا لذلك من الرجال. وفي أقك وأتق كان تداول الصيغة الفصيحة شاذا ومنقلباً عند المهاجرين جميعا.

(٤) على المتغير (ج). كان استخدام الصيغة المهجرية الفصيحة محبوبا في أ م م عند جميع الفئات الثقافية من كلا الجنسين والزمرتين العمـريتـين. وأما الصيغة العامية المحلية فوردت في أ م ن ولكن لم تستحبها إلا الفئة الثقافية العليا. وكان تحول النساء إليها أكثر من الرجال. ولم يتحول إليها الأميون والثانويون والزمرة الكبيرة. وأخيراً أقك وأتق، وفيهما لم يزد استخدام معظم الفئات الاجتماعية للصيغة الفصيحة عما كانت عليه في أ م م.

(٥) على المتغير (ظ). في أ م م كانت الصيغة المهجرية الفصيحة

مفضلة عند جميع المهاجرين من مختلف الفئات الثقافية من الجنسين كليهـما والـزمرتين العمريتين. وفي أ م ن كانت الصيغتان المحليتان مفضلتين لدى معظم الفئات الثقافية، ولا سيما النساء ولكن الزمرة الكبيرة والأميين الذكور لم يتحولوا إليها بتاتا. وفي أسلوبي القراءة اقتربت الصيغة الفصحى من مستواها القطعي لدى الجميع.

(٦) على المتغير (ذ). كانت الصيغة المهجرية الفصيحة في أ م م هي السائدة عند جميع المهاجرين ولكن الصيغتين المحليتين فضلتا عليها في أ م ن عند معظم الفئات الثقافية، وعلى الأخص النساء. ومن الذين لم يتحولوا إليها الذكور الأميون والزمرة الكبيرة. وفي أسلوبي القراءة كانت الصيغة الفصيحة قطعية عند الكل.

(٧) وأخيرًا على المتغير (ث). استحب الجميع الصيغة المهجرية الفصيحـة في أ م م ولكن الأمـر انقلب في أ م ن لصالح الصيغتين العاميتين المحليتين وحيث كانت النسوة أكثر من فضلها. وبالنسبة للكبار، فلم يتحولوا في أ م ن. وكانت الصيغة الفصيحة في أسلوبي القراءة قطعية عند الجميع.

5.2.2.1.10 التغيير الصوتي المتواصل

كانت جميع المتغـيرات اللغـوية منخرطة في التغيير الصوتي المتواصل بطريقة أو بأخرى. وأما أنواعه، فكانت مختلفة تبعا للطريقة التي تتقاطع فيها المتغيرات اللغوية والمقاييس الاجتماعية والمستويات الأسلوبية. وهاكم تلخيصاً للنواظم والأنماط التي أثبتناها كما يلي.

(١) بالفئـة الاجتماعية. وجدنا ثلاثة أنواع من أنماط التقاطع

ونـواظمه كانت جميعها ترتبط بالفئة الثانية العليا-الثانوية. وكلها وردت في أ م ن وكانت تتسم بانحرافها عن المستمع المحلي. وكان أوضح أشكـال التقـاطـع فرط الاستصـواب في حال (ق) حيث استعملت الفئة الثانية العليا الصيغـة الفصيحة أكثر من الفئة العليا. وأما الثاني فهـو تدني الاستصواب على (ض) إذ تداولت الفئة عينها الصيغـة المحلية الصائبة أقل الفئات الاجتماعية. وكانت هذه الصيغة تتناوب بالمنـاصفة في ورودها مع الصيغة المهجرية اللافصيحة ذات الرفعة الخفية. وآخـرها تدني الاستغلاط الوارد على أربعة متغيرات- وهي (ج)، و(ظ)، و(ذ)، و(ث). فعلى جميع هذه المتغيرات لم تكن الصيغ العامية المحلية اللافصيحة لتستحب على السمات المهجرية الأصلية الفصيحة. وكانت استعمال الفئة الثانوية لهذه الصيغ المحلية يقل عن استعمال كل أولئك الذين تحولوا إليها. وأخيراً كانت الضروب الثلاثة السـابقـة للتجـاوز أو الاستصـواب-أي فرط الاستصواب وتدني الاستصواب وتدني الاستغلاط -مرتكزة على الذكران فقط.

(٢)بالعمر. كانت جميع المتغيرات الثمانية في هذا البحث منغمسة في التغيير الصوتي المتواصل مباشرة كما ظهر لنا من مقارنة نتائجنا عن التدرج العمري مع السجل التاريخي للهجة الفضلية الجولانية لخمسـين سنة خلت قبل هجرانها. وفي جميع الحالات كانت الزمرة العمرية الصغيرة تتصدر تبني الصيغ العامية المحلية والابتعاد عن اللهجة المهجرية الأصلية في أسلوبي المحادثة.

(٣) بالجنس. كانت (ق) هي المتغير الوحيد الذي انطوى على التغيير الصوتي المتواصل بالجنس. ففي أ م ن فضلت النساء من جميع الفئات الثقافية الصيغة العامية المحلية اللافصيحة الرفيعة بالمخفي في حين كان الـرجال منقسمين فيما بينهم: فمنهم من فضل الصيغة

المهجرية، ومنهم من فضل المحلية، ومنهم من فضل الفصيحة. كما أن المتغير (ج) كان منطويا على التغيير الصوتي المتواصل بالجنس في أسلوبي القراءة إذ استعملت الإناث من كافة الفئات الثقافية تقريبا الصيغة الفصيحة أقل من الرجال والتي قمن بتفضيل الصيغة المحلية اللافصيحة ذات الرفعة الخفية عليها.

(٤) بالأسلوب. كانت (ض) المتغير الوحيد الذي انغمس في هذا الضرب من التغيير الصوتي المتواصل. فكان النمط الأسلوبي له منقلبا لدى كل الفئات الثقافية، الخ. أي أن تداول الصيغة الفصيحة في أسلوبي القراءة كان أقل مما هو عليه في أ م ن بكثير جدًا.

6.2.2.1.10 المنطقة

لم يكن للمقياس الاجتماعي للمنطقة أهمية على كل المتغيرات تقريبا. ولكن كانت هنالك بعض الفروقات الطفيفة بين مهاجري المدينة والريف على بعض المتغيرات كـ (ج)، و(ظ)، و(ذ). وقد تبين لنا ضآلة هاتيك الفوارق، وعلى الأخص لدى النساء.

2.10 إسهامات الدراسة وتضمناتها

تقع إنجازات هذه الدراسة في حقلين: أحدهما علم اللغة الاجتماعي بعامة والآخر علم اللغة الاجتماعي وصلته باللغة العربية.

1.2.10 في علم اللغة الاجتماعي العام

1.1.2.10 إسهاماتها في مناهج البحث اللغوي الاجتماعي الخاص بالمهاجرين

كانت الدراسات اللغوية الاجتماعية المهجرية السابقة

(پين ١٩٧٦ ؛ ١٩٨٠ ؛ كرزول ١٩٨٥ ؛ بورتــوني-ريكــاردو ١٩٨٥) تتكل في استنباط مادتها الكلامية، فـيما يتعلق بجمع المادة اللغوية، على مقـابلة الـرواة اتكـالا رئيسيا، وذلـك على أسـاس الاستبيانات المبوبة التي جرى تصميمها على غرار الإطار المعياري اللابوفياني (لابـوف ١٩٦٦ ، ١٩٧٢ (أ)؛ تردكل ١٩٧٤) بالرغم من التقدمات التي جرت في هذا الاتجـاه التي راجعناها في الفصل الثالث أعلاه. وهذا النهـج لا يخلو من العيوب إذا ما طبقنـاه بالجملة على الـدراسات المهجـرية من مثل دراستنا ذه. والسبب في ذلك هو أن المهاجرين الـذين يـتم إجـراء مقابلاتهم على هذا النحو سيظهر الاختلاف الأسلوبي عنـدهم بمظهر ذي مجال محدود. وهذا مما قد يترتب عليه نتـائـج خطيرة على الواقع اللغوي الاجتماعي الحقيقي. ومن هذه النتـائـج الخطرة بهاتة الصورة التي نحصل عليها للتغيير اللغوي والاحتفـاظ اللغـوي لبعض المتغـيرات لتبـاينها، كما رأينا في هذه الدراسة، في سلوكها بهذا الصدد، وهو سلوك ناجم عن وتتسبب فيه غالبا الصبغة اللغوية واللهجوية للمتكلمين أو الرواة ومستمعيهم أو مخاطبيهم.

ولأجل الحصول على مجال أرحب من مجالات التنوع الأسلوبي عند مهاجري هذه الدراسة، جرى استعمال إجراءات ومناهج مختلفة. فعـلى مستـوى المحـادثات والكلام العامي، فبما أن هنالك لهجتين عاميتـين تتصـلان بالمـوقف الكلامي المهجري اتصالا مباشراً، تم استخدام طريقتين لاستنباط مختلف السبل التي يجري فيها استعمال هذه اللهجـات والمحـافـظة عليهـا والتحـول عنها. وكانت هاتان الطريقتان تستندان على الصبغة والخلفية اللغوية لمستمعي المتكلم أو جمهوره. ففي الحالة الأولى جرى تسجيل المتكلم المهجري والمستمع

المهجري له (الباحث عادة) وهما يتحدثان عن جملة موضوعات يومية التي كان الهدف الرئيسي من ورائها هو معرفة مدى احتفاظ المهاجرين بلهجتهم المهجرية الأصلية. وفي الحالة الأخرى تم تسجيل الراوي المهجري وهو يتحدث مع مستمعه المحلي من المجتمع الكلامي المضيف، وذلك لمعرفة إمكانية حصول التحول نحو العامية المحلية. وأما على المستوى الرسمي للكلام، فجرى استنباط الصيغ الفصحى للكلام بوساطة المادة المقروءة، وهي وسيلة البحث المتبعة عادة في هذا الباب. وكان الإنجاز الذي حققته الدراسة في هذا الحقل هو أسلوب الترتيل (القرآني) الذي استخدمناه للتغلب على مشاكل القراءة التي لم يكن لها حل لدى الأميين غالبا. (ولصورة أوفى عن هذه الوسائل انظر الفصل ٤ .)

2.1.2.10. إسهاماتها في التحول الأسلوبي واتجاه التغيير اللغوي

بالرغم من ظهور مجموعة من الدراسات فيما مضى والتي قامت بتبيين إمكانية حدوث الاختلاف الأسلوبي على مستوى المحادثة لما يخاطب الناس بعضهم بعضا أو إمكانية تعديلهم لكلامهم باتجاه مستمعيهم، فإن رسمها لصورة التحول الأسلوبي كانت تتذبذب غالبا بين نقطتين من نقاط الموصول أو السلم اللغوي: وهما الفصحى الواحدة والعامية الواحدة. وكان الانتقال بين طرفي الموصول أو نحو أحدهما يعتمد على جملة من المقاييس الاجتماعية الملائمة كالموقع الاجتماعي، والجنس، الخ. وفي هذه الدراسة أظهرنا كيف كان المهاجرون يتفاوتون في استغلالهم للموصول المؤلف من ثلاث لهجات في حال المتغيرات الثمانية وكيف كان التغيير اللغوي يجري تنفيذه بعيداً عن اللهجة المهجرية الأصلية واللهجة الفصيحة ونحو اللهجة

المحلية للمجتمع الكلامي المضيف.

ومع العلم أن الدراسات اللغوية الاجتماعية المهجرية السابقة أكدت حصول التغيير اللغوي بعيداً عن اللهجة الخاصة للمرء ونحو عامية المجتمع المضيف، سواء اتفقت مع الفصحى (بورتوني-ريكاردو ١٩٨٥) أو انحرفت عنها (كرزول ١٩٨٥)، فلم تفلح هذه الدراسات إلا في تبيان طيف محدود من أطياف الاختلاف الأسلوبي، وكان ذلك هو اكتساب المهاجرين للهجة المجتمع المضيف لهم كما جرى استنباطها بالمقابلات العادية. وفي دراستنا هذه استبان لنا من إحصاء أثر المستمع فيها أن اكتساب الصيغ الكلامية المحلية الجديدة كان يزداد ويتناقص تبعا للخلفية اللغوية للمتكلمين ومستمعيهم. فلما كان مستمعو المتكلم من المهاجرين تناقصت، وتكاثرت لما كانوا محليين. وفي الحقيقة، فلو لم نقم بتسجيل الرواة المهاجرين مع المستمعين المحليين لما حصلنا إلا على صورة من الصور العاتمة الباهتة جداً لاكتسابهم للعامية المحلية وتأثيرها في كلامهم. والأسوأ من ذلك أيضا، لما برزت لنا التراصفات الاجتماعية بين الفئات الثقافية ولما اتضحت لنا الفروقات بين الجنسين لأن معظم هذه النواظم والأشكال والأنماط إنما ظهرت على أشدها وأجلى ما يمكن لها في أساليب الكلام التي جرى فيها قياس أثر المستمع المحلي.

والشيء الثاني الذي تتميز به هذه الدراسة هو الأسلوب الترتيلي الذي كانت مقارنته مع أقك جيدة ومقنعة. ولئن كان هذا الأسلوب ذا مدى محدود باقتصار تطبيقة على الأميين وحدهم، فليس هنالك من مانع لاتخاذه في دراسات مماثلة من أجل التغلب على قيود الأمية التي تحول دون استنباط أشد نهايات الموصول الأسلوبي رسمية.

2.2.10 إسهاماتها في الدراسات اللغوية الاجتماعية العربية

هذه الدراسة إحدى بضع دراسات في حقل علم اللغة الاجتماعي العربي وهي الأولى في معالجتها لمسألة أنظمة الكلام المهجري في اللغة العربية. ولعل الإسهام الكبير الذي يمكن القول بأن هذه الدراسة قدمته إلى علم اللغة الاجتماعي العربي يكمن في دور المرأة في التغيير اللغوي. ففي الدراسات العربية السابقة، كانت المرأة إما أنها غير ممثلة إطلاقا أو كانت متخلفة عن الرجل في عملية التغيير اللغوي التي كانت تحصل نحو الفصحى. وبالنسبة لدراستنا هذه، وجدنا ما لا يقل عن ناظمين: أحدهما أسلوبي والأخر اجتماعي ارتصافي.

فعلى المستوى الأسلوبي، كانت النتيجتان الرئيسيتان هما:

(١) كانت النساء الكبيرات متكافآت مع الرجال الكبار من جميع النواحي، سواء باستخدام اللهجة الأصلية بالذات أم العجز عن اكتساب اللهجة المحلية أم المقدرة على التحول إلى الفصحى في الأسلوب الترتيلي؛ و

(٢) لكن الجنس كان مهماً عند الفئات الثقافية. ويمكن تلخيص جميع النتائج في مبدأ واحد: كانت النساء من كل الفئات الثقافية تسبق الرجال وتتصدرهم في استخدام أجد الصيغ أو في اكتساب اللهجة المحلية أو في التحول إلى محادثيهن المحليين. كما كانت هناك حالات عديدة تساوى فيها الذكور والإناث كلاهما معاً.

وعلى المستوى الاجتماعي التراصفي، كانت النتيجة الرئيسية هي: كان ارتصاف النساء من جميع الفئات الثقافية يختلف عن الرجال. فكانت فروقاتهن الاجتماعية طفيفة وكن ينقصنها ويصغرنها ويحذفنها لا سيما عند تحدثهن مع الغرباء أو المستمعين المحليين. وأما

الرجال، فزادوا فوارقهم وكبروها وضخموها.

ولهذه الدراسة إسهام ثان في علم اللغة الاجتماعي العربي وهو تأثير اللهجات العامية في بعضها بعضا ونشوء التغيير اللغوي من جراء ذلك. فبينما قامت الدراسات اللغوية الاجتماعية العربية بوصف مسار الاختلاف اللغوي وتغييره نحو الفصحى مهما كان ذلك ضعيفا، أظهرت هذه الدراسة كيف يمكن للاختلاف اللغوي وتغييره أن يأخذ في المواقف الكلامية اليومية مجرى بعيداً عن لهجة المهاجرين الأصلية ونحو اللهجة المحلية، سواء اتفقت هاتان اللهجتان مع الفصحى أم لا.

3.10 توجيهات للأبحاث المقبلة

1.3.10 توجيهات للأبحاث اللغوية الاجتماعية على المهاجرين

فيما مضى كانت الدراسات المعنية بكلام المهاجرين هي الاستثناء وليس القاعدة في علم اللغة الاجتماعي. أي أن معظم الأبحاث اللغوية الاجتماعية العائدة لنظرية الاختلاف، سواء كانت منشورة أم لا، إنما عنيت باللهجات اللامهجرية، إذ لم يظهر فيما سبق إلا دراسات قليلة جداً عن الكلام المهجري. ولذلك فهناك حاجة ماسة إلى الدراسات اللغوية الاجتماعية التي تركز على المهاجرين وطريقة تكيفهم لأنظم كلامهم وتغييرها. وتكمن قيمة دراسة السلوك الكلامي لدى المهاجرين في المسار المعقد الذي يسلكه الاختلاف والتغيير اللغويين عندهم. فهنا تكون نسبة حدوثه أكبر وأسرع مما في كلام المجتمعات المستقرة والمستوطنة من زمن طويل. فالبقاء في المجتمع المضيف والمغاير للمجتمع الأصلي للمرء إنما يتطلب غالبا تغييرات وتكييفات من أنواع مختلفة. وغني عن القول أن كلام

المرء هو أول ما تيأثر بهذا الموقف، وعلى الأخص إذا كان المهاجر ممن كان له فترة طويلة فيه.

وعلى اللغويين الاجتماعيين أن يفتشوا، لدى تفحصهم لغواظم كلام المهاجرين، عن مختلف السبل والأساليب لاستنباط مختلف أنماط الكلام التي يتداولها المهاجرون عادة في محادثاتهم اليومية، سواء مع أمثالهم من المهاجرين أو غيرهم. ففي هذه الدراسة أظهرنا كيف كان المهاجرون قادرين على تحويل كلامهم حسب خلفية مستمعيهم اللغوية واللهجوية: ففي الحديث مع مثلائهم المهاجرين جرى استعمال الصيغ الكلامية المهجرية الأصلية عموماً؛ وأما مع المحليين فكان التحول نحو لهجة الآخرين هؤلاء. كما ينبغي على الدراسات اللغوية الاجتماعية في المستقبل أن تستكشف فيما إذا كان الاحتفاظ باللغة والتحول عنها في الجلسات الجماعية الدائرة بين المهاجرين حصراً من الناحية الأولى وبينهم وبين المحليين من الناحية الأخرى يتأثران بالدرجة ذاتها كما في الجلسات التي تجري بين شخصين فقط، الخ. وفي الحقيقة ينبغي أن ينصرف التركيز أولا على استكشاف النمط الثاني للجلسات الجماعية-بين المهاجرين والمحليين. فقد يكون استخدام اللهجة المحلية فيها والانتقال إليها من طرف المهاجرين أقل مما يحصل في المقابلات أو المبادلات الجارية بين شخصين: مهاجر ومحلي. وفي دراستنا الحالية كانت هنالك بعض المؤشرات على ذلك.

2.3.10 توجيهات للدراسات اللغوية الاجتماعية المستقبلية في العربية

1.2.3.10 اللهجات العربية عموماً

إن الدراسات اللغوية الاجتماعية في اللغة العربية قليلة جداً حقا. فلم يتلق معظم العالم الناطق بالعربية ما يليق به ويناسبه من الاهتمام اللغوي الاجتماعي. فلا تزال هناك مناَطق كبيرة لا تتوفر لنا عنها أية معلومـات لغـوية اجتماعية مهما كان نوعها. وتشمل هذه المناطق المغـرب والجزائر وتونس وليبيا والجزيرة العربية والكويت والعراق واليمن، (لكن راجع الناجي ١٩٩١ .)

وفي معـظم المـدن العـربية تقـريبا هنالك مهاجرون داخليون وخارجيون. فالداخليون هم مواطنون من البلد ذاته كأولئك الذين يقـومـون بتغيير مقر إقامتهم من منطقة لأخرى. وأما الخارجيون، فيشملون أبنـاء البـلاد العربية الأخرى الذي جاؤوا إليها إبتغاء للعمل والشغل، الخ، واستقروا فيها. فغالبا ما ينغمس المهاجرون، سواء كانوا من الداخل أم من الخارج، بتعديل كلامهم تجاه لهجة البلد أو المـدينـة التي يعيشـون فيهـا. فهنالك ضرورة ملحة لهذه الدراسات إذن.

2.2.3.10 في اللهجات العربية الشامية أو السورية

لا يزال الموقف اللهجري الشامي كله تقريبا بكراً من الناحية اللغوية الاجتماعية. ولذا يلزمنا دراسات لغوية اجتماعية عن كل لهجة من اللهجات العربية السورية، ولا سيما العامية البلدية لمدينة دمشق الشام والتي لم تجر بعد لها أية أبحاث لغوية اجتماعية مستقلة ومنفردة بها. كما أننـا بحـاجـة إلى البحوث اللغوية الاجتماعية عن لغات

المهاجرين الداخليين أو لهجاتهم فيها نظراً لقيام مدينة دمشق باستقطاب موجات كبيرة من هؤلاء الذين قدموا إليها من مناطق البلد الأخرى.

3.2.3.10 في هذه الحالة الجولانية المهجرية الخاصة

يمكن تحسين الأبحاث المقبلة عن اللهجة الجولانية الفضلية المهجرية من عدة أوجه. ومن بين القضايا الممكنة للبحث والقابلة له نذكر:

(١) استقصاء المتغيرات النحوية والصرفية مثل صيغ الضمائر الشخصية وأنواعها واستخدام الزمن الحاضر المستمر.

(٢) استقصاء سبل الاحتفاظ بالكلمات المختلفة وتغييرها أو اكتسابها، ولا سيما تلك الكلمات التي لا يوجد مقابل لها في اللهجات المتماسة.

(٣) استقصاء نواظم كلام الأطفال والمراهقين.

(٤) استقصاء الجلسات الجماعية وتأثيرها في المحافظة على اللغة وتغييرها، الخ.

– تمت الترجمة أو الدراسة
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد
رسول الله وآله وصحبه وسلم –

كوالا لمفور ماليزيا
الإثنين ٤ ، رمضان ١٤١٢ هـ
٩ آذار ١٩٩٢ م

المراجع

١ . باللغات الأوربية (الانكليزية والفرنسية والألمانية)

Abdel-Jawad, H.R.E. 1981. *Lexical and Phonological Variation in Spoken Arabic in Amman*. Ph.D. Dissertation. University Pennsylvania.

_____________ . 1986. The Emergence of an Urban Dialect in the Jordanian Centres . *International Journal of the Sociology of Language* 61:53–63.

Abdo, D.A. 1969. *On Stress and Arabic Phonology*. Beirut: Khayats.

Ahmed M.S.E–D. 1984. *An Experimental Investigation of "Emphasis" in Sudanese Colloquial Arabic*. Ph.D. Thesis, University of Reading.

Al-Akhras, M.S. 1969. *Revolutionary Change and Modernization in the Arab World: A Case from Syria*. Ph.D. Dissertation, University of California, Berkeley.

Al-Amadihi, D.G.H.Y. 1985. *Lexical and Sociolinguistic Variation in Qatari Arabic*. Ph.D. Thesis. University of Ediburgh.

Al-Ani, S. 1970. Arabic Phonology: An Acoustical and Physiological Investigation. The Hague: Mouton.

Al-Nasir, A.A. 1985. *Sibawayh the Phonologist: A Critical Study of the Phonetic and Phonological Theory of Sibawayh as Presented in his Treatise on Alkitab*. Ph.D. Thesis, University of York.

Al-Tajir, M.A. 1982. *Language and Linguistic Origins in Bahrain:*

The Baharnah Dialect of Arabic. London: Kegan Paul International.
Al-Wohaibi, S.S. 1982. *Quranic Variants ('ilm al-Qira'at): An Historical–Phonological Study*. Ph.D. Dissertation, University of Indiana.
Al-Yassin, A. 1984. *The Socialist Transformation of Syria under the Ba'ath Party*. (CDAS Discussion Papers No. 13), Center for Developing Area Studies, McGill University.
Ambros, A. 1977. *Damascus Arabic*. Malibu: Undena Publications.
Ayoub, M.M. 1984. *The Qur'an and its Interpreters*. Vol. 1. Albany: State University of New York Press.
Bagh, A.S. 1961. *Le Region de Djolan: Etude de gèographie regionale. Damas: Universitè de Damas.*
Bailey, C – J.N. 1973a. *Variation and Linguistic Theory*. Arlington, Va.: Center for Applied Linguistics.
———. 1973b. The Patterning of Language Variation . In R.W. Bailey and J.L. Robinson, eds. *Varieties of Present–Day English*. New York City: Macmillan Publishing Co. Inc. 156 - 89.
Bakalla, M.H. 1982. *Ibn Jinni: An Early Arab Muslim Phonetician: An Interpretive Study of his Life and Contribution to Linguistics*. London and Taipei. European Language Publications Ltd.
———. 1983. *Arabic Linguistics: An Introduction and Bibliography*. London. Mansell Publishing Ltd.
Ball, M.J. 1986. The Reporter s Test as a Sociolinguistics Tool . *Language in Society* 15:375–86.
Beebe, L.M. and H. Giles. 1984. Speech – accomodation Theories: a Discussion in Terms of Second Language Acquisition . *International Journal of the Sociology of Language* 46:5–32.
Bell, A. 1984. Language Style as Audience Design . *Language in Society 13:145–204.*
Bergstrasser, G. 1915. Sprachatlas von Syrien and Palastina . *Zeitschrift des Deutschen Palastina Vereins*. 38:170–222.
———. 1924. *Zum Arabischen Dialect von Damaskus I*. Hanover: Orient – Buchhandlung Heinz Lafaire.
Bickerton, D. 1971. Inherent Variability and Variable Rules . *Foundations of Language* 7:457–92.
———. 1973. The Nature of a Creole Continuum . *Language* 49: 640–69.
———. 1975. *The Dynamics of a Creole System*. Cambridge: Cambridge University Press.
———. 1980. What Happens When We Switch? *York Papers in*

Linguistics 9:41–56.
_____.1981. *Roots of Language*. Ann Arbor: Karoma Publications.
Bill, J.A. 1972. 'Class Analysis and the Dialectis of Modernization in the Middle East. *International Journal of Middle Eastern Studies* 3:417–34.
Bloomfield, L. 1933. *Language*. New York:Holt.
Bortoni – Ricardo, S.M. 1985. *The Urbanization of Rural Dialect Speakers: A Sociolinguistics Study in Brazil*. Cambridge: Cambridge University Press.
Bright, U. 1968. ed. *Sociolinguistics*. The Hague:Mouton.
Brockelmann, C. 1908. *Grundiss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen*. B and 1. Berlin: Verlag von Reuther and Reichard.
Bulos, A.A. 1965. *The Arabic Triliteral Verb: A Comparative Study of Grammatical Cocepts and Processes*. Beirut: Khayats.
Butler, C. 1985. *Statistics in Linguistics*. Oxford: Basil Blackwell.
_____.1985. *Computers in Linguistics*. Oxford: Basil Blackwell.
Campbell, S.J. 1986. The Modern Arabic Course – A Challenge. *International Review of Applied Linguistics* XXIV:145 – 56.
Cantineau, J. 1934. *Le Dialecte Arabe de Palmyre*. Beyrouth.
_____.1936. Etudes sur quelques Parlers de Nomades Arabes d'Orient. *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales II:1–118*.
_____.1937. Etudes sur quelques Parlers de Nomades Arabes d'Orient. *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales* III:1–121.
_____.1938. Le Parler des Drûz de la Montage Hôranaise. *Annales de l'Institut d'etudes Orientalis IV:157–84*.
_____.*1939. Remarques sur les Parlers de Sédentaires Syro–Libano–Palestiens. Bulletin de Société Linguistique XL:80–88*.
_____.*1940. Les Parlers Arabes du Hôrân: Atlas de 60 Cartes*. Paris: Klincksieck.
_____.1946. *les Parlers Arabes du Hôrân: Notions Générales, Grammaires*. Paris: Klincksieck.
___.1956. The Phonemic System of Damascus Arabic' *Word* XII:116–24.
1960. *Etudes de Linguistique Arabe*. Paris: Librairie C. Klincksieck.
_____ et Y. Helbaoui. 1953. *Manual Elémentaire d'Arabe Orientale*. (Parler de Damas). Paris: Klincksieck.
Card, E.A. 1983. *A Phonetic and Phonological Study of Arabic Emphasis*. Ph.D. Dissertation, Cornell University.
Carter, L.N. 1979. Historical Setting. In R.F. Nyrop. ed. 1–42.

Catford, J.C. 1977. *Fundamental Problems in Phonetics*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Cavali–Sforza, L.L. and W. S–Y. Wang. 1986. Spatial Distance and Lexical Displacement . *Language* 62:38–55.

Cedergren, H.J. and D. Sankoff. 1974. Variable Rules as a Statistical Reflection of Competence . *Language* 50:333–55.

Chambers, J.K. and P. Trudgill. 1980. *Dialectology*. Cambridge: Cambridge University Press.

Chejne, A.G. 1969. *The Arabic Language: Its Role in History*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Chen, M. 1972. The Time Dimension: Contribution Toward a Theory of Sound Change . *Foundations of Language* 8:457–98.

——— and W.S.–Y Wang. 1975. Sound Change: Activation and Implementation . *Language* 51: 255–81.

Cheshire, J. 1978. Present Tense Verbs in Reading English . In Trudgill, ed. 52–68.

———.1982. *Variation in an English Dialect: A Sociolinguistic Study*. Cambridge: Cambridge University Press.

———.1987. Syntactic Variation, the Linguistic Variable, and Sociolinguistic Theory. *Linguistics* 25:257–83.

Chomsky, N. 1965. *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA.: MIT Press.

Corriente, F. 1978. D–L Doublets in Classical Arabic as Evidence of the Process of De–lateralization of Dad and Development of its Standard Reflex. *Journal of Semitic Studies* XXIII: 50–55.

Coupland, N. 1980. Style Shifting in a Cardiff Work Setting . *Language in Society* 9:1–12.

———.1984. Accommodation at Work: Some Phonological Data and their Implications'. *International Journal of the Sociology of Language* 46:49–70.

Cowell, M.W. 1964. *A Reference Grammar of Syrian Arabic* (based on the dialect of Damascus). Washington D.C.: Georgetown University Press.

Daltas, P. 1980. The Concept of Diglossia from a Variationist Point View with Reference to Greek. *Archivum Linguisticum* XI: 65–88.

Davis, U. 1983. *The Golan Heights under the Israeli Occupation 1967–1981*. (Occasional Papers Series No. 18). Centre for Middle Eastern and Islamic Studies: University of Durham, England.

Deffner, Ahmad von. 1983. *'Ulûm al-Qur'an: An Intruduction to the Sciences of the Qur'an*. London: The Islamic Foundation.

DeLattre, P. 1971. Pharyngeal Features in the Consonants of Arabic, German,, French and American English . *Phonetica* 23:129–55.

Dittmar, N. 1976. *Sociolinguistics: A Critical Survey of Theory and Applications*. Translated from the German original by P. Sand et al. London: Edward Arnold.

_____.1987, ed. Variation and Discourse . *Linguistics* 25–1.

Douglas–Cowie, E. 1978. Linguistic Code–switching in a Northern Irish Village: Social Interaction and social Ambition . In P. Trudgill, ed.

Dressler, W.U. and R. Wodak. 1982. Sociolinguistic Methods in the Study of Sociolinguistic Variation in Vienesse German . *Language in Society* 11:339–70.

The Economic Intelligence Unit. 1986. *Country Profile: Syria*. London: The Economic Publications Ltd.

El-Hassan, S.A. 1977. Educated Spoken Arabic in Egypt and Jordan: A Critical Review of Diglossia and Related Concepts . *Archivum Linguisticum* 8:112–32.

_____. 1978. Variation in the Demonstrative System in Educated Spoken Arabic . *Archivum Linguisticum* 9:32–57.

Ennaji, Mohd. (ed). 1991. *Sosiolinguistics The Maghreb* (Special Issue of the International Journal of the Sociology of Language 87).

Fasold, R. 1973. The Bailey Wave Model: A Dynamic Qualitative Paradigm . In R.W. Fasold and R.W. Shuy, eds. *Analyzing Variation in Language*. Washington D.C.: Georgetown University Press.

_____.1984. *The Sociolinguistics of Society: Introduction to Sociolinguistics*. Volume I. Oxford: Basil Blackwell.

_____.1990. '*The Sociolinguistics of Language*, Vol. 2, Oxford: Blackwell.

Ferguson, C.A. 1969. 'The /g / in Syrian Arabic: Filling a Gap in a Phonological Pattern'. *Word* 25:114–19.

_____ and M. Ani. 1961. *Damascus Arabic*. Washington D.C.: Center for Applied Linguistics of the Modern Language Association of America.

Fledge, J.E. 1987. A Critical Period for Learning to Pronounce Foreign Languages . *Applied Linguistics* 8:162–77.

Frazer, T.C. 1983. Sound Change and Social Structure in a Rural

Community . *Language in Society* 12:313–20.
Gairdner, W.H.T. 1925. *The Phonetics of Arabic*. London: Oxford University Press.
Gal, S. 1978. Variation and Change in Patterns of Speaking: Language Shift in Austria . In D. Sankoff, ed.
——1979. *Language Shift: Social Determinants of Linguistic Change in Bilingual Austria*. New York: Academic Press.
——1984. Phonological Style in Bilingualism: the Interaction of Structure and Use . In D. Schiffrih, ed. 290–302.
Garbell, I. 1958. Remarks on the Historical Phonology of an East Mediterranean Arabic Dialect . *Word* 13:303–37.
Ghali, M.M. 1983. Pharyngeal Articulation . *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* XLVI 432–44.
Ghazeli, S. 1977. *Back Consonants and Backing Co–articulation in Arabic*. Ph.D. Dissèrtation, University of Texas at Austin.
Giles, H. 1973a. Accent Mobility: A Model and Some Data . *Anthropological Linguistics 15:87–105.*
————. *ed. 1977. Language, Ethnicity and Intergroup Relations.* London: Academic Press.
————. 1980. Accomodation Theory: Some New Directions . *York Papers in Linguistics 9:105–36.*
————. *1984. Ed. The Dynamics of Speech Accomodations. (Special Issue of the International Journal of the Sociology of Language* 46).
——.et al. 1973b. Toward a Theory of Interpersonal Accomodation Through Speech: Some Canadian Data . *Language in Society* 2:177–92.
Giles, H. and P. Smith. 1979. Accomodation Theory: Optimal I evels of Convergence'. In H. Giles and R. St. Claire, eds, *Language and Social Psychology*. Oxford: Basil Blackwell.
Gimson, A.C. 1980. *An Introduction to the Pronunciation of English*. London: Edward Arnold.
Grotzfeld, H. 1965. *Syrisch–Arabische Grammatik*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.
Guine, A. 1976. *Guide to Syria: Tourist Manual*. Damascus.
Gumperz, J. 1964. Linguistic and Social Interaction in Two Communities . In J. Gumperz and Dell Hymes, eds., *The Ethnography of Communication*. Special Publication. *American Anthropologist* 66:137–53.
——.and D. Hymes, eds., 1972. *Directions in Sociolinguistics*. New York: Holt, Rinehart and Winston Inc. (reprinted 1986 Oxford:

Basil Blackwell).

Guy, G. et al. 1986. An Intonational Change in Progress in Australian English . *Language in Society* 15:23–52.

Habick, T. 1979. *Sound Change in Farmer City: A Sociolinguistic Study Based on Acoustic Data*. Ph.D. Dissertation, University of Illions at Urbana–Champaign.

Harley, B. 1986. *Age in Second Language Acquisition*. Clevedon: Multilingual Masters Ltd.

Harris, J. 1984. Syntatic Variation and Dialect Divergence . *Journal of Linguistics* 20:303–28.

______. 1985. *Phonological Variation and Change: Studies in Hiberno–English*. Cambridge: Cambridge University Press.

Harris, W.W. 1980. *Taking Root: Israeli Settlements in the West Bank, the Golan and Gaza–Sinai, 1967–1980*. Chichester: Research Studies Press.

Heath, J. 1981. A case of Intensive Lexical Diffusion: Arnhem Land Australia . *Language* 57:335–67.

Herrick, E.M.1977/1984. *Sociolinguistic Variation: A Formal Model*. Alabama: Alabama University Press.

Hildrew, P. 1984. Syria Builds Again Near Ruins of Kuneitra . *The Guardian*. Monday 23 July 1984.

Hitti, P.K. 1959. *Syria: A short History*. London: Macmillan and Co. Ltd.

Holes, C.D. 1980. Phonological Variation in Bahraini Arabic: the [j] and [y] allophones of /j/ . *Zeitschrift fur Arabische Linguistik* 4:72–89.

______.1981. *A Sociolinguistic Study of the Arabic Speech Community of Bahrain: Language Variation in Relation to Sect–Membership, Region and Literacy*. Pd.D. Thesis, University of Cambridge. (Published 1987 by Kegan Paul International of London)

______. 1983. Patterns of Communial Language Variation in Bahrain *Language in Society* 12:433–57.

______.1986a. The Social Motivation for Phonological Convergence in Three Arabic Dialects . *International Journal of the Sociology of Language* 61:33–51.

______.1986b. Variation in the Morphology of Arabic Dialects . *Transactions of the Philological Society*. 167–90.

Holmes, J. 1978. Investigating Subjective Judgements of New Zealand English . Archivum Linguisticum 9:123–34.

Holmquist, J.C. 1985. Correlates of a Linguistic Variable: A

Study in a Spanish Village . *Language in Society* 14:191–204.

Hooper, J.B. 1976. Word Frequency in Lexical Diffusion and the Source of Morphological Change . In W. Christie, ed. *Current Progress in Historical Linguistics*. Amsterdam: North Holland. 95–105.

Horvath, B. 1985. *Variation in Australian English: The Sociolects of Sydney*. Cambridge: Cambridge University Press.

Houston, A.C. 1985. *Continuity and Change in English Morphology: The Variable (ING)*. Phd.D. Dissertation, University of Pennsyvania.

Hudson, R.A. 1980. *Sociolinguistics*. Cambridge: Cambridge University Press.

_____.1984a. *Word Grammar*. Oxford: Basil Blackwell.

_____.1984b. A Psychologically and Socially Plausible Theory of Language Structure. In D. Schiffrin, ed. 150 – 59.

Hundley, J.E. 1983. *Linguistic Variation in Peruvian Spanish: Unstressed Vowel and S. Ph.D. Dissertation,* University of Minnesota.

Hymes, D. ed., 1971. *Pidginization and Creolization of Language*. London: Cambridge University Press.

Jahangiri, N. 1980. *A Sociolinguistic Study of Tehrani Persian*. Ph.D. Thesis London University.

____.and R.A. Hudson. 1982. Patterns of Variation in Tehrani Persian . In S. Romaine, ed. 49–63.

Jakobson, R. 1962. 'Mufaxxama': The emphatic Phonemes in Arabic . In *Selected Writings I (Phonological Studies)*. The Hague: Mouton and Co. 510–22.

Johnson, T.C. 1983. *Phonological Free Variation. Word Frequency and Lexical Diffusion*. Ph.D. Dissertation. University of Washington.

Johnston, P.A. 1985. The Rise and Fall of the Morningside/Kelvinside Accent . In M. Gorlach, ed. *Focus on: Scotland (Varieties of English Around the world G5)*. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company 37–56.

Johnstone, T.M. 1963. The Affrication of kaf and gaf in the Arabic Dialects of the Arabian Peninsula . *Journal of Semitic Studies* VII:210–26.

_____. 1965. The Sound Change j>y in the Arabic dialects of Peninsular Arabic . *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* XXVIII: 233–41.

_____.1967. *Eastern Arabian Dialect Studies*. Oxford: Oxford University Press.

Kaye, A.S. 1992. Arabic /žiim/: A Synchronic and Diachronic Study . *Linguistics* 79:31–72.

——.1976. *Chadian and Sudanese Arabic in the Light of Comparative Arabic Dialectology*. The Hague: Mouton.

Kaye, P. and C.K. MacDaniel. 1979. On the Logic of Variable Rules . *Language in Society* 151–78.

Kempf, R. 1985. Pronouns and Terms of Address in Neues Deutsches . *Language in Society* 14:223–38.

Kerswill, P.E. 1985. *A Sociolinguistic Study of Rural Immigrants in Bergen, Norway*. Ph.D. Thesis. University of Cambridge.

——.1987. Levels of Language Variation in Durham . *Journal of Linguistics* 23:25–40.

Khalaf, S.N. 1981. *Family, Village, and the Political Party: Articulation of Social Change in Contemporary Rural Syria*. Ph.D. Dissertation. University of California.

Kroch, A. 1978. Toward a Theory of social Dialect Variation . *Language in Society* 7:17–36.

Kurath, H. 1939. *Handbook of the Linguistic Geography of New England*. Providence: Brown University.

Labov, W. 1963. The Social Motivation of a Sound Change . *Word* 19:273–309. Also in Labov, 1972a:Ch.1.

——1966. *The Social Stratification of English in New York*. Washington: Centre for Applied Linguistics.

——.1969. Contraction, Delection, and Inherent Variability of the English Copula . *Language* 45:715–62.

——1970. The Study of Language in its Social Context . *Studium Generale XXIII: 30–87. Also in J.B. Pride and J. Holmes, eds., 1972. Sociolinguistics: Selected Readings*. Harmondsworth: Penguin Books.

——.1972a. *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia: University of Pennsylvania.

—— 1972b. *Language in the Inner City: Studies in the Black English Vernacular*. Oxford: Basil Blackwell.

——.1973. General Attitudes Towards the Speech of New York City . In R.W. Bailey and J.L. Robinson, eds. 274–92.

——.1980. The Social Origins of Sound Change . In W. Labov, ed. *Locating Language in Time and Space*. New York: Academic Press. 252–65.

——1981. Resolving the Neogrammarian Controversy. *Language* 57:267–308.

.1992. Principles of Linguistic Change. Oxford: Blakwell.
——et al. 1968. *Study of the Non standard English of Negro and Puerto Rican Speakers in New York City*. Final Report, Cooperative Research Project 3288. 2 vols, Philadelphia, Pa: US Regional Survey, 204 N. 35th St., Philadelphia. 1904.
Ladefoged, P. 1985. *A Course in Phonetics*. 2nd ed. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc.
Landberg, Le Comte de. 1901. *Etudes sur les Dialectales de l'Arabie Méridionale*. Premier volume. Hadramaût. Leiden: E.J. Brill.
Lass, R. 1984. *Phonology*. Cambridge: Cambridge University Press.
Ledeberg, A.R. and C. Morales. 1985. Code Switching by Bilinguals: Evidence against a Third Grammar . *Journal of Psycholinguistic Research* 14:113–36.
Le Page, R.B. 1968. 'Problems of description . in Multilingual Communities . *Transactions of the Philological Society*. 189–212.
——.1972. Preliminary Report on the Sociolinguistic Survey of Cayo District, British Bonduras . *Language in Society* 1:155–72.
—— 1977. 'Decreolization and Recreolization: a Preliminary Report on the Sociolinguistic Survey of Multilingual Communities, Stage II. St. Lucia . *York Papers in Linguistic* 7:107–28.
——.1980. Projection, Focusing and Diffusion, or Steps Towards a Sociolingistic Theory of Language Illustrated from the Sociolinguistic Survey of Multilingual Communities, Stage I: Belize (British Honduras) and II: St Lucia . *York Papers in Linguistic* 9:9–29.
——. et al. 1974. 'Further Report on the Survey of Multilingual Communities'. *Language in Society* 3:1–32.
Lesch, Ann M. 1979. 'Report No. 10: Israeli Settlements'. *In Israeli Settlements in the Occupied Territories*. Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office. (Stock No. 052–070–04 521–08).
Levine, L. and H.J. Crockett, Jr. 1966. Speech Variation in a Piedmont Community: Postvocalic r . In S. Lieberson, ed., *Explorations in Sociolinguistics. Special Issue of Sociological Inguiry*. 36(2).
Lewin, B. 1969. *Notes on Cabali: The Arabic Dialect Spoken by the Alawis of Jebel Ansariye* . Göteborg: Acta Universitatis Gothoburgensis.
Lindblom, B. 1983. *Economy of Speech Gestures*. In P.E. MacNeilage, ed. *The Production of Speech*. New York: Springer–Verlag.
Macaulay, R.K.S. 1977. *Language, Social Class and Education: A*

Glasgow Sudy. Edinburgh: Edinburgh University Press.

——.1978. Variation and Consistency in Glaswegian English . In P. Trudgill, ed.

McEntegart, D. and R.B. Le Page. 1982. 'An Appraisal of the Statistical Techniques Used in the Sosiolingistic Survey of Multilingual Communities'. In S. Romaine, ed. 105–24.

Milroy, J. 1978. Lexical Alternation and Diffusion in Vernacular Speech . *Belfast Working Papers in Language and Linguistics*. 3:101–14.

——. 1982. Probing under the Tip of the Iceberg: Phonological Normalization and the Shape of Speech Communities . In S. Romaine, ed. 35–47.

——. and L. Milroy. 1978. Belfast: Change and Variation in an Urban Vernacular . In P. Trudgill, ed. 19–36.

——.1985. Linguistic Change, Social Network and Speaker Innovation . *Journal of Linguistics* 12:339–84.

Milroy, L. 1980. *Language and Social Network* . Oxford: Basil Blackwell.

——.1982. Social Networks and Linguistic Focusing . In S. Romaine, ed. 141–52.

——.1987. Observing and Analyzing Language. Oxford: Blakwell.

——.and J. Milroy. 1977. Speech and Context in an Urban Setting'. *Belfast working Papers in Language and Linguistics* 2.

—— and S. Margrain. 1980. Vernacular Language Loyalty and Social Network . *Language in Society* 9:43–70.

Mitchell, T.F. 1986. What is Educated Spoken Arabic? *International Journal of the Sociology of Language* 61:7–32.

Modaressi–Tehra:ni, Y. 1978. *A. Sociolinguistic Analysis of Modern Persian*. Ph.D. Dissertation University of Kansas, Lawrence.

Nisan, M. 1978. *Israel and the territories: A Study in Control 1967–77*. Ramat Gan: Turtledove Publishing.

Nyrop, R.F. ed. 1979. *Syria: A Country Study*. Washington D.C.:The American University.

—— 1979. The Society and its Environment . In R.F. Nyrop, ed. 43–94.

Orr, M. 1983. 'Yom Kippur'. In J. Perlmott, ed. 82–101.

Orton, H. and E. Dieth. 1962. *Survey of English Dialects: Introduction*. Leeds: E.J. Arnold and Son.

—— et al. 1962–71. *Survey of English dialects*. Leeds: Edward Arnold.

——.1978. *Linguistic Atlas of England*. London: Croom Helm.

Patai, R. 1969. *Golden River to Golden Road: Society, Culture and Change in the Middle East*. 3rd edn. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Payne, A.C. 1976. *The Acquisition of the Phonological system of a Second Dialect*. Ph.D. Dissertation, University of Pennsylvania.

——. 1980. Factors Controlling the Acquisition of the Philadelphia Dialect by Out–of–State Children . In W. Labov, ed. 143–78.

Peretz, D. 1977. Refugees and Social Stratification . In C.A.O. Van Nieuwenhuijze, ed. 314–28.

Perlmoot, J. ed. 1983. *The Middle East Conflicts from 1945 to the Present*. London: Orbis Publishing.

——.1983 The Six Day War . In J. Perlmott, ed. 54–71.

Petran, T. 1972. *Syria: A Modern History*. London and Tonbridge: Ernest Ben Ltd.

Petyt, K.M. 1978. Secondary Contactions in West Yorkshire . In P. Trudgill, ed. 91–100.

——. 1980. *The Study of Dialect: An Introduction to Dialectology*. London: André Deutsch.

——.1977/1985. *Dialect and Accent in Industrial West Yorkshire*. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

Philips, B.S. 1980. Old English an – on: A New Appraisal . *Journal of English Linguistics* 14:20–23.

——. 1983. ME Diphthongization, Phonetic Analogy and Lexical Diffusion . *Word* 34:11–24.

——. 1984. Word Frequency and the Actuation of Sound Change . *Language* 60:320–42.

Poplack, S. 1979. *Function and Process in a Variable Phonology*. Ph.D. Dissertation, University of Pennsylvania.

Pride, J.B. and J. Holmes, eds. 1972. *Sociolinguistics*. Harmondsworth: Penguin.

Purcell, A.K. 1984. Codeshifting Hawaiian Style: Children's Accomodation Along a Decreolizing Continuum . *International Journal of the Sociology of Language* 46:71–86.

Resto, J. 1983. *The Finite Passive Voice in Modern Arabic Dialects*. Sweden: Acta Universitatis Gothoburgensis.

Rickford, J.R. 1985. Standard and Non–Standard Language Attitudes in a Creole Continuum . In N. Wolfson and J. Manes, eds. 145–60.

Robertson, A.M. 1970. *Classical Arabic and Colloquial Cairene: An*

Historical–Linguistic Analysis. Ph.D. Dissertation, University of Utah.

Romaine, S. 1978. Postvocalic /r/ in Scottish English: Sound Change in Progress? In P. Trudgill, ed. 144–57.

——.1982a. ed. *Sociolinguistic Variation in Speech Communities*. London: Edward Arnold.

——.1982b. *Socio–historical Linguistics: its Status and Methodology*. Cambridge: Cambridge University Press.

——.1984. *The Language of Children and Adolescents: The Acquisition of Communicative Competence*. Oxford: Basil Blackwell.

Rousseau, P. and D. Sankoff. 1978. Advances in Variable Rule Methodology . In D. Sankoff, ed., *Linguistic Variation: Models and Methods*. New York: Academic Press. 57–69.

Rudolph, J.D. 1979. National Security . In R.F. Nyrop, ed. 191–224.

Russel, J. 1982. Networks and Sociolinguistic Variation in an African Urban Setting . In S. Romaine, ed. 125–40.

Ryan, E.B. and H. Giles, eds. 1982. *Attitudes towards Language Variation: Social and Applied Contexts* . London: Edward Armold.

Sabban, A. 1985. On the Variability of Hebridean English Syntax . In M.Görlach, ed. *Focus on: Scotland (Varieties of English Around the World G5)*. Amsterdam and Philadelphia. John Benjamins Publishing Company. 125–44.

Sabuni, Abdulghafur. 1980. *Laut–und Formenlehre des Arabischen Dialects von Aleppo*. Frankfurt a.M.: Verlag Peter D. Lang.

Sallam, A.M. 1970. Concordial Relations Within the Noun Phrase in Educated Spoken Arabic (ESA) . *Archivum Linguisticum* X:20–56.

——.1980. Phonological Variation in Educated Spoken Arabic: A Study of the Uvular and Related Plosive Types . *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 43:77–100.

Sankoff, D. and W, Labov. 1979. On the Use of Variable Rules . *Language in Society* 8:189–222.

Schiffrin, D., ed. 1984. *Meaning, Form and Use in Context: Linguistic Applications* (Georgetown University Round Table on Language and Linguistics). Washington D.C.: Georgetown University Press.

Schilcher, L.S. 1985. *Families in Politics: Damascene Factions and Estates of the 18th and 19th Centuries*. Stuggart: Franz Stenier Verlag Wiesbaden GMBH.

Schmith, R.W. 1974. *Sociolingistic Variation in Spoken Arabic:*

A Re-examination of the Concept of Diglossia. Ph.D. Dissertation, Georgetown University.

Semaan, K.I. 1968. *Linguistics in the Middle Ages: Phonetic Studies in Early Islam*. Leiden: E.J. Brill.

Shaaban, F. 1976. *Syria: A Tourist's Guide*. Damascus.

Shockey, L. 1984. All in a Flap: Long-term Accomodation in Phonology . *International Journal of the Sociology of Language*. 46:87–96.

Shorrab, G.A.-J. 1981. *Models of Socially Significant Linguistic Variation: The Case of Palestinian Arabic*. Ph.D. Dissertation State University of New York at Buffalo.

Shuy, R.W., W.A. Wolfram, and W.K. Riley. 1967. *Linguistic Correlates of Social Stratification in Detroit Speech* (US Office of Education: Final Report, Cooperative Research Project 6–137).

Smith, P.M. 1985. *Language, the Sexes and Society*. Oxford: Basil Blackwell.

Talmon, R. 1985. Who was the First Arab Grammarian? A New Approach to an old Problem . *Zeitschrift für Arabische Linguistik* 15:128–45.

Thakerar, J.N., H. Giles, and J. Cheshire. 1982. Psychological and Linguistic Parameters of Speech Accomodation Theory . In C. Fraser and K.R. Scherer, eds., *Advances in the Social Psychology* of Language Cambridge: Cambridge University Press. 205:55.

Thelander, M. 1982. A Qualitative Approach to the Quantitative Data of Speech Variation. In S. Romaine, ed. 65–83.

Thomason, S.G. and A. El-gibali. 1986. Before the Lingua Franca: Pidginized Arabic in the Eleventh Century A.D. *Lingua* 68:317–49.

Torrey, G.H. 1960. *Independent Syria 1946–54*. Ph.D. Dissertation, University of Michigan.

Tower, J.A. 1935. *The Oasis of Damascus* (Social Science Series No. 12). Beirut: American University of Beirut.

Trud ill, P. 1972. Sex, Covert Prestige and Linguistic Change in the Urban British English of Norwich . *Language in Society* 1:179–95.

——. 1974. *The Social Differentiation of English in Norwich*. Cambridge: Cambridge University Press.

——.ed. 1978. *Sociolinguistic Patterns in British English*. London: Edward Arnold.

——. 1983. *On dialect*. Oxford: Basil Blackwell.

——. 1984. *Applied Linguistics*. London: Academic Press.

———. 1986. *Dialects in Contact*. Oxford: Basil Blackwell.

Turner, B.S. 1984. *Captialism and Class in the Middle East: Theories of Social Change and Economic Development*. London: Heinemann Educational Books Ltd.

United Nations Economic Commission for Western Asia. 1980. *The Population Situation in the ECWA Region: Syrian Arab Republic*. Beirut.

United Nations Fund for Population Activities. 1980. *Syrian Arab Republic* (Report of Mission on Needs Assessment for Population Assistance, Report Number 24).

Van Dijk, T.A. ed. 1984. *Discourse Analysis*. 4 vols. London: Academic Press.

Van Nieuwenhuijze, C.A.O. 1965. *Social Stratification and the Middle East: an Interpretation*. Leiden: E.J. Brill.

———. ed. 1977. *Commoners, Climbers and Notables: A Sampler of Studies in Social Ranking in the Middle East*. Leiden: E.J. Brill.

Von Oppenheim, M.F. *Die Beduinen. Band I.* Leipzig: Otto Harrasowitz.

Wang, W.S–Y. 1969. Competing Changes as a Cause of Residue . *Language* 45:9–25. Also in P. Bold and R.N. Werth, eds., 1978. *Readings in Historical Phonology: Chapters in the Theory of Sound Change*. USA: Pennsylvania State University.

———. ed. 1977. *The Lexicon in Phonological Change*. The Hague: Mouton.

———. 1979. Language Change – a Lexical Perspective . *Annual Review of Anthropology* 8:353–71.

——— and Chin–Chuang Cheng. 1977. Implementation of Phonological Change: the Shuang–Feng Chinese Case . In W.S–Y. Wang, ed., 148–58.

Wardhaugh, R. 1986. *An Introduction to Sociolinguistics*. Oxford: Basil Blackwell.

Weiner, E.J. and W. Labov. 1983. Comments on the Agentless Passive . *Journal of Linguistics* 19:29–58.

Weinrich, U. 1953. *Languages in Contact*. New York: Linguistic Circle.

———, W. Labov and M. Herzog. 1968. Empirical Foundations for a Theory of Language Change . In W.P. Lehmann and Y. Malkiel, eds., *Directions for Historical Linguistics*. Austin: University of Texas Press.

Wells, G. 1986. Variation in Child Language . In P. Fletcher and M.

Garman eds. *Language Acquisition: Studies in First Language Development*. 2nd edn. Cambridge: Cambridge University Press. 109–30.

Wells, J. 1982 *Accents of English*. 3 vols. London: Cambridge University Press.

Williams, G. 1992. *Sosiolinguistics: A Sociological Critique*. London: Routledge.

Winford, D. 1978. Phonological Hypercorrection in the Process of Decreolization: the Case of Trinidadion English . *Journal of Linguistics* 14:277–91.

Wolfram, R. 1969. *A Sociolinguistic Description of Detroit Negro Speech*. Washington D.C.: Centre for Applied Linguistics.

——.1985. Variability in Tense Marking: A Case for the Obvious . *Language Learning* 2:229–53.

——.and R. Fasold. 1974. *The Study of Social Dialects in American English*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice–Hall.

Wolfson, N. 1976. Speech Events and Natural Speech: some Implications for Sociolinguistic Methodology . *Language in Society* 5:189–209.

——. and J. Manes. eds. 1985. *Language of Inequality*. Berlin: Mouton Publisher.

Woods, H.B. 1970. *A Sociodialectology Survey of the English Spoken in Ottawa: A Study of the Sociological and Stylistic Variation in Canadian English*. Ph.D. Dissertation, University of British Columbia, Vancouver.

Wright, W. 1896. *A Grammar of the Arabic Language*. 3rd edn. Vol. 1. Cambridge: Cambridge University Press.

Yuan, Yi. 1990. American Childern's Phonological Adaptation and Speech Accomodation in Cambridge. MPhil Thesis, University of Cambridge.

Young, Y.Z. 1971. *An Introduction to the Study of Man*. Oxford: Oxford University Press.

Yushmanov, N.V. 1961. *The Structure of the Arabic Language*. Translated from the Russian original by M. Perlmann. Washington D.C.: Center for Applied Linguistics of the Modern Language Association of America.

٢ . باللغة العربية

القرآن الكريم، كتاب الله عز وجل المنزل على رسول الله (ص).

إبـراهيم، أنيس. ١٩٥٢ . اللهجات العربية. القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي.

ابن جني، أبو الفتـح عثـمان. ١٩٥٤ . سرصناعة الإعراب. ت. م السقا وآخرون. مصر: وزارة المعارف العامة.

حسن، علي سعود. ١٩٨٣ . مشكلات تعليم القراءة للمبتدئين في اللغــة الانكليزية: دراســة ميدانية لطلاب الصف الأول الإعدادي في مدارس مدينة دمشق. رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة دمشق.

خير، س. ١٩٧٦ .إقليم الجولان. دمشق: وزارة الثقافة.

زكريا، أحمد وصفي. ١٩٥٧. الريف السوري. دمشق: المطبعة-العمومية.

الزمخشري، جار الله محمد.١٢٩١ هـ. المفصـل. ت. حمزة فتـح الله. الاسكندرية: مطبعة الكوكب الشرقي.

ابن السكيت، يعقوب. ١٩٠٣. كتاب القلب والإبدال. في الكنز اللغوي في اللسان العربي. ت. د. أ. هفنر. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

سيبوية، عمر بن عثمان بن قنبر. ١٩٧٥ . الكتاب. المجلد ٤ . ت.

عبدالسلام هارون. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
السيرافي، القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله. ١٩٥٥ . أخبار النحويين البصريين. ت. ت. م. الزيني و م. ا. م. خفاجي. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
السيوطي، جلال الدين. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. مصر: مطبعة محمد علي صبيح.
ابن فارس، أحمد ١٩١٠. الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. القاهرة: مطبعة المؤيد.
كحالة، عمر رضا. ١٩٤٩ . معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. المجلد ٢ . دمشق: المكتبة الهاشمية.
مديرية الشؤون الفنية بمحافظة مدينة دمشق. ١٩٧٣ . مخطط مدينة دمشق. دمشق: المطبعة الرسمية.
مديرية الإحصاء بوزارة التخطيط. إحصاء السكان ١٩٦٠ . محافظة دمشق. دمشق.
المكتب المركزي للإحصاء ١٩٧٠ . إحصاء السكان ١٩٧٠ . محافظة القنيطرة. المجلد ١٤ .
١٩٧٤ . القنيطرة: عرض وتحليل لأوضاعها وأحوالها الإجتماعية والإقتصادية.
١٩٨١ . الملخصات الإحصائية. دمشق.
١٩٨١ . إحصاء السكان والعائلات والبيوت حسب التقسيمات الإدارية. محافظة مدينة دمشق ودمشق (التتائج الأولية). دمشق.

١٩٨١ . محافظة القنيطرة. دمشق.
١٩٨١ . الملخصات الإحصائية. دمشق.
١٩٨٢ . الملخصات الإحصائية. دمشق.
١٩٨٥ . نتـائـج الإحصاء العام للسكان
وزارة التربية. ١٩٨٤ . التربية في سوريا ١٩٨٣ – ١٩٨٤ . دمشق.